خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلة

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

من سنة ١٣٥٦هـ الى سنة ١٣٨٧هـ

وممن كتب فيها

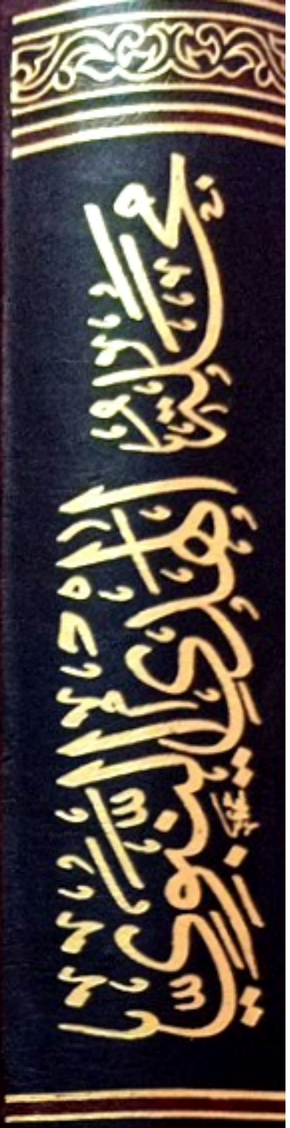
الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب

الشيخ أحمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر أبو السمح
الشيخ أبو الوفا محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس

الناشر

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية ت/ ٠٤٨٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع
القاهرة ت/ ٠٢٣٥٨٦٤٢٤٠

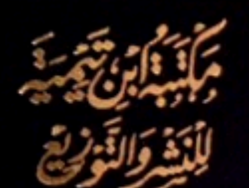






١٣٨٢هـ







خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت : ٣٥٨٦٤٢٤٠

الفهرس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ ــ في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ــ فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١ — المحرم سنة ١٣٨٢ — المجلد ٢٧

فاتحة السنة السابعة والعشرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله ومن اتبع هداه إلى يوم الدين . و بعد فبهذا العدد تفتتح مجلة (الهدى النبوى) عامها السابع والعشرين ، وهى لا تزال على خطتها ومنهجها منذ صدر عددها الأول عام ١٣٥٤ ﻫ ، من الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفهمهما وتدبرهما والعمل بهما . ومن الدعوة إلى التوحيد و إخلاص العبادة لله ، ومحاربة كل أنواع الشرك ومظاهره . والدعوة إلى تخليص العقول من أسر التقليد والخرافة والبدعة . والدعوة إلى الأخلاق والآداب والمعاملات الإسلامية على أساس من يقظة الضمير والفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها ، من الإيمان الصادق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل أمور الدين والدنيا .

و إدارة المجلة تنتهز هذه الفرصة لتقديم وافر شكرها لقرائها وكتابها ، لصدق تعاونهم معها ، سائلة الله أن يجزيهم خير الجزاء .

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جلّ ذكره : ﴿ وبالحقّ أنزلناه ، وبالحقّ نزل ، وما أرسلناكَ إلاّ مُبَشِّراً ونَذيراً . وقرآناً فرقناهُ ؛ لِتقرأهُ على الناسِ على مُكْثٍ ، وَنَزّلناه تنزيلاً . قُلْ آمِنُوا به أَوْ لا تُؤمِنوا . إن الذين أوتوا العِلمَ مِنْ قَبْلِهِ إذا يُتلَى عليهم يَخِرُّون للأذقانِ سُجّدًا ، ويقولون سُبْحانَ رَبِّنا إنْ كان وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً . وَيَخِرُّون للأذقان يَبْكُون ويزيدُهم خُشوعاً ٦٧ : ١٠٥ ـ ١٠٩ ﴾ .

« معانى المفردات »

الحق : أصل هذه الكلمة يدل على إحكام الشيء وصحته وعلى المطابقة والموافقة . ويقال لموجِدِ الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة ، وللموجَد بحسب مقتضى الحكمة ، وللاعتقاد المطابقِ لما عليه الشيء الذى اعتقدنا فيه . ويقال : للفعل وللقول الواقع بحسب وبقدر ما يجب . وفى الوقت الذى يجب .

مبشراً : كلمة بشر تدل على ظهور الشيء مع حسن وجمال وبَشَّرْته : أخبرتُه بِسارّ بسط بشرة وجهه . والمبشر من يأتيك بالأخبار التى تكون كذلك .

نذيراً : أصل الكلمة يدل على تخويف ، أو تخوّف ، والنذير : المنذِرُ وتقال على كل شيء فيه إنذار ، إنساناً كان أو غيره .

فرقناه : الفرْق يقارِبُ الفلْق . ولكن الفَرْق يقال اعتباراً بالانفصال . أما الفلق فيقال اعتباراً بالانشقاق . وأصل الكلمة يدل على تميز وتفريق بين شيئين وعلى فصل متقارب .

مكث : يدل أصل الكلمة على التوقف والانتظار والثبات .

يخرون : كلمة خَرَّ تدل على سقوط يسمع منه خرير ، والخرير صوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من عُلُوٍّ .

سجداً : أصل السجود يدل على التطامُن والتذالل ، وهو عام فى الإنسان والحيوان والجماد والنبات وغيرها من الخلق .

« المعنى »

أبى المشركون عناداً وجحوداً مبعثهما الحقد والحسد ،أن يؤمنوا بالقرآن وبرسوله وقالوا ـ كما بيّن ربنا سبحانه : ﴿ لن نؤمن لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض ينبوعاً ﴾ إلى آخر ما ذكره الله عنهم فى هذه السورة .

فجاءت هذه الآيات تبين حقيقة ما كفر به هؤلاء الخاسرون ليتبين لنا مبلغ فجور كفر أولئك الذين أبوا أن يدينوا بالقرآن وبما جاء به من حق وخير وهدى ونور ، وليتبين لنا أيضاً أن من يتركون القرآن الذى وصفه الله بأنه أنزله بالحق ، وأنه بالحق نزل ، ويتبعون كتباً أخرى لا يمكن أبداً أن توصف بهذا الوصف الذى اختص الله به كتابه ـ إنما هم من هذه الفئة التى قالت : « لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً » .

فنتيجة كفر الذين عاشوا فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم هى هجر القرآن ، ومجانبة العمل بهديه .

لا فرق بين الكفرين سوى أن كفار اليوم يحملون المصحف تحت آباطهم ، أو تحت وسائدهم ، أو فى بيوتهم ، ويقتنون من المصاحف فنوناً شتى .

وقد تتشدّق به ألسنتهم فى المآتم ، وعلى المقابر ، وفى المناسبات دون أن يثيرهم منه

سوى ما تتجاوب به شهواتهم مع صوت القارىء ! ! هذا فرق ما بين الكفرين . كفر الجاهلية ، وكفر الحضارة .

ولعل كفر الحضارة أشد كيداً ولآمة ومكراً ! . فكفر الجاهلية بيِّن المعالم والسمات القبيحة التى تتحدى وقاحتُها النظرَ ، فيراها دون إعمال طويل فكرٍ . أما كفر الحضارة ، فيُلقى على وجهه المتقيِّح القبيح وشاحاً سخرِياً يتراءى به أنه إيمان ! ! .

فَيَتَأنَّق فى طبع المصاحف ، ويكثر من الحديث عنه ، ويجلس فى مجالس من يقرأونه ويصخب مع الصاخبين بالمُكاء والتصدية[1] .

كل هذا الزور والمُقْتَرَف ، والزيْف الخادع يصطنعهما كفر الحضارة ، ليوارى بهما أحقاده التى تتآمر ضد القرآن لطمس معالم هداه ! ! . وإلا فلو كان كفر الحضارة غير ما نقول . لآمن بأن القرآن حق ، وبأن هذا الحق يجب أن تكون له السيطرة التامة على عقائد الناس وعباداتهم وأخلاقهم ونظم معايشهم ، ولجاهد فى سبيل تحقيق هذا .

هذه تقدمة قدمنا بها لتفسير هذه الآيات التى يبين لنا الله فيها موضوع القرآن ، أو مُتَمَلَّق كفر الحاسدين الجاحدين .

« وبالحق أنزلناه » أى أنزلته بالحق فى كل جميل وجليل .

بالحق فى العقيدة التى هى روح الدين وقِوامه وملاكه ، فلا تجد عقيدة تدانى عقيدة القرآن فى صفائها وخلوصها من كل مشوب ، وفى كمالها وجلالها وجمالها وشرفها . حسبك أنها لا تضع بينك وبين الله ستراً أو حجاباً . حسبك أنها بينت لك فى جلاء ووضوح وإشراق أسماء الله وصفاته . حسبك أنها فصَّلت لك فى صفاء ونقاء وإحكام دقيق بين صفات الربوبية ، وصفات العبودية ، فلا تشتبه علينا صفة الرب بصفة العبد .

---

(١) بالصفير والتصفيق دليلا على الإعجاب الزائد كما كان يفعل المشركون .

كما نزل القرآن بالحق الأعظم فى العبادة ، فبين لنا بياناً شافياً هادياً ما يُعْبَد الله به ، ولن تجد نظماً أسمى أو أجل من هذه النظم .

كما نزل القرآن بالحق فى الأخلاق التى استطاعت أن تجعل ممن تخلقوا بها خير أمة وأجل أمة .

كما نزل القرآن بالحق فى السلوك الفَردِىّ والجماعى فكان الفرد فى هذه الأمة التى سلكت بما بيَّن القرآن ، عبارة عن أُمَّةٍ من القوة والخير والعزة والكرامة والإباء والرحمة ، وكانت الجماعة أبر جماعة عرفها تعاوناً و إيثاراً وفدائيّة وتضحية . نزل بالحق فى العدل والإخاء والإحسان والبر ، وفى كل هذه الفضائل التى لا قوام لفرد أو أمة بدونها .

نزل بالحق فيما تُحْكَمُ به الأُمَّة . وقد طبّق المسلمون الأولون هذه الأحكام تطبيقاً مُحكَماً عظيما . فماذا حَدَث ؟ سلوا حقائق التاريخ التى لم تستطع حتى الأحقاد الملتهبة من الصليبية والصهيونية أن تطمس معالمها . واستنبئُوا ذلك الماضى ؛ ليتبين لكم أن هذا القرآن الذى حكم هذه الأمة فى أولها ، قد جعل منها أُمّة مثالِيّة فى أمْنِها وسعادتها وترابطها القوى المتين وعزتها وكرامتها . حتى لكأننا حين نتحدث عن هذه الأمة إنما نتحدث عن معجزة حدثت . ولا استطيع الوفاء ببيان كل حق نزل به القرآن . . حسبنا الإشارة إلى أنه نزل بالحق فى العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق ونظم الحكم ، ثم إنه نزل بالحق أيضاً بمعنى آخر :

فقد نزله الله بالحكمة التى اقتضت إنزاله فى الوقت الحق والمكان الحق ، والرسول الحق ، و باللغة التى لا يمكن أن تقوم مقامها لغة أخرى . فهو لم ينزل هكذا دون حكمة أو علم سابق ﴿لَٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيكَ أَنْزَلَه بِعِلْمِهِ ، والملائكةُ يَشْهَدُون، وكفى بالله شهيداً ٤ : ١٦٦﴾ . وهى آية جامعة . فقد علم الله أن الوقت الذى نزله فيه

هو الوقت الحق ، وعلم أن رسوله الذى اختصه الله بهذا الكتاب هو الذى يستحق وحده أن يكون خاتم الأنبياء والرسل ، وعلم أن اللغة التى نزل بها هى اللغة التى تسع كتابه . وهكذا . ثم إن القرآن متضمن علم الله الذى أراد سبحانه ـ برًّا منه ورحمةً ـ أن يطلع عباده عليه ، ليهديهم سواء السبيل ، أفراداً وجماعات وأمماً .

« وبالحق نزل » أى نزل بذلك الحق على محمد فما نقص منه شىء ، ولا زيد عليه شىء ، بل ظل فيه الحق خالصاً غير مشوب بأثارةٍ تنال من قُدُسِيَّته وجلالِه وكماله وتمامه .

« وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً » فى القرآن وَعْدٌ ووعيد والوعدُ بُشْرى ، والوعيد إنذار . والمؤمن يفرح بوعد الله و يخاف من وعيده بل يفرح بوعيده أيضا ، ولم لا ، وهو انتقام من عدو المؤمنين ؟ .

فمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخبر عن الله بما يثير البهجة والسرور فى نفس المؤمن وروحه وقلبه ، ويخبر عن الله بما يثير الخوف والرهبة والهلع والفزع .

وفى الآية تحديد لمهمة الرسول هى التبليغ عن الله ما أمره به ، فما هو إلا مبشر ونذير . وعليه أن يهدى الناس ، وما هو عليهم بوكيل .

ولقد سبق فى نفس السورة قوله سبحانه : ﴿ رَبُّكم أعلمُ بكم إن يَشَأْ يرحمْكُمْ أو إن يَشَأْ يُعَذِّبكُمْ . وما أرسلناكَ عليهم وكيلا ١٧ : ٥٤ ﴾ . ﴿ ليس عليك هُدَاهُم ، ولكنَّ اللهَ يَهْدِى مَنْ يشاء ٢ : ٢٧٢ ﴾ .

وهل استطاع نوح أن يهدى ابنه ؟ .

وهل استطاع إبراهيم أن يهدى أباه ؟ .

وهل استطاع محمد أن يهدى مَنْ أحَبَّ مِنْ آله ؟ .

حسبنا أن الله قال لِقِمَّةِ الرسل وأعظم الرسلِ وخاتمِ الرسل محمد صلى الله عليه وسلم :

(إنك لاتهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء ٢٨ : ٥٦) فهل يستطيع سواه من الرسل أو من غير الرسل أن يقوم بهذه المهمة ؟ .

إن غاية ما نستطيعه هو أن نبين للناس ما نزل الله سبحانه . نبين لهم ما فيه للمؤمن بشارة وما فيه لغيره إنذار ؟ .

وهل يتمكن العقل البشرىُّ من معرفة ما يبشر به أو ينذر إلا عن طريق ما أوحاه الله إلى رسله ؟ .

فلتكن دعوتنا إلى الله على بصيرة من كتابه .

أما الدعوة إليه على مذهبٍ أو نحلةٍ أو طريقة لم يأت بها كتاب الله ، فإنها دعوة إلى الشيطان ! ! .

« وقرآنا فرقناه » أولا : فَرَقَ به بين الحق والباطل ، ولهذا سمى فرقانا . وفصل آياته تفصيلا بينا مُحْكَماً . فلم يشتبه فيه حق بباطل . أو هدى بضلال . أو صواب بخطأ (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ، ثم فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبير ١١ : ١) .

وثانيا : فرق بين أوقات نزوله ، فجعله سبحانه نجومًا نجومًا فى مدى عدة أعوام .

« لتقرأه على الناس على مكث » بيان لحكمته سبحانه من نزول القرآن كذلك .

إن القرآن هو الكتاب الذى وعد الله بحفظه ، وقدر أن يبقى كتاب دينه المرضىّ حتى تقوم الساعة . فلا كتاب بعده . لأنه كتاب الدين التام الكامل الذى لا تحتاج البشرية بعده إلى دين سواه . وكان أكثر العرب ثمت أميين . فكان من برّ الله ورحمته وحكمته أن ينزل الكتاب هكذا ليقرأه رسوله على مهل وليرتله ترتيلا حتى يثبت فى صدور المؤمنين ، وينتقش على نفوسهم . فلا ينْسَى ، ويرثه من بعدهم من يرثه من المؤمنين . ليبقى القرآن محفوظا كما وعد الله .

ثم إنه سبحانه نزله كذلك لحكمة أخرى يوضحها قول الله سبحانه : (وقال الذين

كَفَرُوا : لَوْلاَ نُزِّلَ عليه القرآنُ جُمْلَةً واحدةً ، كذلكَ لِنُثَبِّتَ به فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاه ترتيلا . ولا يأتونك بِمَثَلٍ إلا جئناكَ بالحقِّ وأحسنَ تفسيراً ٢٥ : ٣٣) .

وكل ذلك قد حدث ، فبقى القرآن محفوظا كما نزله الله ، ووعاه السابقون الأولون وعيا صادقاً ، فأقاموا به ـ بعون الله ـ أعظم أمة ، وتركوا لنا بالتطبيق أحسن وأجلَّ قدوة و به ثَبِّتَ قلب الرسول . فجاهد فى الله حق جهاده .

« ونزّلناه تنزيلا » توكيدٌ[١] لنزوله مُنَجّما للحكمة التى ذكر الله فى آياته[٢] .

« قل آمنوا به أولا تؤمنوا » ما يقولها إلا العلى الكبير القوى القهار . وفيها من الوعيد للذين يكفرون بالقرآن ما فيها، وفيها أيضا إشارة إلى الغِنى المطلَق الذى يتصف به الْغَنِيُّ سبحانه ، إذ يؤكد أنه ليس فى حاجة إلى أن يؤمن هؤلاء ، ولا يضيره أن يكفر به هؤلاء .

وفيها أيضا استهزاء بمكانة هؤلاء الكافرين ودمغهم بالجهالة ؛ إذ يقول الله سبحانه : (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا) .

لكأنما تقول لهم الآية لئن كان موقف هؤلاء الجهلة من القرآن هو الكفر به ، فما ينال كفرهم من مكانة القرآن ، بدليل أن الذين من الله عليهم بالعلم من أهل الكتاب كان موقفهم من القرآن هو الإيمان الصادق الذى يعبر عن صدقه بالسقوط على الأرض سجوداً لله وخشوعا . فمن هم الذين أوتوا العلم ؟ تدبر قول الله سبحانه فى سورة المائدة

---

(١) لأن الفعل نزل بتشديد الزاى يفيد تكرار الفعل وحدوثه مرة بعد مرة .

(٢) كل هذه المؤكدات الإلهية التى تثبت نزول القرآن منجما لم تمنع كهنة التصوف ـ وعلى رأسهم ابن عربى ـ من أن يزعموا أن محمدا كان يعرف القرآن جملة واحدة قبل نزول جبريل عليه به « ص ٦ ج ١ الكبريت الأحمر على هامش اليواقيت والجواهر للشعرانى ط سنة ١٣٠٧ » وتجد هذه الفرية المناقضة للقرآن من يصدقها ! !

(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ، وَلَتَجِدَنَّ . أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا : إنّا نصارى ، ذلك بأنّ منهم قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ، وأنّهم لا يَسْتَكْبِرون . وإذا سَمِعوا ما أُنْزِل إلى الرسولِ ترى أعينَهم تفيض من الدمع مِمّا عرَفوا من الحقّ ، يقولون : ربّنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدِين ٥ . ٨٣)

هؤلاء هم أولو العلم الذين شهدوا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم عن بينة ، وآمنوا به عن بينة . فقد بُشِّروا به فى التوراة والإنجيل ، ورأوا فى الرسول العظيم التعبير الكامل الصادق عن البشارة . نخروا مذعنين لله سبحانه، فإذا كفر الجهال بالقرآن ، فان يضيره ، ولن يدل هذا الكفر منهم إلا على جهالتهم ؛ لأن الذين أوتوا العلم قد آمنوا به هذا الإيمان القوى العميق .

« يخرون للأذقان سجدا » قلت إن كلة خرّ تدل على سقوط مع صوتٍ . ومعنى هذا أن أولئك القوم المهتدين كانوا يسقطون على الأرض ترتفع أصواتهم بالتسبيح لله رب العالمين . وأن فعلهم هذا إنما ينبع عن ذل وعبودية لله سبحانه[1] ثم بين الله مايقولونه فى قوله : سبحان ربنا : أى نسير سراعا فى طاعة ربنا كالطير يسير يسبح فى الهواء دون توقف أو عائق ، فالسّبح هو السير السريع فى الطاعات . ومن دلائل طاعته أن ننزهه عما نزه عنه نفسه[2] . ونثبت له ما أثبته لنفسه .

« إن كان وعد الله ربنا لمفعولا » أى ما وعدنا الله به فى التوراة والإنجيل ، وبشر به من إرسال محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنزال القرآن عليه .

« ويخرون للأذقان يبكون » كرر الفعل لاختلاف الحالين . فهم يخرون مرة

(١) أخذاً من حكمة « سجدا » وهى فى الإعراب حال من الفاعل فى يخرون .

(٢) فليس التنزيه إذن سوى جزء من معنى التسبيح لا كل المعنى .

ساجدين[١] ، ويخرون أخرى باكين ، ويزيدهم القرآن خضوعاً وذلاً وخوفاً وخشية ورجاء وأملا فى الله سبحانه . وهذا حال كل مؤمن .

سنة متروكة : والآيتان تدلان على مشروعية السجود وقت سماع القرآن . وقد ورد فى حديث رواه أبو داود وابن ماجة عن عمرو بن العاص أن رسول الله أقرأه خمس عشرة سجدة فى القرآن منها ثلاث فى المفصّل ، وفى الحج سجدتان ، غير أنه حديث ضعيف من ناحية إسناده . ففيه مجهول وورد فى حديث متفق عليه أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ « والنجم » فسجد فيها وسجد من كان معه .

وفى حديث آخر متفق عليه عن أبى رافع الصائغ أنه صلى مع أبى هريرة العشاء فقرأ (إذا السماء انشقت) فسجد فيها . فقال : ماهذه ؟ . فقال أبو هريرة : سجدت بها خلف أبى القاسم . فما أزال أسجد فيها حتى ألقاه .

---

(١) يظن بعض الذين يزعمون أنهم يتمسكون بالقرآن أن هذه الآية تدل على أن سجود الصلاة يكون على الذقن لا على الجبهة . وقد أوتوا من جهلهم بلغة القرآن . فالآية أولا تعبر عن حال الذين أوتوا العلم وموقفهم حين يتلى عليهم القرآن . أى ليست تعبيراً عن حال سجود الصلاة ، والآية ثانياً تقول : « يخرون للاذقان » ولو كان الأمر كما يزعمون لقال الله « يخرون على الأذقان » ثم إن قوله سبحانه « سجدا » تعبر عن حالهم وهم يخرون فكأن « يخرون » شىء والسجود شىء آخر . أى ليس السجود عين سقوطهم إلى الأذقان. ونسى الذين يرتابون فى كيفية السجود أنهم يرتابون فى القرآن نفسه ، فتواتر السجود فى الصلاة وكيفيته فى قوة تواتر القرآن . والشك فى شىء نقل بالتواتر يدفع إلى الشك فى نظيره فليتق الله الذين يظنون أنهم قرآنيون ، فما لديهم من فهم القرآن مايبيح لهم أن يطعنوا تواتر نقل عن نبى هذه الأمة . وإلا فسيؤدى بهم إلى الكفر بالقرآن نفسه .

وما ذكر فى الأحاديث يؤيد مايُستنبط من الآية وهو السجود عند سماع القرآن ، ولا سيما عند المواضع التى ذكر فيها الأمر بالسجود . ولكن مفهوم الآية لايفرض السجود عند كل آية، وإلا لتواتر نقل السجود عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه عند سماع كل آية . ولم يرد شىء من هذا . وإنى لأضرع إلى الله أن يعيننا على الوفاء بما يجب له سبحانه .

إنه تعالى سميع قريب مجيب الدعاء .

عبد الرحمن الوكيل

الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة

لشيخ الإسلام

محمد بن على الشوكانى

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه « الرزاق » وهو اسم فاعل يدل على الكثرة فهو أبلغ من رازق ، مأخوذ من الرزق بفتح الراء الذى هو المصدر . وأما الرزق بكسرها فهو اسم لنفس الشيء الذى يرزق الله به العبد . فمعنى الرزاق الكثير الرزق لعباده الذى لا تنقطع عنهم أمداده وفواضله طرفة عين . كما قال صلى الله عليه وسلم « إن يمين الله ملآى لا تغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، ألم تروا إلى ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغض مما بيده » أو كما قال .

والرّزق كالخلق صفة من صفات الفعل المتعدية التى تقتضى رازقا ومرزوقا ، وهو شأن من شئون ربوبيته عز وجل التى تتناول أنواع التدبير المختلفة ، من إحياء وإماتة وقبض وبسط ونحو ذلك . والحق فى صفات الأفعال هذه أنها تقوم بذاته سبحانه ، لأنها صفات تأثير ، والتأثير معنى يقوم بالمؤثر . ولكنها ليست لازمة للذات أزلا وأبدا ، بل هى متعلقة بمشيئته وقدرته فهو يخلق ماشاء متى شاء وكيف شاء ، وهو يرزق كذلك عباده بما يشاء من أرزاق متى شاء وكيف شاء . وإذا أردت أن تصور لنفسك سعة رزق ربك ومبلغ فيضه وإحسانه ، على قدر مايطيقه عقلك الضئيل ، ويسعه علمك القاصر ، فتأمل كم من المخلوقات تعيش فى البر من إنس وجن وحيوان وحشرات ووحش وطير ؟ وكم من الأسماك والحيتان يحويها البحر ؟ ثم تأمل كيف سواها ربنا جل وعلا وأعطى كل نوع منها الصورة التى هو عليها ، ثم جعل لكل نوع منها مايصلحه ويناسبه من غذاء ثم هداه إلى طلبه ، وأعطى كلا منها من الآلات والوسائل مايمكنه من تحصيل قوته وجلب غذائه . ثم قدر فى نفسك كم من ملايين الأطنان من الغذاء تحتاج هذه المخلوقات فى كل وجبة طعام ؟ إنه ولا ريب أمر يضل فيه الفكر ، ولا يملك حياله إلا الإذعان والتسليم بقدرة اللطيف الخبير، الذى وسع كل

شىء رحمة وعلما ، والذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى . ومن آثار فضله ورحمته أن تكفل بتوصيل الرزق إلى مايعجز عن تحصيل رزقه بنفسه لضعف آلته وقلة حيلته ، فرزق الأجنة فى بطون أمهاتها بأن أجرى لها من دم الأمهات غذاءها . ثم ألهمها بعد الولادة أن تمص أثداءها فيجرى لها من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

وإذا كان الرزق شأناً من شئون الربوبية ومظهراً من مظاهرها ، فلا يصح أن ينسب إلى غير الله عز وجل ، فلا يسمى غيره رازقاً كما لا يسمى خالقاً . قال الله تعالى من سورة الروم ﴿الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء ، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ .

وقد عاب الله على المشركين عبادتهم مالا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون . قال تعالى من سورة الأنعام (قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض ، وهو يُطعِمُ ولا يطعَمُ ؟ قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين) .

وقال من سورة يونس عليه السلام (قل من يرزقكم من السماء والأرض ، أم من يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون) .

وقال تعال من سورة الحجر (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون . وجعلنا لكم فيهامعايش ، ومن لستم له برازقين . وإن من شىء إلاعندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدَر معلوم) .

وقال تعالى فى سورة النحل (وما بكم من نعمة فمن الله ، ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون . ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون . ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم ، تالله لتسألن عما كنتم تفترون) .

وقال تعالى من سورة النمل (أم من يبدأ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) .

وقال سبحانه من سورة العنكبوت على لسان خليله إبراهيم عليه وعلى نبينا وسائر الرسل والأنبياء الصلاة والتسليم (إنما تعبدون من دون الله أوثانا ، وتخلقون إفكا ، إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً ، فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ، إليه ترجعون) .

ويطول بنا القول لو أردنا استقصاء مافى الكتاب العزيز من آيات تدل على انفراده سبحانه برزق خلقه ولكنا نختم ذلك بهذه الآيات الجامعة من قوله تعالى فى سورة الذاريات (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) .

وقد جاء فى الحديث القدسى الصحيح قوله تعالى « ياعبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم . ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم » .

وإذا كان الله سبحانه قد أجرى عادته أن يرزق العباد بعضهم من بعض ، وأن يقسم بين الناس معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ويرفع بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ، فلا ينبغى أن نتوهم من هذا أن أحداً من العباد يرزق أحداً ، بل الأرزاق كلها بيد الله وحده ، فهو خالق الأرزاق والمرتزقة وموصلها إليهم ، وخالق أسباب التمتع بها فالواجب نسبتها إليه وحده وشكره عليها ، فهو موليها وواهبها . كما كان صلى الله عليه وسلم يقول إذا أصبح وإذا أمسى « اللهم ماأصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك فلك الحمد لك والشكر » وفى الحديث القدسى يقول الله عز وجل « إنى والإنس والجن فى نبإ عظيم ، أخلق ويعبد غيرى ، وأرزق ويشكر غيرى » .

واعلم أن الرزق اسم عام لكل ماينتفع به العباد من أرزاق مادية تحتاج إليها

الأبدان فى نموها وحفظها: من الأطعمة والأقوات الحيوانية والنباتية وأنواع الأشربة. كذلك من ماء ولبن وعسل، وأنواع الملابس والأغطية والأثاثات التى تتخذ من الأصواف والأوبار والجلود والقطن والكتان والحرير. وقد استطاع الإنسان فى هذا العصر أن يرتقى كثيراً فى هذه الناحية المادية وأن يستخرج كثيراً من منافع الأشياء وخواصها. وأن يصنع من الآلات مايسر له سبيل العيش على الأرض ووفر له كثيراً من مطالبه وحاجاته. وأرزاق أخرى معنوية وهى ماينزله سبحانه من الشرائع والكتب على رسله من البشر لهداية الخلق وإرشادهم إلى مافيه صلاحهم وخيرهم، وتكميل فطرهم بالعلوم النافعة والمعارف الصحيحة، وما ينزله كذلك على قلوب أوليائه من السكينة، وما يفتح عليهم من أبواب المعرفة به سبحانه، وبأنواع الحقائق التى تزيل عنهم غشاوة الجهل وتبدد عنهم غياهب الخرافة والوهم.

ولا شك أن هذا كما يقول الغزالى — أشرف الرزقين فإن ثمرته حياة الأبد، وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريبة الأمد. والله المتولى الخلق بالرزقين والمتفضل بالإيصال إلى كل الطريقين، ولكنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بعباده خبير بصير. والله سبحانه أعلم.

محمد خليل هراس

سؤال وجواب

— ١ —

السؤال

سيدى الأستاذ الشيخ أبا الوفاء محمد درويش :

تحية طيبة و بعد : فقد وجد صوفىّ فى كتاب « لكيلا تحزنوا فى البحر » لخالد محمد خالد على صفحة ١٧٦ الطبعة الثانية السطر الثالث ما يأتى :

« والمسلم المتدين يستطيع ـ مثلا ـ أن يحلف بغير الله ... إلى أن قال : فسمعنا رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما روى عنه يحلف فيقول : أفلح وأبيه إن صدق .

وقال لى الصوفى : كيف يا أنصار السنة تنكرون الحلف بغير الله ، وهذا الحديث موجود فى الكتب وقرأه كل إنسان ، ولم نسمع منكم من أنكر هذا الحديث ولم نعلم أن مجلتكم ردت على الكاتب .

فهل يا أستاذى هذا الحديث صحيح وما هى القصة الحقيقية ؟ أفتونا مأجورين على صفحات مجلتنا المحبوبة ودمتم فى حفظ الله آمين .

محمد الأمين وعاك

ص . ب ٢٣ كسلا (سودان)

— ٢ —

الجواب

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد فما خطب هؤلاء الصوفية يتشبثون بأسباب الشرك ، ويتعلقون بمظاهره ، ويستمسكون بما يخيل إليهم الشيطان أنه من مسوغاته ومبرراته كما يستمسك الغريق بعود ذابل ضعيف لا يغنى عنه شيئا ؟

١ – إن كتاب « لكيلا تحزنوا فى البحر » كتاب أدب وليس كتاب دين ، كتاب أدب فيه الإثارة وحفز الهمم وتنبيه العزائم وإطلاق الطاقات وليس فيه التحقيق العلمى الدقيق ، ولا يقول على ما جاء به فى عقيدة ولا عبادة .

٢ – إن النبى صلى الله عليه وسلم وهو معلم الخير الهادى إلى الصراط المستقيم ، ولا يمكن أن ينطق بهذا الشرك البغيض بعد أن قال فيه ما قال ، وبعد أن نهى عنه نهياً صريحاً لا غموض فيه ولا إبهام .

ألم يقل الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم : من حلف بغير الله فقد أشرك !

(رواه الترمذى وحسنه . وابن حبان فى صحيحه . والحاكم وقال : صحيح على شرطهما)

ألم يقل عليه الصلاة والسلام : إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم .من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت ؟(رواه مالك والبخارى ومسلم) .

فكيف يخالف الرسول أمته إلى ما نهاها عنه ؟

٣ – يقول الله تعالى فى كتابه العزيز حاكياً عن شعيب على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام : « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . ٨٨ : هود » .

هذا شعيب عليه السلام لا يريد أن يخالف أمته إلى ما نهاها عنه ، فكيف يريد ذلك خاتم النبيين وإمام المرسلين ؟

لئن كان شعيب عليه السلام قد تحلى بهذه الفضيلة لا جرم أنها كانت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم وأكمل ، لأنه خير الأنبياء بدليل أن أمته خير أمة أخرجت للناس .

٤ – ولقد علم الله رسوله صلى الله عليه وسلم كيف يحلف ، فقال : « ويستنبئونك أحق هو ؟ قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين ٥٣ يونس » .

وما كان له عليه الصلاة والسلام أن يخالف عن أمر ربه ويحلف بغيره تعالى بعد أن علمه كيف يحلف . وهو يعلم أنه إمام أمته وقدوتها ، وأن لها فيه الأسوة الحسنة . « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » ٢١ : الأحزاب .

٥ — من كل ما تقدم نستطيع الجزم موقنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينطق بهذه العبارة الأثيمة ولاجرى بها لسانه ، ولا تحركت شفتاه . وما كان له أن يفعل .

وأية مزية فى أبى ذلك الأعرابى تسوغ الحلف به ؟ حتى ولو قدرنا مضافاً أى ورب أبيه .

٦ — هذا وليس من المفروض على أنصار السنة أن يطلعوا على كل كتاب تخرجه المطابع ، لأن أوقاتهم وطاقاتهم تضيق عن ذلك ولا تتسع له . فإن كانت المجلة لم ترد على ما جاء فى هذا الكتاب ، فليس معنى ذلك الرضا به أو الموافقة عليه . وإنما معناه أنها لم تطلع عليه فلما أتيح لها من دلها على ما فيه ، نهضت تؤدى واجب الرد . وهو ما يراه القارىء على هذه الصفحات .

والباطل يحمل أمارات بطلانه ، وأولو الفطر السليمة يدركون بطلان الباطل بفطرتهم ولو لم يرشدوا إليه .

٧ — والروايات الصحيحة لهذا الحديث بريئة من هذه الزيادة الأثيمة .

قال الإمام البخارى : حدثنا إسماعيل قال : حدثنى مالك بن أنس عن عمه أبى سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع صوته ولا نفقه ما يقول ، حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو يسأل عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خمس صلوات فى اليوم والليلة . فقال : هل على غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وصيام رمضان . قال : هل على غيره ؟ قال : لا إلا أن تطوع . قال :

وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة . قال : هل على غيرها ؟ قال : لا ، إلا أن تطوع . قال : فأدبر الرجل وهو يقول : والله لا أزيد على هذا ولا أنقص . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح إن صدق .

هذه هى رواية البخارى الصحيحة وهى بريئة من هذه الزيادة الآثمة .

وقال الإمام مسلم : حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس فيما قرىء عليه عن أبى سهيل عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل رواية البخارى السابقة . إلى أن قال : أفلح إن صدق .

وهذه الرواية الصحيحة خالية من هذا الحشو البغيض .

٨ — وإنما جاءت هذه الزيادة الآثمة فى رواية مسلم أوردها حيث يورد الروايات التى ليست عنده بمكان الثقة حيث قال : حدثنا يحيى بن أيوب ثم أورد السند الأصلى الذى أورده البخارى إلى أن قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفلح وأبيه إن صدق أو دخل الجنة وأبيه إن صدق .

والإمام مسلم يتوخى أن يقدم الأخبار التى هى أسلم من العيوب من غيرها وأنقى ، والتى يكون ناقلوها أهل استقامة فى الحديث وإتقان لما نقلوا ، ولم يوجد فى روايتهم اختلاف شديد ولا تخليط فاحش .

فاذا هو تقصى أخبار هذا الصنف من الناس أتبعها أخباراً يقع فى أسانيدها بعض من ليس بالموصوف بالحفظ ولا بالإتقان .

والحديث الذى جاءت به هذه الزيادة من هذا النوع الذى أخره لما فيه من الشك والارتياب ومخالفة الرواية الصحيحة .

٩ — وإذا كانت الحلقات الأولى من سلسلة الرواية لم تتغير فقد جاء البلاء فى رواية مسلم الأخيرة من الحلقة الأخيرة : يحيى بن أيوب ، وقد قال فيه أئمة هذا الشأن ما يضعف الثقة بروايته .

فقد قال ابن معين : إنه ضعيف ، وقال الذهبي لا تقوم بمثله حجة ، وقال أحمد : إنه سيء الحفظ . وقال ابن القطان : لا يحتج به . وقال النسائي : ليس بالقوى . وقال الدار قطني : فى بعض أحاديثه اضطراب وله مناكير .

ويقيني أن هذه الأقوال من هؤلاء الأئمة الثقات تجعل روايته لا يقام لها وزن ولا تحظى بأى اعتبار .

١٠ — ولعل يحيى بن أيوب أضاف كلمة لا غبار عليها ثم حرفها النساخ إذ من الجائز أن يكون قد قال : أفلح ـ والله ـ إن صدق . وكانوا من قبل لا يشكلون ولا ينقطون ولعل الناسخ رأى اللامين قصيرتين فنقل الكلمة : وأبيه بدل : والله .

والخلاصة أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يحلف بغير الله ولا أن يخالف عن أمر ربه ، ولا أن يخالف أمته إلى ما نهاها عنه . وقد قدمنا ما فيه مقنع لأولى الألباب ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

أبو الوفاء محمد درويش

البهائيـــة

تاريخها وعقيدتها

وصلتها بالصهيونية والباطنية

كتاب يقع فى ٤٩٠ صفحة من القطع الكبير . تأليف الأستاذ عبد الرحمن الوكيل رئيس الجماعة .

تتبع فيه المؤامرة ضد الإسلام من أيام كعب الأحبار وعبد الله بن سبأ ، ثم ذكر ما نجم عن ابن سبأ من فرق وآراء . مثل القول بالرجعة والتناسخ والبداء ، والحلول . وأشار إلى دين الاسماعيلية وأصوله ثم الشيخية والبابية والبهائية . فى تفصيل تام لتاريخها ومعتقداتها وعباداتها مستمدة من كتبهم المقدسة .

يطبع الآن فى مطبعة السنة المحمدية طبعاً أنيقاً واضحا . فترقب صدوره قريباً بإذن الله .

دراسات فى التوحيد

بقلم الدكتور أمين رضا

الأستاذ المساعد بكلية طب الاسكندرية

٣ — الأضرحة والمقاصير تضل الناس [1]

النصارى : لقد فهمنا من كتاب « قاموس الأضرحة » كيف أن النصارى أحبوا صالحيهم ، فادعوا أنهم قديسون ، وأخذوا يبحثون عن الطرق التى يمكنهم بها أن « يكرموهم » أو أن « يخلدوا ذكراهم » فما وجدوا أحسن من أن يقيموا الأبنية على قبورهم ، وكانوا يرمون بذلك إلى غرضين ، أولهما أن يظهروا جلال مقام هؤلاء الصالحين ، وثانيهما أن الناس إذا قصدوا هذه الأمكنة للصلاة فيها تذكروا كيف أن هؤلاء الصالحين السالفين اكتسبوا حب الناس لهم ، فيوجد ذلك فى أنفسهم الوازع ليكونوا صالحين مثلهم . وبمرور الأجيال تحول جمهور الناس من هذه الأفكار البريئة إلى الاعتقاد فى أن هؤلاء الصالحين ، بما لهم من مقام خاص عند الله ، لهم حق الشفاعة عند الله ـ بزعمهم ـ سبحانه وتعالى ، فقصدوهم يطلبون منهم ذلك . وجاء بعد هؤلاء جيل من الناس غلب عليهم الجهل والعماية ، فأصبحت أنصاب الصالحين هى كل مايعلمون عن مقدسيهم ، واعتقدوا أن بركة القديسين تدخلت فيها ، فأخذوا يعظمونها ويبجلونها ويخشونها ويلتمسون البركة والشفاء منها .

هذا الذى حدث للنصارى هو الذى أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم ، ففى الصحيحين أن عائشة رضى الله عنها قالت : « إن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتاها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقال : أولئك إذا مات فيهم

---

(١) انظر الحديث ٨٤٨٢ من جامع الأصول جـ ١١ صفحة ٣٧٧ أخرجه البخارى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

الرجل الصالح ، أو العبد الصالح ، بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » .

وهذا أيضاً هو الذى جلب عليهم لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قال : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، ولقد روت هذا الحديث السيدة عائشة رضى الله عنها ، كما أخبرت بأنه صلى الله عليه وسلم ، قاله فى مرضه الذى لم يقم منه ، ثم قالت « ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خُشِىَ أن يتخذ مسجداً [(١)] » .

ولا يشك أحد فى أن ماوصل إليه حال بعض المسلمين اليوم ، يشبه كثيراً ماصنعه النصارى ، مما حدا بهؤلاء إلى أن يقولوا لبعض المسلمين : لنا سيد وسيدة ، ولكم سيد وسيدة ، لنا السيد المسيح والسيدة مريم . ولكم السيد الحسين والسيدة نفيسة [(٢)] » .

قصة واقعية : كان أحد الأصدقاء يسكن فى حى شعبى ، وبجوار بيته أرض فضاء تنبعث منها الروائح الكريهة ، بسبب استعمال المارة لها فى قضاء حاجاتهم . وقد استعمل صديقى كل الحيل للمحافظة على نظافة الأرض فلم يفلح ، وفى آخر الأمر تشاور مع والدته واتفقا على أن يبنى الابن ضريحاً صغيراً فى وسط الأرض يكتب عليه « هذا ضريح سيدى فلان » . و بعد تنفيذ هذه الحيلة بشهور قلائل وجد الابن أن والدته تزور الضريح المزوّر الذى صنعه بيديه بعد مشورتها وتضع عليه الشموع . فسألها عن ذلك ، فقالت له « ياابنى ده كله بركة . ده منع الناس من توسيخ الخرابة اللى جنبنا » .

أضرحة غير الأولياء : بعد أن تعلموا هذه القصة الواقعية اذهبوا إلى أضرحة العظماء الموجودة فى القاهرة ، مثل ضريح أبى حديد والشيخ الأربعين ، وقد كانا من غير الصالحين

---

(١) انظر ابن الأثير الجزرى : جامع الأصول من أحاديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بتحقيق محمد حامد الفقى ، (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م جزء ١١ ، صفحة ٤٧٤ ، الحديث ٨٧٢٦ ، عن عائشة رضى الله عنها ، أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) انظر صفحة ١٢ من كتاب رأس الحسين .

وانظروا إلى الذين يقومون بزيارتها ويقدمون لها النذور ، معتقدين أن سكانها من الأولياء . أنظروا إليهم واضحكوا ضحكة الأسف والحزن والأسى . وانظروا إلى أضرحة هؤلاء العظماء فسيأتى جيل يعبدهم من دون الله . فإن جيلنا لايزال يذكر من هم هؤلاء العظماء وأنهم ليسوا أولياء . وأن الأعمال التى اعتبرهم الناس بمقتضاها عظماء لا علاقة لها بالتقوى والصلاح ، فإن أكثرهم كانوا رجال أحزاب سياسية ، وهذا يستدعى أن يحبهم القليل ، ويبغضهم الكثيرون من أتباع الأحزاب المضادة لهم . أما حين يُنسى هذا فسوف يعبدون.

أما رأيتم أنهم كانوا بين ظهرانيكم أناساً عاديين ، بل أناساً يغلب عليهم الفسق والفجور ؟ ولكنهم يعتقدون أنهم إذا أقاموا مسجداً وأوصوا بأن يدفنوا فيه كفّروا بذلك عن عن ذنوبهم وتقربوا إلى الله تعالى ؟ هل رأيتم مساجدهم بعد وفاتهم وماذا يصنع فيها ؟ اذهبوا إلى مثل هذه المساجد فسترون من يتجه إلى الضريح بجهل ، ويقرأ الفاتحة ، أو يطلب الشفاعة ، لا لشىء سوى ظنه الضال أن ساكن الضريح لا بد وأن يكون ولياً تقبل شفاعته .

هذه العادة القبيحة التى لا نجد مايبررها ، والتى تقضى بأن يدفن الناس عظماءهم وأحباءهم فى أضرحة مزخرفة وتحت قباب مشيدة ، هى التى جعلتنا نرى فى يوم من الأيام منذ خمس سنوات حشداً كبيراً من الناس فى ميدان باب الخلق حيث كانوا يقومون بهدم مبنى قديم لمحافظة القاهرة . كل هؤلاء الناس جاءوا ليروا المعجزات التى ادعى المهرجون وقوعها عند هدم قبر كان فى جزء من بناء المحافظة . كان هذا القبر موجوداً هناك منذ سنوات كثيرة، ومع هذا لم تظهر له كرامات قبل ذلك ، بل لم يكن يدرى به أحد إلا القليل. فما إن بدأ هدمه حتى قيل إن أحد العمال أصيب بشلل فى ذراعه ، وأن الروائح الطيبة هبت تنبعث من القبر ، وأن بعض الشيوخ رأى رؤيا ومنامات عن قوة ساكنة هذا الضريح وأن المرضى ينعمون بالشفاء إذا ماتمسحوا بضريحها ، وغير ذلك من الأقوال التى لا نهاية لأباطيلها ، والتى لا وجود لها إلا فى عقول مبتدعيها ، أو فى خيال ضعاف النفوس ومرضى القلوب ، والذين عندهم نزعة وثنية ، ويؤمنون بكل مايسمعون ، مادام يتحدث عن

كرامات الأولياء ومعجزات القبور والأضرحة . والعجيب أنه أعلن بعد بضعة أيام أن هذا القبر مدفون فيه أحد القواد القدماء . فاختفت كل هذه المعجزات ، وأزيل القبر من غير أن يصاب أحد بشلل ، بعد أن أقام البسطاء الدنيا وأقعدوها .

تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم : انظروا إلى هذه الحوادث ، وتعجبوا ، وقولوا : صدق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الذى حذرنا من قبل من الضلال الناشىء من الاهتمام بالقبور وتشييدها وتزيينها ، وغير ذلك مما يضفى عليها مظهراً من الأبهة والعظمة ، ويدخل فى روع البسطاء أن هذه المظاهر لم تصنع لساكن القبر إلا لأنه يستحق ذلك لسر من الأسرار ، وأنه بذلك يجب أن يعظم ويبجل ، ثم ينتهى به التبجيل والاحترام إلى الذل والعبادة .

اقرءوا الأحاديث النبوية عن القبور ، وقولوا صدق الرسول صلى الله عليه وسلم .

فمن أبى الهياج الأسدى : « قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ اذهب فلا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته[1] » .

وستخرجون من قراءة هذه الأحاديث بعقيدة قوية هى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى بشدة عن كل ما يصنع لإضفاء مظهر العظمة على القبور ، فإنه أمر بتسويتها ، ونهى عن رفعها ، وتجصيصها ، والبناء عليها ، والكتابة عليها ، والزيادة عليها[2] .

---

(١) انظر : ابن الأثير الجزرى : جامع الأصول من أحاديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بتحقيق محمد حامد الفقى رحمه الله (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م) جزء ١١ صفحة ٤٣٤ ، الحديث ٨٦١٤ ، عن أبى الهياج الأسدى ، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى (٢) انظر : جامع الأصول : الحديثان رقم ٨٦١٣ ، عن ثمامة بن شفى ، رواه مسلم وأبو داود والنسائى ، ورقم ٨٦١٥ ، عن جابر بن عبد الله ، رواه مسلم والترمذى وأبو داود والنسائى جزء ١١ ، صفحة ٤٣٤ .

كما أنه صلى الله عليه وسلم لعن الذين اتخذوا عليها المساجد والسرج كما هو مفصل فيما بعد .

أضرحة الأولياء المكررة والمزورة : لو أذن لنا الحق أن نجادل فى شأن القبور مع المشرك . لقلنا إنه يجب على المشرك الذى يريد أن يدعو شيخاً فى ضريحه أن يثبت لنا أولاً أن جثة هذا الشيخ موجودة فعلاً فيه . وإلا فإن دعاءه يكون متعلقاً بجثة مجهول ، قد يكون من عرابيد الليل أو قطاع الطرق . فإذا كان لوليه ضريحان أو أكثر فإى هذه الأضرحة هو الصحيح وأيها المزور ؟ وهذا هو الأصل المنطقى فى عمل حصر لجميع الأضرحة والآثار التى يعبدها الناس ، كالقاموس الذى ألفه كولان دى بلانسى لقديسى المسيحيين .

هـذا التعدد فى أضرحة الشيخ الواحد عامل هام من عوامل تسفيه القبوريين المعاصرين منهم والسالفين . فلو أن أحداً من أدعياء الإسلام المنتمين إلى مذهب التوسل بالأضرحة وجثث الأولياء والجمادات المختلفة المتعلقة بهم ، لو أن أحد هؤلاء تذكر برهة واحدة أن شيخ المقصورة التى يقصدها له مقصورة أخرى ، لسقط هذا الصنم من عينه ، وذهبت روعته وعظمته من نفسه ، وقد أحس القوامون على عبادة الأضرحة وأكل السحت منها بهذا الخطر . فزعموا أن لكل ولى أربعين بديلا ، أو أربعين جسما ! ! .

وأمثلة تكرار المقاصير والجثث عند المتمسلمين لاحصر لها ، وأصحابها أعلم بها . فهم أحرص منا على تتبع آثار الأولياء ، وأقدر على حصرها . لأنهم يفنون حياتهم فى معرفة أيها أقدر على نفعهم كما يزعمون ، ولو أنهم قصدوا الله العظيم ، وجربوا دعاءه والتوكل عليه لكان خيراً لهم ولكفاهم الله ، ولكان سعيهم لقضاء حاجاتهم أقل مشقة ونفقة ، وأقرب إلى بلوغ مرامهم .

إنك إذا صادفت مريضاً يدعو أحد هؤلاء الأولياء ، وقلت له إن الله قادر على شفائه من مرضه ، لم يصدق أن الله يشفيه إلا باستشفاع شيخه الميت . أما علم أن الله يسمع دعاءه . وأن شيخه جثة هامدة — إن وجدت — وأنها لا تسمع ؟

وللأمم المنتمية للإسلام فرص أكثر من المسيحيين لافتعال القديسين . فلا يمكن لشخص مسيحى أن يوضع بين مصاف القديسين إلا بموافقة البابا الحبر الأعظم وأعوانه .

كما أن كل معجزة تظهر فى العالم المسيحى تحقق فيها الكنيسة قبل أن تسجلها فى سجل المعجزات . أما هنا فيكفى أن يكون الشخص ـ طفلا كان أو بالغاً ـ متصفاً بالبله . واللعاب السائل . والشعر الأشعث المليء بالقمل وعرضة لأدوار التشنج والصرع . لكى يقال إنه شيخ . ويكفى أن « يطير » نعش بميته لكى يدعى الناس أن الجثة الهامدة الموجودة فيه نشأت من أصل شريف ، أو تنتمى إلى رجل صالح . وهل يمكن أن يطير النعش من غير أن يتواطأ حاملوه على ذلك ؟ ويكفى أن يشيع أحد الدجالين أنه رأى رؤيا بأن جثة شيخ ملفوفة فى مكان ما ، حتى يؤمن بهذه القرية كل أهل القرية ، ثم يزداد عدد المؤمنين ازدياداً سريعاً فى القرى المجاورة ، بل وفى المدن البعيدة ، ثم يأخذ هؤلاء المؤمنون بذلك يتهافتون على القبر المزعوم تهافت الذباب على الحلوى أو صندوق القاذورات .

وبما أن الإيمان بالخرافة وبالشفاعات غير المعقولة شيء سهل فى أوساطنا . وحيث أن اختراع الأولياء الجدد أسهل بكثير من تزوير الأولياء القدامى . وإذا كان خلق الولى الجديد بإيجاد قبر وهمى له سهلاً ، بهذه الصورة فلا داعى إذاً للتظاهر بنقل محتويات الأضرحة من بلدة إلى أخرى . ولا داعى لتسليط اللصوص المحترفين على أضرحة المدن المحظوظة ، كما هو مفصل فى مقدمة كتاب كولان . فالأمر عندنا أيسر من ذلك بكثير للأسف الشديد .

مثل لضريح مزور ومكرر : وفى بلدنا ضريح مشهور مكرر ، نضرب به المثل حتى يتذكر أولوا الألباب . ذلك هو ضريح الحسين ـ رضى الله عنه ـ الشهير بالقاهرة . وإنى لأعجب كيف يكون لهذا الضريح ذلك العدد الغفير من المريدين دون أن يفكر أحدهم فى أن يتأكد أولا من وجود الحسين فيه ، فإنه لو فكر لعلم أنه لا يمكن أن يكون الحسين بن على رضى الله عنه ، مدفوناً فيه ، فهم يبجلون صاحب الجثة ، ويقولون إنه شهيد ، ويحكون القصص على شجاعته فى قتاله ، وكراماته عند مقتله ، ويذكرون أن كل ذلك كان بمدينة كربلاء بالعراق . بل إنهم يعرفون جيداً أن للحسين ضريحاً شهيراً بهذه المدينة تحج إليه طوائف الشيعة من دون بيت الله الحرام ، ويعظمونه ، ويبجلونه ، ويظهرون عنده كل

أنواع العبادة والتذلل ، فكيف يكون الحسين مدفوناً فى كربلاء وفى القاهرة ، وفى بعض المدن الأخرى فى آن واحد . فإن كان عدد هذه الأضرحة خمسة مثلاً ، فإن المختلق منها أربعة إن لم تكن كلها ، يقابل ذلك احتمال وجود واحد صحيح منها لا يتعدى أن يكون بنسبة واحد إلى خمسة .

وأما حكاية رأس الحسين ووجودها فى ضريح الحسين بالقاهرة ، فهى حكاية مختلقة لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، ولا تجوز إلا على من عندهم استعداد لتصديق الخرافات ، وإلا على من يميلون إلى التعلق بأكفان الأموات ، وأستار الأصنام والأوثان .

أقيم ضريح الحسين بالقاهرة فى أواخر دولة بنى عبيد الله القداح الديصانى ، الذين تسموا فى المغرب ومصر حين استولوا عليهما بالفاطميين ، نسبة إلى فاطمة الزهراء ، رضى الله عنها ، وهى بريئة منهم ومن كل ماأفكوه . وكانوا يقصدون بإقامته أن يظهروا للشعب أنهم ينتسبون فعلا إلى فاطمة وينتمون إليها ، وإلا مااهتموا بضريح ابنها . وكانت إقامة ضريح الحسين القاهرى بعد مقتل الحسين بحوالى خمسمائة سنة .فكيف استطاعوا الحصول على رأسه بعد مرور كل هذه الأجيال من الزمان ؟ .

وكما فعلوا مع الحسين من إقامة ضريح مزور له . فعلوا بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأقاموا له ضريحاً فى النجف ، ليخدعوا المسلمين عن حقيقتهم ، فى حين أنه معروف أن علياً ، رضى الله عنه ، مدفون بقصر الإمارة بالكوفة .

ولقد ادعى بناة القبر المزعوم بالقاهرة أنهم نقلوا رأس الحسين من قبر الحسين بعسقلان، مع أن هذا القبر الأخير لم يقم أيضا إلا بعد مقتل الحسين بأكثر من ثلاثين وأربعمائة سنة ، فكيف وصل إلى عسقلان رأس الحسين ، بعد مرور هذه المدة الطويلة على وفاة الحسين؟

ويروى ابن تيمية أنه علم من بعض الشيوخ المشهورين بالعلم والدين أن قبر الحسين بعسقلان كان مقاما على مقبرة أحد الحواريين أو غيرهم من أتباع عيسى بن مريم . عليه السلام وكذلك يشكون فى أن مقبرة الحسين بالقاهرة أصلها قبر نصرانى . ثم يقول «وإذا كان ذلك المشهد العسقلانى قد قال طائفة : إنه قبر بعض النصارى ، أو بعض الحواريين ـ وليس

معنا ما يدل على أنه قبر مسلم ، فضلا عن أن يكون قبراً لرأس الحسين ـ كان قول من قال : إنه قبر مسلم : الحسين أو غيره ـ قولا زوراً ـ وكذباً مردوداً على قائله . فهذا كاف فى المنع من أن يقال : هذا مشهد الحسين »

وقد جمع أخبار مقتل الحسين بعض المؤرخين . أولهم أبو الخطاب بن دحية فى كتابه « العلم المشهور » . وقد قال فيه إن رأس الحسين لم يترك المكان الذى قتل فيه الحسين ، وأن قبره بالقاهرة كذب مختلق . أما أبو بكر بن أبى الدنيا وأبو القاسم البغوى وغيرهما فلم يذكر أحد منهم إن رأس الحسين حمل إلى عسقلان أو إلى القاهرة ، بل إن المشهور هو أن رأس الحسين حمل إلى المدينة حيث دفن عند أخيه الحسن . وتوجد هناك روايات أخرى ضعيفة بأن الرأس دفن بحلب أو دمشق . ولكن لا توجد رواية ثابتة أو مشهورة أو ضعيفة بأن رأس الحسين نقل إلى القاهرة اللهم إلا ما هو مختلق ومكذوب .

وقد روى البخارى فى صحيحه « أن الرأس حمل إلى قدام عبيد الله بن زياد ، وجعل ينكت بالقضيب على ثناياه بحضرة أنس بن مالك . » وفى المسند : « أن ذلك كان بحضرة أبى برزة الأسلمى » وابن تيمية يقبل هاتين الروايتين ، حيث أن أنس بن مالك وأبا برزة كانا بالعراق وقت مقتل الحسين ، وكان عبيد الله بن زياد هو أمير العراق فى ذلك الوقت ، وأنه هو الذى أرسل عمر بن سعد بن أبى وقاص مقدماً على الطائفة التى قاتلت الحسين وقتلته . أما ما قيل من أن الرأس نقل إلى يزيد بن معاوية بدمشق فهى رواية منقطعة باطلة . أما روايتا نقل الرأس إلى حاكم العراق بالكوفة فثابتتان . فإذا كان الرأس لم ينقل إلى دمشق فى زمن يزيد ، فكيف ينقل بعد زمن يزيد .

ومن المعروف أن مكان دفن جسم الحسين بكربلاء كان الناس ينتابونه للزيارة والتبرك ، فى حين أن أحداً من الناس لم يكن ينتاب الموضع المزعوم لرأس الحسين بحلب أو عسقلان أو القاهرة إلا بعد قرون من مقتل الحسين ، أى بعد أن أقيمت له الأضرحة والمقامات ، واختلقت لها الاختلاقات .

وقد انتهى أحمد بن تيمية بعد هذا البحث المستفيض إلى النتيجة الآتية : « وإنما كان المقصود : تحقيق مكان رأس الحسين . رضي الله عنه ، وبيان الأمكنة المشهورة عند الناس بمصر والشام : أنها مشهد الحسين ، وأن فيها رأسه . فهى كذب واختلاق ، وإفك وبهتان . والله أعلم »[1] .

---

(١) أحمد بن تيمية : رأس الحسين رضى الله عنه ، بتحقيق محمد حامد الفقى (مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨ هـ — ١٩٤٩ م) .

التحايل على العطاء

كان أبو جعفر المنصور ـ الخليفة العباسى ـ يجلس فى حلقة أزهر السمان المحدث . فلما ولى الخلافة قصده أزهر . فلما سأله أبو جعفر عن حاجته قال : إن دارى تهدمت ، وعلىّ دين .

فأمر له باثنى عشر ألف درهم ، وقال له : لا تأتنا بعده طالباً .

فلما مر سنة رآه المنصور فى مجلسه . فسأله عن شأنه ؟ فقال : ياأمير المؤمنين جئت مسلما فأمر له باثنى عشر ألفاً وقال له : لا تأتنا طالباً ولا مسلماً . فلما كان بعد سنة أخرى أتاه فسأله المنصور أما جاء بك ؟ فقال جئت عائداً ، فأمر له باثنى عشر ألفاً ، وقال له : لا تأتنا طالباً ولا مسلماً ولا عائداً .

فلما مضت سنة جاءه ، فسأله المنصور عن مراده ؟ فقال : سمعتك ياأمير المؤمنين تدعو بدعاء فجئت لاستكتبه . فضحك أبو جعفر المنصور وقال له أئتنا متى شئت ، فقد أعيتنى فيك الحيل .

حول دعوة أنصار السنة المحمدية

يعيب بعض الناس على أنصار السنة المحمدية أنهم يصرفون جُلّ اهتمامهم فى الدعوة إلى التوحيد ، وأن كلامهم فى الدين قلما يتجاوزه إلى غيره أو يتعداه إلى سواه .. وأن كل من ينتمى إلى جماعة أنصار السنة لا يعرف غير الكلام فى زيارة الأضرحة والأولياء وأهل البيت ، وتحريم الصلاة فى مساجدهم . كما يعيبون عليهم الصلاة فى النعال ، وتشديدهم النهى عن الحلف بغير الله ، ثم الاهتمام بغير ذلك من الأمور التى تتصل بدعوة التوحيد ، وتتجه إلى محاربة الشرك بجميع مظاهره .

والذين يعيبون على أنصار السنة هذا الاتجاه فى الدعوة إلى الله لا شك أنهم يجهلون حقيقتها ، لأنهم ينظرون إليها نظرة سطحية ، خالية من التعمق والفهم والمعرفة .

ولو أمعنوا النظر فى هذه الدعوة ، وتعمقوا فى فهمها ، واجتلاء محاسنها لعرفوا حقيقتها ولبادروا بالتحمس لها والعمل من أجلها .

صحيح إن أنصار السنة يركزون جل اهتمامهم وعنايتهم بالجانب الذى يتصل بفساد العقيدة . ثم يجعلون اهتمامهم بعد ذلك فى محاربة الفساد الاجتماعى والأخلاقى الذى يملأ جوانب المجتمع . ونحن إذا رجعنا إلى الوراء . . إلى اليوم الذى بدأ الله تعالى فيه بإرسال رسله للناس ، لوجدنا أن دعوة أنصار السنة ـ بأهدافها ومقاصدها ـ هى دعوة الرسل جميعا من نوح إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فإن دعوة جميع الرسل والأنبياء لم تكن تحمل فى أصولها وجوهرها أول الأمر الدعوة إلى تحريم تعاطى الخمر ، أو لعب الميسر ، أو اجتناب الفواحش مثلا . وإنما كانت تحمل الدعوة إلى توحيد الله تعالى عن طريق تحقيق كلمة التقوى « لا إله إلا الله[1] » وهى كلمة تأمر الناس بالكفر والطواغيت والأصنام ، وإخلاص العبادة لله وحده ، وإفراده بالألوهية الخالصة .

---

(١) كما فى قوله تعالى من سورة (الفتح) : « وألزمهم كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها » والمقصود بها كلمة (لا إله إلا الله) .

وقد بين الله تعالى ذلك فى قوله سبحانه (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة . الآية ٣٦ : النحل) كما قال الله تعالى مخاطبا محمدا صلى الله عليه وسلم فى شأن دعوة الرسل (وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . الآية ٢٥ : الأنبياء) وفى القرآن آيات أخرى كثيرة تبين مقالة كل رسول ونبى إلى قومه . وما بعثه الله من أجله .

وهكذا أخبرنا القرآن الكريم أن المهمة الأولى لجميع الأنبياء والرسل كانت تهدف إلى دعوة أقوامهم لنفى الألوهية عن كل مخلوق ـ مهما علت مكانته وعظم شأنه ـ وإثباتها لله الواحد الفرد الصمد .

ثم إننا إذا نظرنا إلى أكثر آيات القرآن وأحكامه ، نجد أنها جاءت ببيان التوحيد من الشرك . . فقد جاءت أكثرها تنعى على المشركين تأليههم لغير الله وتذكرهم بنعمه تعالى الفياضة عليهم .. وتخبرهم أنه وحده المستحق للعبادة ، الجدير بالألوهية . وأن الله تعالى ما غضب على قوم من الأقوام ولعنهم وعذبهم ، إلا لإصرارهم على التردى فى هاوية الشرك، واستكبارهم عند إفراد الله وحده بالعبادة .

والتوحيد مفتاح كل خير وباب كل هدى . فإن المسلم إذا عرف التوحيد حق المعرفة وأخلص العبادة لله ، لا بد أن ذلك سيجعله فى تقوى دائمة من الله ، ومراقبة متصلة لمن يعبده . وإذن فمراقبته لله فى كل شىء ستجنبه طريق الذنوب ومزالق الشرور والأهواء .

وكما أن التوحيد باب كل هدى وخير ، فإن الشرك باب كل شر وفسق وسوء . فالذى يخلو قلبه من الإيمان بالله والشعور بمراقبته تعالى ، لا يستحى من أن يأتى السوء ، ويفعل كل فساد ومنكر .

وإذا مات الإنسان وصحيفته خالية من جريمة الشرك والعبادة لغير الله ، فإن مصيره الجنة إن شاء الله ، بعد أن يتطهر من الذنوب التى أتاها فى الدنيا . ويدل لذلك قول الله جل شأنه « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . الآيتين ٤٨ ،

١١٦ : النساء » ويدل لذلك أيضاً ما روته كتب السنة من أن أبا ذر رضى الله عنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة) فسأله أبو ذر قائلا : وإن زنى وإن سرق ؟ فقال له النبى (وإن زنى وإن سرق (ثلاثا) رغم أنف أبى ذر) ذلك لأن الله يغفر لصاحب الذنب ذنبه . أما المشرك فإن الله لا يغفر له شركه كما أخبرتنا الآية السابقة .

على أن أنصار السنة حين يوجهون جل اهتمامهم المسائل التى تتصل اتصالا وثيقا بالتوحيد وإخلاصه من الشرك ، لا يغفلون ـ كما قلنا ـ الكلام فى غيرها من الأمور التى قد تقل درجات فى جرمها عند الله من الشرك ، فأنهم إذ ينهون المسلم عن الحلف بغير الله والنذر لسواه .. أو شد الرحال إلى أضرحة الموتى . . أو إقامة الأعياد والموالد للأولياء . وإبطال الصلاة البدعية الجهرية على الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد الأذان . إنما يعملون لتطهير عقائد المسلمين من كل بدعة أو ضلالة .

وهم عندما يصلون فى النعال . . أو يصلى بعضهم بلا غطاء للرأس . . أو يمسحون على الجورين فى الوضوء . . أو يأتون أى أمر من الأمور الأخرى الواردة فى السنة النبوية المطهرة والتى لم يسمع بها أكثر الناس اليوم . . عندما يفعلون هذا لا ينسون أن يتناولوا فى بحوثهم أو كتاباتهم أو أحاديثهم ـ تعريف الناس بالأخلاق والآداب والمعاملات الإسلامية . وغير ذلك من المبادىء والأسس التى جاء بها لتربية المسلم وتنشئته ليكون مسلماً صالحا .

فدعوة أنصار السنة المحمدية إذن دعوة شاملة جامعة لا تعنى بأمر دون آخر يكون للمسلم فيه خير وهدى ، ولا تهتم بناحية دون أن تدلى بدلوها فيما سواها ، ما دام فيه للمجتمع الإسلامى نصح وإرشاد .

وإذا تركنا دعوة أنصار السنة جانبا لنتكلم عن دعوات الهيئات الإسلامية الأخرى ، فسنجد أن هذه الدعوات لا تهتم إلا بمبادىء إسلامية ثانوية ، وبالقشور دون الالباب .

ومنها ما تهتم بالقليل جداً من التوحيد ، بينما نجد الشرك متسربا إلى أصحابها من كل جانب من الحلف بغير الله . . وتقديس الشيوخ والمذاهب . . وإقرار الموالد وغشيانها ، وغير ذلك مما يدنس عقائد الإسلام الصحيحة .

ونتيجة لعدم تمسك هذه الهيئات بجانب التوحيد وعدم اجتماع أفرادها حول مبادئه ، نجد أن دعواتها ذات انتشار وذيوع وأنها مقبولة عند الناس أكثر من قبول دعوة التوحيد ، لأنهم ألفوا الباطل وأقبلوا عليه والناس عبيد ما ألفوا كما يقول المثل السائر .. ونجد أيضا فى صفوف هذه الهيئات خليطا كبيرا من العقائد المتباينة والنزعات المختلفة . ومن هنا يتضح لنا أن هذه الهيئات تهتم بالعدد أكثر من اهتمامها بالمبدأ .

ولا ينفر من دعوة أنصار السنة إلا الذين كرهوا الحق وأعرضوا عنه وعن دعاته ، وفى مثل هؤلاء يصدق قول الله تعالى (لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون الآية ٧٨ : الزخرف) وقوله سبحانه (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون الآية ٢٤ : الأنبياء) .

والقليل جداً من الناس هم الذين تأبى عقولهم التعصب لعقائد الآباء والشيوخ ، هم الذين يستجيبون لدعوة الحق . ولا عجب فإن الله تعالى قرن الحق بالأقلية دائما كقوله تعالى (وقليل من عبادى الشكور) وقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) كما قرن الأكثرية بالباطل كقوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وبعد : فقد أوضحنا فى هذه السطور القليلة جوانب من دعوة أنصار السنة المحمدية ؛ وإننا لنرجو من الذين يعيبون على أنصار السنة ـ بأى دافع ـ بأن دعوتهم محدودة الأهداف ، ضيقة الحيز . أن ينظروا إلى هذه الدعوة نظرة واعية متعمقة خالية من السطحية بعيدة عن أى دافع أو مذهب . ويمكن لهؤلاء أن يعرفوا حقيقة دعوة أنصار السنة من الكتاب والسنة دون غيرهما فإنهما المصدران اللذان تعول عليهما الجماعة فى كل شئونهم ومبادئهم ونحن واثقون أن نظرتهم نحو هذه الدعوة ستتغير حتما وسيكون حكمهم عليها بعد ذلك عادلا ومنصفا .

سعد صادق محمد

العام الهجرى الجديد

١٣٨٢

أشرقْ بنور هلالك المتنامى ... وأعد بربك سطوة الإسلام
رد السكينة فالنفوس سقيمة ... ممـا تكابد والقلوب دوامى
رد السلامَ إلى الشعوب فإنه ... لا خير فى دنيا بغـير سلام

***

أشرق وكن بجلال نورك رحمة ... للخلق من همجيـة الإجرام
طغت الشعوب فلاسلام بها ولا ... صـلة لذى قربى ولا أرحام
يطغىٰ القوى على الضعيف تعسفاً ... من غير مرحمة وحفظ ذمام
فـكأنهُ بالـكون فى جبروته ... أضحى الوصى به على الأيتام
غصصِ الحيـاة كثيرة وأمرها ... ماجاء من مستهترين لئام

***

غلت المطامع فى النفوس وأشعلت ... فى الـكون ناراً من لظى وضرام
قذفت على الدنيا الشقاء فلم تذر ... من خالد الآثار غـير حطام
وغدت صدور الطامعين كمرجل ... يغلى من الأطماع والأوهام
ولقد تبدت فى هلالك آية ... من رحمـــة ومودة ووئام
وتهللت بالبشر حين ظهرت فى ... أفق السماء بثغرك البسام
لما ابتسمت غدوت بلسم دائه ... ودواء جرح فى الحشاشة دامى
ولقد علوت على تواريخ الورى ... ذكراً وصرت التـاج فوق الهام
ودعيت هجرياً لهجرة « احمد » ... خير الورى فى العرب والأعجام

بطل الجهـاد ورمزه وشعاره ومثاله فى الجـد والإقدام
قاسى بدعوته مرارات الأذى من معشر ألفوا الجحود طغام
يدعو إلى الدين الحنيف مجادلا بالبينات وقـوة الإفحام
يدعو ويهدى بالجدال وبالحجا فى غير ماخوف ولا إحجام
ياقوم إن الله فرد واحـد فدعوا الهـوى وعبادة الأصنام
فيزيدهم هـدى النبى تعسفاً وتماديا فى هـوة الآثام
كم من شتائم أسمعوه فلم يصخ يوماً لقـذف مهاتر شتام
ورموه من عجز وقالوا ساحر سحر القـلوب ومال بالأفهـام
سخروا وسبوا ثم آذوه فلم يعبأ وقاوم ثابت الأقـدام
إن العظيم إذا أنيط بدعوة ألفيت منه جـلائل الإعظام
والبيد ملأى من كواسرها فهل فتكت ذئاب البيد بالضرغام ؟

. . .

قاسى « النبى » فلم يبال وإنمـا هزم الذى قاسى من الإيلام
ومشى بنور الله فى ملـكوته مستأنسـاً بالوحى والإلهـام
واعتز بالرحمن جانبـه ولم يعتز بالأخوال والأعمـام
والله ناصره ومعـلى شأنه رغم الزمان على أعـز دعام

. . .

فتشاوروا لمـا تطاول حلمـه فيما تحمـله من الآلام
عرضوا عليه الملك فى أوطانهم من شامخ العمران والآكام
فأبى وأظهر فى الإباء ورفضه زهـد النبى الصـادق القوام
الملك عارية تزول وتنقضى وهدى الشرائع غاية الإكرام

والنفس تولد فى العظيم عظيمة مهما ترى فى جنـدل ورغام

. . .

سار النبي ، يؤم كل قبيلة ويرى من الأهوال كل جسام
فرداً يبشر فى المدائن والقرى متنقلا فى البيد والآجام
يطوى المفاوز والقفار مجاهداً ويؤم كل مسوّد وإمام
وسلاحه الحق اليقين ونوره نور الإله الواحد العـــلام
لم يبد من فزع ولا روع ولا خوف ولا نصب ولا إحجام
بل سار فى نشر الرسالة صابراً صبر الحليم الحـازم المقدام
حتى أتم الله نصر نبيه وأضاء نور الحق بعد ظلام
هذا هو الحق المبين وهذه صفة الجهاد الحق والإقدام
ظلت قريش على العناد مقيمة وتدين بالأنصاب والأزلام
وغدت كبركان يصب قذائفاً من قسوة وحفيظة وضرام
حاكوا الدسائس للنبي وأقسموا أن يقتلوه — بأغلظ الأقسام
فأتاه أمر الله أن هاجر فلم يبطىء وهاجر دون ما إرغام
وسعى ليثرب بلدة النور التى لاقى بساحتها أعــــز مقام
تمت هنالك دعوة الحق التي عمت وعزت شوكة الإسلام
وإذا دعا داع إلى سبل الهدى وجد الزمان له من الخدام

. . .

تلك البطولة ليس ينكرها سوى متمسك بضـــــلالة متعامى
والحق يمحو كل أمر باطل كالنور يمحو حالك الإظلام

يجلو البصائر والقلوب من العمى ويبيد بالإيمان كل قتام

فجلاله وجمـــاله متجسم في دين « احمد » سيد الأقوام

ياخاتم الرسل الكرام بعثت في دنيا كبحر بالغواية طامى

فقلبتها دنيا تقى وهداية تبقى مدى الأزمان والأعوام

ضاقت بماتحوى الطروس ومارتوت صحف الطروس ولا شبا الأقلام

. . .

ياعام كن للعالمين مباركا أمل البرية في محيا العام

قد صورتك لنا العناية صورة فاقت براعة ريشة الرسام

«الجيزه» نجاتى عبد الرحمن

إلى مشتركي « الهدى النبوى »

ترجو إدارة مجلة الهدى النبوى من السادة مشتركيها الكرام أن يتفضلوا بتجديد اشتراكاتهم عن عام ١٣٨٢ هـ (وكل عام وهم بخير) .

وقيمة الاشتراك السنوى ثلاثون قرشاً مصريا ، في الجمهورية العربية المتحدة والسودان. وأربعون قرشاً مصريا ــ أو مايعادله ــ في الأقطار الأخرى .

والإعلانات يتفق عليها مع الإدارة بالمركز العام للجماعة

٨ شارع قوله بعابدين ــ القاهرة . ج . ع . م

آداب إسلامية :

قول الخير وإكرام الجار والضيف

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره – وفى رواية فليكرم جاره – ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » . رواه البخاروى ومسلم

* * *

مما لا شك فيه أن الأخلاق الإسلامية قامت على الإيمان بالله واليوم الآخر ، كما قام البناء الاجتماعى للإسلام ، أول ماقام ، على المحبة والإيثار ، لا على الأنانية والأثرة . يرى ذلك واضحاً كل الوضوح ، كل دارس ومتتبع لما كان عليه السلف الصالح ، وبالأخص فى الصدر الأول فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام – رضوان الله عليهم –

وقد جمع هذا الحديث الشريف بعض تلك الأخلاق الفاضلة ، والتى يجب أن يتحلى بها كل مؤمن ، ويسير على مقتضاها ، فقد حض على التضحية والإيثار ، وذلك فى إكرام الجار والضيف ، فإن الإيثار والتضحية فيهما أظهر مما فى الجزء الأخير منه ، وهو قول الخير أو الصمت عما سوى ذلك .

* * *

فقوله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » دعوة منه إلى خصلة تعد من كرائم الخصال ، ومكارم الأخلاق ، وهى إكرام الجار ، وقد علق إتيان هذه الفضيلة على الإيمان بالله واليوم الآخر .

فحسن الجوار ، ومراعاة حق الجار من أوكد مادعا إليه الإسلام ، وقد وردت فى

السنن أحاديث كثيرة فى الوصاية بالجار ، منها قوله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه » وقوله « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » .

والبوائق جمع بائقة ، وهى الداهية ، أو الشىء المهلك — والمقصود كل مايؤذى الجار فرسول الله صلى الله عليه وسلم ينفى الإيمان عن كل من يتأذى منه جاره . وعن أبى هريرة قال : قيل يارسول الله ، إن فلانة تصوم النهار وتصلى الليل ، وفى لسانها شىء يؤذى جيرانها[1] . فقال صلى الله عليه وسلم « لا خير فيها هى فى النار » .

فأنت ترى أيها القارىء الكريم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد لهذه المرأة مع صلاتها وصيامها أنها فى النـار ، لأنها تؤذى جيرانها بلسانها . ومما يؤكد حق الجار ماروى فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » . وقد روى فى السنن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لا يؤدى حق الجار إلا من رحم الله ، وقليل ماهم ، أتدرون ماحق الجار ؟ إن افتقر أغنيته ، وإن استقرض أقرضته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابه شر عزيته ، وإن مرض عدته ، وإن مات شيعت جنازته » وفى رواية « وإن استعان أعنته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح ، إلا بإذنه ، ولا تؤذه بريح قدرك ، إلا أن تغرف له منها ، وإن اشتريت فاكهة فاهد له ، وإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

وقال ابن حجر فى (الفتح) أخرج الطبرانى عن جابر ـ رفعه ـ « الجيران ثلاثة : جار له حق وهو المشرك ، له حق الجوار . وجار له حقان وهو المسلم ؛ له حق الجوار وحق الإسلام . وجار له ثلاثة حقوق مسلم له رحم : له حق الجوار والإسلام ، والرحم » .

فمراعاة حق الجار من أوجب مايراعيه المؤمن نحو جاره أياً كان ذلك الجار .

وفى حفظ الجار لحق جاره ، حتى عن النظرة المجردة ، يقول مسكين الدارمى الشاعر :

---

(١) أى سليطة اللسان .

ماضر جاراً لى أجاوره   أن لا يكون لبابه ستر
أعمى إذا ماجارتى خرجت   حتى يوارى جارتى الخدر

يقول : لا يضر جارى أن يكون بابه مفتوحاً لأنى أغض طرفى عن النظر إلى جارتى إذا خرجت ، حتى تعود إلى دارها ، ويسترها دارها . فأنا كالأعمى الذى لا يبصر . حفظاً لحق جارى .

وقد يعد هذا منتهى الكمال فى حفظ الجوار .

* * *

والضيافة من آداب الإسلام . وخلق النبيين ، فقدحكى القرآن الكريم ما كان من شأن إبراهيم عليه السلام مع ضيوفه من الملائكة من تقديم القرى لهم ، والقيام على خدمتهم .

فإكرام الضيف من مقتضى إيمان المؤمن كما يقول هذا الحديث الشريف « ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم خير من يكرم الضيفان . حتى قبل الرسالة . فقد وصفته خديجة رضى الله عنها لما جاءها خائفاً مرعوباً من مجىء الملك له بغار حراء . وذكر لها ما كان من شأن الملك معه قائلا : « لقد خشيت على نفسى » فقالت : « لا والله ، لا يخزيك الله أبداً » ثم عللت ذلك بقولها : « إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق » .

فمن تمام إيمان المؤمن إذا نزل به ضيف أن يكرمه ، ويقوم على خدمته .

وفى باب « حق الضيف » من صحيح البخارى ، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ألم أخبر بأنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قال : بلى قال « فلا تفعل . قم ونم وصم وأفطر . فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزورك[1] عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً » الحديث .

---

(١) أى لضيفك .

وقد روى أن الضيافة ثلاثة أيام ، فما بعد ذلك فهو صدقة .

* * *

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » فهو إرشاد منه للمؤمن أن لا يقول إلا خيراً ، وأن يمسك لسانه عن لغو الكلام وفضول الحديث ، لأنه محاسب ومسئول عن كل ماينطق به ، خيراً كان ذلك أم شراً . ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ فما دمت تؤمن بالله تعالى ، و بأنه سيحاسبك يوم القيامة على ماقدمت ، فعليك أن تمسك لسانك إلا عن ماهو خير .

ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه فى حديثه المشهور : « كُفّ عليك هذا » ممسكاً لسانه ، سأله معاذ : « وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به يانبى الله ؟ » أجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ثكلتك أمك[1] ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم — أو قال على مناخرهم — إلا حصائد ألسنتهم » علم من ذلك أن الإنسان مسئول عن كل مايتكلم به ، ومحاسب عليه حساباً شديداً .

هذا ــ وما أكثر مادعا القرآن الكريم إلى الإحسان فى القول والتلفظ بما هو خير ، كما فى قوله تعالى من سورة الإسراء (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن) وقوله من سورة فصلت (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن) وقد أمر الله المؤمنين بالقول السديد ، مبيناً مايعود عليهم من الخير إذاهم فعلوا ذلك . فقال (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) .

كما أخذ الله الميثاق على بنى إسرائيل أن يقولوا للناس القول الحسن . فقال (لا تعبدون إلا الله ، و بالوالدين إحساناً ، وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا)

هذا و إن كان داخلا فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إلا أنه أدخل فى الدعوة إلى التلطف فى القول ، ولين الكلام عامة .

---

(١) أ كلمة تقال عادة ، ولا يراد بها حقيقتها .

ومما يروى قوله : « رحم الله امرأً قال خيراً فغنم ، أو سكت فسلم » وقيل فى فضيلة الصمت : « الصمت خير وقليل فاعله » .

ولأبى العتاهية فى الصمت قوله :

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

والحاصل أنه ليس فى الصمت داء ، وإنما الداء فى الكلام وكثرته ، فرب عثرة لسان أشد وأنكى من عثرة قدم . وقد قيل :

احفظ لسانك أيها الإنسان لايلدغنك إنه ثعبان

وقانا الله شرور ألسنتنا .

محمد صالح سعد الله

التزود للآخرة

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى بعض خطبه : « أيها الناس إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، وإن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن المؤمن بين مخافتين : أجل قد مضى لا يدرى ماالله صانع فيه ، وأجل قد بقى لايدرى ماالله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الحياة قبل الموت . فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة . فوالذى نفس محمد بيده مابعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا دار ، إلا الجنة أو النار » .

قصة أصحاب الأخدود

وما فيها من العظات والعبر

عن صهيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان فيمن قبلكم ملك، وكان له ساحر. فلما كبر الساحر قال للملك: إنى قد كبرت فابعث إلى غلاما أعلمه السحر. فبعث إليه غلاماً يعلمه. فكان فى طريقه إذا سلك - أى طريق الغلام - راهب فقعد إليه - الغلام - وسمع كلامه فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه - أى لتأخره عن موعد حضوره - فشكا ذلك الضرب إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى، وإذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر.

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة قد حبست الناس - أى سدت على الناس طريقهم - فقال: اليوم أعلم: الساحر أفضل أم الراهب؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس، فرماها فقتلها ومشى الناس. فأتى الراهب فأخبره. فقال له الراهب: أنت اليوم أفضل منى وقد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل على. وكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص ويداوى الناس من سائر الأدواء. فسمع به جليس للملك وكان قد عمى، فأتاه بهدايا كثيرة وقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى. فقال: إنى لا أشفى أحداً، إنما يشفى الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك. فآمن فشفاه الله تعالى. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس: فقال الملك: من رد عليك بصرك؟ فقال: ربى. قال: أولك رب غيرى. قال ربى وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجىء بالغلام

فقال له الملك : أى بنى ، قد بلغ من سحرك ما يبرىء الأكمه والأبرص وتفعل ؟ فقال : إنى لا أشفى أحداً ، إنما يشفى الله . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب . فجىء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى . فدعا الملك بالمنشار فوضعه على مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه . ثم جىء بالغلام فقال له : ارجع عن دينك فأبى . فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته ، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه . فذهبوا فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل – أى اهتز وزلزل بهم – فسقطوا ، وجاء الغلام يمشى إلى الملك . فقال له الملك ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فى قرقورة (سفينة) وتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به ، فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت . فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا ، وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله . ثم قال الغلام للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به . قال فما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد ، وتصلبنى على جذع وتأخذ سهماً من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ، ثم قل : بسم الله رب الغلام ثم ارمنى ، فإنك إن فعلت ذلك قتلتنى . فجمع الملك الناس فى صعيد واحد ، وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته . ثم وضع السهم فى كبد القوس ، ثم قال : بسم الله رب الغلام ، ثم رماه ، فوقع السهم فى صدغه . فوضع الغلام يده على صدغه فى موضع السهم ، فمات رحمه الله . فقال الناس آمنا برب الغلام (ثلاثاً) . فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرك ، قد آمن الناس برب الغلام ، فأمر بالأخدود فخدت وأضرم فيها النيران ، فقال : من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ، أو قيل له : اقتحم . ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبى فتقاعست ، أى تأخرت وخافت أن تقع فيها . فقال لها الغلام . يا أمه اصبرى فإنك على حق . » انتهى أخرجه مسلم والترمذى واللفظ لمسلم .

فانظر أيها القارىء الكريم إلى هذه القصة العظيمة ، وما فيها من العظات والعبر .

وكيف كان يتعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ويسامرهم ، ويعظهم ويرشدهم بالقصص والأخبار المفيدة .

وإلى هذه القصة الإشارة بقول الله تعالى فى كتابه العزيز فى سورة البروج .

« قُتِل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد . إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ، ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق » صدق الله العظيم

فضل الصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم

عن أُبىٍّ بن كعب رضى الله عنه قال : [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال « يا أيها الناس : اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاء الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه ـ قال أبى بن كعب ـ قلت يا رسول الله : إنى أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتى . قال ما شئت . قلت : الربُعَ ؟ قال ما شئت وإن زدت فهو خير . قلت النصف ؟ قال ما شئت ، وإن زدت فهو خير . قلت الثلثين ؟ قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير . قال أجعل لك صلاتى كلها . قال : « إذاً تُكفى همك ، ويغفر لك ذنبك » .

وأخرجه الترمذى عن هناد وعن قبيصة ، والإمام أحمد فى المسند ، والحاكم فى المستدرك وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وقوله : اجعل لك صلاتى كلها ـ أى أجعل دعائى كله صلاة عليك .

« عن جلاء الافهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام » لابن القيم

منتخبات أدبية :

حسن الفراسة

وما كان عليه العرب من ذلك فى جاهليتهم

لما حضرت نزاراً الوفاة ، جمع بنيه الأربعة . مضر و إياداً وربيعة وأنماراً ، فأوصاهم وفرق عليهم ما كان يملكه ، وقال يابنى : هذه القبة الحمراء وكانت من أدم ، لمضر . وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة . وهذه الخادم . وكانت شمطاء لإياد . وهذه البدرة والمجلس ، لأنمار يجلس فيه ، فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون ، فأتوا الأفعى الجرهمى ، ومنزله بنجران .

فلما توفى نزار تشاجروا فى ميراثه ، فتوجهوا إلى الأفعي الجرهمى ، ليحتكموا إليه كما أوصاهم بذلك أبوهم .

فبينما هم فى مسيرهم إليه إذ رأى مضر أثر كلاء قد رُعى . فقال : إن البعير الذى رعى هذا ، لأعور . وقال ربيعة : إنه لأزور ، وقال إياد : إنه لأبتر . وقال أنمار إنه لشرود .

فساروا قليلا ، فإذا هم برجل ينشد جمله . فسألهم عن البعير . فقال مضر : أهو أعور ؟ قال نعم . قال ربيعة : أهوأزور ؟ قال نعم . قال إياد : أهو أبتر ؟ قال نعم . قال أنمار أهو شرود ؟ قال نعم ، هو والله صفة بعيرى فدلونى عليه ، قالوا : والله مارأيناه : قال هذا والله الكذب ، وتعلق بهم وقال ، كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته .

فسار و إياهم حتى قدموا نجران ، فلما نزلوا نادى صاحب البعير : هؤلاء أخذوا جملى ووصفوا لى صفته ثم قالوا لم نره . فاختصموا إلى الأفعى الجرهمى ، وهو حكم العرب يومئذ

فقال الأفعى لهم : كيف وصفتموه ولم تروه ؟

قال مضر : رأيته رعى جانباً وترك جانباً ، فعلمت أنه أعور . قال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدته ، فعلمت أنه أزور ، لأنه أفسده لشدة وطئه لازوراره .

وقال إياد : عرفت أنه أبتر باجتماع بعره ، ولو كان ذيالا لمصع به . وقال أنمار عرفت أنه شرود لأنه كان يرعي فى المكان المتلف نبته ، ثم يجوزه إلى مكان أرق منه وأخبث شيئاً . فعلمت أنه شرود .

فقال الافعى لصاحب البعير : ليسوا بأصحاب بعيرك ، فاطلبه .

ثم سألهم من أنتم ؟ فأخبروه : فرحب بهم

ثم أخبروه بما جاء بهم . فقال أتحتاجون إلىّ وأنتم كما أرى ؟ ثم أكرمهم .

عن « أدبيات اللغة العربية »

فضل البكور إلى الجمعة وصلاتها

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة . فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » رواه البخارى

رحلة الفضـاء

جاءتنا هذه القصيدة العامرة الأبيات من فضيلة الأستاذ عمرو محمد حسن التندى إمام المسجد المجيدى ببندر ملوى . نقتطف منها الأبيات الآتية لضيق المقام .

(ججارين[1]) فى أجوائها يتعمق   يدور كسهم طائش ظل يمرق

ليكشف سر الكون ، والكون واسع

وأنى له ؟ والسر فى الكون أعمق

فما زال علم الكون فى الناس ناشئاً   ومن ظنه علماً غزيراً فأحمق

أحقاً يعيش المرء فى الكون سابحاً   ويخلد فى هذا الفضاء يحلق ؟

ويترك أرضاً للخليقة مهدت   ليحيا على متن الكواكب يرزق ؟

فمنها وفيها خلقه ثم رمسه   وفى تربها رزق من الله مغدق

ولكن عتا الإنسان فى الأرض والتوى

يروح إلى طهر من الأفق يفسق

ولن يسمو الإنسان ظلماً وقدرة   ولكنه بالدين والحق يسبق

وما أنكر الخلاق إلا مكابر   على قلبه ران من الكفر مطبق

وقد ظن أن الأرض والجو ملكه   ولكنه بالعجز والجهل أخلق

فليس لغير الله فى الكون قدرة   فمن غيره فى الكون يعطى ويخلق ؟

---

(١) هو رجل الفضاء السوفيتى الأول الذى طار حول الكرة الأرضية فى سفينة هوائية .

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

مكارم الأخلاق

حسن الخلق من الإيمان .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وقال عليه الصلاة والسلام « أقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، الموطأون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون » .

ومما مدح الله به رسوله صلى الله عليه وسلم قوله (وإنك لعلى خلق عظيم) .

فما مكارم الأخلاق ؟ .

سئلت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت (كان خُلقه القرآن) .

فمن حسن الخلق أن تألف وتؤلف ، وأن تترك مالا يعنيك ، وأن تتحرى محاب الله ، وتتقى مباغضه ، وأن تعطى لكل ذى حق حقه .

فاعرف لله حقه وأده ، واعرف لرسوله حقه ولا تضيعه ، واعرف لنفسك حقها تكن إنساناً كريماً ، واعرف حقوق زوجك وولدك ووالديك وجارك وصديقك ، كن صادقاً وكن أميناً فيما استرعاك الله ، كن كريم الأخلاق تكن مؤمناً.

وكريم الخلق محبوب حتى من سيىء الخلق .

حسن الخلق أقوى سبب للنجاح فى الحياة ، والنجاة فى الآخرة .

والأمم الأخلاق ، بحسنها تعلو ، وبسوءها تسفل .

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا — فليس بغيرها للعز ركن

فيا أمة الإسلام والشرق ناهض ... ويا أمة القرآن والغير يسبق
ألسنا أحق الناس بالعالم بعدما ... أتانا رسول الله بالحق يصدق ؟
فتحنا بلاد الأرض شرقاً ومغرباً ... فعز بنا غرب البلاد ومشرق
حملنا إلى الناس العدالة والهدى ... وكنا بهم فى حربنا نترفق
فلما أتانا عاصف الجهل قاصفا ... تصدى لنا فى كفره متعمق
وخيم ليل الجهل بالناس حالكا ... أطاح بعز المسلمين يمزق
فيارب بالإيمان نور بصائراً ... فأنت بنا ياصاحب الفضل أرفق

العدد ٢ صفر

المجلد ٢٧ سنة ١٣٨٢

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة

رجاء

ترجو إدارة المجلة السادة المشتركين أن يتفضلوا بتجديد اشتراكاتهم عن عام ١٣٨٢ وترسل قيمة الاشتراك باسم السيد/ محمد رشدى خليل . وشكراً

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ — في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ — في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٢ صفر سنة ١٣٨٢ المجلد ٢٧

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جلّ ذكره : ﴿قُلِ : ادْعُوا اللهَ ، أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُو ، فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، ولا تَجْهَرْ بصلاتِكَ ، ولا تُخَافِتْ بها . وابتغ بَيْنَ ذٰلك سبيلا . وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الذى لم يَتَّخِذْ وَلَدًا . ولم يَكُنْ له شريكٌ فى الْمُلْكِ ، ولم يَكُنْ له وَلِيٌّ من الذُّلِّ ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرا : ١٧ : ١١٠ — ١١١﴾ .

« معانى المفردات »

« الله[1] » مما جاء فى لسان العرب : « وقيل فى اسم البارى سبحانه : إنه مأخوذ من أَلِهَ يَأْلَهُ إذا تحير ؛ لأن العقول تَأْلَهُ فى عظمته .

---

(١) يتوصل إلى نداء الاسم المقترن بأل بكلمة أيها . فتقول : يأيها الإنسان ، يأيها المسلم . ولكن العرب على شركهم ، رفضوا هذه الوساطة اللفظية فى اسم الله ، فقالوا يا ألله مباشرة . ولم يقولوا مثلا : يأيها الله . ! !

وقيل : هو مأخوذ من أَلِهَ يَأْلَهُ إلى كذا أى لجأ إليه ، لأنه سبحانه المفزَعُ الذى يُلْجَأُ إليه فى كل أمر .

وجاء فيه أيضاً : « والله : أصله إلاهٌ على فِعَال بمعنى مفعول ؛ لأنه مألوه : أى معبود ، كقولنا إمامٌ [على وزن فِعَال بمعنى مفعول] لأنه مُؤْتَمٌّ به .

أما ابن فارس فى معجمه ، فيقول : « الهمزة واللام والهاء أصل واحد ، وهو التعبد ، فالإله الله تعالى ، وسمى بذلك ؛ لأنه معبود . فأما قولهم فى التحير أَلِهَ يَأْلَهُ ، فليس من الباب ؛ لأن الهمزة واو » .

وقد ذكر الفخر الرازى فى كتابه « لوامع البينات شرح اسماء الله تعالى والصفات » قول البلخى الذى يزعم فيه أن اسم الله ليس من الألفاظ العربية ، ثم ذكر رد أئمة اللغة على البلخى الذى يثبتون به أن اسم « الله » لفظ عربى ، وأقوى ماقيل فى الرد على البلخى قول الله : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ فقد أخبر سبحانه عن مشركى العرب أنهم معترفون بأن خالق السموات والأرض هو الله ، وهذا يدل على اعترافهم بهذا الاسم « الله » وأيضاً الاحتجاج بأن القرآن نزل بلغة العرب ، فلو لم تكن هذه اللفظة عربية — مع أن القرآن مملوء منها — لم يكن القرآن كله عربياً . والله يخبر عن القرآن أنه نزل بلسان عربى مبين ! ! .

وأجمل ماقيل وأجمعه عن اسم « الله » سبحانه ماذكره ابن القيم فى تفسيره لسورة الفاتحة . وإليك بعضه : « اسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا ، فإنه دال على إلٰهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلٰهية له مع نفى أضدادها عنه . وصفاتُ الإلٰهية هى صفاتُ الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال وعن العيوب والنقائص ؛ ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم ، كقوله سبحانه : (ولله الأسماء الحُسْنَى ٧ : ١٨٠) ويقال : الرحمنُ والرحيم والقدُّوس والسلام والعزيز والحكيم من أسماء الله ، ولا يقال : الله من أسماء الرحمن ، ولا من أسماء العزيز ونحو ذلك .

فَعُلِم أن اسمه « الله » مستلزم لجميع معانى الأسماء الحسنى دالٌّ عليها بالإجمال . والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلٰهية التى اشتق منها اسم « الله » . واسم الله دالٌّ على كونه مألوهاً معبوداً تألَهُهُ الخلائق محبة وتعظيما وخضوعاً وفزعاً إليه فى الحوائج والنوائب ، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك . والحمد وإلٰهيته وربوبيته ورحمانيتُه وملكه مستلزم لجميع صفات كماله ؛ إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بِحَىٍّ ، ولا سميع ، ولا بصير ، ولا قادر ، ولا متكلم ، ولا فَعَّال لما يريد ، ولا حكيم فى أفعاله .

فصفات الجلال والجمال أخصُّ باسم الله[1] .

« الرحمن » قال ابن فارس فى معجمه : « الراء والحاء والميم أصلٌ واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة » .

وقال الراغب : « الرحمة رقة تقتضى الإحسان المجرد عن الرقة . وعلى هذا روى أن الرحمة من الله إنعام وإفضال[2] . والرحمن والرحيم نحو نَدْمان ونديم ولا يطلق الرحمن إلا على الله تعالى من حيث أن معناه لا يصح إلاَّ له ؛ إذ هو الذى وسع كل شىء رحمة » .

وقال صاحب اللسان عن كلمة « الرحمن » : « بُنِيَتْ على فَعْلاَن ؛ لأن معناه الكثرة ومعناه عند أهل اللغة : ذو الرحمة التى لا غاية بعدها فى الرحمة لأن فعلان بناء من أبنية المبالغة . ولا يجوز أن يقال رحمٰن إلا لله عز وجل ، فالرحمٰن الذى وسعت رحمته كل شىء » .

ويقول ابن القيم : « صفات الإحسان والجود والبر والحنان ، والمِنَّة والرأفة واللطف أَخَصُّ باسم الرحمن .

---

(١) ص٣١ تفسير ابن القيم مطبعة السنة المحمدية ، وكان لا بد من الإطالة فى الحديث عن اسم « الله » « والرحمن » فهما جماع أسماء الله وصفاته .

(٢) فى الراغب مسيس من مذهب الاعتزال ؛ لهذا تراه أحياناً يحاول تجريد الكلمة من معناها لتتلاءم مع مذهب المعتزلة فى الصفات . ولكنه فى غير هذا دقيق التعريف لمفردات اللغة وبسط معانيها .

فالرحمن الذى الرحمةُ وصفُه . والرحيمُ : الراحمُ لعباده ؛ ولهذا يقول تعالى : { وكان بالمؤمنين رحيما ٣٣ : ٤٣ } ولم يجيء رحمانٌ بعباده ولا رحمان بالمؤمنين[1] مع مافى اسم « الرحمن » الذى هو على وزن فَعْلان من سمة هذا الوصف — أى وصف الرحمة — وثبوت جميع معناه الموصوف به . ألا ترى أنهم يقولون : غضبان للتليء غضباً ، وندمان وحيران ، وسَكْران ، ولَهفَان ، لمن مُلِيء بذلك ؟ فبناء فَعْلان للسعة وللشمول ، ولهذا يُقْرَنُ استواؤه على العرش بهذا الاسم كثيراً ، كقوله تعالى : (الرحمٰنُ عَلَى العرش استوى ٢٠ : ٥) فاستوى على عرشه باسمه الرحمن لأن العرش محيطٌ بالمخلوقات قد وَسِعَها ، والرحمة محيطة بالخلق واسعة لهم . فاستوى على أوسع المخلوقات بأوسع الصفات[2] » .

« أيا مّا » أىْ : أىُّ هذين الاسمين .

« لا تَجْهَرْ » قال ابن فارس عن الجهر هو : « إعلان الشيء وكشفه وعُلُوُّه » .

وقال الراغب عنه إنه ظهور الشيء بإفراط لحساسة السمع أو لحساسة البصر .

« لا تخافت » قال ابن فارس : الخَفْتُ : إسرار النطق .

« الصلاة » يقول الراغب : « قال كثير من أهل اللغة : هو الدعاء والتبريك والتمجيد والصلاةُ التى هى العبادة المخصوصةُ أصلُها : الدعاء » .

المعنى

من الناس فريق لايسمى الله أو يصفه إلا بالأسماء والصفات التى تدل على جلاله فحسب دون أسماء الجمال وصفات الجمال ، فهم يرون الله جباراً قهاراً شديد الغضب . عظيم الانتقام متين الكيد ، يمحق ، ويسحق . وَيُدَمْدِم . ولكنه لا يعرف الرحمة ، ولا يبسط اللطف

---

(١) يعنى لأن اسم الرحمن يتضمن رحمته للمؤمن ولغير المؤمن .

(٢) هذا من دقائق فهم الإمام الجليل . وليت عشاق ابن عربى يقارنون بين ما كتبه ابن عربى عن الرحمن وبين ما كتبه الإمام ابن القيم ليروا الفرق الكبير بين هذيان الكفر وعربدة الشيطان ، وبين هدى الإيمان وتوفيق الرحمن .

ولا يشيع الإحسان ، كأنما صلته بعباده هى صلة العداوة ، والبغضاء لا صلة الربوبية بحُبِّها ورحمتها وإحسانها .

وأكثر الناس وصفاً لله بتلك الصفات هم اليهود ، والذى يقرأ أسفارهم يتجل له ذلك جيداً ، فالإله فى كتبهم إله مخيف ، رهيب ، مُفْزِع لا يَسْتَدْنِى إليه قلباً برحمة ، ولا عفوٍ ولا مغفرة ، ولا محبة ! !

ويقينى أنهم ما اقترفوا هذا ، إلا ليجعلوا الشعب دائما فى مسيس الحاجة أو فى ذل العبودية للأحبار ، أو لشيوخ الدين ، فما دام الإله فى هذه الصورة المخيفة الرهيبة ، فإن الشعب يشعر دائما أنه فى حاجة إلى من يحميه من هذا الإله الذى لا يعرف سوى قسوة الغضب ، وشدة الانتقام ، وجفوة البغضاء .

فيهفو كل فرد منهم إلى شيوخ دينهم يقربون إليهم القرابين والنذور ، ليمهدوا لهم السبيل إلى شىء ما من سكوت الإله عنهم بغضبه ! !

وأقربُ الناس شبها بهؤلاء أولئك الذين يزعمون أنهم وعاظ ، ولكنهم لا يعرفون من الوعظ إلا النذير الراعد الجاحد المدوِّى بالرهبة والوعيد والتهديد . مع صُوَرٍ مبتدعة لجهنم فى سطوتها الباغية ، ولغضب الإله الذى لا تنفح بعده أبدا نفحة رحمة ! !

كأنما القرآن كله نذيرٌ ووعيدٌ وجحيمٌ .

وكأنما الرب منتقم جبار غضوب فحسب ! !

وكأنما الآخرة كلها شعب من الجحيم أو طعام الزَّقُّوم ! !

حسب الواعظ نجاحا فى مقياسه أن يثير الدموع الغِزار ، أو يملأ القلوب يأسا من رحمة الله ، فتندفع إمَّا إلى أعتاب الموتى ، و إمَّا إلى التمرُّد على الدين وأصوله وفروعه ! !

حسبه أن يجعل من المسجد مَأْتَماً ومناحة يلطم فيها النفاق والرياء ، أو الحقد الأسود ضِدَّ الله ! !

ومن الناس فريق آخر لا يسمون الله ، أو يصفونه إلا بما يرضى هَوًى ، أو يُدَغْدِغُ

عاطفة ، أو تَرْكن إليه شهوة رَعْناء ، وهؤلاء يأبون أن يصدقوا بأن الله منتقم ، أو جبار ، أو متعال ، أو ذو الكبرياء ، أو الغضب الذى يسحق ويمحق وإنما يرونه عَفُوًّا عن الفسق المصمِّم ، والخطيئة العامدة التى لا تعرف ندامة ، والفكر الذى يسب الله . يرونه حاكما « متساهلا أو عبيطاء » يخدعه نفاق الدموع ، وكذب الأنين ، ورياء الندم ، وزَيْف التوبة ، فلا يعملون إلا ما يحب الشيطان أن يعملوا قائلين فى سلاطة الفجور : ربنا رحيم ! ! ومعناها : ربنا لا يحاسب على شىء مطلقاً .

وأكثر هؤلاء ينتسبون إلى الصوفية ، أو إلى حانة الخطايا تحت أقبية الليل المُعَرْبِد .

ومن الناس فريق آخر يزعم أنه ليس لله اسم ولا صفة . وهم فريق من الفلاسفة والصوفية الإشراقيين ، غير أن هؤلاء ينفون عن الله الاسم والصفة وهو فى مرتبة التجريد أو العَمَاء ، أو الوجود المطلق ، أى فى المرتبة التى كان فيها حَقًّا ، ولم يكن خَلْقاً ، أو فى المرتبة التى كان فيها وجوداً لا يتلبس بمظاهر بَشرية أو خَلْقِيَّة . ثم يضيفون إليه كل اسم وصفة فى الوجود بعد أن يتعين فى مظاهرة ، أو يتجسَّدَ فى صور الكائنات ، فتستطيع أن تقول عن إله الصوفية إنه اللاتُ أو العُزَّى ، أو عجل السامِرِىّ ، أو أبو جهل ، أو فرعون أو ماشئت من أسماء تقع مُسَمَّيَاتُها تحت حِسِّك .

ومن الناس فريق يرى أن تعدد الأسماء ، والصفات يستلزم تعدداً فى الذات .

كل هذه الضلالات كانت البشرية حَيْرَى تحت ظلامها الدامس قبل أن يشرق نور القرآن ، فما من ضلالة نجمت فى أمة محمد بعد إلاَّ وكان لها كُهَّانٌ وطواغيت قبل ظهور محمد عليه الصلاة والسلام .

وقد أسند المفسرون إلى مكحول قوله أن رجلا من المشركين سمع النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو يقول فى سجوده : يارحمٰن يارحيم ، فقال المشرك : إن محمداً يزعم أنه يدعو واحداً ، وهو يدعو اثنين ، فأنزل الله هذه الآية ، وكذا رَوَوُا عن ابن عباس .

وقال المفسرون أيضاً : إن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لتقل ذكر الرحمٰن، وقد أكثره الله فى التوراة ، فنزلت الآية[١] .

وأيًا ما كان ، فإن الله سبحانه يهدينا إلى أن له أسماءه الحسنى التى تليق بجلاله وجماله وربوبيته وألوهيته . وأنه كما يسمى باسم « الله » يسمى باسم « الرحمن » وغيرهما من الأسماء التى ذكرت فى القرآن والسنة الصحيحة ، وأنه لا ينال من ربوبية الله أو ألوهيته ، أو وحدانيته أن تسميه باسم سمَّى به نفسه ، إذ لا يلزم من هذا تعدد فى ذاته كما يزعم عبيد الضلالة والفلسفة الحمقاء ، ولا يلزم مُحَالٌ أبداً ، أو نقص يلحق بالله من اسم سمى به نفسه كما يزعم شياطين التأويل والتعطيل من الخلف .

إن فى رفض تسمية الله بما سمى به نفسه ، ووصفه بما وصف به نفسه تحدِيًا وَقِحًا لله سبحانه ، واتهاماً صريحاً له جل شأنه بأنه أخطأ حين سَمَّى أو وصف نفسه . . وهل يجوز عبادةُ من يخطىء ؟ .

« ادعو الله أو ادعو الرحمن » أيها المسلمون ، فما فى وصف الله بالرحمة شيء ينال من كبرياء ألوهيته أو جلال ربوبيته .

ادعو الله أو ادعو الرحمن ، أو ادعوا الرزاق ، أو ادعو السلام ، أو ادعوا الخالق ، أو ادعوا البارىء ، فبأى اسم سَمَّى به نفسه فسموه سبحانه به وادعوه ، فقد أصبتم وأحسنتم ، فإن له جل شأنه الأسماء الحسنى ، وما للعقل الحكم الأول فى أن هذا الاسم حسن أو غير حسن ، وإنما ذلك للشرع وحده ، فلنأخذ أسماء الله عن الله وحده ، وكل اسم سماه به الرسول ، فهو عن وحى من الله جل شأنه ، ولا يجوز لمسلم أن يسمى الله أبداً بغير ما سمى به نفسه كما لا يجوز له أن يبتدع له أسماء من عنده ، أو يرفض اسماً إلٰهيًا ثابتاً . ولقد تُرِكَ للعقل المجال فى هذا غير مرة ، فضل ضلالا بعيداً ، إذ سمى الله بأسماء لا تثير فى القلب المؤمن شيئاً ، ولا تناجى حبه ، ولا إيمانه ! ! .

---

(١) الطبرى ، ابن كثير ، البغوى ، الخازن ، البيضاوى ، الجلالين .

سموه العماء بدلا من الخالق ! ! .

سموه الوجود المطلق بدلا من الموجِد ! .

سموه العقل الأول ، أو النفس الكلية ، أو الصورة المحضة بدلاً من الإله ، أو الرب .

ووصفوه بأنه يتنقل من مرتبة العماء إلى الأحدية إلى الواحِدِيّة ، ورفضوا وصفه بما وصف به نفسَه ، وسَمَّوْهُ بالقديم ، ولم يذكروا الاسم الأجل الأعظم من هذا وهو « الأوّل » .

وهكذا زل العقل ، وضَلّ .

ولكل اسم إلٰهى دلالته ومعناه ، ولنا نحن البشر من أحوالنا النفسية والشعورية والتى تنشأ عن واقع مرير ، أو تجربة مؤلمة أو خيبة رجاء فى أحد . لنا من هذه الأحوال مايدفع بنا إلى رغبة . إمَّا فى سعة رزق ، وإما فى غفران ذنب ، وإما فى شفاء مرض ، وإمَّا فى الانتقام من ظالم ، وإما فى رحمة تأسو جراح القلب ، وتعاسة النفس .

وثمت يجد المسلم من أسماء ربه التى يدعوه بها مايشفى ويهدى ويضىء بؤسه بنور الأمل ، يجد من أسماء ربه الرزاق والغفار والقهار والرحيم ، فيناديه سبحانه : يارزاق وسع لى فى رزقى ، ياغفار اغفر لى ذنبى ، ياقهار اقهر عدوى ، هكذا يجد المسلم فى الأسماء الإلٰهية الأمل الذى ينشد ، والرحمة التى تشفى ، والهداية التى تهدى[1] .

« ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها » قال ابن عباس : نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم — مُتَوَارٍ بمكة . كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فلما سمع

---

(١) زعم بعض الصوفية — وقد ذكرت ذلك مراراً — أنه لا يجوز ذكر الله ببعض أسمائه ، فشيخ الطريقة الكبير ، لا يجوز له أن يذكر الله باسم الغفار أو التواب لأنه لم يفعل ذنباً ، فيدعو غفارا ! ! راجع ما كتبته تحت عنوان « نظرات فى التصوف » فى الذكر بأسماء الله .

ذلك المشركون سبّوا القرآن وسبّوا من أنزله ، ومن جاء به ، فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم « ولا تجهر بصلاتك » أى بقراءتك فيسمع المشركون ، فيسبون القرآن « ولا تخافت بها » عن أصحابك فلا تُسْمِعُهُم القرآن حتى يأخذوه عنك : (وابتغ بين ذلك سبيلا) وقد جاء هذا الحديث فى الصحيحين ، وفى مسند أحمد ، ورواه الضحّاك عن ابن عباس هكذا أيضاً غير أنه زاد قوله فلما هاجر إلى المدينة سقط ذلك يفعل أى ذلك شاء[1] ! ! :

وقال آخرون : إنها نزلت فى الدعاء .

من الآية ومن هذا الحديث يُسْتَنْبَطُ أن القراءة فى الصلاة وغير القراءة مما يلفظ به الإنسان يجب أن يكون بين الجهر ، و بين المخافتة ، ومن حملوها على الدعاء ، قصروا لفظ « الصلاة » على بعض معانيه دون بينة جلية أو دليل قطعى ، فلفظ الصلاة يتناول الصلاة الشرعية المعروفة . و يتناول الدعاء ، ولا يمكن حمل اللفظ على أحدهما وحده دون دليل .

قد يقال إن سياق الآية : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمٰن) يجعلنا نفهم أن المقصود بالصلاة هو الدعاء ، غير أنه قول فطير ، فمعنى الدعاء فى الآية التَّسْمِيَة ، ومجىء كلمة الصلاة موضع كلمة الدعاء — إذ كان يمكن أن يقول : ولا تجهر بدعائك — يدل على أن المقصود بها معناها فى عمومه و إطلاقه ، فيتناول الصلاة الشرعية والدعاء .

ولقد ورد فى حديث متفق عليه ، ورواه أيضاً أبو داود والنسائى وابن ماجة ، أنه كان صلى الله عليه وسلم يسمع الآية أحياناً فى صلاة الظهر .

وهذه الآية مُحْكَمَةٌ لم تنسخها آية أخرى .

---

(١) إن الحديث فى روايته الأولى من غير هذه الزيادة يوافق نص القرآن ويلائم هدى الرسول الذى لا يمكن أن يخالف عن أمر الله .

فلنهتد بهدى الله فى صلاتنا ، فتكون بين الجهر والمخافتة[1] .

« وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا » يوجب علينا الله سبحانه أن نحمده لأنه متصف بهذه الصفات السلبية ، وقد جاء طلب الحمد بعد أن أثبت لنفسه الأسماء الحسنى ، وأثبت أنه من الخير أن ندعوه بها ، وأن تسميته بها لا ينال أبداً من جلاله وكماله ووحدانيته .

ثم جاءت هذه الآية ، لتختم بها سورة الإسراء ، وفيها روحانية صفاء التوحيد ، والقول الحكيم المعجز عنه . جاءت هذه الآية مؤكدة معنى ما قبلها ، إذ لابد مع الإثبات من النفى ، فرأس التوحيد وملاكه وعموده « لا إله إلا الله » وهى إثبات ونفى .

إثبات الألوهية لله وحده .

ونفيها عمن سواه سبحانه .

ولقد أثبت الله لنفسه الأسماء الحسنى ، فكان لابد من أن ينفى عن نفسه ما لا يليق به ، وما انداحت الأوهام فيه ، وما تلبست به العقول من ضلالة وزندقة .

والجميل الجليل أنه بين لنا أنه يستحق الحمد ؛ لأنه متصف بهذه الصفات .

الأولى : أنه له ليس له ولد ؛ إذ لو كان له ولد ، لكان مربوباً لا رباً ، ولو كان له ولد لحبس خير نعمه أو كلها عن عبيده ، وادخرها لولده ، ولو كان له ولد ، لما استحق أن يكون قيوماً ، ولا باقياً ، فالولد امتداد لحياة أبيه ، والولد يقوم مقام أبيه بعد فنائه ، ولو كان له ولد لكانت له زوجة ، ولهذا رد الله على الذين بهتوه بأن له ولداً بقوله سبحانه : ﴿ بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ والأرضِ أنَّى يكونُ له وَلَدٌ ، ولم تَكُنْ له صاحِبَةٌ ، وخَلَقَ كُلَّ شىء ، وهو بكل شىء عليم ٦ : ١٠١ ﴾ ويقول قاصًّا ما قاله الجن المؤمنون ﴿ وأنَّه تعالَى جَدُّ رَبِّنا ، ما اتخذ صاحبة ولا ولداً ٧٢ : ٣ ﴾ .

---

(١) أضاف البعض تفسيرا آخر نسبه إلى ابن عباس : « لا تصل مراءاة للناس . ولا تدعها مخافة الناس » ونظم الآية لا يحيل هذا المعنى . وروى ابن جرير فى تحديد المخافتة : لم يخافت من أسمع أذنيه .

ولقد قالت النصارى : إن المسيح بن الله .

وقال بعض المشركين إن الملائكة بنات الله .

وقال شيوخ الصوفية : إن كل شىء هو الله .

فأى نوع من أنواع هذا الكفر أشد فجوراً ووقاحة فى الإلحاد ؟ ! .

لقد كفر الله النصارى ، وحكم بشرك الآخرين ، ولكن بعض الناس الذين ينتسبون إلى الإسلام يحكمون على القائلين بأن كل شىء هو الله بأنهم قِدِّيسُون تموج أرواحهم بفيوض الألوهية .

الصفة السلبية الثانية : ليس له شريك فى الملك . إذ لو كان ثم شريك لله لفسدت السمواتُ والأرض ، ولعلا بعضُ الشركاء على بعض كما بين رب العالمين ، ولأصبح الخلق نَهْباً موزعاً بين هذا وذاك .

كل امرئ يشعر — حتى المشركون — أنه فى لحظة من لحظات القلق المدمر أنه فى حاجة إلى قوة عظمى تعينه ، أو تسانده ، أو تمده بالسكينة ، فلو كان ثمت شركاء لقتل اليأس القلوب من رحمة ترجوها ، فإنها لن تعرف أى إله تدعو ؟ ولا أى إله عنده ما تريد ، ولهذا كان من عظة يوسف كما قص الله ﴿ يا صاحِبَى السِّجنِ أأربابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الواحدُ القهّارُ ﴾ .

الثالثة : أنه ليس بالذليل حتى يطلب ولياً يناصره ، أو حليفاً يعينه . فالذل ما كان عن قهر ، أو ما كان بعد تَصَعُّب وشِماس . فهل قهر الله ؟ وهل كان صعبا شموسا ، ثم جاء من ذلله ؟ معاذ الله سبحانه ! ! .

فكيف يظن بعض الناس أن لله أولياء يصرفون معه أقداره ، ويعينونه على أمره ، ويتحكمون فى غضبه ورضاه ؟ ! .

وليتدبر المسلمون ! ! .

فالله فى هذه الآيات يطلب منا أن نحمده على أنه واحد لا شريك له ، فإنها أجل منة ، وأعظم نعمة ، أن يكون ربنا واحداً لا شريك له ، فإن الرب الواحد الذى لا شريك له ، ولا ولد ، ولا ولى يعينه لذله يكون هو القادر وحده على إيلاء كل نعمة والجود بكل منة ، و إنا لنحمد الله أن لنا رباً واحدا لاشريك له .

وحمد الله قولى وعملى واعتقادى ، فنقول الحمد لله ، ونعمل ما يكون تعبيراً صادقاً عن حمد الله .

ولنعتقد فيه سبحانه اعتقاداً يصدر عنه حمد الله صادقاً قولاً وعملاً .

ثم يوجب الله علينا أن نعظمه جل شأنه تعظيما يليق به سبحانه « وكبره تكبيراً » .

ونضرع إلى الله أن يعيننا على حمده وتكبيره إنه سميع قريب مجيب الدعاء .

« وبهذا تختم الكتابة عن سورة الإسراء ، وأسأل الله سبحانه أن يرحم برحمته الواسعة من بدأ بالكتابة فيها وهو والدنا وأستاذنا الجليل الشيخ محمد حامد الفقى أجزل الله له المثوبة ، وأفاض عليه من مغفرته ، ورضوانه .

كما نضرع إلى الله أن يمدنا بما يعيننا على الكتابة عما بقى من سور القرآن بتوفيقه ومنه وكرمه » .

عبد الرحمن الوكيل

الميثـاق

فى خطبة الجمعة التى ألقاها رئيس الجماعة بدارها فى ١٢ من المحرم سنة ١٣٨٢ (١٥ من يونية سنة ١٩٦٢) تحدث عن الميثاق الشعبى والميثاق الإلهى ، وقد طالب الإخوان بنشر خلاصة وافية لهذه الخطبة ، وقد استطاع رئيس الجماعة أن يتذكر جُلّ ماقاله فى الخطبة التى ارتجلها ، وأن يسجلها ، ولعل هذه الخلاصة تفى بغرض الإخوان . وقد قال بعد الحمد والثناء والصلاة :

« أما بعد » فإن الله سبحانه يقول :

(وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظُهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) .

هذا هو ميثاق الله الذى واثق به أهل الكتاب . ولكنهم حرّفوا كلام الله وبدلوه ابتغاء ثمن بخس .

دنيا غَدُور ! ولقب غَرُور ! وسلطان زائف ذاهب !

حرف اليهود التوراة ، وابتدعوا « التلمود » وأحلوه محل كتاب الله ! أحلوا شهواتهم الدون ونزواتهم الحقود ، وأهواءهم الجائرة ، وآراءهم الكافرة .

أحلوا الضلالة والباطل والشر والكراهية والحقد والظلام . مكان الهدى والحق والخير والحب والنور والسلام .

وجاء الصليبيون بأحقادهم التى ورثوها عن اليهود ، وحرفوا كتاب الله ليطمسوا معالم التوحيد والبشائر بخير الرسل وخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم وجاء محمد صلى الله عليه وسلم

جاء خاتم الرسل وأعظم النبيين . جاء النور الهادى إلى سواء السبيل .

جاء القمة الشامخة للإنسانية فى سموها الأعظم ، وللرسالة فى مثلها الأعلى . جاء بالفرقان

الذى لا تزيغ بعده أمة . ولا تريبها بهديه ضلالة . وقد أخذ علينا من الله الميثاق أن نبين للناس ما نزل إليهم .

ونحن ـ أنصار السنة ـ نضرع إلى الله أن يهدينا حسن البيان ، وأن يعيننا على البلاغ ، فلا نحجب نفحة من عبير ، ولا نسدل ستراً على لمحة من نور .

ولقد حدثناكم فى الخطبة الماضية عن الميثاق الذى قدمه إلى الأمة بطلها وزعيمها لترى فيه رأيها .

ولقد قلنا فى الخطبة السابقة إن الميثاق الشعبي يجب أن يرتبط بميثاق الله ، وأن يوجه الأمة ويحثها على أن تجعل لميثاق الله آخرتها ودنياها ، وأخراها وأولاها .

فإن الارتباط بميثاق أمام البشر . ليس كالارتباط بميثاق خالق القوى والقدر .

إن الارتباط بميثاق الله يحيى الباطن والظاهر ، وينقى الروح والجسد ، ويحول بين المرء وبين أن يخون الله سراً وعلانية .

وميثاق الله قد نزله القوى القدير الحكيم الخبير السميع البصير الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .

نزله لهداية البشر جميعاً ولإسعاد البشرية جمعاء . فقاد ماضى هذه الأمة إلى أروع الأمجاد ، وحلق بها فوق أسمى الذرا وأعظم الآفاق .

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

ولنعرض بعض ما جاء فى الميثاق الإلهى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب .

يقول ربنا سبحانه : (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن ، فقد استمسك بالعروة الوثقى) . ويقول : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) .

تخلية وتحلية : تخلية من الشرك وتحلية بالتوحيد . وتطهير وتعمير . تطهير من دنس

الوثنية ، وتعمير بقداسة الإيمان . وهكذا يفرض ميثاق الله عليك تطهير نفسك أولا من كل شائبة ، لتسلم إلى الله وجهك .

يفرض إسلام العقل والفكر ، والقلب والشعور والعاطفة والسمع والبصر واللسان . إسلام ظاهرك ، وإسلام باطنك ؛ لتكون بالإسلام وحدة قوية يتجاوب سرها مع علانيتها وما تخفيه مع ما تبديه .

يفرض عليك توحيده فى ربوبيته ، ويبين لك ميثاق الله حقيقة توحيده فى قوله : (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) الصمد الذى يصمد إليه كل كائن : لأنه فى حاجة إليه ، أليس هو الخالق المالك المسخر كل شىء لما يشاء ولما يريد ؟

وما لِلّه من ولد . فيكون مربوبا لا ربا ، أو يبخل بخير ما عنده ؛ ليدخره لابنه ، وما لله من والد فيكون مربوباً لا ربا ، ويكون آخراً لا أولا « وهو الأول والآخر » .

وإيمانك بالله يفرض عليك توحيده فى ألوهيته ، وتدبر ميثاق الله فى قوله : (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ، ومماتى لِلّه رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ، وتدبر قوله تعالى : (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) .

القاعدة الثانية من ميثاق الله : يفرض علينا ميثاق الله أن نجعل محمداً خاتم الرسل هو وحده الأسوة والقدوة ؛ ليكون الناس فى عبادتهم ديناً واحداً ، وقلباً واحداً ، وغاية واحدة ، وأمة واحدة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) .

ويتبع هذا الإيمان بكل رسل الله ، وبكل ما نزل الله من كتب نعتقد أن القرآن هو المهيمن عليها . فلا نعمل إلا بما فيه . والإيمان بكل ماطلب الله على لسان رسوله أن نؤمن به (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) .

فدين الرسل جميعاً واحد . إنه هو دين الإسلام . فما نزّل الله يهودية ولا نصرانية ، ولكن نزل الإسلام على نوح وتعاقب من بعده الرسل مبشرين بالإسلام وحده ومنذرين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

فموسى رسول الإسلام ، وعيسى رسول الإسلام ، ومحمد خاتم رسل الإسلام جميعا صلوات الله وسلامه عليهم .

القاعدة الثالثة : نحن جميعاً أمة واحدة . تدبروا قول الله : (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) إنها أمة تدين برب واحد . وتعتصم بتقوى رب واحد ، فلا ترهبها خشية من سواه ولا يستذلها خوف من غيره .

القاعدة الرابعة : الناس جميعا سواسية فى فقرهم إلى الله . تدبروا قول الله : (يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد) .

القاعدة الخامسة : الأخوة العامة هى القاعدة التى يقوم عليها بناء مجتمع هذه الأمة .

وتدبر قول الله : (إنما المؤمنون إخوة) وتدبر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لايظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره . التقوى هاهنا (مشيراً إلى صدره ثلاث مرات) بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام . دمه وعرضه وماله » .

إنها ليست تعاونية فحسب . ولا اشتراكية فحسب . فالتعاون يتحقق بأقل مفهوم يكون لكلمته وكذلك الاشتراكية . أما الأخوة فلا تتحقق إلا بكل ما تدل عليه . ومما تدل عليه البر والرحمة والمساواة ، والنجدة والإيثار . إنها الأخوة التى طبق الرسول معناها على المهاجرين والأنصار !!

القاعدة السادسة : ضعفاء هذه الأمة لبنات من بنائها ، فيجب العمل على أن تكون لبنات قوية . أى يجب البر بهؤلاء ، والبر هو التوسع فى عمل الخير . اقرأ متدبراً قول الله :

(ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين

وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) .

إن الله لا يطلب إيتاء الزكاة فحسب ، بل إنه قدم إيتاء المال على حبه .

ولا ريب فى أن بر الميثاق الإلهى خير وأسمى من كل نظم للدعاية الاجتماعية نستوردها .

هدى الإسلام فى اللقطاء : وهؤلاء فريق مظلوم قدر عليهم أن يخرجوا إلى الحياة دون أن يعرفوا آباءهم ، فماذا فعل ميثاق الله لهؤلاء ؟ (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند[1] الله . فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم) أى نصراؤكم وحلفاؤكم . إننا نودع هؤلاء الملاجىء . فتمتلىء قلوبهم رهبة من المجتمع وحقداً عليه . أما الاسلام فيفرض أن ندمجهم فى مجتمعه على أساس الأخوة الكاملة فى الله :

والخدم ؟ لنتدبر قول خاتم رسل الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم عنهم « إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس . ولا يكلفه ما يغلبه فأن كلفه مايغلبه فليعينه » .

لن يشارف هذا الأفق الأعظم أرفع ما جاءت به حضارة البشر من مثل ، وأزكى ما اخترعت من قيم ، وأسمى ماتفتخر به من بر وإنسانية .

القاعدة السابعة : (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) إن من لاولى له ، فالجماعة المؤمنة وليه . وكل مؤمن هو لأخيه المؤمن ولى .

إن من لا يجد له أبا أو أما . أو أخا . أو خالا أو عما فإنه سيجد له من الجماعة المسلمة لآباء والأمهات والاخوة والأخوات والأخوال والخالات . والأعمام والعمات .

كل سيحمل عنه كله . ويواسى جرحه ، ويكفكف دمعه :

كل سيشيع البسمة الحلوة العذبة فى أيامه العابسة .

والنور والدفء والأمل فى ليلاته الباردة البائسة .

---

(١) هذا طبعاً إذا كان آباء هؤلاء معروفين لدينا . ولعلك تلحظ جيداً أن الإسلام يحرم تحريماً طماً هذا التبنى المعروف فى أيامنا هذه .

تدبر قول الله تعالى : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله . إن الله عزيز حكيم) والولاية عامة مطلقة لا يقيدها سوى صدق الإيمان وأنعم به قيداً .

ولنتدبر بعض خصائص هذه الولاية فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من ترك مالا فلأهله ، ومن ترك ديناً وضياعا فإلىّ وعلىّ » وقوله : « من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كَلاًّ فإلينا » الدَّيْنُ . والأولاد والأهل الضائعون » إن الإسلام يفرض على الأمة وحاكمها أن يحملوا كل ذلك بالبر والولاية الرحيمة عن أخيهم الذى مات .

فهل فى مواثيق الضمان الاجتماعى والجماعى ما يدنو من بر ميثاق الله فى بره ورحمته ؟

لماذا نستورد الصدف . وعندنا الدر ؟

لماذا نستورد الحرام ، وعندنا الحلال ؟

لماذا نستورد بضاعة الكفر وعندنا بضاعة الإيمان التى لا تبور أبداً ؟

القاعدة الثامنة : صلتنا بغير المسلمين ، إن الميثاق الإلهى يفرض علينا أن نبر غير المسلمين وأن نقسط فى معاملتهم ماداموا لا يرفعون فى وجه الإسلام سيفاً ، ولا يدبرون له كيداً ، ولا يعينون عليه عدواً (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين . ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم ، وتقسطوا إليهم . إن الله يحب المقسطين (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . أعدلوا هو أقرب للتقوى) .

وحسبك براً من دين أنه يبيح لليهودى ، وللنصرانى ولغيرهما أن يعيشوا فى ظل أمته وادعين مطمئنين ، لا يخاف أحدهم ظلماً ولا رهقاً فكيف نخشى أن نتهم بالتعصب ؟

أو كيف يرمينا البغاة السلطون على الخير والحق بالتعصب حين نطالب بأن نستمد هدينا ومواثيقنا وقوانيننا من القرآن ؟

القاعدة التاسعة : والإسلام يفرض علينا أن ننظر إلى المال النظرة الصائبة الصحيحة.

يفرض علينا أن نؤمن بأن كل مال إنما هو مال الله . ولهذا حرم الربا ، والسرقة ، والغصب والإسراف ، والتبذير ، وغير ذلك ، وأوجب إنفاق العفو . تدبر قول الله سبحانه (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) (ويسئلونك ماذا ينفقون . قل : العفو) إن بخلت بمال الله فأنت كنود جحود ، وإذا لم تعطه إلى من يستحقه أو إلى ربه . فأنت لص جائر الجحود وإن كنزته حقت عليك لعنة الله ، لأنك تسرق مال الله ، وتمنعه عن عباده .

القاعدة العاشرة : الأرض لمن يصلحها . تدبر قول الله : (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) ويوم أن كانت هـذه الأمة صالحة ورثها الله أرض كسرى وقيصر ، فأنبتت من كل زوج بهيج .

القاعدة الحادية عشرة : المسئولية والجزاء : يقول ربنا (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ويقول (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) .

هذا هو ميثاق الله . يحدد المسئولية ، ويجعلها مباشرة ويحرم أن يؤخذ البرىء بذنب المجرم ، أو يخفف عن المجرم رعاية لشفاعة ، ثم هو لا يترك عملا بدون جزاء أبداً .

القاعدة الثانية عشرة : يجب الحكم بما أنزل الله :

يقول ربنا فى كتابه (ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك الكافرون) .

وقد ختمت مرة بقوله : (فأولئك الفاسقون) ومرة أخرى بقوله : (فأولئك الظالمون) فمن لم يحكم بما أنزل الله ، فإنه يجمع بين هذه الصفات الذميمة الملعونة الخسيسة ، الكفر

والفسق والظلم . ويقول سبحانه . (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) : ويقول أيضا (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) (أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) .

وأساس حكم الإسلام الشورىّ ، يقول تعالى : (وأمرهم شورى بينهم) ويقول لخاتم رسله : (وشاورهم فى الأمر) ولا يشترط فى الحاكم الاسلامى إلا أن يكون مؤمناً تقياً صادق الإيمان عليما بكتاب ربه وسنة رسوله وإن كان عبداً حبشياً ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « أسمعوا ، وأطيعوا ، وإن أمر عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » .

وحسبك أنّ عمراً قال وهو يحتضر عن الخلافة : « لو كان سالم مولى حذيفة حياً ما جعلتها شورى » .

ترى أيرتاب مسلم فى أن ما أنزله الله هو وحده الحق والخير والحكمة ؟

ولقد كنت أود لقواعد الميثاق الإلهى تفصيلا . فأبين كيف بنى الإسلام الأسرة وكيف عامل الطفولة ، وكيف نظر إلى العمل وغير ذلك . ولـكنها خطبة جمعة ، وحسبنا الإشارة إلى أثارة مقدسة من هدى الإسلام وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآل محمد أجمعين .

﴿ الخطبة الثانية ﴾

بعد الحمد والثناء والصلاة على الرسول قال الخطيب :

« أما بعد » فقد قلنا نحن أنصار السنة بعض رأينا فى الميثاق الشعبى . وقلنا إنه احتوى على كثير من الخير ، ومجد روح الدين ، واستهدف صوالح الشعب ومصالحه ، غير أننا مازلنا نرجو أن ينص فى الميثاق على أن دين الجمهورية هو الإسلام ، وعلى وجوب استمداد قوانيننا منه ، وإقامة حياتنا الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية على أسسه . وإلى

لأسأل الله أن يمتع بطل هذه الأمة جمال، بسعادة انتصاره، فقد انتصر فى كل معركة خاضها ضد البغى والعدوان، وأرجو من الله أن يتوج انتصاره بما يرجوه إخوانه المسلمون

إننا هنا لا ننسى ذلك الشعور بالذلة والكآبة والضعف والحسرة الذى كنا نتلبس به حين نعبر جسر قصر النيل، أو نحوم حول القلعة، أو حول محطة القاهرة، ونرى الانجليز بسفاهتهم وحماقتهم وأسلحتهم، فنشعر بالخزى والعار، ونقول: كيف يحتل أتباع الصليب ديار أتباع محمد ؟

وكيف يستعمر أحفاد هرقل، أحفاد عمر، وكيف يستذل أبناء ريتشارد أبناء صلاح الدين ؟

ولكننا اليوم لا نرى لهم فى مصر من أثر. هذا بفضل الله، ثم بتوفيقه لبطل هذه الأمة الرئيس جمال عبد الناصر.

وإنى لأضرع إلى الله - كما وفقه فى ذلك كله - أن يوفقه فى أن يربط ميثاق هذه الأمة ربطاً محكماً بميثاق الله، ليتحقق النصر الأكبر.

« ثم رد الخطيب على كتاب الصحف الذين هاجموا الشيخ الغزالى، وقالوا بصعوبة تطبيق نظم الإسلام ودلل على أن الصعوبة إنما نحسها: لأننا لا نأخذ بالاسلام ككل وإنما نأخذ بعضه ونترك أكثره عند التطبيق، فنفشل. وبين كيف استطاع عمر تطبيق نظام الاسلام فى دولته الكبرى، واستطاع خلفاء بنى أمية العادلون.

ثم شكر للرئيس تصريحه العظيم بأن مساواة المرأة بالرجل ستكون فى إطار العقيدة الدينية.

من أضابير[1] لجنة الفتوى

تحت هذا العنوان نشرت مجلة الأزهر فى الجزء الأول من السنة الرابعة والثلاثين الصادر فى أول المحرم سنة ١٣٨٢ عدة أسئلة وأجوبة منها السؤال والجواب الآتيان :

السؤال : ما حكم التوسل بأولياء الله الصالحين ، والتقرب إليهم بالقرابين كذبح الذبائح والسجود لهم حينما يدخل الناس مقابرهم ؟

الجواب : إن التوسل إلى الله بأوليائه الصالحين باعتبار أنهم أعظم عند الله شأناً وأقرب إليه من غيرهم بعملهم الصالح أمر لا شيء فيه مادام ذلك لم يؤد إلى ارتكاب محرم ! !

وأما ذبح الذبائح لهم فإن قصد الفاعل النذر لنفس الأولياء فالنذر باطل والوفاء به حرام . وإن قصد بذلك انتفاع الفقراء فهو جائز لا شيء فيه لأنه نوع من الصدقة . ولا يلزم بنقل الذبائح إلى محال الفقراء ، بل له أن يذبحها بمكانه هو ويوزعها على فقراء بلده إلا إذا قصد الفقراء الذين يوجدون بحى الأولياء فيجب عليه الوفاء بما نذره .

وأما السجود فلا يجوز لغير الله تعالى . فيحرم للبشر تعظيما لهم لا فرق بين الأولياء وغيرهم .

* * *

ويبدو أن لجنة الفتوى أجابت بهذا الجواب قبل أن يرتقى الوعى الدينى ، وقبل أن يسطع نور الحق فيكتسح ظلمات الباطل ، وقبل أن تستنير عقول العلماء بنور العلم الصحيح ، وقبل أن تطهر الأذهان من رواسب عصور الجهل والتخلف . يوم كان بعض المسلمين يتركونُ السعى فى طلب الرزق اعتماداً على التوكل ، ويزهدون فى الباقيات الصالحات اتكالا على التوسل .

---

(١) جمع إضبارة وهى الحزمة من الصحف (الملف أو الدوسيه) .

ويقينى أن لجنة الفتوى الحالية لا تقر هذا الجواب على إطلاقه ولا ترضاه وأن فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لا يقره ولا يرضاه وكأنى بمجلة الأزهر الغراء قد بعثت هذه الفتوى من مرقدها لا لتفيد القراء بما حوت من أحكام ولكن لتثير عجبهم من تفكير العلماء فى عهود الظلام ! !

• • •

كيف تقول لجنة الفتوى إن التوسل إلى الله بأوليائه الصالحين أمر لا شىء فيه وما مستندها فى هذا الحكم ؟ ومن أى آية من كتاب الله ومن أى حديث من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم استنبطته ؟

أليست هذه عقيدة الجاهلية الأولى التى جاء الإسلام لهدمها وتحطيمها وتطهير النفوس منها ؟

أليست هذه عقيدة المشركين التى نبأنا الله بها فى كتابه الكريم بقوله : (والذين اتخذوا من دونه أولياء ؛ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى . إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار ٣ : الزمر) .

وقوله : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله !قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ١٨ : يونس) .

أجل ! هم أعظم شأناً عند الله وأقرب إليه بأعمالهم الصالحة ، ولكن ماذا عسى أن تفيد أعمالهم الصالحة من يتوسل بأشخاصهم إلى الله تعالى ؟

إن أعمالهم الصالحة تقربهم هم إلى ربهم . ولكنها لا تقرب غيرهم ، فلو أن لجنة الفتوى أجابت السائل بقولها : إن شئت أن تتوسل إلى الله فتوسل إليه بعمل صالح لتكون ولياً من أولياء الله إذا دعوته أجابك وإذا سألته أعطاك، لكان جوابها صحيحاً مقبولا ؛ فقد جاء فى الحديث القدسى « ماتقرب إلى عبدى بشى أحب إلى من أداء ما افترضته عليه .

وما زال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر به ، و يده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، فلا سأل إلا أعطيته ولا دعا إلا أجبته » .

أما أجابة لجنة الفتوى فهى إجابة خاطئة مضللة لا ترشد إلى حق ولا تهدى إلى صواب . بل تورط الناس فى الإثم وتدفعهم إلى الخطيئة وتحملهم على التواكل والزهد فى العمل الصالح ارتكاناً إلى كلمة فارغة جوفاء لا تغنى عن قائلها فتيلا .

* * *

ليس من شك فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد بنى آدم جميعاً ، فهو سيد الأنبياء وسيد الأولياء ومع ذلك فلم يؤثر عن صحابته الكرام أنهم توسلوا بشخصه إلى الله تعالى . وإنما قصارى أمرهم أنهم كانوا يسألونه أن يدعو لهم رب العالمين . و إن تعلق متعلق بحديث الضرير فقد أثبتنا ضعفه (انظر كتاب صيحة الحق) وعلى فرض صحته فإن الضرير إنما توسل بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لا بشخصه الكريم .

العمل الصالح هو وسيلة القرب إلى الله ، لا ذوات الأشخاص . قال تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عمل صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ـ ١١٠ الكهف) .

* * *

ماذا يقول المتوسل ؟

يقول : يارب ، من أجل فلان ، أو إكراما لفلان اقض حاجتى !

وهذا كلام لا طائل تحته ولا جدوى له .

إن الله لا يقضى الحاجات من أجل ذوات الأشخاص ولا إكراماً للأشخاص ولكنه تعالى يمضى سنته ، و ينفذ مشيئته ، و يفعل مايفعل بمقتضى حكمته الأزلية . (والله يحكم لا معقب

لحكمه وهو سريع الحساب ٤١ : الرعد) (ومن يتوكل على الله فهو حسبه . إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ٣ : الطلاق) .

* * *

بم توسل أصحاب الغار ، وقصتهم معلومة مشهورة ؟

هل توسلوا إلى الله بولى أو نبى أو رسول أو ملك ؟ كلا وإنما توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم فاستجاب الله لهم . وفرج كربتهم وأنقذهم مما كانوا فيه .

كيف تقول لجنة الفتوى إن التوسل بالأشخاص أمر لا شيء فيه وتنسى قول الله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب : هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ١١٦ : النحل) .

وما دام القرآن الكريم وهو الأصل الأول للعقيدة الإسلامية لم يأت بما يبيح التوسل بذوات الأشخاص ، وما دامت السنة النبوية لم تأت بما يبحه فالقول بأنه لا شيء فيه افتراء على شريعة الله .

* * *

أما قول اللجنة : (وأما ذبح الذبائح لهم فإن قصد الفاعل النذر لنفس الأولياء فالنذر باطل والوفاء به حرام) فهذا قول حق نحمد الله تعالى أن وفق اللجنة إليه .

وأما قولها بعد ذلك (وإن قصد بذلك انتفاع الفقراء فهو جائز لا شيء فيه لأنه نوع من الصدقة) فهو باطل مجانب للحق والصواب ! وكيف يذبح للولى ومن أجله ويقصد انتفاع الفقراء ؟

وماذا يمنعه أن ينذر لله ويذبح لله لتنتفع الفقراء ؟

ومما لا شك فيه أن النذر هو ما يعطى للفقراء . والله تعالى يقول فى الحديث القدسى : (أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه) .

ولا جرم أن النذر للأولياء لينتفع الفقراء تتآتى فيه هذه الشركة التى يتركها الواحد الأحد جل شأنه ، فانتفاع الفقراء عمل لله تعالى والنذر للأولياء تشريك فى هذا العمل . والله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان صحيحاً خالصاً . والصحيح ما وافق السنة والخالص ما كان لله تعالى وحده .

* * *

هذا وقد أحسنت اللجنة كل الإحسان حين أفتت بتحريم السجود لغير الله تعالى . وكانت موفقة كل التوفيق فى هذا الجزء من الفتوى والحق أحق أن يتبع ، وليس بعد الحق إلا الباطل وليس بعد الهدى إلا الضلال . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

أبو الوفاء محمد درويش

دراسات فى التوحيد

بقلم الدكتور أمين رضا

الأستاذ المساعد بكلية طب الاسكندرية

(٤) التزوير فى الأضرحة الأخرى

هذا ما أمكن تحقيقه علمياً بالنسبة لقبر الحسين . أما بالنسبة للمقامات والأضرحة الأخرى المحتوية على جثث ، أو التى لاتحتوى على جثث ، وغير ذلك من المشاهد الوثنية التى يبجلها من يدعون الإسلام ، كل هذا يمكن البحث والتدقيق فيها . وسننتهى فى آخر الأمر إلى أن أغلبها أقيم على أشخاص لايمكن إثبات صلاحهم وإسلامهم ، بل قد لا يمكن إثبات أن القبر يحتوى على جثة ألبتة . بل قد يمكن إثبات أن القبر فيه ملك أوسلطان أو قائد أو شخص عادى ، أو أثر تاريخى ، أو غير ذلك من الأشياء التى لايمكن أن تمت إلى أولياء الله الصالحين بصلة . والأحرى بمن يعكفون على هذه المقامات أن يبتعدوا عنها ، حيث أنها لاتوفى بالغرض الذى يقصدونه ، إلا إذا كان قصدهم التعبد بأى شىء من دون الله . وهذا مايبعث إلى سخرية الناس منهم ، وإلى غضب الله عليهم (١٨ : ١٠٢ ـ ١٠٦ : أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء ؟ إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً . قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ؟ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك جزاؤهم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزواً) .

ومع ذلك فإن الذى يبدأ فى التحقيق فى هذه الأضرحة فإنه سيجد عجباً . إنه سيجد أن من الحجج التى يقدمها سدنة هذه المقامات أن فلاناً من المشايخ رأى رؤيا تدعوه إلى إقامة المسجد أو الضريح ، وكل هذه الرؤى أضغاث أحلام ، وإفك بهتان ،

وحتى لو كانت حقيقة فإنها لاتثبت شيئاً عند من يريد اليقين ، وإن كانت ذات مقام عظيم عند أهل البدعة والخرافة . والحجة الثانية هى ادعاء أن للقبر أو الأثر المبجل رائحة ذكية ، وهذا كذب واختلاق . فلا تعرف لرمة رائحة إلا رائحة الرمم البالية التى يهرب منها الناس . أما إذا كانت الرائحة حقيقة ذكية ، فما ذلك إلا من دجل السادن واحتياله قطعاً . والحجة الثالثة هو ادعاء حدوث المعجزات ، فيقولون إن فلاناً رفض أن يؤمن بالشيخ ، أو بغى عليه فى الكلام ، فأعماه الشيخ ، أو أن فلاناً كان مريضاً فشفاه الشيخ . وكل ذلك إفك مفترى ، ويكفى فى إثبات ذلك أن الشيخ لم يمكنه دفع الردى عن نفسه ، فمات ودفن وانقطع عمله من حسنات وسيئات ، فكيف يدعون أنه يضر و ينفع ، وكيف تليق هذه الفرية على أولى الألباب ؟

ومع ذلك فلنفرض أن هذه الأضرحة قد ثبت لكم بالدليل القاطع — وهذا شىء مستحيل — أنها جميعاً لأولياء صالحين يشهد جميع الناس بصلاحهم . فما علاقة ذلك بكم ؟ اذكروا قول الله تعالى (٢ : ١٣٤ و ١٤١ : تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا تسألون عما كانوا يعملون) .

ماذا تحتوى عليه هذه الأضرحة : هذا الشخص الذى يقصد ضريحاً ويتحدث إلى ساكنه ، ماذا يتخيل ؟ هل يتصور أن شيخه يجلس داخل المقصورة يصغى إليه ؟ وهل هذا الشيخ لايزال حياً لم يمت من مئات السنوات ؟ وهل — إذا كان حقيقة حياً — يمكنه أن يسمع عشرات الداعين الذين يحفون بالمقصورة ويتحدثون إليه فى وقت واحد ؟ وهل يمكن لأصوات هؤلاء الداعين أن تصل إليه فى داخل مقصورته المقفلة قفلاً محكماً يحول دون تسرب الروائح العفنة منها ؟

ماذا يفعل هذا الداعى إذا علم بكل هذه الصعوبات التى تقف بين وصول دعائه إلى وليه ، ثم عرف بعد ذلك أن الضريح يحتوى على جثة هامدة بالية فقدت كل خواص الحياة من الحركة والسمع والبصر ، وكل معالم الجسم السوى ؟ ماذا يفعل إذا كان هناك شك

فى أن هذه الجثة ليست لولى ، بل لشخص آخر مشكوك فى صلاحه ؟ وماذا يفعل إذا وجد ضريحاً فارغاً لايحتوى على جثة أو جمجمة أو قطعة صغيرة من العظم ؟

ومع ذلك فإنك لو ذهبت إلى أحد الأمكنة التى يزعمون أن بها بركة لشاهدت بنفسك آلاف الرسائل الملقاة فى الضريح وحوله ، كتب فيها كاتبوها كل أنواع الطلبات والشفاعات . ولا أدرى كيف يمكن أن تصل هذه الرسائل إلى صاحب القبر . بل إننى لا أفهم ولا عاقل يفهم كيف يعتقد ملقو هذه الرسائل أنها تصل إلى الشيخ الميت ، وهم يرون بأعينهم أنها تجمع فى سلات المهملات ، وتلقى مع الغثاء العفن ، والقمامة أو تحرق فتذهب أدراج الرياح . هل ظنوا قبل كتابتهم الرسائل أن للشيخ بريداً خاصاً .

إن أى شخص مهما قل إدراكه ، وتضاءل إطلاعه فى الدين ، ليشعر بالخجل إذا تصادف وفكر هذا التفكير وهو يقف أمام مقصورته المفضلة أو ضريحه المعظم . ! !

وكل مسلم صادق تمتلىء نفسه اشمئزازاً إذا رأى كل هذه الجرائم الشركية التى ترتكب باسم التقرب إلى الأولياء ، أو بادعاء التقرب بهم إلى الله ، سبحانه وتعالى عن هذه الأساطير الشركية . وإن هذا الاشمئزاز ليزداد إذا علم أن الداعى يسعى وراء وهم زائل ، وأن الولى لا يشعر بالداعى ، وأنه لو شعر وكان صالحاً لتبرأ من عمله ، وأن الله غنى عن واسطة الولى ، لأنه سبحانه وتعالى سميع بصير ، يسمع دعاء الداعى ، ويعطى كل واحد حسب استحقاقه (٢٥ : ٣ : واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً ، وهم يخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ، ولا نفعاً ولايملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً) .

الذين يدعون أن الأولياء أحياء فى قبورهم : يذهب بعض الذين يدعون الأولياء إلى أن هؤلاء الأولياء أحياء يسمعونهم . وأهم برهان يأتون به قول الله تعالى (٢ : ١٥٤ : ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات، بل أحياء ، ولكن لاتشعرون) و(٣ : ١٦٩-١٧١ :

ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) .

هذه الآيات تذكر الذين قتلوا فى سبيل الله ، ولذلك فهى لاتنطبق على أكثر الأولياء سكان الأضرحة والمقاصير . لأننا لم نسمع أن أحداً منهم قتل فى سبيل الله .

ثم إن هؤلاء الذين يحبون الأولياء أو الشهداء : هل كل ما يتمنون لهم من الجزاء هو حياة السجين فى قبر محكم القفل ، شديد الظلام ؟ إنهم أحياء ، نعم . ولكنهم ليسوا كما يتصور مريدوهم . بل هم « عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله » . وهل هذا الوصف الذى يصفه الله هو فى هذا القبر ، أو الضريح ، أو المقصورة ، كما يتصورون ؟

ثم كيف يتخيلون أن أولياءهم أحياء والرسول ، صلى الله عليه وسلم ، توفاه الله . ماذا يقولون فى الآية القرآنية (٣٩ : ٣٠ إنك ميت ، وإنهم ميتون) ، ثم فى الآية الأخرى (٣ : ١٤٤ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسنجزى الشاكرين) .

ولا يشك المسلمون فى أن رسول الله قد توفاه الله : فما أكثر الأحاديث الصحيحة التى رواها أئمة الحديث عن مرضه ووفاته وغسله وكفنه وقبره ودفنه فيه[1] .

---

(١) انظر : ابن الأثير الجزرى : جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م .) بتحقيق محمد حامد الفقى رحمه الله ، الجزء ١١ ، أحاديث ٨٤٩٣ — ٨٥١٣ ، صفحات ٣٨١ — ٣٩٤ .

فإن كل الأمر كذلك فيما يخص رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فما بال أوليائهم (٢١ : ٣٤ : وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد. أفإن مت، فهم الخالدون).

فإذا سلم هؤلاء الناس بأن أولياءهم أموات، فكيف يمكنهم أن يتصوروا أن فى قدرتهم أن يقوموا بأى عمل من الأعمال. ولا حاجة لنا أن نؤكد ذلك بالحجج والبراهين. ويكفى بلاغ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذى « قال إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له[1] ».

وهل يعقل أن صاحب الجثة يقدر على شىء – أى شىء – وهو لا يقوى على الحركة أو التنفس أو تحريك الجفون، أو منع الأذى عن نفسه؟ كيف يمكنه أن يجيب دعوتك وهو محتاج لمن يحمله للقبر، ولا يمكنه أن يمنع عن نفسه التشريح، أو الدود إذا أكله، والعفن إذا أصابه؟

ولو أن العاكف على القبر فكر قليلا لوجد نفسه واهماً، ولضحك من نفسه هزءاً وسخرية!!

بركة آثار الأولياء: يوجه كولان دى بلانسى الأنظار إلى نوع آخر من البضاعة الشركية، تلك هى آثار القديسين والأولياء، مثل صور القديسين والأنبياء، وأغطيتهم وملابسهم، وأظافرهم، ودموعهم، ودمائهم، وقطع الأثاث الخاصة بهم، وقطع من الحجارة تحمل أثر أقدامهم، وقطع من الصناديق التى احتوت جثثهم فى يوم من الأيام، أو الأستار التى كست أضرحتهم. وغير ذلك مما لا حصر له من الأشياء المختلفة التى تخترعها قرائح المشركين والقبوريين فى العصور المختلفة.

---

(١) : انظر جامع الأصول : الحديث ٨٦٧٣، جزء ١١، صفحة ٤٥٧، عن أبى هريرة أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.

إنهم يدعون أن لهذه النفايات والجمادات التى تنتمى إلى أوليائهم كرامات وبركات وينفقون الأموال الطائلة لامتلاكها ، أو يحجون إليها ، أو يتمرغون عليها ، أو يقبلونها أو يلمسونها بأيديهم ، أو يخشعون أمامها . كل ذلك طلباً للبركة ، فهم يعتقدون أن هذه الأشياء تمنع المرض . أو تشفى منه ، أو تبارك فى الرزق ، أو تحتفظ بالأطفال لأبويهم ، أو بالرجل لزوجه ، أو تشفى العقم ، أو تحفظ من العين ، أو غير ذلك من الكرامات التى يخترعونها .

والملاحظ أن هؤلاء الناس لا يحاولون أن يفسروا كيف تحولت هذه الآثار من جمادات ميتة إلى قوى خارقة ، كيف يتصورون أن حجراً أصم يمنع ماقدر الله من مرض أو فقر؟ كيف يتخيلون أن قطعة من ظفر ، أو شعر ، أو قطن ، أو صوف ، أو خشب تكمن فيها كل هذه القوى المعجزة ، فتغير النظام الذى خلقه الله للكون ، وتقلب الأوضاع ، وتمنع الضرر ، وتجلب الخير ، وغير ذلك من الأنواع المختلفة من القدرة التى يعتقد المسلمون وجميع المنتمين للديانات السماوية أنها خاصة بالله القوى الجبار ؟ كيف يدعون بعد ذلك أنهم مسلمون ، يؤمنون بالله ، ويقرأون القرآن والله يقول فيه (٥ : ٧٦ قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً ، والله هو السميع العليم) .

المساجد المحتوية على أضرحة : إن نفس المؤمن ليملؤها الأسى والأسف ، لأن عدداً كبيراً من المساجد الموجودة فى بلدنا تحتوى على قبر أحد الأولياء أو العظماء أو الأشخاص الذين يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى يرضى عنهم إذا هم بنوا مسجداً ، وأوصوا بأن يدفنوا فيه .

وإن نفس المؤمن لتقشعر من شدة تفضيل الناس الذهاب إلى المساجد المحتوية على القبور .

ولا شك فى أن تفضيلهم المسجد القبرى هذا مرتبط بالقبر الذى فيه ، وأغلبهم يعتقد أن صلاتهم فيه تفضل صلاتهم فى أى مكان آخر ، علاوة على أنها تهىء لهم الفرصة لزيارة الضريح المحبب إلى قلوبهم ، وتأدية المناسك التى فرضوها على أنفسهم .

ولسنا فى حاجة إلى تنبيه هؤلاء إلى أنهم يسعون وراء خرافة ملعونة . فإن اعتقادهم بفضل صلاتهم عند «سيدى فلان» لا يستند إلى أية حجة قوية أو واهية . إن هم إلا يظنون فكلامهم هذا لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا صحابته ، ولا أحد من العلماء المشهود لهم بالإيمان والعقل .

إنهم تصوروا أولا أن الله سبحانه وتعالى يحب وليهم هذا ، ولا برهان لهم على ذلك لأنه غيب اختص الله نفسه بعلمه .

وتصوروا ثانياً أن الله سبحانه وتعالى يحب من يحب وليهم هذا ولا برهان لهم على ذلك .

وتصوروا ثالثاً أن من مظاهر حبهم للولى الصلاة فى مسجد قبره ، وأن الله سبحانه وتعالى يحب ذلك ، ولا برهان لهم على ذلك . و بناء على هذه التصورات الثلاثة توهموا أن الله سبحانه وتعالى يعطيهم ثوابا أكبر على صلاتهم فى مسجد قبر وليهم . وسبحان الله عز وجل عن هذا الإفك المفترى ، وما علمهم هذا إلا تخيل مبنى على الوهم والتصور ، ومؤسس على الهوى والظن (٥٣ : ٢٨ : وما لهم به من علم . إن يتبعون إلا الظن ، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً) . وما أمرنا أن نقيم ديننا على الوهم ، أو على ما تهواه أنفسنا ، بل على اليقين والحق المبين من الكتاب والسنة .

إن هذا البناء المحتوى على قبر من قبور الأولياء ليس مسجداً من مساجد الله . وإنما هو شىء آخر قل عنه : مدفن ولى ، قل عنه ما شئت إلا أن تنسبه إلى الله وتزعم عنه إنه مسجد من مساجد الله !

كيف تقولون عنه إنه مسجد لله ، فى حين أن كل الذين يذهبون إليه يقولون إنهم ذاهبون ليصلوا عند « سيدى فلان » ؟ لقد بلغ بهم البغى حد أن رفضوا حتى أن يذكروا اسم الله مع اسم الولى .

كيف تقولون إنه مسجد لله ، و بُناته لم يقصدوا ذلك ؟ بل إنهم مافكروا إلا فى إقامته للولى ، و إلا فى تسميته باسم الولى ، ثم جعلوا فيه قبراً ومقصورة للولى ، وكل من يذهب إلى هناك فإنما يذهب للولى ، ينذر له ، و يدعوه ، ويكتب له ، ويتمسح بقبره ، ويطوف حوله ، ويطلب منه البركة فى الرزق ، والشفاء من المرض ، و إزاحة الأرزاء والمصائب وغير ذلك من الأعمال التى تثبت تذلله للولى وخضوعه له ، واشراكه إياه بالله سبحانه وتعالى كيف تعتقدون بعد كل ذلك أن هذا البناء مقام لله ، وأنه غير مقام للولى ؟

إن لم تسلموا أن هذا البناء ـ الذى تسمونه مسجداً ـ مقام من أجل الولى وضريحه ـ فقولوا إنه مقام من أجل سدنة قبر الولى ، وما ينتفعون به من مال وهدايا .

ولكن لا تقولوا إن هذا البناء أقيم ليذكر اسم الله فيه ، فالولى وحده هو الذى يذكر فيه . ولا تقولوا إنه أقيم لتقوى الله ، وإنما أقيم ليبغى فيه على حلال الله وشأنه يشبه مسجداً آخر وصفه الله سبحانه وتعالى فى القرآن فى قوله (٩ : ١٠٨ ـ ١٠٩ : لا تقم فيه أبداً . لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين . أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ، فانهار به فى نار جهنم ؟ والله لايهدى القوم الظالمين) :

نعم ، لو أن هؤلاء كانوا يضعون نصب أعينهم تقوى الله ، لبحثوا عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولحاولوا أن يتعلموا إرشاداته وأوامره ونواهيه الخاصة بإقامة المساجد على القبور :

أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن مقيمى هذه الابنية ونهى عنها ؟ فاذا كان البانى ملعونا والبناء منهياً عنه . فما بال المصلى فيها ؟

إذا كنتم لم تعلموا ذلك حتى الآن فاقرأوا مثلا « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج[1] »

وأقرأوا أيضا « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[2] »

اقرأوا أيضا « نهى النبي صلى الله عليه وسلم ، أن يبنى على القبر ، أو يزاد عليه ، أو يجصص[3] »

وروى مالك فى الموطأ : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »

وروى الامام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم لا تجعل قبرى وثناً ، لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[4] .

---

(١) أنظر : جامع الأصول جزء ١١ ، صفحة ٤٣٨ ، حديث ٨٦٢٦ أخرجه أبو داود الترمذى والنسائى ، عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

(٢) حديث عائشة رضى الله عنها ، وهو الحديث رقم ٨٧٢٦ من جامع الاصول المذكور آنفا

(٣) حديث جابر بن عبد الله رقم ٨٦١٥ من جامع الأصول جزء ١١ ، ص ٤٣٤ ، رواه أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وأبو داود .

(٤) الحديثان اللذان رواهما الإمامان مالك وأحمد : أنظر : محمد بن عبد الوهاب وعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : فتح المجيد ، شرح كتاب التوحيد ، بتحقيق محمد حامد الفقى (مطبعة السنة المحمديه بالقاهرة ، الطبعة السابعه ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م) صفحة ٢٤٥

وروى مسلم فى صحيحه عن جندب بن عبدالله : قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول ، « إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل ، وإن الله قد اتخذنى خليلا ، كما اتخذ ابراهيم خليلا ، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مسجداً ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك[1] » .

وروى الإمام احمد فى مسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ، ومن يتخذ القبور مساجده[2] » .

(يتبع)

---

(١) أنظر : ابن الأثير الجزرى : جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بتحقيق محمد حامد الفقى ، رحمه الله ، (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م) جزء ٩ ص٤٣٢ ، حديث ٦٤٠٠ ، عن جندب بن عبدالله ، رضى الله عنه ، أخرجه مسلم

(٢) أنظر : أحمد بن محمد بن حنبل . المسند : بتحقيق أحمد محمد شاكر (دار المعارف للطباعه والنشر بمصر ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م) جزء ٥ ، صفحة ٣٢٤ ، حديث ٣٨٤٤

تعليقات على الصحف

الأوقاف تعلن الحرب على تنابلة السلطان

قررت وزارة الأوقاف إغلاق التكايا بعد أن اتضح أن نزلاءها من المتصوفين العاطلين وغيرهم من العاملين بها لا ينفعون الدولة بشيء .

« الأخبار يوم ١٨ مايو سنة ١٩٦٢ » .

الآن فقط أدركت وزارة الأوقاف هذا الأمر ، وكان ينبغى أن تدركه منذ وقت بعيد لتوفر على الدولة ملايين الجنيهات التى ذهبت فى بطون هؤلاء التنابلة ومن يخدمونهم بلا وجه شرعى .

والإسلام لا يقر هذا التعطل والتواكل والخمول ، بل يحارب هذه الحياة ويحث على العمل والسعى . قال تعالى (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ، الآية ١٥ : الملك) .

على أننا نرجو من المسئولين أن يتبعوا هذا العمل بأعمال أخرى ضد بقية التنابلة المنزوين بجوار الأضرحة والمنتشرين حول مساجدها حتى تقضى على هذا المظهر المنفر الذى يحسبه الجاهل أنه من الدين والدين منه برىء .

* * *

كتاب الإمام ابن تيمية

كتب قارىء بجريدة المساء يثنى على الكتاب القيم الذى أصدرته وزارة الثقافة والإرشاد فى سلسلة « اعلام العرب » عن الإمام الراحل أحمد ابن تيمية بقلم الدكتور محمد موسى يوسف و يشكر مؤلفه .

« مساء يوم ٢٥/٥/١٩٦٢ »

الحق أن الدكتور محمد موسى يوسف جدير بهذا الشكر . . وبأكثر منه . فقد وفق

أيما توفيق فى تأليف هذا الكتاب إذ أورد فيه — بأمانة — كل ماسجله التاريخ لهذا العالم المجدد من جهاد ونضال فى كافة الميادين الدينية والسياسية والاجتماعية . وابن تيمية جدير كل الجدارة بهذا الإنصاف والتقدير . فإن من يقرأ تاريخ هذا الرجل قراءة منصفة يعرف أنه كان بحق الرجل الذى يبعثه الله على رأس كل مائة سنة ليجدد للأمة أمور دينها كما يقول الحديث الشريف .

لقد قسم الدكتور كلامه فى الكتاب إلى قسمين : فتكلم فى القسم الأول عن العصر الذى عاش فيه ابن تيمية من الناحية السياسية ، وما حدث فيه من غارات التتار والفرنج على مصر والشام . كما تكلم من الناحية الاجتماعية ووجود الأجناس المختلفة فى المجتمع بعاداتهم وتقاليدهم . وظهور موجات الالحاد والانحلال الخلقى . . كما تكلم عن الناحية العقلية والعلمية ، وكيف أن عصر ابن تيمية كان زاخراً بالعلماء والعلوم الإسلامية الكثيرة فى الأصول والفروع . . وتكلم أيضاً عن نشأة ابن تيمية وأبان أنه تربى فى أسرة متدينة راسخة فى العلم والمعرفة ، وأنه سار على نهج أسرته حتى غدى فقيهاً وعالماً منفرداً فى النبوغ على علماء عصره ، حتى أن الشيخ ابن دقيق العيد قال عنه بعد اجتماعه به : رأيت رجلا ساد العلوم بين عينيه يأخذ ماشاء منها و يترك ماشاء . . كما تكلم عن جهاد ابن تيمية ضد أعداء وطنه من التتار والفرنج وخروجه لقتالهم . ثم عن جهاده ضد خصومه فى العقيدة من من أهل بلده ، و إفحامه إياهم بالحجة والبيان ، ومواقفه الجريئة فى مناصرة الحق ومحاربة البدعة . . ثم عن المحن والشدائد التى تعرض لها ابن تيمية بفعل هؤلاء الخصوم . . كما تكلم عن منهج ابن تيمية فى الدين وكيف أنه اعتمد فى منهجه على كتاب الله وما صح من أحاديث رسوله « صلوات الله عليه » ثم على آراء السلف الصالح . . وأنه فتح باب الاجتهاد والبحث وسار على هذا الطريق . . وأنه لم يلجأ إلى التعصب والجمود كما فعل معاصروه من العلماء والعامة الذين ساروا وراء التقليد زمناً طويلا .

أما القسم الثانى فقد تكلم فيه عن آراء ابن تيمية فى الدين والحياة ، وفى الفقه وأصوله ،

وأنه ألف كتباً ورسائل[1] فى مختلف النواحى والأمور التى تهم المجتمع الإسلامى . والتى تعد الآن من المراجع الهامة فى الشرائع والأحكام .

لقد حوى الكتاب بين دفتيه كل هذه النواحى العظيمة من حياة الشيخ ، فأعطى بذلك للقارىء ـ الباحث عن الحق ـ فكرة صادقة عن حياة ابن تيمية بالقدر الذى سمح به حجم الكتاب . فإن حياة الشيخ تحتاج فى الحقيقة إلى مجلدات ضخمة لتكون وافية بحقه .

تحية للدكتور على مابذل من مجهود شاق كبير فى إخراج هذا الكتاب . وشكراً له على موقفه المنصف تجاه هذا العلم والرائد العظيم . وجزاه الله خيراً .

* * *

المرأة ومساواتها بالرجل

كتبت الدكتورة لطيفة الزيات كلمة بصحيفة الأهرام تناولت فيها موضوع المرأة ومساواتها بالرجل ، وما يجب أن يكون للمرأة من كيان مستقل . وسوف نذكر هنا بعض ما كتبته الدكتورة لأننا نرى فيه أهمية عن غيره مما كتب . قالت : إن نظرة المجتمع إلى المرأة فى الوقت الحالى نظرة إقطاعية . وأن المرأة تجد نفسها فى موقف التبعية ، وأن العلاقات التى تجمع بين الرجل والمرأة فى ظل التبعية أبعد ماتكون عن علاقات الحب الحقيقى . وأن نصف المجتمع معزول عن المجتمع فى دائرة التبعية التى تحرم المرأة من الكيان الشخصى .

ثم قالت : إن سلبية المرأة لن تنتهى إلا إذا انتهت التبعية وشعرت المرأة بأنها شىء آخر أكثر من مجرد أنثى . وأنها متساوية مع الرجل تمام المساواة . . الخ .

ثم عادت الدكتورة فكتبت مقالا فى باب « مع الناس » بالمساء يدور حول نفس

---

(١) قال الذين ترجموا لابن تيمية أن مؤلفاته فى التفسير والفقه والفتاوى والردود على خصومه وكلامه فى غير ذلك من شتى المسائل التى كانت تعرض له أو تعرض عليه . بلغت هذه المؤلفات ٥٠٠ مجلد .

موضوع المرأة . . وأضافت إلى ما كتبته بالأهرام . أن تحرير المرأة يبعث قيما أخلاقية جديدة . كما أخذت تكثر من ترديد كلمة التبعية . والتخلف والعبودية والتحرر والمساواة التامة . وتسهب فى الكلام عما ورد فى الميثاق الوطنى من وجوب مساواة المرأة بالرجل وإسقاط بقايا الأغلال عن المرأة . .

«اهرام ومساء يوم ٣-٦-١٩٦٢».

هذا ما ورد فى كلمتى الدكتورة لطيفة الزيات حول موضوع المرأة . ومن غريب الأمور أن يتاح للدكتورة الكتابة فى يوم واحد فى جريدتين – صباحية ومسائية — حول أمر تعلم هى وإشياعها أنه باطل من أساسه . بينما أهل الحق لا يجدون من يعطيهم سطراً واحداً فى صحيفة ليردوا – بكلمة حق — على هذه الكاتبة أو غيرها ممن يكتبون فى الصحف ويروجون للباطل .

وواضح من كلام الكاتبة إنها تريد أن تتمرد على الحقائق الدينية . وأن تكفر بأنوثتها وتكوينها الذى خلقها الله عليه .

ونحب أن نقول لهذه الكاتبة وغيرها . إن دور المرأة يختلف عن دور الرجل فى الحياة . فإن الله تعالى خلق الرجل وكونه ليعمل خارج البيت بحسب هذا التكوين وكذلك خلق المرأة وخصصها للعمل داخل البيت لترعى فيه شئون أولادها وزوجها . فقال تعالى فى شأن المرأة (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى . . الآية ٣٣ : الأحزاب) والله تعالى لم يأمر المرأة بذلك إلا لأنه يعلم أين مصلحتها ومكانها .

وفى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أرادت بعض النساء أن يخرجن مع الرجال فى غزوة ليقاتلن ويتساوين فى الأجر . فنهاهن الله عن هذا التمنى بقوله تعالى (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله الآية ٣٢ : النساء)

فإذا تبين لنا أن الله حدد لكل من الرجل والمرأة مكانه الذى يتفق مع طبيعته وجدنا أنه سوى بينهما فى فضل العمل والجهاد . روى أنس (رضى) أن بعض النسوة قلن يارسول الله : ذهب الرجال بالفضل والجهاد فى سبيل الله فما لنا من عمل ندرك

به عمل المجاهدين فى سبيل الله ؟ : قال « من قعدت منكن فى بيتها فإنها تدرك عمل المجاهدين فى سبيل الله تعالى » .

ولقد كانت المرأة مهيضة الجناح فى الجاهلية . فلما جاء الإسلام رفع شأنها وأكرمها وحدد لها مكانها الذى يلائم أنوثتها وجعل لها حقوقا وفرض عليها واجبات متساوية مع هذه الحقوق فقال تعالى (ولهن مثل الذى عليهن . . الآية ٢٢٨ : البقرة)

إننا لا ندرى ماسر النزعة الخبيثة التى تريد للمرأة أن تمزق ثوب حيائها ، وتخرجها عن أنوثتها بحجة المساواة التامة بالرجل لصنع الحياة ؟! . هل الذى خلق المرأة وألزمها البيت كان يجهل – وتعالى الله عن ذلك – إن وجود المرأة فى البيت لا يصنع الحياة !! : ثم لا ندرى كيف ترتفع هذه الصيحات الآثمة بالمساواة التامة والله قد جعل للرجل القيادة والزمام بقوله تعالى (ولهن مثل الذى عليهن وللرجال عليهن درجة . .) كما أن الرسول عليه السلام أخبر عن مسئولية الرجل – المادية والأدبية – « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته . »

إن هذه الكاتبة وأمثالها يعتبرون شرع الله تقييداً للمرأة وتخلفا لها . ويعتبرون أيضاً أن مسئولية الرجل عن زوجته – كما أخبر الكتاب والسنة – تبعية وعبودية . هذه هى نظرتهم إلى شرع الله ، وإلا فماذا يريدون بهذا التحدى والتعالى على آيات الله ونظمه ؟ .

وهناك أصوات خيّرة سمعناها – ولا نزال نسمعها – تنادى بأن تلزم المرأة بيتها لتربية النشء . فسبق أن جاء فى توصيات المؤتمر [1] الذى عقد بلندن وحضرته عدة دول لبحث « عودة المرأة إلى بيتها » . إن الأم هى ركن الأسرة الإيجابى ، وأن سعادة الأسرة أوشقائها يتوقف على المرأة .. الخ.

---

(١) نشر خبر هذا المؤتمر بصحيفة الجمهورية ١٠-٦-١٩٦٢

وصرحت[1] كاتبة أمريكية تجوب البلاد العربية لدراسة مشاكل الشباب والأسرة فيها . صرحت بعد أن أمضت شهراً فى البلاد فقالت : إن على العرب ألا يأخذوا بالإباحية الغربية . وأن الفتاة العربية يجب أن ترجع إلى الحجاب ، فهذا خيراً لها من انطلاق ومجون أوروبا وأمريكا . ثم نصحتنا بمنع الاختلاط . لأن الحرية والإباحية فى المجتمع الأمريكى هدد الأسر وزلزل القيم والأخلاق .. الخ

هذه توصيات المؤتمر الذى عقد بلندن والذى ضم دولا لا تدين بالإسلام . ولكن أعضاءها أقروا الواقع الذى لا ينكره إلا كل مكابر . وهو ضرورة لزوم المرأة بيتها . وهذا أيضاً رأى سيدة أجنبية لمست حياتنا المعوجة عن كثب . ونصحت بعدم تقليد أوروبا فى مجونها وانحلالها . أوربا التى نزعم نحن أنها منبع الحضارة والتقدم !!

ومن المؤلم أنه فى الوقت الذى تعترف فيه الكاتبة الأمريكية بأن الحرية والاختلاط هدد الأسر وزلزل القيم فى أمريكا . تزعم كاتبتنا العربية فى مغالطة وفهم معكوس أن تحرير المرأة من مبادئ الإسلام يبعث قيما أخلاقية جديدة ! !

إن الذين لمسوا تجربة الاختلاط والإباحية اعترفوا صراحة بأن ماهم فيه من انحلال وتدهور أخلاقى وأدبى قد زلزل القيم وهدد الأسر ، أما نحن فعلى الرغم من أننا نعانى الكثير من الاختلاط والإباحية فلا نريد أن نعترف بهذا الواقع بل نكابر ونجحد ونقول إن المساواة التامة تبعث قيما أخلاقية جديدة.

***

رأى في الطرق الصوفية

فى باب « صور وراء الأخبار » نشر المصور كلمة للأستاذ حسن جودت تحت هذا العنوان ذكر فيه موقفه السابق من الطرق الصوفية ثم موقفه الحالى منها على ضوء ماتوصل

---

(١) نشر هذا التصريح بصحيفة الجمهورية يوم ٩-٦ - ١٩٦٢

إليه من حقائق تشجعه على الجهر بما يعتقده فى الصوفية. وذكر الأستاذ جودت المصادر التى جعلته يجهر برأيه فى الصوفية وهى :

مقال ورد « بمجلة الوعى الجديد » التى تصدر عن معهد الزقايق الدينى بعنوان « الإحسان والتصوف » يقول فيه كاتبه . أن التصوف ليس من الإسلام فى شىء . وأنه لم يرد فى كتاب ولا سنة . وأنه أدخل فى الإسلام تعاليم يونانية وهندية وفارسية وثنية . وأنه فرق المسلمين طرائق خلافا لقوله تعالى (وأن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .

باب ورد فى كتاب « الجزائر العربية عن الطرق الصوفية فى الجزائر وكيف كان الاستعمار يشترى مشايخ الطرق ، بالمال ليكونوا أدوات له . يخمد بها الثورات التحريرية بالجزائر منذ ١٣٠ سنة .

كتاب لأديب جزائرى عن « الحركة الأدبية فى الجزائر » لا يزال تحت الطبع يشرح فيه مؤلفه جناية الصوفية على حركات التحرير الجزائرية ، وضلوعها مع الاستعمار ويقول فيه أن رجال الطرق شوهوا الدين وألبسوه لباساً مزريا ، واستغلوه لأغراضهم الخاصة . وطبقاً لسياسة استعمارية قذرة انتشرت الزوايا بشكل فظيع فى الجزائر . فكل قرية لها ولى صالح وكل مدينة لها أولياء صالحون ، وكان الإستعمار يشد أزر دعاة هذه الدعوة .

ويذكر الأستاذ جودت المصدر الرابع مادرسه فى معهد العلوم السياسية من أن الطرق الصوفية كانت عون الاستعمار فى السيطرة على الدول العربية والإسلامية .

ثم يختم الأستاذ جودت كلامه بأنه سيتعرض لحملة قاسية بسبب كلمته عن الصوفية . ولكنه مستعد لتحمل قسوتها مادامت ستظهر الحقيقة . كما أنه فى انتظار الساعة التى تشيع فيها الطرق الصوفية إلى نفس المكان الذى شيعت إليه المحاكم الشرعية .

المصور يوم ٧ - ٦ - ١٩٦٢

هذه كلمة حق جهر بها الأستاذ صالح جودت بعد أن ظلت حبيسة فى صدره زمناً طويلا .
وبهذه المناسبة نحب أن نقول إن إظهار الحق يدعونا إلى أن نضيف إلى ماقاله الأستاذ جودت أدلة أخرى تبين للناس نشأة الصوفية وحقيقتها وتدفع رجالها ـ العارفين بالله ـ بافساد عقائد الدين الصحيحة . و بالخيانة الآثمة الشنيعة للوطن . . بل ولـكل وطن عربى

أولا — سجل المؤرخ ابن خلدون فيما سجله من حقائق التاريخ عن التصوف قال : التصوف من العلوم الحادثة فى الملة . وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع عن العمل .

ثانياً — جاء فى قاموس القرن العشرين عن كلمة « صوفى » مامعناه : صوفى كلمة مشتقةمن الكلمة الاغريقية «سوفوس» بمعنى الحكيم

ثالثاً — قال المحققون عن التصوف إنه مزيج من الدين والفلسفة الاغريقية الوثنية وتأييداً لهذا سبق أن قال الأستاذ أنور السادات فى كلمة له نشرت بالعدد الأول من مجلة (الإسلام والتصوف) : إن الذين مزجوا الدين بالفلسفة قوم خارجون عن الدين .

رابعاً — المعروف أن التصوف نشأ فى الهند وقام على مبدأ الجوع والفقر والزهد والهروب من عالم الواقع إلى عالم الخيال والتوهم .

وقد أخذ التصوف ينتشر على هذه الصورة المنافية للإسلام حتى وصل إلى اليونان ، ومن هناك تسربت إلينا كلمة التصوف عند ماترجمت الكتب اليونانية إلى العربية فى عهد العباسيين .

هذه هى حقيقة التصوف وقصة نشأته ، وسنذكر للقارىء الكريم جانباً من أدوار الصوفية المؤسفة التى قامت به ضد الدين وكيانه ، وضد الوطن وأبنائه كما يرويها التاريخ .

عند مادخل نابليون الأراضى المصرية عام ١٨٨٢ م أراد أن يستميل إليه الشعب ليرضى عن حكمه ، وعلم نابليون بميول الشعب للجوانب التى تتصل بالدين . فرأى أن

يستميله من هذه الجوانب ، وعلم أيضا أن الاحتفال بالمولد النبوى لم يقم لظروف طارئة ، فاستدعى إليه الشيخ خليل البكرى[١] وقلده نقابة الأشراف ، وأعطاه ٣٠٠ ريالا فرنسية وأمره بإقامة الحفلات والزينات للمولد النبوى .

وتظاهر نابليون بأنه سيعتنق الدين الإسلامى واستطاع أن يجذب بعض مشايخ الصوفية لترويج هذه الدعاوى الكاذبة ، وطلب منهم أن يصدروا منشورات بوصفهم رجال دين ليخضع له الشعب ويطيعه . . وهكذا استعان نابليون الطرق الصوفية فى تثبيت أقدامه بمصر[٢] .

ويحكى لنا التاريخ أيضا عن دور الصوفية المخجل فى المعارك الوطنية التى خاضها الشعب ضد المحتل . فنى عام ١٨٨٢ م كان عرابى يقف بجيشه عند التل الكبير فى انتظار قتال العدو ، وزحفت القوات البريطانية نحو التل الكبير تمهيداً لاحتلال القاهرة . وصارت كتائب قواتها على مسافة ١٥٠ ياردة من طلائع الجيش المصرى عند التل الكبير .

وعند الفجر فوجئت القوات المصرية بهجوم العدو عليها ، إذ كانوا نائمين بعد أن سهروا فى حفلة ذكر من أرباب الطرق الصوفية ، فاستيقظوا على صوت البنادق وحركات الجنود فأحاط العدو بهم وحدث ماحدث[٣] .

هذه هى حكاية التصوف مع وطننا ، ومع كل وطن عربى . ونحن نؤيد الأستاذ جودت فى موقفه الجرىء من التصوف ونقول له : إننا أيضًا منتظرون معك الساعة التى تذهب فيها الطرق الصوفية عنا — بباطلها وخذلانها — إلى غير رجعة ويومها سيستريح الإسلام من هذه الفئة الضالة التى أضرت بكيانه ، وكانت سبباً فى تأخر المسلمين وضعفهم وهوانهم .

سعد صادق محمد

---

(١) خليل البكرى هذا من عائلة « السادة البكرية » وإلى عهد قريب كان أحد رجالها شيخاً لمشايخ الطرق الصوفية قبل أن يأتى شيخها الحالى .

(٢) راجع كتاب فتح مصر أو نابليون بونابرت للأستاذ أحمد حافظ عوض ص ١٥٣ وما بعدها .

(٣) راجع كتاب « الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزى » للمؤرخ العربى الأستاذ عبد الرحمن الرافعى .

الإسلام.... والتابعى

نشرت جريدة أخبار اليوم فى عددها الصادر يوم السبت الموافق ٩ يونيو سنة ١٩٦٢ فى صفحتها الأخيرة مقالا للأستاذ التابعى عنوانه « هل حرية العقيدة معناها أن نفرضها على غيرنا » وكان سبب هذا المقال ماحدث بين الشيخ الغزالى و بين الصحفيين . حول إعطاء المرأة حقوقها وحول الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد تعرض فى مقاله هذا إلى إباحة الخمر واعتباره هذه الإباحة مماتدخل تحت نظرية الظروف المخففة .

واحتجاجه للإباحة بأن ذلك مما ينفع لجلب السياح إلى بلدنا وهم لو علموا أنه ليس فى بلدنا خمر فلن يقربوها . والحكومة تبذل من مالها وجهدها كثيرا لجذب السياح إلى بلدنا فكأن الذى يعمله الدكتور عبد القادر حاتم وهو الذى يمثل الحكومة . يفسده الشيخ الغزالى ،وهو الذى يمثل الدين . وسبب ثان من أسباب إباحة الخمر فى نظره . هو أن فى بلدنا مليونين ونصف من غير المسلمين لا تحرم عليهم الخمر . فهل من العدل أن نفرض عليهم ما ليس عندهم بفرض . أو أن نجبرهم على تحريم شىء هو ليس عندهم حرام . ثم خلص من ذلك إلى الغمز فى شرائع الإسلام والطعن عليها . فهو يقول بعد ما تقدم : بقى على الشيخ الغزالى أن يطالب بقطع يد السارق ورجم الزانى وخزق عين من خزق عين آخر . كما ورد ذلك فى الشريعة الغراء . هكذا قال التابعى بالنص . وقوله خزق العين إلى آخره والتعبير بهذا اللفظ العامى وقوله بعد ذلك تعقيبا على ذلك كما وردت بذلك الشريعة الغراء : كل هذا يفهم منه صراحة أنه يسخر بهذه الحدود و بهذه الشريعة : فهى شىء مستهجن عنده .

ونحن لا يعنينا شخص التابعى ، ولا من شايعه من أوشاب الملاحدة وأعداء الله ورسله . ولكن يعنينا أن نهتم بأنفسنا فنرى هل أصابها من هذا القذر شىء . فإننا لا نستطيع أن نمنع الحمار أن يبول فى أى مكان، ولكن نستطيع أن ننظر : هل أصابنا من بوله وقذره شىء فنطهر ثيابنا منه . ولهذا قصدنا و إليه أردنا والله المستعان .

نرد على الشبهة الأولى . وهى قوله : إن بلدنا يجيئها السياح . هذا القول باطل فإن المادة وحدها ليست هى الميزان الذى نزن به الأمور . ولو كانت الرغبة فى العملة الصعبة هى سبب تحليل ما حرم الله . لكان علينا أن نقدم أى شىء عندنا عزيز من أجل الحصول على العملة الصعبة . ونسمح لأمريكا أن تستعمرنا وهى التى تملك العملة الصعبة .

ولو كان لنا شخصية إسلامية لكان ذلك خير لنا من العملة الصعبة . بل لجاءتنا العملة الصعبة وهى راغمة

ونرد على الشبهة الثانية ، وهى قوله : إن فى البلد مليونين وأكثر لا يدينون بالإسلام إلى آخر ماقال .

ونقول لأنفسنا والذين يعقلون ؛ إن فى البلد مليونين أو أكثر أيضا يدخنون الحشيش ويأكلون الأفيون ، فهل من العدل أن نضيق عليهم ونحرمهم من شىء يحبونه . !! إن الله سبحانه حين شرع للناس شرعًا يعلم سبحانه أن الناس أصحاب أهواء وشهوات لا يستطيعون أن يضعوا لأنفسهم نظاما يسعدهم ، ولا يستطيعون أن يتحكموا فى أهوائهم وشهواتهم ولا يعرفون موضع الخير والشر . وإن عرفوهما فلن يفعلوا الخير ولن يحجموا عن الشر إلا بسلطان . إلا القليل منهم — لذلك وضع نظامًا وأقام به دولة تنفذه ، ولا يكابر أحد مسلمًا وغير مسلم أن الخمر إثمها أكبر من نفعها وضررها أكبر من خيرها ، وصاحب أمر الناس مطلوب منه النظر إلى مايصلح الناس الذين ولاهم الله عليهم ويصرف نظره عن أن هذا يعجبهم أو لا يعجبهم فإن أكثر الناس لا يعجبهم شىء ، فإن الله سبحانه يقول : (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) فهذه شبهة باطلة .

ونرد على الشبهة الثالثة ؛ وهي قوله : كأن الغزالى يريد أن يقول بقطع يد السارق ورجم الزانى إلى آخر ماقال .

ونقول لأنفسنا : وماذا لو تم ذلك وخزقت عين من خزق عين غيره : إن هذا هو

العدل الخالص الغير مشوب بظلم . وإن الذين كانوا يقطعون يد السارق ويرجمون الزانى ويخزقون عين من خرق عين غيره كانوا بسبب ذلك سادة لدنيا ومصابيح الهدى وغرة فى جبين الدهر . والذين استبدلوا قطع يد السارق ورجم الزانى ، وفقأ العين لمن فقأ عين غيره بالسجن لم يكونوا سادة فى بلادهم ولا أحراراً فى عقر دارهم ، ولا فضلاء ولا كرماء بينهم ، وإنما كانوا عكس ذلك كله .

فكان الذين يعدلون عن هذه الشرائع إنما يعدلون عن العزة إلى الذلة ، وعن الكرامة إلى المهانة ، وعن الحرية إلى الاستعباد . وهم ينزلون إلى درك بعيد القاع ويتدلون إلى أسفل . وهم يظنون أنهم يسمون ويعلون مثلهم فى ذلك كمثل الذى لعبت الخمر برأسه فيقول وهو يتمرغ فى الوحل . أنا ملك ، أنا كذا ، أنا كذا .

وختاماً نرجو الله أن يسبغ علينا صبراً وأن يثبتنا على صراطه المستقيم حتى نلقاه . ونذكر قوله تعالى (يا أيها النبى لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) .

ولا نحزن على هؤلاء الذين وصفهم الله بل نصبر وذلك حيث يقول الله : (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون) .

وصلى الله وسلم على النبى الأمى وآله وأصحابه أجمعين .

عبد الحافظ فرغلي

من طرائف الحكمة

الدنيا كالنار ، قليلها متاع وكثيرها بوار .

الدنيا كالماء الملح ، كلما ازددت منه شربا ازددت عطشا .

المتصل بمال السلطان كالسفينة فى البحر ، إذا أخذت منه فى جوفها أخذها فى جوفه .

المصلح فى الأمة كالمصباح فى الصحراء ، لاينشر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمنا .

من نوادر الأعراب

• قيل لأعرابى :

أتحب أن يكون لك مائة ألف وأنت أحمق ؟

قال : لا .

قيل : ولم ؟

قال : أخشى أن يجنى علىّ حمقى جناية فتذهب منى ويبقى حمقى .. !

• وقال أبو جعفر لرجل من البادية :

أما عندكم فى البادية طبيب ؟

فقال : حمر الوحش لا تحتاج إلى بيطار .

من دعوة جماعة أنصار السنة المحمدية :

تلقين الميت والقراءة على القبور

لا ينبغى أن يشك مؤمن يفقه عن الله ورسوله : إن تلقين الميت فى قبره وقراءة يس وغيرها من القرآن على القبر بدعة منكرة بل جهالة فاضحة . تنافى صريح القرآن . بل وتهدم حكمته ومقاصده ، إذ يقول الله فى سورة يس : (لينذر من كان حياً) ولقوله (إنك لاتسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم . إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) .

وهؤلاء الذين يقولون بالتلقين والقراءة على القبور . إنما يقولون تقليداً بلا فهم ولا تدبر . وما أفسد دينهم الناس إلا هذا التقليد الأعمى قبحه الله ، وطهر الأرض منه ، وما زعمه على المالكى[1] حديثاً يدل على عظيم جهله بالحديث بل وبالقرآن . فإن هذا لا يشك من له أدنى معرفة بالحديث أنه من وضع محترفى القراءة على القبور ترويجاً لضلالهم واتخاذهم آيات الله هزواً ، ولا ينبغى لمسلم مؤمن بيوم الحساب أن يعتمد على يرويه مقلدة الفقهاء ولا الصوفية فى كتبهم من الحديث فإنهم من أبعد الناس عن السنة ، وإنما يلتقطون ما وافق أهواءهم ولو كان كذباً على الله ورسوله .

---

(١) الحديث الذى ذكر على المالكى فى كتابه كفاية الطالب الربانى أنه صلى الله عليه وسلم قال « ما من ميت يقرأ عند رأسه يس إلا هون الله تعالى عليه » .

العدد ٣ ربيع الأول
المجلد ٢٧ سنة ١٣٨٢

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

٣٠ مليما

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

الفهرس

المركز العام

اجتمعت الجمعية العمومية فى المركز العام للجماعة مساء يوم السبت ١٩ صفر سنة ١٣٨٢ الموافق ٢١ يوليو سنة ١٩٦٢ برئاسة فضيلة الاستاذ الرئيس العام الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، وقد غصت الدار بالسادة الأعضاء فرحب بهم الاستاذ الرئيس مفتتحا الاجتماع . ثم عرض السكرتير العام أعمال مجلس الإدارة فى العام الماضى والمقترحات التى تقدم بها بعض الأعضاء وعرض أمين الصندوق حساب الإيرادات والمصروفات والميزانية العمومية ثم تحدث الاستاذ عبد اللطيف حسين وكيل أول الجماعة فرد على ملاحظات بعض الأعضاء بالإيضاح والبيان ثم ختم فضيلة الاستاذ محمد خليل هراس نائب الرئيس الاجتماع بنصائح قيمة . ثم أجريت عملية انتخاب المجلس الجديد . كما جددت الجمعية العمومية اختيار السيد / الاستاذ مصطفى عبد الجواد مراقبا ماليا للجماعة . وقد تم تشكيل مجلس الإدارة على الوجه الآتى :

١ - فضيلة الاستاذ عبد الرحمن الوكيل رئيسا عاما
٢ - فضيلة الاستاذ محمد خليل هراس نائبا للرئيس
٣ - الاستاذ عبد اللطيف حسين وكيلا أول
٤ - الحاج سيد محمد رضوان وكيلا ثان
٥ - السيد / سليمان رشاد محمد سكرتيرا أول
٦ - السيد / سليمان حسونه أمينا للصندوق
٧ - « / سيد محمد متولى سكرتيرا ثانيا ومراقبا
٨ - « / محمد سليمان فضل مساعد أمين الصندوق
٩ - السيد رشاد الشافعى مشرفا على الفروع
١٠ - السادة / محمد رشدى خليل واحمد طه نصر ومحمد صالح سعدان وشاكر عبد العليم القمبشاوى وابراهيم محمد قنديل وأمين محمد أسحق وحسن محمد كرار وصابر أحمد ابراهيم أعضاء ؟

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقي

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل

الاشتراك السنوى
٣٠ قـ في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ – في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٣ — ربيع الأول سنة ١٣٨٢ — المجلد ٢٧

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جلّ ذكره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا .

قَيِّمًا ؛ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ ، وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الذين يعملون الصالحاتِ أَنَّ لهم أجرًا حسنًا .

مَا كِثِينَ فيه أبدًا .

وَيُنذِرَ الَّذِين قالوا : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا .

مالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ، ولا لِآبائِهِمْ . كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ . إِنْ يَقُولُونَ إلاَّ كَذِبًا . فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ – إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بهذا الحديثِ – أَسَفًا .

إِنَّا جَعَلْنَا ما على الأرضِ زِينَةً لها ؛ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً .

وإنَّا لَجَاعِلُونَ ما عليها صَعِيداً جُرُزًا . ﴾ « الكهف من ١ — ٨ »

« معانى المفردات »

« عِوَجًا » أصل هذه الكلمة يدل على مَيَلٍ فى الشىء ، أو مَيْل ، ومن العوج ما يُدْرَكُ بالبصر ، ومنه ما يدرك بالبصيرة ، وليس فى القرآن عوج ؛ إذ ليس فيه اختلاف ولا تناقض .

« قَيِّمًا » ثابتاً مقوماً لأمور المعاش والمعاد ، ومهيمنا على سائر الكتب الإلٰهية ومصدقا لها ، وشاهدا بصحتها ، ثم هو فى نفسه قيم بمعنى أنه ليس فيه عوج .

« بأساً » البأس : الشدة .

« لَدُنْه » من لدنه : من عنده .

« إنْ يقولون » : ما يقولون .

« باخع » : البخع : قَتْلُ النفس غما .

« أسفا » الأسف : المبالغة فى الحزن والغضب .

« صَعِيداً » : يقال لوجه الأرض : صعيد ، ويقال للغبار الذى يصعد أيضا .

« جُرُزًا » : منقطع النبات من أصله . وعن الأصمعى : الأرض المجروزة التى لم يصبها المطر ، أو التى أُكِلَ نباتُها . ويقال : جرزت الشىء : قطعته .

« المعـــــنى »

من رحمة الله بعباده أنه ـ سبحانه ـ علمهم كيف يحمدونه ، فلا تزل بهم العقول فى مدحه ، ولا تضل ، فتحمد سواه ظانَّةً أنها تحمده ، أو تسبه ـ جل شأنه ـ زاعمة أنها تثنى عليه .

كما أنه سبحانه بين لهم أسباب حمده ، وهى أسباب حق وصدق لا يمارى فيها إنسان به مسكة من عقل ، أو لديه أثارةٌ من هدى الفطرة .

أسباب حمد الله : حمده ـ سبحانه ـ على ربوبيته ، وصفات هذه الربوبية التى كان المشركون أنفسهم يؤمنون بأنها لله وحده لا يشركه فيها أحد . وقد نص الله على هذه الصفات التى جعلها من أسباب حمده فى كثير من الآيات (الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين).

(الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور) .

(الحمد لله الذى لم يتخذ وَلَداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل) .

(الحمد لله الذى نزّل على عبده الكتاب) .

(الحمد لله الذى له ما فى السموات والأرض ، جاعلِ الملائكة رسلا) .

(فَلِلَّه الحمدُ رب السمواتِ ، ورب الأرض ، رب العالمين) .

فالحمد لله على ربوبيته ، وعلى ما تتصف به هذه الربوبية ، فهو الخالق الذى بيده ملكوتُ السموات والأرض ، وهو الرحمن الرحيم . ولا يزعم أحد سوى الجاحد الحاقد أن لله شريكا فى صفاته هذه ، وحسبك أن المشركين أنفسهم كانوا يقرون أن هذه الصفات كلها هى لله وحده . وقد ورد هذا فى كثير من الآيات القرآنية .

حمد مطلق وحمد مقيد : وقد ورد حمد الله فى القرآن مطلقا فلا ترد بعده صفة تبين سببه ، وورد مقيداً بصفات ربوبيته التى تبين أسباب هذا الحمد ، وقد ذكرتُ بعض الآيات التى تدل على هذا .

أما آيات الحمد المطلق ، فكقوله ـ سبحانه ـ : (قل : الحمد لِلّه وسلام على عباده الذين اصطفى) (قل الحمد لله . بل أكثرهم لا يعلمون) .

حمده لأسباب خاصة : وكما علمنا سبحانه أن نحمده لنعمه الخاصة التى ينعم بها علينا ، كقوله سبحانه ـ قاصًّا قول إبراهيم : (الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق)

وكقوله سبحانه قاصًّا قول سليمان وداود : (وقالا : الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) .

أوقات حمده : كما بين — جل شأنه — الأوقات التى يحسن فيها حمده : (وسَبِّح بحمد ربك قبل طُلوع الشمس ، وقَبْل غروبها) (وسَبِّح بحمد ربك بالعشِيِّ والإبكار) (وسبح بحمد ربك حين تقوم) .

وجوب حمد الله فى أول الأمر وآخرته : يجب البدأ بحمد الله سبحانه حين نبدأ فى عمل وحين ينتهى منه : اقرأ قوله سبحانه : (له الحمد فى الأولى والآخرة) ،

لا تظن أنها قاصرة على الدنيا والآخرة . بل افهم فيها أنها تدعوك إلى حمده فى الأولى والآخرة ، فابدأ به نهارك ، واختم به ليلك ، وإذا كان الله قد نص على أسباب حمده ؛ فلكى يبين لعباده أنه سبحانه هو وحده المستحق للحمد ، فلا يجوز أن يحمد سواه ، فما للوجود من خالق ، أو فاطر ، أو رازق سواه سبحانه [1]

ثم هو قد بين كيفية حمده ، وأوقات حمده ، فلم لا يُحْمد سبحانه ؟!

بين خاتمة الإسراء و بداية الكهف : لقد ختمت سورة الإسراء بحمد الله سبحانه (الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل) وبدئت سورة الكهف بحمده سبحانه على أنه نزّل الكتاب على عبده ، نختم بالحمد ، و بدأ بالحمد ،فإن له سبحانه الحمد فى الأولى وفى الآخرة .

ومتعلّق حمده سبحانه فى ختام سورة الإسراء هو ربوبيته فى وحدانيتها وجلالها وهيمنتها وقهرها لكل شىء .

---

(١) تزعم البهائية — مقلدة فى هذا الباطنية — أنه لا يجوز أن ينسب إلى الله أنه خالق أو رازق إلا حين يتعين فى جسد بشرى ، وحينئذ يقال عن هذا الجسد البشرى إنه هو الخلاق الرازق المقتدر ! !

ومتعلق حمده فى أول سورة الكهف هو أنه نزل الكتاب على عبده .

إنه ـ جل شأنه ـ هو الرب الواحد كما بينت سورة الإسراء ، ولا بد أن تكون لهذه الربوبية الألوهية ، والإله يجب أن يُعْبَد ؛ ولهذا بين الله فى أول سورة الكهف أنه يجب أن يحمد ؛ لأنه بيّن لعباده كيف يعبدونه .

ونزول الكتاب على خاتم النبيين أعظم نعمة أنعم الله بها على هذه الأمة ، وقد وصف الله كتابه فى هذه الآيات نفسها بما يبرز قيمة هذه النعمة وجلالها الأعظم . وقوله : أنه أنزله على « عبده » فيه هُدًى يشرق به عقل المؤمن وقلبه ، فاصطفاء الله لبَشَرٍ قد يدعو صاحب العاطفة المسرفة إلى الظن بأن هذا البشر ليس إلا إلٰهاً فى صورة بشر ، أو لعله من جنس آخر لا ينتسب إلى البشرية إلا بظاهره .

ولهذا كفر الذين يجحدون بقدرة الله ورحمته برسالة الرسل ؛ إذ زعمت عقولهم أن الربوبية لا يمكن أن تتصل بالبشرية ، أو أن الألوهية يستحيل أن تكلم الإنسانية . وعن هؤلاء يقول الله : (وما مَنَعَ الناسَ أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلاّ أن قالوا : أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رسولاً ١٧ : ٩٤) وكانت قالةُ الكفر من هؤلاء أيضاً كما يقص الله : (فقالوا : أبشرًا منا واحداً نَتّبِعُهُ . إنّا إذاً لفى ضَلالٍ وسُعُر ٥٤ : ٢٤) .

هؤلاء كانوا صرحاء فى كفرهم ؛ إذ زعموا أن جلال الله يحول بينه و بين أن يكون له رسول من خلقه .

وثمت فريق آخر زعم أن الرسول لا يمكن أن يكون بشراً ؛ لأن الله يستحيل أن يكلم بشراً !! ونظروا إلى الرسل نظرتهم إلى آلهة يمشون فى الأرض متلبسين بهيا كل بشرية .

كما ظن النصارى بعيسى ، وكما ظنت الصوفية بمحمد .

قالت الصليبية : إن عيسى هو ابن الله ، أو هو الله .

وقالت الصوفية : إن محمداً هو حقيقة الله فى باطنه . بل إن محمداً هو الوجودُ والموجد والموجود ! ! ولسنا بحاجة إلى ذكر نصوصهم ؛ فقد ذكرنا عشرات النصوص . وكل

ما أتمناه أن تتخلى الصوفية مرةً ! ! مرة واحدة فقط عن جبانتها ، فتعترف بعقيدتها اعترافاً صريحاً جلياً ! ! تعترف بأنها صوفية ، وليست إسلاماً ! !

لهذا جاءت كلمة « عبده » فى هذه الآية مناراً شمَّاعاً متوهجاً على الطريق مُبَدِّدًا بضوئه المشرق ظلمات هذا الباطل كله . لقد بدأت سورة الإسراء بذكر هذه العبودية : (سبحان الذى أسرى بعبده) وبدأت سورة الكهف أيضاً ، ليهدينا الله أن نبيه محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو هو فى بشريته وعبوديته فى أشرف حالاته وأعز مقاماته . ما كان فى الإسراء إلا عبداً وما كان وقت إنزال الكتاب عليه إلا عبداً ، وإذا كانت عبوديته لم تفارقه لحظة واحدة فى هذين المقامين أو الحالين العظيمين ، فمتى كان إلهاً ؟..

صفة القرآن : وصف الله كتابه بصفتين تؤكد إحداهما الأخرى ، وقد أثبت واقع البشرية فى أسمى آفاقها الحضارية أنه لم يتحقق لكتاب واحد من كتبها التى ألفتها أثارة من هاتين الصفتين .

هاتان الصفتان هما : ليس فى القرآن عوج ، وأنه قَيِّم . ما فى القرآن تناقض ، ولا اختلاف . عقيدة سَوِيَّة . وشريعة سَوِيَّة وخلق سَوِىٌّ وبيان سَوِىٌّ . التطابق كامل تام بين ما يدعو إليه من عقيدة ، وما يدعو إليه من شريعة ، وما يدعو إليه من أخلاق ، وقد جاء البيان عن العقيدة والشريعة والأخلاق بياناً أعجز قرون البلغاء والفصحاء وما ثم فوق ما دعا إليه من عقيدة أو شريعة أو أخلاق شىء آخر ، وهل بعد الكمال فى أسمى معانيه كمال آخر ؟ .

والله يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم) فهل تحتاج البشرية إلى شىء آخر بعد هذا الكمال الذى من به الحكيم الخبير . وقد أكد الله هذه الصفة المميزة لكتابه فى قوله سبحانه : (ولو كان من عند غير الله ، لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ٤ : ٨٢) وكتب البشر وقوانين البشر تتعثر فى التناقض الحادّ البين ، ولسنا فى مجال التفصيل ، ولكن

حسبك أن أعظم المؤلفين قد يغير كثيراً مما كتب ، وهو فى التجربة الثانية من طبع كتابه . بل قد يمحو فى الأصيل ما كتبه فى الظهيرة ! !

وكتاب الله قيم : إذ ليس فيه عِوَج ، ثم هو يقوِّم كل معوج ، يجعل من عقيدتك استقامة يحبها الله ، وكذلك من سلوكك ، بل يجعل من حياتك كلها فى ظاهرها وباطنها حياة قيمة حياة مستقيمة ولها قيمة كبرى فى ميزان القيم الرفيعة وكتاب الله قيم على كل كتاب .

لقد جعله الله قيما على التوراة والإنجيل وعلى كل ما نزل الله من كتاب ، فلم لا يكون قيِّما على كتب البشر ؟ كتب المذاهب الدينية ، القانونية ، الاقتصادية ، الاجتماعية . كل هذه الكتب يجب أن تُذْعِن وتخضع للحق من كتاب الله الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولا يجوز لامرىء ، ولا لأمة ، العمل بشىء إلا إذا كان هذا الشىء مستمداً من كتاب الله القيم .

العجيب من كفر الحضارة أنه لايبيح الخطأ أبداً فى الكتابة عن المذاهب الأدبية ، ولو أننى نسبت بيتاً من شعر قاله شوقى إلى المعرى لثارت ثائرة الكتاب ، ولا سيما ثائرة الدكتورة بنت الشاطىء ! ! أما إذا قامت الدكتورة داعية إلى جعل « كليوباترا » و « إيزيس » مثلا أعلى للمرأة المسلمة ، فمن البغى والعدوان الثورة على الدكتورة ! !

هذا التنكر لأشرف القيم ، بل هذا الكفر بها مما رمتنا به الحادية الغرب ، وكم للغرب عندنا من بُومٍ ينعب بنعيبه ! !

الحكمة من إنزال الكتاب : وقد بين الله الحكمة من إنزال الكتاب فى قوله سبحانه : (لينذر بأساً شديداً من لدنه) وحسبك وعيداً أن يوصف الجزاء بأنه بأس ، وبأنه شديد ، وبأنه من عند الله . كل كلمة وصفة تثير فى النفس الخوف والرهبة ، وفى القلب الضراعة إلى الله أن يقينا هذا البأس . والنص على أن هذا البأس « من عند الله »

ـ والمعروف أنه من عند الله ـ لتوكيد أنه بأس شديد ؛ لأنه من القوى المقتدر القهار سبحانه ولم يذكر الله هنا المنذَرين ؛ لأنهم سيعرفون بذكر أوصاف الفئة الطيبة الأخرى .

الحكمة الأخرى من الكتاب : (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسنًا ماكثين فيه أبداً) .

هنا ذكر المبشَّرين والبشارة نفسها ، فلا يطمع فى هذه البشارة من ليس من أهلها . وللمبشرين صفة واحدة هنا هى : العمل الصالح . ولن يكون صالحًا إلا بشرطين : أن يكون ابتغاء وجه الله . الشرط الآخر : أن يكون موافقًا لمحبة الله ، أى لما بُيِّن فى الكتاب ، وفُصِّل فى السنة . وحسبنا هذه القاعدة . التى بها نستطيع الفصل بين الخبيث والطيب من العمل . وما دام أصحاب هذه البشارة هم أصحاب العمل الصالح فإن أصحاب الإنذار السابق هم أصحاب العمل الطالح .

الأجر : وقد وصف أجر العاملين صالحًا بصفتين عظيمتين الأولى : أنه أجر حَسَن وأضِفْ إليه أعظم ما تعرف من صفات الحسن ، ثم اعلم أنه أعظم مما أضفت ؛ لأن مَن وصفه بالحسن هو الله المحيط علمه بكل حسن ، والخالق لكل حسن ، والقادر وحده على إبداع كل حسن .

الصفة الأخرى : هو أنه خالد أبدى . فقد قال الله عن أصحاب هذا العذاب أنهم ماكثون فيه أبداً . فلن يستفزهم منه أحد ؛ فما من شىء منه إلا وهو فى يد الله سبحانه .

الذين قالوا اتخذ الله ولداً : ثم خص الله بالذكر طائفة ملعونة من المنذرين وهم أولئك الذين قالوا : إن الله قد اتخذ ولداً .

لقد بهتوه جل شأنه بشناعات . الأولى أن له صاحبة ، والثانية أنه يفنى ، والأخرى : أنه لولده ، وليس لخلقه ! !

والذين وصفوا الله بأنه اتخذ ولدا كثيرون . فمنهم الصليبيون ، ومنهم ـ كما سبق

بيانه ـ الصوفيون ، ومنهم البهائيون غير أن هؤلاء قالوا : إذا كان عيسى هو ابن الله . فإن معبودهم « الميرزا حسين على[1] » الملقب بالبهاء هو الأب . أى هو الله لا ابن الله ! ! .

ونضرع إلى الله أن يعيننا على بيان معتقدات الكفر فى مكان آخر ؛ ليتبين لنا الباطل باطلا والحق حقاً . غير أنى لن أمل من تكرار حقيقة أومن بها تلك هى أن الصوفية شر بدعة رُزِىء بها المسلمون ، فما سواها من كفر صريح بين السمات . أما الصوفية فهى لعنة الكفر وقىء الشيطان تزعم أنها بركة الإيمان ، وروح من الرحمن ! ! .

مالهم به من علم ولا لآبائهم : إن أحط نوع من أنواع الكفر ماجاء عن تقليد لا يعتمد حتى على وَهْمٍ من دليل . وقد وصف الله كفر هؤلاء جميعاً بأنه كفر ناتج عن جهالة ؛ لأن مايقولونه على الله مستحيل ، والمستحيل لا يتعلق به علم ؛ ولأن مايقولونه على الله قالوه تقليداً لآبائهم ، وقاله آباؤهم تقليداً للشيطان ، ولئن سألت ملحداً . لماذا أنت ملحد ؟ ، فإنه لن يعطيك سبباً لإلحاده يحنو عليه العقل بإصفاءة واحدة ! ! .

ولئن سألت صوفياً : لماذا تقول عن محمد : إنه هو الله ، فلن تجد فى جوابه إلا إشارة إلى تقليد ملعون لشيطانه الأكبر ابن عربى وغيره ! ! .

فكفر هؤلاء جميعاً أخَسُّ ، وَأَحَطُّ أنواع الكفر ، فما ثَمَّ له حتى من شُبْهة قد يظنها تنتسب إلى نوع من الأدلة يعطيه الحق فى الكفر ! ! .

ليس معنى الآية — كما قد يتبادر إلى الذهن الشرود — أن كون الله له ولد يتعلق به علم ! ! . كلا ، وإنما المراد بيان خِسّة هذا الكفر ووضاعته ؛ لأنه كفر جهالة مصمتة وتقليد أصم . ولهذا قال : « ولا لآبائهم » فنفى عنهم العلم ، ونفاه عن آبائهم . أى نفى العلم عن أصحاب هذا الكفر جميعاً ؛ لأنه كفر قام — منذ بدأ — على جهالة مطبقة ، وتقليد أعمى

---

(١) هلك من سبعين عاما ! !

للشيطان . تدبر قول الله : (كَمَثَلِ الشيطان ، إذ قال للإنسان أ كْفُرْ . فلما كفر قال : إنى برىء منك . إنى أخاف الله رب العالمين ٥٩ : ١٦) فأساس كفره طاعة عمياء لقول الشيطان ، قال له : ا كفر . فلم يسأله مثلا : لماذا أ كفر ؟ بل كَفَرَ عقب قول الشيطان له هذا !! .

فهو — كما ترى — كفر التقليد الملعون الذى لا يعتمد إلا على أن الشيطان قال له ا كفر ! ! .

« كَبُرَتْ كلمة » وقد وصف الله هذه الكلمة بأنها كلمة كبيرة تثير عجب كل من يستشعر العجب ، كما نَصَّ على مكان خروج هذه الكلمة بقوله « تخرج من أفواههم » — ومعروف أنها كذلك — ليفيد استعظام نطقهم بهذه الكلمة الكافرة . إن هناك كثيراً من كلمات الكفر تَدَمْدِم فى نفس صاحبها أحياناً . ولكنه قد يخاف أن ينطق بها ؛ لقبحها ولعنتها . أما هؤلاء ، فما أعجب شأنهم ، لقد كان كفرهم شديد الوقاحة ساطى الجرأة ، فقد استطاع أن يُرْغم ألسنتهم على أن تتشدق به .

وأين ؟ .

فى المحاريب ؟ .

ومتى ؟ .

فى الأسحار .

يبدأ اليوم بسب الله وشتمه ، وينتهى بذلك ! ! بدلا من حمده فى الأولى والآخرة .

العاكفون على القبور يقولون فى الأسحار : اللهم صل على نفسك ؛ لأنك أنت محمد .

وبهذا يختمون ليلهم أيضاً ! ! .

فكيف نلعن الصليبية وحدها ؟ ! .

ثم أكد الله كذب قولهم بقوله : (إنْ يقولون إلا كذبا) فما لقولهم من صفة واحدة هى الكذب .

كان من الممكن أن يقول : قولهم كذب ، ولكنه جاء بالبيان على هذه الصورة ؛ ليلعن كذبهم بهذا التوكيد البليغ . وليبين مدى إيغاله فى الفحش .

« فلعلك باخع نفسك » : فى الآية بيان لما كانت تنطوى عليه نفس رسول الله من الرحمة والعطف والحنو والإشفاق العظيم . حتى لكاد الغم والهم أن يقتله من أجل كفر هؤلاء .

إنهم قومه ، وهو ذو القلب الودود الشفيق الفياض الحنان ، وهو المؤمن التقى الذى يؤمن بما أعده الله لمن يكفرون به ، وهو الذى لا يريد بإنسان شراً ، ولا يسره أبداً أن يلم الشر بإنسان ؛ لهذا كان يغمره الحزن الشديد على هؤلاء الذين يجحدون بالله من قومه ، ولهذا قال الله له : (فلا تَذْهَبْ نفسُك عليهم حَسَرَاتٍ ، إن الله عليم بما يصنعون . ٣٥ : ٨) وإنه لدليل من أعظم الأدلة على عظمة إخلاص الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصدقه و بره فى دعوته .

« إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها » : يذكر الله بنعمته التى ينشرها على الأرض ، وبالحكمة منها ، إنها ليست متاعاً يكون ، ثم يزول ، وإنما هى اختبار وابتلاء لعباد الله . أيؤدون حق هذه النعمة ، فيجحدون منعمها ، أم يكفرون بها ، وبالمنعم بها ، ومن الكفر بالنعمة صرفها فى غير وجهها . ومن الكفر بالله حمد سواه على شىء لم يفعله غير الله . إن حمد إنسان نبياً على شفائه ، فهو مشرك ، وإن حمد خاتم الرسل على تقبل دعائه فهو مشرك ! ! .

ولهذا بين الله الحكمة مما جعله على الأرض من زينة بقوله سبحانه : (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) .

ثم تدبر فيما جاء بعد ذكر الزينة من وعيد رهيب ، وتصوره أنت ؛ لتدرك مالا يستطيع الكلام أن يبين عنه ، وذلك فى قوله جل شأنه (وإنا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزا) . هذه الأرض كلها من شمالها إلى جنوبها ، ومن شرقها إلى غربها كلها وَجْهٌ واحد

ليس عليه من نبات . إن قطعة أرض واحدة كذلك تريك صُفْرَة الفناء ، وتذكرك بلون العدم إن كان له لون . فما بالك بالأرض كلها ؟ ! .

وهل يكون ثمت إنسان أو حيوان على وجه الأرض وهى صعيد جرز ؟ كلا . إذ لا ماء ولا نبات ولا حيوان ! ! .

(فاطرَ السَّمٰوَاتِ والأرضِ . أنتَ وليّى فى الدنيا والآخرةِ توفنى مسلماً ، وألحقنى بالصالحين) .

عبد الرحمن الوكيل

« الدكتور كمال الدين حسين »

يسعدنى أن أثبت على صفحات مجلة الهدى النبوى خالص شكرى ، وأجل تقديرى للدكتور النابه النابغة الدكتور « كمال الدين حسين » صاحب أكبر معمل للتحليل الطبي بميدان محطة حلوان ؛ فلقد هدانى الله إليه بعد أن طوَّفت ماطوَّفت بكثير من الأطباء ، فكان أن وفقه الله إلى معرفة الداء ، وإلى الإشراف بنفسه على علاجى . وأضرع إلى الله سبحانه أن يجزيه عنى أعظم الجزاء ، وأن يوفقه إلى عمل الصالحات ؟ عبد الرحمن الوكيل

البهـائيـة

تاريخها وعقيدتهـا

وصلتهـا بالاستعمار والصهيونية

فى ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وفى طبع أنيق دقيق رائع ، قضى فيه مؤلفه رئيس الجماعة سنوات عدة وهو عاكف على كتب البهائيين أنفسهم حتى استطاع أن يكتب تاريخ هذه الجماعة وعقيدتها وشريعتها وأهدافها . يصدر قريباً جداً .

١٣ – نظرات فى التصوف

« فى مقالات سابقة تحدثنا عن التصوف فى نشأته ، ثم عن أوراده ، ثم عن الذكر فى التصوف ، وفى هذا المقال ، نعرض للذكر فى الإسلام ، ليتبين لنا الحق من الباطل واضحاً جلياً . »

* * *

الذكر : ذكر الله – سبحانه – عبودية القلب واللسان والجوارح ، إنه بصيرة الإيمان وقوام الحياة ، وروح الصالحات . إنه تزكية للإرادة البشرية ، وتقويم للعاطفة ، وتسديد للفكر ، وللسلوك

ولهذا أمرنا الله – جل شأنه – أن نذكره فى كل حال ؛ ليظل حالنا حال خير وصفاء وصلاح . تدبر قوله سبحانه . (ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلا ٣٣ : ٤١ : ٤٢) .

جزاء الذكر : وللذكر جزاؤه الروحى والمادى . تدبر قول الله سبحانه : (فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ، ولا تكفرون ٢ : ١٥٢) (والذاكرين الله كثيراً ، والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما ٣٣ : ٣٥) حسبك من جزاء أن الله يذكر من يذكره !!

وقت الذكر : وليس للذكر وقت معين ، ولا حال معين ، تدبر وصف الله لأولى الألباب بأنهم : (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً ، وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ٣ : ١٩٠) وقوله جل شأنه : (وأقم الصلاة لذكرى ٢٠ : ١٤) وقوله (ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة . فاثبتوا . واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) وقوله (فإذا قضيتم مناسككم ، فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً) من هذه الآيات

وغيرها يتبين لنا أن الله ـ سبحانه ـ يأمرنا بذكره فى كل حال ، وفى كل وقت ، وعند القيام بعمل من الأعمال الدينية أو غيرها ، ولاسيما عند الصلاة والحج والقتال .

كيفية الذكر : يقول سبحانه : (واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين ٧ : ٢٠٤) فلا صخب ، ولا عربدة ولا ناى ، ولا مزمار ، ولا طبول ، ولا دفوف ولا خنات أنوف ، ولا نباح شهوات من صوت المنشد !! . وإنما ضراعة وخشوع يستثيرهما فى القلب حب الله والخوف منه ، ووعى كامل يستغرق مشاعر النفس ونوازع الحس ، وتأملات اللب وعواطف القلب ، وصوت شجى النبرات هو دون الجهر يعبر تعبيراً صادقا عن قلب خالص الحب . صادق الخوف . ولكن لا يقعده رجاء الحب عن العمل ، ولا رهبة الخوف عن الأمل .

أنواع الذكر : يقول الإمام ابن القيم : « الذكر ثلاثة أنواع : ذكر الأسماء والصفات ومعانيها ، والثناء على الله بها ، وتوحيد الله بها ، وذكر الأمر والنهى والحلال والحرام ، وذكر الآلاء والنعماء والاحسان والأيادى » .

ثم قال عن أنواع الذكر بالنسبة لأحوال الذاكرين إنها ثلاثة أنواع : « ذكر يتواطأ عليه القلب واللسان ، وهو أعلاها ، وذكر بالقلب وحده ، وهو فى الدرجة الثانية ، وذكر باللسان المجرد ، وهو فى الدرجة الثالثة [1] »

إننا لا نذكر إلا من نعرف ، ونحن لا نعرف الذات إلا بالأسماء والصفات . فبماذا نذكر الله إذا لم نذكره بأسمائه وصفاته ؟

إن ذكر الله بأسمائه وصفاته يشب روح الإيمان واليقين والطمأنينة .

بم يشعر الفقير ، وهو يذكر ربه الغنى ؟

---

(١) ص ٤٣٠ جـ ٢ مدارج السالكين مطبعة السنة المحمدية

بم يشعر العاجز ، وهو يذكر ربه القادر ؟

بم يشعر المذنب التائب ، وهو يذكر التواب الرحيم ؟

بم تشعر الأمة المؤمنة فى نضالها ، وهى تذكر أن الله يدافع عن المؤمنين ؟

بم تشعر الجماعة المسلمة ، وهى تذكر أن العزة لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين ؟

ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

حسب هؤلاء جميعاً قوة وسعادة إيمانهم بأن الله سيمدهم بما هم فى حاجة إليه . ثم إن المؤمن الذاكر المتدبر لمعانى أسماء الله وصفاته يعمل ليكون قادراً قويا عزيزاً ، يدعو إلى الخير ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وينشر الحب والرحمة والإحسان والسلام والعدل لأن ربه الذى يحبه ويذكره هو القادر القوى العزيز الرحيم المؤمن السلام .

المؤمن الذاكر المتدبر لمعانى أسماء الله وصفاته يجاهد فى سبيل أن يكون مثلا أعلى للعبودية القانتة المخبتة لله سبحانه وحده .

المؤمن الذاكر لله بأسمائه وصفاته يلهمه الله يقين الإيمان والمعرفة . فلا يتوجه بحبه إلا إلى الله ، ولا بخوفه إلا منه ، ولا بتوكله إلا عليه ، ولا يعرف له ربا غير فاطر السموات والأرض . ولا يستميل قلبه ذلك الوهم التجريدى الذى جعلته الفلسفة ربا ، ولا ذلك الصنم أو العدم الذى صورته الصوفية مفيضا للوجود . مستكناً فى كل موجود !! . ولا ذلك المسخ المترنح بين العدمية والصنمية الذى صورته أهواء علماء الكلام !!

من هدى الإسلام فى الذكر القولى : مما قصه الله علينا فى القرآن دعاء يونس تحت الظلمات : (لا إله إلا أنت . سبحانك ، إنى كنت من الظالمين)

ومن ذكر أولى الألباب كما بين الله فى القرآن . وهم يتفكرون فى خلق السموات والأرض : (ربنا ما خلقت هذا باطلا . سبحانك ، فقنا عذاب النار ، ربنا إنك مَنْ تدخل النار فقد أخزيته ، وما للظالمين من أنصار) ومن الذكر الجميل مع الدعاء الجميل كما بين الله

فى القرآن : (فاطر السموات والأرض ، أنت وليّى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين) .

وكان من ذكر الرسول - صلى الله عليه وسلم - : « لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » متفق عليه .

الذكر بالاسم المفرد : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « والذكر بالاسم المفرد مظهراً ومضمرا بدعة فى الشرع ، وخطأ فى القول واللغة ؛ فإن الاسم المجرد ليس هو كلاما . لا إيمانا ، ولا كفراً » ويقول «وأما ذكر الاسم المفرد، فبدعة لم يشرع ، وليس هو بكلام يعقل ، ولا فيه إيمان[1] » وما قال الشيخ الجليل سوى الحق ، فما أوردته عليك من هدى القرآن فى الذكر يتجلى لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يذكر ربه بالاسم المفرد ولم يكن يقف بين أصحابه مصفقاً بيديه ، يتناوح ، وهم يتناوحون ، ولم يكن يأذن لمنشد يرقص بنغماته وشبابته شهوات الذاكرين ، ولم يكن يتمايل - وهو يذكر - يمنة أو يسرة ، أو يضرب صدره بذقنه ، كما يفعل المخنثون ، ولم تمسسه جذبة تملأ بالزبد شدقيه كما يفعل المشعبذون !! .

ومن يقارن بين ذكر الإسلام وذكر الصوفية يجد الحق الذى يحاول الباطل أن ينتسب إليه . ومن يقارن بين الذكر الصوفى وذكر الشرك الجاهلى يجد التطابق التام بين الذكرين . تدبر قول الله عن المشركين : (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية - ٩ : ٣٥) أى ما كانت صلاتهم التى يتقربون بها إلى الله حول الكعبة إلا صفيراً وتصفيقا . وهل يقترف شيوخ الطرق فى مراقصهم إلا ذلك ؟!

---

(١) ص ٥٦ جـ ٥ من مجموعة الرسائل والمسائل .

وإليك ماجاء فى العهد القديم كتاب اليهودية والصليبية : «احمدوا الرب بالعود ، بربابة ذات عشرة أوتار ، رنموا له ، غنوا له أغنية جديدة ، أحسنوا العزف بهتاف » « سبحوه بصوت الصور ، سبحوه برباب وعود ، سبحوه بدف ورقص ، سبحوه بأوتار ومزمار ، سبحوه بصنوج التصويت ، سبحوه بصنوج الهتاف [1] » .

والذكر الصوفى برجسه ، عين الرقص الصهيونى الصليبى نفسه !! وتدبر ما كتب الصوفية عن ذكرهم ، وتدبر حال الصوفية فى ذكرهم ، وقارن بينه وبين مانقلت لك عن المزامير. وثمت تعلم علم اليقين المصدر الذى أمد الصوفية بذكرهم !!

نقد صوفى : يقول صوفى كبير هو الشيخ « حسن رضوان » فى أرجوزته الكبرى عن هذا الذكر :

لكنه مستحسن عند الخلف	فقط ، وليس ثابتاً عن السلف
لاسيما إن كان فى المساجد	فمنعه من أعظم المقاصد
فإنه عن «ابن مسعود» ورد	إنكاره ، ويالهذا من سند
وماأتى فى الذكر من لفظ الحلق [2]	فالعلم مقصود به ، لا ماسبق

(١) المزامير : مزمور رقم ٣٣ الفقرتان « ٢ ، ٣ » ثم المزمور رقم ١٥٠ ، والفقرات ٣،٤،٥ والدف عبارة عن قطعة من الجلد الرقيق ممدود على إطار من الخشب ، وحوله أجراس صغيرة معلقة به والرباب آلة موسيقية مثلثة الشكل ذات أربعة أوتار ، وكان يدق عليها بالأصابع وصنوج التصويت هى الفقيشات التى تستعملها الراقصات وتسمى الآن «الصاجت» وصنوج الهتاف صفيحتان مستديرتان من النحاس إذا ضربت احداهما بالأخرى رنتا والصور آلة طرب طولها ثمانية عشر قيراطا كان يستعملها الكهنة فى العبادة « انظر قاموس الدكتور جورج بوست تحت مواد الكلمات »

(٢) يعنى ماورد فى الأحاديث عن حلق الذكر

والشيخ « حسن رضوان » من دعاة « وحدة الوجود » ولكننا نحتج به هنا على أصحابه . ورأيه صريح فى أن الذكر الصوفى الذى يقترفه القوم لا يقره قرآن ولا سنة ـ ولا سلوك من خيار السلف : فهل هذا الخلف الملعون أهدى من أولئك السلف الأبرار سبيلا ؟ وهذا الذى قاله « ابن رضوان » حق أبى إلا أن يقهر صوفيا كبيراً على الاعتراف به

ثم يحمل الرجل على الذكر الصوفى حملة شعواء فيقول :

واستعملوا ذكر الإله للطرب   بهيئة فيها إساءة الأدب
فهللوا ، وحنجروا أصواتهم   على السوى ليدركوا مرضاتهم
ومططوا الألفاظ كالمغانى   وأفسدوا بذلك المعانى
وربما فى النفى واوا أدخلوا   ومن إله الهمز ياء أبدلوا
وبعضهم يزيد فى الهاء الألف   واللحن فيما بعد هذا يختلف[1]
فقائل : اللو[2] ، وآه أو إن درج   أمامهم ، ولا يرون من حرج
والمنشد المرغوب عندهم حدث   يكون شأنه الجمال والعبث
فإن أتى بلفظة مونثة   تأوهوا ، والبعض منهم حدثه
أو صاح كالنسا ، ولا يبالى   من نفسه بقبح هذا الحال

---

(١) بمثل هذه الحملات خدع الشيخ حسن وأمثاله المسلمين عن معتقداتهم . فظنوا الخير فيهم . ولو أنك قرأت أرجوزة الشيخ حسن لرأيته أحد الناعقين فى صراحة بأن الله سبحانه هو عين كل شىء

(٢) أى ينطقون لا إله إلا الله « هكذا » لويلاها ، الخ . أى ينطقون (الله) كما ذكر فى البيت

فحركت من حظه النفسانى ما أوجب التواجد الشيطانى
وكم وكم من موبقات ظاهرة فى نقض دعوى قصد محض الآخرة[١]

ومالنا بعد نقده من نقد ، فقد استهدف ، فأنفذ السهم إلى المقاتل[٢] !!

السماع والوجد : يقول الإمام الجليل ابن القيم : « المسموع على ثلاثة أضرب . مسموع يحبه الله ، ويرضاه ، وأمر به عباده ، وأثنى على أهله ، ورضى عنهم به . الثانى : مسموع يبغضه ، ويكرهه ، ونهى عنه ، ومدح المعرضين عنه . الثالث : مسموع مباح مأذون فيه ، لا يحبه ، ولا يبغضه ، ولا مدح صاحبه ، ولا ذمه . فمن حرم هذا النوع الثالث ، فقد قال على الله مالا يعلم ، وحرم ما أحل الله . ومن جعله ديناً وقربة يتقرب به إلى الله ، فقد كذب على الله ، وضاهأ بذلك المشركين » ثم قال عن النوع الأول : إنه هو سماع آيات الله المتلوة التى أنزلها على رسوله ، ووصف ابن القيم هذا السماع بأنه أساس الإيمان الذى يقوم عليه بناؤه . ثم استنبط من آيات القرآن ما يفيد أن هذا السماع ثلاثة أنواع : سماع إدراك بحاسة الأذن ، وسماع فهم وعقل ، وسماع فهم وإجابة وقبول . ثم قال : إن سماع المقربين هو سماع القرآن بالاعتبارات الثلاثة إدراكاً وفهماً ، وتدبراً ، وإجابة . وكل سماع فى القرآن مدح الله أصحابه ، وأثنى عليهم ، وأمر به أولياءه ، فهو هذا السماع . وهو سماع الآيات ، لاسماع الأبيات ، وسماع القرآن ، لاسماع مزامير الشيطان ، وسماع كلام رب الأرض والسماء ، لاسماع قصائد الشعراء ، وسماع المراشد ، لاسماع القصائد ، وسماع الأنبياء والمرسلين ، لاسماع المغنين والمطربين[٣] ثم ذكر السماع الذى يبغضه الله ، ويكرهه ، فقال إنه سماع كل ما يضر العبد فى قلبه ودينه ، ومثل لهذا بسماع

---

(١) ص ٣٤٢ وما بعدها روض القلوب المستطاب .

(٢) غير أن الشيخ حسن أشبه بالسارق الذى يعف نفسه عن سرقة الدرهم ، ليسرق ألوف الدنانير ، فهو ينقد شراً ، ليبث من وراء نقده شراً مستطيراً الآم خبثا !!

(٣) ص ٤٨٢ وما بعدها جـ ١ مدارج السالكين طبعة مطبعة السنة المحمدية .

الباطل إلا إذا كان متضمناً رده وإبطاله ، و بسماع اللغو ، و بسماع الغناء . ثم رد ردًا مفحماً محكما على الصوفية الذين أباحوا سماع الغناء . سماع المكاء والتصدية والمعازف والخمريات ، وعشق الصور منَ المردان والنسوان ، وذكر محاسنها ، ووصالها وهجرانها[١] .

أما الغزالى الملقب بحجة الإسلام ، فقد جعل لباب « السماع » عنواناً هذا نصه : « باب السماع ، وآثاره فى القلب بالوجد ، وفى الجوارح بالرقص والزعق وتمزيق الثياب » ويعنى بالسماع ، سماع الأغانى . و إليك قوله : إن القلوب والسرائر خزائن الأسرار ومعادن الجواهر ، وقد طويت فيها جواهرها ، كما طويت النار فى الحديد والحجر . ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقادح السماع ، ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الأسماع ، فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها ، وتظهر محاسنها ، أو مساويها ، فلا يظهر من من القلب عند التحريك إلا ما يحويه[٢] » وإن نعجب ، فعجب أن يحبس الغزالى قلمه الصوال الجوال على صفحات طوال يحاول فيها إثبات أن سماع الأغانى له قيمة عظمى تنحسر دونها كل قيمة !!

ثم يفصل الغزالى آراء من حرموا السماع و يجهد نفسه فى الرد عليها ، ثم ينتهى به التجوال الخاسر المكدود إلى قوله : « من أحاط بعلم علاج القلوب ، ووجوب التلطف بها علم قطعاً أن ترويحها بأمثال هذه الأمور ــ يعنى سماع الأغانى ــ دواء نافع لاغنى عنه[٣] »

ثم يقول فى مكان آخر : « قال بعضهم : ليتنا نجونا من هذا السماع رأساً برأس . فنى هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة ، فإن غاية ذلك معصية وغاية الخطأ ههنا كفر[٤] » .

ونقول للغزالى : إذا كانت غاية الخطأ ههنا كفراً ، فلماذا يلح الغزالى فى الدعوة إليه؟

---

(١) ص ٤٨٣ ح ١ المصدر السابق . (٢) ص ٢٣٧ ح ٢ الإحياء .
(٣) ص ٢٥٣ المصدر السابق .
(٤) ص ٢٥٥ المصدر السابق ، وقوله منقول عن اللمع ص ٢٧٢ .

أمثلة من سماعهم : مجدت الصوفية سماع الشعر الغزلى سواء أكان بصوت امرأة أم بصوت رجل . وزعمت أنه معراج القلب لمشاهدة أسرار الملكوت ، أو أنه السبب فى تدفق الفيوض الربانية على النفس . وإليك أمثلة مما كانوا يسمعون . قالوا كان هنالك رجل تغنى بين يديه جارية بهذه الأبيات .

كل يوم تتلون   غير هذا بك أحسن

وكان ثمت شاب صوفى يصغى إليها من أسفل القصر ، فناداها : يا جارية ، وبحياة مولاك إلاّ أعدت على هذا البيت ، فأعادت ، فكان الشاب يقول : هذا والله تلوُّنى مع الحق فى حالى ، ثم شهق شهقة ومات[1] .

ويقولون : إن الشِّبلى كثيراً ما كان يتواجد « يتراقص ويصرخ » على هذا البيت

ودادكم هجر ، وحبكم قلى   ووصلكم صرم ، وسلمكم حرب[2]

وحينما دخل ذو النون المصرى بغداد . اجتمع إليه صوفيتها واستاذنوه فى أن ينشد له منشدهم شيئاً فأذن ، فمضى مغنيهم يترنم بهذه الأبيات

صغير هواك عذبنى   فكيف به إذا احتنكا[3] ؟

وأنت جمعت فى قلبى   هوى ، قد كان مشتركا

أما ترثى لمكتئب   إذا ضحك الخلىُّ بكى ؟ !

فقام ذو النون ، وسقط على وجهه[4] .

وقال أحد الصوفية : كنت أمشى مع رجل من أصحابنا بين بساتين بالبصرة ، إذ سمعنا ضاربا بالطنبور وهو يقول :

---

(١) ص ٢٥٤ المصدر السابق ، ص ٢٨٦ اللمع ، ص ١٥٦ الرسالة ، ولسنا ندرى كيف يمجد الغزالى وهو الملقب بحجة الإسلام شاباً يقسم بغير الله ، فى موقف تجسس مريب؟!

(٢) ص ٢٥٥ الموضع السابق فى الإحياء . والقلى : شدة البغض . والصرم : القطع

(٣) يعنى : كبر واشتد وطغى على قلبه .

(٤) عن ص ٢٥٩ الموضع السابق من الإحياء ص ١٢٨ عوارف المعارف ، ص ٢٩٠ اللمع .

يا صباح الوجوه ما تنصفونا ... طول ذا الدهر كلكم تظلمونا

كان فى واجب الحقوق عليكم ... إذ بلينا بحبكم تنصفونا

فشهق صاحب الصوفى شهقة ، ثم قال : وماذا عليك لو قلت :

ياصباح الوجوه سوف تموتو ... ن ، وتبلى خدودكم والعيونا

ويصيرون بعد ذلك رمماً ... فاعلموا ذاك إن ذاك يقينا

هذه بعض أمثلة مما يسمعون ، وهى أهون ماسجلوه فى كتبهم ! ! .

ترى هل يثير هذا الشعر الغزلى الذى يتحدث عن الهجر والوصل من صباح الوجوه وذوات العيون النجل ، وعن ليلى الساحرة النافرة التى لا يعرف القلب عن هواها متابا ، ولا ترجو النفس إلا منها ثوابا . أيثير مثل هذا الشعر فى النفس ، أو فى الحس إلا رغبة جامحة فى ليل سكران ، وإلا شوقا عاصفاً إلى جسد نشوان ؟ .

هذا الشعر الذى يوسوس بالفتنة ، تصدح به غانية ساحرة النغم على شجو العود أو حنين الناى ، أتراه يهيج الأشواق إلى الله ، أم تراه يثير اللهف المسعور إلى أية امرأة ؟ ! أتراه يذكِّر بالله ، أو يذكر بالعيون الناعسة ، والشفاه اللاعسة ، ويثير الحلم بليل هائم مع فتنة ساهرة مع الخطيئة ؟ ! .

وما أجمل مايقول الإمام الجليل ابن القيم عن أصحاب سماع القرآن : « لم يعدم من من اختار هذا السماع ــ سماع القرآن ــ إرشاداً لحجة ، وتبصرة لعبرة ، وتذكرة لمعرفة ، وفكرة فى آية ، ودلالة على رشد ، ورداً على ضلالة ، وإرشاداً من غَىّ وبصيرة من عمى ، وأمراً بمصلحة ، ونهياً عن مضرة ومفسدة ، وهداية إلى نور ، وإخراجاً من ظلمة ، وزجراً عن هوى وحثاً على تقى ، وجلاء لبصيرة ، وحياة لقلب ، وغذاء ودواء وشفاء . وكشف شبهة ، وإيضاح برهان ، وتحقيق حق ، وإبطال باطل » .

ثم يتوجه بصفاء إيمانه وصدق إخلاصه منادياً أرباب السماع الصوفى بقوله : « نحن

ترضى بحكم أهل الذوق فى سماع الأبيات والقصائد ، ونناشدهم بالذى أنزل القرآن هدى وشفاء ونوراً وحياة : هل وجدوا ذلك - أو شيئاً منه - فى الدف والمزمار ونغمة الشادن ومطربات الألحان ، والغناء المشتمل على تهييج الحب المطلق الذى يشترك فيه محب الرحمٰن ، ومحب الأوطان ، ومحب الإخوان ، ومحب العلم والعرفان ، ومحب الأموال والأثمان ، ومحب النسوان والمردان ، ومحب الصلبان .

ويالله العجب ! أى إيمان ونور وبصيرة وهدى ومعرفة تحصل باستماع أبيات بألحان وتوقيعات، لعل أكثرها قيلت فيما هو محرم يبغضه الله ورسوله ويعاقب عليه[1] » .

إن أصحاب السماع الصوفى يعرفون جيداً الغاية منه ويكافحون فى سبيل الوصول إلى هذه الغاية المجرمة . . إنها صرف المسلمين عن القرآن حتى لا يسلط النور على ما يكيدون به للإسلام وأمته ، ولا يرى الناس ما عليه أصحابه من وضاعة فى الدين والخلق .

أصحاب السماع الصوفى : ونحن نلحظ أن أصحاب هذا السماع فئة مدنفة النفوس تستخفها إلى الرقص لمسة وتر ، وتستطير عقولها همسة نغم . فئة لا تصلح للحياة ، ولا تصلح بهم الحياة ، ولا تركن إليهم أمة لقيادة . إنهم أشبه بأوشاب الحان التعساء الذين يكرعون ما خلف السكارى وراءهم .

نلحظ أن هذا يسمع نغمة ، فيزعق ، ويشهق ، ثم يخر صعقاً ، وأن آخر يسمع ، فيصيح ، ثم يغشى عليه من الموت ، وأن غيرهما يسمع ، فيهب مترنح الأعطاف ، مياد الخصر ، تعربد يداه وقدماه ورأسه ! ! وقد شرد عقله ، وشردت كرامته كرجل ! ! فهل بمثل هؤلاء يقتدى ؟ وهل بهؤلاء الذين تفلتهم خطايا الليل يؤتسى ؟ وهل بما يدعون إليه تخطو الحياة خطوة واحدة إلى الأمام ؟ أو تعرج الروح إلى أفق وضىء ، أو تستجيب

(١) ص ٢٨٥ وما بعدها جـ ١ مدارج السالكين .

النفس إلى هدى ؟ أو تقاد أمة إلى مجد ؟ إنهم زمرة مترنحة بين الخنوثة الكريهة والأفن المقيت ، لا تجد لم غير العربدة مفدى أو مراحا . ماذا يحدث لو أنهم حملوا السلاح للقتال ، ثم غازلت شهواتهم عذاب النغمات من صباح الوجوه ؟ إنها لفرصة هى من أعظم الفرص للعدو الذى يقاتلونه . حسبه أن يرمى فى طريقهم بغانية حوراء ريانة النغم ؛ ليضعوا أسلحتهم ؛ وليخروا بين يديها سجداً ؛ وليقتادهم العدو أسرى أذلاء معللين بفرع امرأة ! !

أولئك هم المثل الأعلى للصوفية .

أما مثل المسلمين الأعلى فمحمد صلى الله عليه وسلم .

عبد الرحمن الوكيل

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه « الفتاح » وقد ورد فى القرآن مرة بلفظه فى قوله تعالى من سورة سبأ (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) .

ومرة بصيغة التفضيل فى قوله تعالى من سورة الأعراف على لسان شعيب عليه السلام : « ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) .

والفتح فى كلتا الآيتين بمعنى الحكم وهو أحد المعانى التى تستعمل فيها هذه المادة ، قال صاحب « النهاية » :

(فى أسماء الله تعالى « الفتاح » هو الذى يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده ، وقيل معناه الحاكم بينهم . يقال فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما والفاتح الحاكم ، والفتاح من أبنية المبالغة» .

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية فى قصيدته « النونية » .

وكذلك الفتاح من أسمائه   والفتح فى أوصافه أمران
فتح بحكم وهو شرع إلهنا   والفتح بالأقدار فتح ثان
والرب فتاح بذين كليهما   عدلا وإحسانا من الرحمن

ومعنى هذه الأبيات أن الفتح الذى هو صفة الرب جل شأنه تحته نوعان :

أحدهما فتحه بحكم الدينى وهو هدايته لعباده وشرعه لهم على ألسنة رسله جميع ما يحتاجون إليه من العقائد الصحيحة والشرائع المستقيمة والأخلاق الكريمة ويدخل فى هذا فتحه الجزائى بين الرسل والمكذبين لهم حيث ينجى الرسل وأتباعهم و يهلك و يخزى أعداءهم. وكذلك فتحه يوم القيامة وحكمه بين الخلائق حين يوفى كل عامل جزاء عمله .

والثانى فتحه بحكمه القدرى ، وهو ما يجرى على عباده مما سبق به قدره من الخير والشر ومن النفع والضر وأنواع الابتلاء كما قال تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) فهو سبحانه الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه ويفتح على أعدائه أبواب نقمته وسخطه وذلك كله بفضله وعدله

ومن أسمائه الحسنى « العليم » وعلمه سبحانه محيط بالأشياء كلها ظاهرها و باطنها دقيقها وجليلها أولها وآخرها لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض .

وليس علمه سبحانه قاصراً على ما وجد أو ما يقدر وجوده من الممكنات بل يعلم جميع الواجبات والممتنعات والممكنات ما وجد منها فى الماضى وما سيوجد فى المستقبل وما لم يقدر وجوده لعدم تعلق مشيئة الله به . أما الواجبات فإنه سبحانه يعلم ذاته الكريمة و بقوته المقدسة التى لا يجوز انتفاؤها بحال بل يجب وجودها فلا يحصى أحد من خلقه ثناء عليه كما أثنى هو على نفسه .

وأما الممتنعات فإنه يعلمها حال امتناعها و يعلم ما يترتب على وجودها فرضا . كما أخبر سبحانه عن الآثار المترتبة على وجود آلهة معه فى قوله من سورة الأنبياء (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) فهذا فساد لم يقع لأنه مترتب على شىء ممتنع وهو وجود آله مع الله ولكن الله يعلم أن لو وقع هذا الممتنع فرضا لوقع هذا الفساد . ومثل ذلك قوله سبحانه فى سورة المؤمنون (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض) فذهاب كل إله بخلقه وعلو بعضهم على بعض كان يترتب على وجود آلهة معه بحيث لو حصل هذا فرضا لحصل ذاك وعلمه سبحانه محيط بهذا وذاك وأما الممكنات وهى التى يجوز فى العقل وجودها وعدمها فهو يعلم كما قلنا ما وجد منها وما لم يوجد مما لم تقتض الحكمة إيجاده .

وعلمه محيط بجميع العالم العلوى والسفلى لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان . فهو يعلم ـ كما قدمنا ـ الغيب والشهادة والظاهر والباطن والجلى والخفى . ولا يطرأ على علمه سبحانه ما ينافيه من غفلة أو ذهول أو ضلال أو نسيان . كما قال تعالى فى سورة طه على لسان كليمه موسى عليه السلام : (علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى) .

وكما أن علمه محيط بجميع ما فى العالم علويه وسفليه من المخلوقات بذواتها وأوصافها وأفعالها وجميع أمورها فهو يعلم أيضا ما كان منها فى الماضى وما يكون فى المستقبل الذى لا نهاية له ، ويعلم ما لم يكن منها لو كان كيف يكون . ويعلم أحوال المكلفين منذ أنشأهم وبعد ما يميتهم وبعد ما يحييهم قد أحاط علمه بأحوالهم كلها خيرها وشرها ، وجزاء تلك الأعمال وتفاصيل تلك الأجزية فى دار القرار .

والدليل العقلى على علمه تعالى أمور :

أولا : أنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل بها لأن إيجاده الأشياء بإرادته والإرادة تستلزم العلم بالمراد كما قال سبحانه (ألا يعلم من خلق)

ثانياً : ما فى المخلوقات من الأحكام والإتقان وعجيب الصنعة ودقيق الخلقة . يشهد بعلم الفاعل لها لامتناع صدور ذلك عن غير ذى علم .

ثالثا : فى المخلوقات من هو عالم والعلم صفة كمال فلو لم يكن سبحانه عالما لكان فى مخلوقاته من هو أكمل منه .

رابعا : كل علم فى المخلوق إنما استفاده من خالقه وواهب الكمال أحق به وفاقد الشيء لا يعطيه .

فسبحان من أحاط بكل شيء علما وقهر كل مخلوق عزة وحكما .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية الشريعة

دراسات فى التوحيد

بقلم الدكتور أمين رضا
الأستاذ المساعد بكلية طب الاسكندرية

(٥) الصور والتماثيل تضل الناس

قدماء المصريين والأغريق والرومان : إن الانسان ذا العقل العادى لا يمكنه أن يعبد تمثالا أو صورة لنفسها . فإن من يفرض ذلك يتصور أن من يسمونهم « بعبدة الأصنام » بلغوا درجة كبيرة من الغباء .

إن الإغريق والرومان والمصريين القدماء ، كانوا قوما مشركين ، لهم آلهة كثيرة . وكانوا يصنعون من الحجارة تماثيل هى فى أعينهم على هيئة آلهتهم . وما كانوا يقصدون عبادتها ، ولكن كانوا يرون أن هذه التماثيل تذكرهم بمن يعبدون . فما لبث أن حظت التماثيل التى صنعوها بأيديهم نفس التعظيم والتبجيل اللذين كانت آلهتهم تحظى بهما . فأضلتهم أصنامهم عن آلهتهم ، كما أضلتهم آلهتهم عن الله الواحد القهار . فكان ضلالهم عن الله بعيداً جداً .

كان للمصريين القدماء آلهة كثيرة ، كل واحد منها يمثل شيئاً ما . فكان عندهم إله للخصب ، وإله للقوة ، وإله للحكمة ، وآخر للطب ، وغير ذلك من الأشياء التى لا حصر لها . وكانوا يرمزون إلى كل واحد من هذه الآلهة بصنم من الأصنام . ولم يكن التمثال الحجرى هو الإله المعبود . بل كانوا يذلون أمامه ويدعونه لأنه يمثل أمامهم الإله الذى كانوا يقصدونه . وهناك مثل واضح لهذا التمثيل فى الشمس التى كانوا يؤلهونها . فمع أنهم كانوا يرونها يومياً ويدعونها ، ويذلون لها ، إلا أنهم كانوا يريدون أن يرمزوا إليها بشىء يضعونه فى المعابد المقامة باسمها ، وكانوا يسجدون لهذه التماثيل الرمزية لأنها كانت تذكرهم بالشمس ، إلههم الأصلى .

وكان للإغريق والرومان القدماء آلهة كثيرة . وكان أغلب هذه الآلهة من صنع الخرافة والأساطير . ولتقريب هذه الأساطير لعقول الناس ، أخذ نحاتوهم ورساموهم يعملون الصور والتماثيل لهم . فأصبح من يعبد هذه الآلهة يؤدى فرائضها أمام التماثيل ليتذكر الآلهة الأصلية . و بمرور الزمن وتغير الأجيال أصبحت التماثيل تعبد من دون الآلهة الخرافية التى كانت مقصودة بالعبادة

النصارى : أما أتباع عيسى عليه السلام ، فكانوا أمة موحدة مؤمنة بالله سبحانه وتعالى . فما لبثوا أن فتحوا باب التصاوير ورسم الصور بالزيت على مصراعيه . فصوروا الملائكة والشياطين ، والأنبياء والرسل ، ولم يتركوا قديساً حقيقياً أو خيالياً إلا اصطنعوا له الرسومات ، بل إنهم تعدوا الحدود فصوروا ما يسمونه بروح القدس ، ثم صوروا الله جل جلاله ، سبحانه وتعالى عن هذا الإفك المفترى . بعد ذلك أصبحت هذه الصور والتماثيل موضع الحب والاحترام ، ثم موضع الإجلال ، ثم ذلوا أبها وصلوا لها لأنها تذكرهم بقديسيهم ثم أوهمهم الشيطان أنها تأتى بالمعجزات ، وتقدر على مالا يقدر عليه أى إنسان . ثم أصبحت أصناما تعبد من دون الله ، ومن دون القديسين والأنبياء ، وهذا ما يبينه بوضوح كتاب كولان دى بلانسى .

وهذه الحركة الوثنية عند النصارى تولاها الأحبار بعنايتهم وتوجيههم ، بسبب ماتدره عليهم من الأرباح ، حتى أصدروا قرارهم المشهور فى المؤتمر الدينى بمدينة ترنتو (بايطاليا) « يجب على المؤمنين أن يعظموا أجساد الشهداء المقدسين ، والقديسين الآخرين الذين يصاحبون يسوع المسيح ، لأن الله يفيد الناس كثيراً بواسطة رفاتهم وآثارهم . أما الذين يدعون أنه لا يجب تعظيم هذه الآثار ولا تشريفها ، ويقولون إن الآثار والصور لا تؤدى أى عون للمسيحيين ، فيجب أن يلعنوا لعنة خاصة ، وكما سبق أن لعنتهم الكنيسة باستمرار من زمن بعيد ، فهى تكرر لعنتهم اليوم مرة أخرى » .

ولقد كان لبعض النصارى المحققين رأى معارض لهذا القرار . وهو رأى له مغزى خاص ، وأهمية كبيرة ، ولا بد لنا أن نعرفه جيداً ونحن ندرس هذا الموضوع . يقول كالفان فى رسالته المشهورة المسماة « رسالة الآثار المقدسة » .

« إن الطامة الـكبرى التى كانت أساساً لكل شر هى اتجاه الناس إلى العبث بملابس يسوع ولوائه ، بدلا من البحث عن تعاليمه و إرشاداته الروحية . و بذلك فقد اهتم الناس بالأمور الفرعية ، وابتعدوا عن الأصل ، ولقد فعل الناس نفس الشىء فيما يختص بالحواريين والقديسين الاخرين . فبدلا من أن يدرسوا ماعمل هؤلاء فى حياتهم ، حتى ينهجوا نهجهم . فقد أفنوا جهدهم فى إحراز مخلفاتهم .

« إننى أعلم أن ذلك قد يعنى بعض الإخلاص ، ولـكن من يفعل ذلك ينسى ماقاله القديس بولص : إن كل عبادة لله يخترعها الإنسان ، مهما كانت حكيمة فى مظهرها ، فإنها لا أساس لها إلا الحماقة والـكبرياء : وعلاوة على ذلك فإن إحراز الاثار لا فائدة له ألبتة بل إن فيه خطر بالغ ، لأنه يبدأ بالإخلاص الزائد المبالغ فيه ، والمفعم بالطيش ، ثم ينحدر إلى الوثنية . فإنه لا يمكن أن يحفظ إنسان هذه الاثار من غير أن يشعر بالاحترام نحوها ثم إن هذا الاحترام يمتزج دائما بتبجيل المسيح أو القديسين الذين انحدرت منهم هذه الآثار .

و بالاختصار فإن اقتناء الاثار المقدسة لا يمكن أن يسلم من الخرافة ، والخرافة تولد الوثنية وتصحبها دائما .

عرب الجاهلية : كان من عرب الجاهلية من صنع تماثيل لإبراهيم و إسماعيل ، عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام . وكانوا لا يقصدون إلا أن تذكرهم هذه التماثيل بجديهم و بمن يحبون من الأنبياء ، إلا أنهم مالبثوا أن وضعوها فى داخل البيت الحرام ، وأخذوا

يدعون الله وهم يقفون أمامها وبمرور الأجيال أصبح الناس يقصدون هذه التماثيل طالبين البركات والشفاعات ويقيمون لها الموالد والأعياد .

وكانت للعرب أصنام أخرى كثيرة : سواع ، وود ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، وريام ، ومناة ، والفلس ، واللات ، والعزى ، والغبغب ، وهبل ، وإساف ، ونائلة ، ورضى ، ومناف ، وذو الخلصة . وسعد ، وذو الكفين ، وذو الشرى ، والأقيصر ، ونهم وعائم ، وسعير ، والأنصاب ، وعميانس ، وكعبة بنى الحارث بن كعب ، وكعبة إياد ، والقليس ، واليعبوب ، وباجر ، والسجة .

وهذه اثنتان وثلاثون من الأصنام الشهيرة عند العرب جمعها الكلبي فى كتابه « الأصنام » خلاف الأصنام الثلاثمائة والستون التى كان البيت الحرام يزخر بها . وقد جمع محقق الكتاب بيانات عن سبع وأربعين صنماً أخرى لم يذكرها الكلبي[1] .

ويقول الكلبي[2] : « وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لايظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم وصبابة بمكة . فحيثما حلوا ، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمناً منهم بها وصبابة بالحرم وحبًّا له . . ثم سلخ بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه .

لقد كانت فكرتهم الأولى فى اصطناع الصور والتماثيل فكرة بعيدة كل البعد عن عبادة الأوثان والشرك بالله ، فقد كانوا يقصدون أن تذكرهم بالأشخاص الذين كانوا يعتزون بهم ، أو بالجمادات التى كانوا يحبونها . فما لبثت أن جرتهم هذه الفكرة إلى عبادتها والتبرك بها . وطلب الشفاعة منها .

---

(١) راجع : أبو المنذر بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، كتاب الأصنام (دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٤٣هـ — ١٩٢٤ م .

(٢) أنظر : المرجع السابق : صفحة ٦

هذا التطور الفكرى إلى الشرك الممقوت وهذا الانحدار السريع الأكيد إلى التذلل للحجارة والجمادات ، جعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يأمر بكل هذه الأصنام فتمحى وتخرج من البيت الحرام . وتدمر تدميراً[1] وجعلاه أيضاً صلى الله عليه وسلم يشدد النهى عامة فى اتخاذ التصاوير وما شابهها[2] .

٦ – تعظيم الأشخاص يضل الناس

تعظيم الأشخاص من العوامل الفتاكة التى تؤدى إلى الشرك من غير أن يشعر الناس .

ولقد ذكر صاحب « قاموس الأضرحة » فى مقدمته كيف أن الناس أحبوا أول الأمر بعض الرجال الصالحين ، فلما ماتوا استمرت ذكراهم الطيبة بين الناس ، ثم ما لبث المدح والإطراء أن جعلا هؤلاء الصالحين أسطورة من الأساطير ، وأصبحوا على مر الأجيال أشخاصاً خياليين ، يمكنهم أن يتصرفوا فى الأقوات والأرزاق ، وفى الصحة والمرض ، أو أن يتوسطوا للناس عند الآلهة ، يشفعوا لهم عند الله العلى القدير . وفى نفس الوقت انطلقت ألسنة الناس تخترع المعجزات لهؤلاء الناس الصالحين ، الذين إن كانوا شهدوا هذه الادعاءات لتبرأوا منها وتعجبوا ممن يكذب عليهم ، ولعنوا من تقول عليهم الأقاويل .

عند النصارى : هذا هو ما فعله النصارى بعيسى ، عبد الله ورسوله ، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام . لقد كان حمل أمه فيه معجزة ، وكانت ولادته معجزة وكانت طفولته معجزة ، إذ كان يكلم الناس وهو فى المهد صبياً ، وكان يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ

---

(١) أنظر : ابن الأثير الجزرى : جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بتحقيق محمد حامد الفقى رحمه الله (مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٠ هـ – ١٩٥٠ م) جزء ٥ ، صفحة ٤٦٢ ، حديث ٢٩٧٦ ، رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وأخرجه البخارى .

(٢) أنظر : ابن الأثير الجزرى . جامع الأصول ، جزء ٥ ، صفحات ٤٤٨ — ٤٦٣، أحاديث ٢٩٥٤ — ٢٩٧٨ .

فيه فيكون طيراً حياً ، وكان يبرىء الأكمه والأبرص . وكان يحيي الموتى . وكان ينبىء الناس عما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم : كل ذلك بإذن الله فانطلقت ألسنة الناس تمدح عيسى وتعظمه ، وكان الجهل والخرافة يجعلان الناس يخترعون المعجزات التى أذن الله أن تظهر على يديه ، ويبالغون فى تمجيده وحبه واحترامه . كل هذا الاطراء انتهى بهم آخر الأمر إلى الضلال البعيد الذى نجد عليه النصارى اليوم ، والذى هم عليه من أمد بعيد . فقد ادعوا أنه إله ، وأنه ابن إله وأنه صلب وقتل لتخليص الإنسانية من أوزارها ، وغير ذلك من الافتراءات ، وعيسى برىء من الخرافات الشركية ، وتعالى الله عما يشركون .

تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم : لقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم الإطراء والمبالغة فى المديح ، فنهى عنهما نهياً شديداً :

أولاً : نهى أن يزيد الناس فى مدح بعضهم بعضاً . فقد أثنى رجل على آخر عند النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : ويلك ، قطعت عنق صاحبك ، قطعت عنق صاحبك ـ ثلاثاً ـ . من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل : أحب فلاناً ، والله حسيبه ، ولا يزكى على الله أحد . أحب كذا وكذا . إن كان يعلم ذلك منه[1] » وروى أبو موسى الأشعرى ، رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمع رجلاً يثنى على رجل ، ويطريه فى المدحة فقال : « أهلكتهم أو قطعتم ظهر الرجل[2] » .

---

(١) انظر ابن الأثير الجزرى : جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م) جزء ١١ ، ص ٣٧٧ ، حديث ٨٤٨٣ ، عن أبى بكرة رضى الله عنه ، أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود .

(٢) انظر المرجع السابق ، صفحة ٣٧٨ ، حديث ٨٤٨٤ ، أخرجه البخارى ومسلم .

وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، الناس إذا لقوا المداحين ، أن يحثوا فى وجوههم وفى أفواههم التراب[١] .

ثانياً : ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعظيمه أشد النهى . وكره كرهاً شديداً أن يبالغ الناس فى مدحه ، وأن يطروه بأقوال زائدة مفخمة .

فهذا وفد بنى عامر أقبلوا إليه ، فقالوا : أنت سيدنا . فقال صلى الله عليه وسلم : السيد الله ، فقالوا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً . فقال : صلى الله عليه وسلم : قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان[٢] » .

وقال أنس بن مالك ، رحمه الله ، إن ناساً قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا ، وابن خيرنا ، وسيدنا ، وابن سيدنا . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « السيد الله . قالوا : أنت أفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً . فقال « أيها الناس ، عليكم بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان . إنى لا أريد أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنيها الله تبارك وتعالى . أنا محمد ابن عبد الله ، عبد الله ورسوله[٣] » .

ثالثاً : حذر الرسول صلى الله عليه وسلم المؤمنين من أن ينطلقوا فى مدحه ، ويزيدوا فى إطرائه ، فيصل بهم الأمر إلى ما وصل إليه النصارى فى شأن عيسى عليه السلام[٤].

---

(١) انظر المرجع السابق ، صفحة ٣٧٨ ، حديث ٨٤٨٥ ، أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى . عن عبد الله بن سخبرة ، وصفحة ٣٧٩ ، حديث ٨٤٨٦ ، أخرجه الترمذى عن أبى هريرة .

(٢) انظر جامع الأصول . جزء ١١ ، صفحة ٣٧٧ ، حديث ٨٤٨٠ ، عن مطرف ابن عبد الله بن الشخير رواه أبو داود .

(٣) انظر المرجع السابق الحديث ٨٤٨١ ، أخرجه رزين .

(٤) انظر المرجع السابق . حديث ٨٤٨٢ .

وإننا إذا ماقرأنا هذا الحديث النبوى ، وأخذنا نقرأ بعض الأقوال التى قالها النصارى فى كتبهم عن عيسى عليه السلام ، وقارنا بما يقوله بعد الأذان بعض المتمسلمين اليوم عن رسولنا عليه السلام ، مثل « يا نور عرش الله » و « يا أول خلق الله » لا قشعرت جلودنا ، إذ أننا نحس أن الفرق فى ذلك بين المتمسلمين والنصارى ليس كبيراً ، ونتساءل ماذا تكون نهايتهم إذا هم ساروا فى هذا الطريق ؟ .

يقول بولس فى خطابه إلى الكولوسيين (١٤ : ١٤ : ـ ١٧) « . . . الذى فيه[١] نجد الخلاص ، والمغفرة لخطايانا . إنه فى صورة الله لا يراه أحد ، وهو أول من ولد من جميع المخلوقات ، حيث أن كل شىء فى السماوات والأرض قد خلق فيه . . . كل شىء كان به وله . إنه قبل كل شىء ، وكل شىء يحيى فيه » (صفحة ١٩٠)[٢] .

وفى إنجيل يوحنا : ١ : ١ — ٤ « وفى الأول كانت الكلمة وكانت الكلمة مع الله ، وكانت الكلمة هى الله . لقد كانت فى الابتداء مع الله ، لقد صنع كل شىء بها ، ولم يصنع أى شىء بدونها . فيها كانت الحياة ، والحياة كانت نور الرجال » . والكلمة المذكورة هنا وصفها بعد ذلك قائلاً : « والكلمة أصبحت لحماً وعاشت بيننا ، مليئة بالبركة والحقيقة . ولقد تأملنا مجدها ، وهو مجد كمجد الابن الأوحد الذى جاء من الأب » . (صفحة ٨٥) .

وقال أيضاً فى رسالته الأولى إلى الكورنثيين (صفحة ١٦١) : « ٨ : ٦ ومع ذلك فلا يوجد لدينا إلا إله واحد ، وهو الأب ، الذى منه كل شىء جاء ، والذى نحن إليه

---

(١) عائدة على كلمة « الابن » المذكور قبلها .

(٢) هذه الفقرات من العهد الجديد ، وكذلك الفقرات التالية ، نقلتها عن الترجمة الفرنسية للويس سيجوند ـ والصفحات المذكورة هى التى بالنسخة المستعملة .

La Sainte Bible, Traduction de Louis Segond. Genève, Paris, Marseille : La Maison de la Bible, 1942.

نـكون ، ورب واحد ، وهو يسوع المسيح ، الذى به كل شىء كان ، والذى به نـكون !!

وقال أيضاً فى الرسالة نفسها (صفحة ١٦٧) : « ١٥ : ٢٧ : وفعلاً ، لقد وضع الله كل شىء تحت قدميه »[١] .

وفى رؤية يوحنا : ١ : ١٧ — ١٨ : « ولما رأيته[٢] سقطت كالميت عند قدميه . فوضع علىّ يده اليمنى قائلاً : لا تخف : أنا الأول والآخر ، وأنا الحى . كنت ميتاً ، ولـكن هأنذا حى لقرون كثيرة . إننى أحمل مفاتيح الموت ومقام الأموات » (صفحة ٢٣٣) .

قارنوا هذه الأقوال عن المسيح بالأقوال التالية عن محمد ، عليهما الصلاة والسلام .

« . . . على أكمل عبد . ذلك فى هـذا العالم من بنى آدم الذى أقمته لك ظلاً ، وجعلته لحوائج خلقك قبلة ومحلاً واصطفيته لنفسك ، وأقمته بحجتك ، وأظهرته بصورتك ، واخترته مستوى لتجليك . ومنزلاً لتنفيذ أوامرك ونواهيك فى أرضك وسماواتك ، وواسطة بينك و بين مكوناتك[٣] » (صفحة ٢٨) .

« . . . وصل على محمد وعلى آل محمد الذى نوره من نور الأنوار ، وأشرق بشعاع سره الأسرار . . . اللهم صلى على محمد وعلى آله بحر أنوارك ، ومعدن أسرارك ، ولسان حجتك ، وعروس مملـكتك ، و إمام حضرتك ، وخاتم أنبيائك . . » (صفحة ٥٥) .

« اللهم صل على نور الأنوار » (صفحة ٦٤) .

« اللهم صل على من تفتحت من نوره الأزهار . . . اللهم صل على من فاضت من نوره جميع الأنوار » (صفحة ٦٥) .

---

(١) الضمير راجع على المسيح .
(٢) الضمير راجع على المسيح الذى رآه يوحنا بعد قيامته من القبر .
(٣) انظر أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولى (توفى عام ٨٧٠ هـ) دلائل الخيرات (دار المطبعة العثمانية) .

« اللهم صل على روح سيدنا محمد فى الأرواح ، وعلى جسده فى الأجساد ، وعلى قبره فى القبور ، وعلى آله وصحبه وسلم » (صفحة ٦٩) .

« اللهم صل على سيدنا محمد بحر أنوارك ، ومعدن أسرارك ، ولسان حجتك ، وعروس مملكتك ، وإمام حضرتك ، وطراز ملكك ، وخزائن رحمتك ، وطريق شريعتك ، المتلذذ بتوحيدك . إنسان عين الوجود ، والسبب فى كل موجود ، عين أعيان خلقك ، المتقدم من نور ضيائك . . . » (صفحة ٧٢) .

« اللهم إنا نستشفع به إليك ، إذ هو أوجه الشفعاء إليك ، ونقسم به عليك ، إذ هو أعظم من أقسم بحقه عليك ، ونتوسل به إليك ، إذ هو أقرب الوسائل إليك . . . » . (صفحة ١٦١) .

« اللهم صل على سيدنا محمد ، طب القلوب ودوائها ، وعافية الأبدان وشفائها ، ونور الأبصار وضيائها . . . اللهم صل على سيدنا محمد نور الذات ، وسر السارى فى جميع الأسماء والصفات صلى الله عليه وسلم ، اللهم صل على بدر التمام ، اللهم صل على نور الظلام ، اللهم صل على مفتاح دار السلام ، اللهم صل على الشفيع فى جميع الأنام » (صفحة ١٦٣) .

هذه مقتطفات من « دلائل الخيرات » وهى من نتاج قرائح العصور الغابرة . أما إذا أردتم أن تستعرضوا نتاج القرائح المعاصرة ، فراجعوا كتاب « الصلوات على النبى[١] » . الذى يقع فيه المديح فى مائة وست وستين صفحة .

رابعاً . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يعظم المسلمون آثاره :

قبره ، والأمكنة التى نزل بها ، والمساجد التى صلى فيها ، وقد نهج الخلفاء الراشدون نهجه ، وأزالوا الآثار التى خشوا أن يتعلق المسلمون بها ، فيعظموها ، كما هو مفصل فيما بعد .

« يتبع » الدكتور أمين رضا

---

(١) انظر : محمد إسماعيل إبراهيم . كتاب الصلوات ، على النبى صلى الله عليه وسلم ، مناهل الأشواق إلى حبيب الحلق والخلاق . الطبعة العاشرة ١٣٧٨هـ — ١٩٥٩ . ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى بالقاهرة .

عظات وعبر

البر والتقوى

أجلُّ الناس عند الله قدراً ... وأكبرهم مجازاة وأجراً
فتى آتاه ميسرة وفضلا ... فجاد على العفاة وكان برا
وليس المرء فى دنياه إلا ... حديثاً فى فم الدنيا وذكراً
نكافح فى الحياة بلا توان ... ونحمل عبأها جلداً وحبراً
فآونة نذوق العيش حلواً ... وآونة نذوق العيشِ مراً
فإن هى أقبلت نزداد بخلا ... وإن هى أدبرت نزداد كفراً
وهم الناس فيها جمع مال ... وما تركوا ليوم الحشر ذخراً
فما طرقوا لدار الخلد باباً ... ولا كدوا لفعل الخير فكراً
ولا ادخروا ليوم الحشر زاداً ... ولا ذكروا على الشفتين حشراً
وما من مؤنس للمرء فيه ... سوى عمل يفيض تقى وبراً
وما من شافع إلا أياد ... تجود بفيضها سراً وجهراً
فتكسب كل محمدة وفخر ... وحسب سراتنا منهن فخراً
فكم فى الكون من رجل كريم ... وتحسبه أشح الناس طراً
يجود ولا يمن بما لديه ... ويعطى وافر الصدقات سراً
دعاه إلى صنيع الخير خلق ... كريم ، زاده عبقاً ونشراً
تكتم أمره فى النفس حتى ... تمكن فى السريرة واستقرا
فباح به وذا تأويل مالا ... نطيق ونستطيع عليه صبراً

يمد يديه بالإحسان جوداً وما كفت له يمنى ويسرى
إذا ما المال لم ينفعك دنيا فما يجديك هذا المال أخرى
فأنفق فى وجوه الخير وارفع لنفسك قبل عادى الموت ذكراً
أيبدى موسر بخلت يداه وضنت بالقليل النذر عذراً
وما عذر المقصر فى نداه على الفقراء وهو بذاك أدرى ؟
فكم فى مصر من رجل ثرى أضر بجمعه للمال - مصراً
فلا مصر استفادت من غناه ولا هو جاد من مال ودرا
ثرى عاش فى الدنيا فقيراً وكانت فى الحياة يداه صفرا
قضى أيامه خملا مهاناً وأسكنه شديد البخل قبراً
وما كان الخلود مستحيل على من قد أصاب غنى وأثرا
وليس يضيع عند الله أجر وسوف يكون أوفى الناس أجرا

« الجيزة » نجاتي عبد الرحمن

غزوات الرسول

٢ – غزوة الأحزاب[1]

الرسول يحفر الخندق ويستعد : وانتهى إلى علم الرسول « صلوات الله عليه » ما أجمعت عليه الأحزاب . فعظم الأمر عليه . كما فزع المسلمون للألوف القادمة لقتالهم واستئصالهم ، فتشاور النبي مع المسلمين فى الأمر . فأشار عليهم سلمان[2] الفارسى أن يحفروا خندقا بمدخل المدينة وبتحصين داخلها ليعوق ذلك دخول المعتدين المدينة . . وبدأ المسلمون فى حفر الخندق قبل مجيء الأحزاب . فأخذ الرسول يعمل مع المسلمين فى دأب وهمة فى حفر الخندق ونقل الأتربة منه ترغيبا للمسلمين وتشجيعاً لهم فى العمل ومضاعفة الجهد إذ كان الأمر يستدعى رفع روحهم المعنوية وتقوية نفوسهم .

ووسوس الشيطان اللعين لبعض المنافقين الذين كانوا يحفرون الخندق أن يشتغلوا فى العمل القليل . وأن يعملوا فيه ببطىء وضعف . ثم أخذوا يتسللون ويذهبون إلى أهليهم دون أن يستأذنوا الرسول « صلى الله عليه وسلم » وقد نزل فى شأن هؤلاء المنافقين قوله تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا . . قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) الآية ٦٣ : النور .

وفيما نرى المنافقين على هذا الحال من الفتور والخيانة وينزل فيهم تحذير الله . . نرى المسلمين قد ظهرت فيهم قوة الإيمان والشجاعة والهمة . فإن الواحد منهم كان إذا شعر بأنه

---

(١) راجع الجزء الأول من هذه الغزوة بالهدى النبوى عدد ذى الحجة ١٣٨١ .

(٢) روت كتب السنة أن المهاجرين والانصار اختلفوا على سلمان الفارسى اصواب رأيه فى حفر الخندق . فادعى كل منهما أن سلمان منه . وتكلم الرسول «صلى الله عليه وسلم» بما حسم الخلاف وقال « سلمان منا أهل البيت » أى إنه منا جميعا . ولاشك ان هذا زاد سلمان شرفا ومكانه وسموا ، رضى الله عنه وعن اخوانه المؤمنين السابقين .

يريد قضاء حاجة لابد منها ذكر حاجته للرسول « صلى الله عليه وسلم » ليأذن له . فيأذن له الرسول ، ثم إذا انتهى من قضاء حاجته أسرع عائداً إلى عمله ليستأنفه بهمة ونشاط رغبة منه فى الخير وطمعاً فى الأجر . وقد نزل فى هؤلاء المؤمنين الصادقين قول الله عز وجل (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم) الاية ٦٢ : النور .

آيات تدل على صدق نبوة الرسول : ومما يجدر الإشارة إليه فى هذه الغزوة الاية التى ظهرت فى تحقيق نبوة الرسول « صلى الله عليه وسلم » . روى[١] جابر بن عبد الله « رضى الله عنه » أن صخرة شديدة ظهرت للمسلمين أثناء حفر الخندق . واستعصى عليهم تحطيمها فشكوها إلى رسول الله فطلب إناء به ماء فأتوه به فأخذه الرسول وتفل[٢] فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به فنضح[٣] الماء فى تلك الصخرة فتفتتت . ويقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا لانهالت[٤] حتى عادت كالكثيب[٥] لا ترد فأسا ولا مسواة .

وآية أخرى ظهرت فى هذه الغزوة أيضا . فقد روى سلمان الفارسى ما حدث له فى حفر الخندق قال : ضربت فى ناحية من الخندق فغلظت علىّ صخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، قريب منى . فلما رآنى أضرب ، ورأى شدة المكان على نزل فأخذ المعول من يدى فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة . ثم ضرب بها ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى . ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى . قال : قلت : بأبى أنت وأمى

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ص ٩٧ جـ ٤ .

(٢) بصق فيه بصقا خفيفا

(٣) ترشش عليها .

(٤) تفتت وسقطت .

(٥) كالرمل

يا رسول الله ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : « أوَقد رأيت ذلك يا سلمان ؟ » قلت : نعم . قال : « أما الأولى فإن الله فتح علىّ باب اليمن . وأما الثانية فإن الله فتح على باب الشام والمغرب . وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق »[1] .

وقد ذكر ابن كثير أيضاً أنه عند ما حدثت هذه البرقات ، سأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن ذلك فقال لهم « لقد أضاء لى من الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب . فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها .

ومن الثانية أضاءت القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها.

ومن الثالثه أضاءت قصور صنعاء ، كأنها أنياب الكلاب . وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها . فأبشروا[2] » واستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعود صادق . وقد تحدث القرآن فى تصديق المؤمنين لما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام ـ فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب . قالوا : هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) الآية : الأحزاب .

أما المنافقون الذين فى قلوبهم شك وريبة من خبر الرسول فى فتح قصور كسرى وقيصر فقد قالوا فى نفس يأكلها الحقد والغيظ عند ما سمعوا المسلمين يتحدثون بهذا الخبر: يخبركم أنه يبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى . وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق لا تستطيعون أن تتبرزوا !! . فنزل فى هؤلاء المنافقين قوله جل شأنه (وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) الآية ١٢ : الأحزاب .

---

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير ص ٩٩ ص ٤ .

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير ص ١٠٠ جـ ٤ .

حُيَيّ بن أخطب يحرض قريظة على الرسول : وبعد أن فرغ الرسول والمسلمون من حفر الخندق أقبلت قريش فى عشرة آلاف من أحابيشها ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل كنانة وأهل تهامة . فنزلوا بمجتمع الأسيال من دومه بين الجرف وزغابه وأقبلت كذلك غطفان ومن تبعها من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى بجانب أحد .

أما الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين وجعل ظهر جيشه إلى سلع وضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم . أما الذرارى[1] والنساء فجعلهم فى الآطام ـ أى الحصون ـ وأخليت المساكن التى كانت وراء الخندق .

وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضيرى فأتى كعب بن أسد القرظى كبير بنى قريظة وصاحب عهدهم ، وكان قد وادع رسول الله « عليه السلام » وعاهده على السلم والخير ، فلما علم كعب بتقدم حيي بن أخطب أغلق حصنه دونه ورفض مقابلته . فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حيي : ويحك[2] يا كعب افتح لى ، قال : ويحك ياحيي إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض مابينى وبينه . ولم أر منه إلا وفاء وصدقا . قال : ويحك افتح لى أكلمك . قال : ماأنا بفاعل . قال : والله إن أغلقت الحصن دونى إلا تخوفت جشيشتك[3] أن آكل منها معك . فأثارت هذه العبارة حفيظة كعب وأغضبته . ففتح له فقال : ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام[4] جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من دومة . وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد قد عاهدونى وعاقدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه .

---

(١) الذرارى : الأولاد الصغار .

(٢) ويح : كلمة تدل على الرحمة .

(٣) الجشيشة : نوع من الطعام ، ويسميه العامة « الدشيشة »

(٤) البحر الطام : المرتفع الماء . وقد أراد حيي بن اخطب بذلك تشبيه الأحزاب ـ فى كثرتهم ـ بالبحر الكثير الماء .

ورفض كعب همسات حي الشيطانية وإغراءه له بقوة الأحزاب وقال له : جئتني والله بذل الدهر وبجهام[1] قد هراق ماءه . فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء .. ويحك ياحي فدعني وما أنا عليه . فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء .

ولكن حيياً ما زال يلح على كعب ويغريه بقوة الأحزاب ويضعف له من شأن المسلمين حتى تغلبت على الأخير يهوديته الغادرة فنسى عهد رسول الله «صلوات الله وسلامه عليه» واستبدل به عهداً أعطاه إياه حي : لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن يدخل حي فى حصن كعب فينزل به ما ينزل بكعب . وبذلك نقض كعب بن أسد عهده مع رسول الله وبرىء من ميثاق الأمن والسلام .

وعند ماعلم رسول الله بأمر كعب وانحيازه إلى جانب المشركين بعث سعد بن معاذ ابن النعمان[٢] وسعد بن عباده بن دليم[٣] ومعهما عبد الله بن رواحة . وخوات بن جبير فقال لهم « انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا . فإن كان حقاً فالحنوا لى لحناً[٤] أعرفه : ولا تفتوا فى أعضاد[٥] الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس » .

فخرج أصحاب رسول الله « صلوات الله وسلامه عليه » إلى بنى قريظة فأتوهم فوجدوهم على أخبث مابلغهم عنهم رسول الله وأنهم قد نالوا منه « صلوات الله عليه » وقالت لهم

---

(١) الجهام . السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه . وهراق ماءه . يريد أنه خال من المطر ويعنى كعب أن حي بن أخطب لم يأته بشىء كبير وعظيم ـ كما يدعى ـ يستلزم نقض عهده مع المسلمين وانحيازه إلى جانبه .

(٢،٣) كان الصحابى الأول سيد الاوس . والثانى سيد الخزرج .

(٤) الحنوا . أشيروا إلى إشارة أعرفها أنا فقط .

(٥) أى لا تبثوا فيهم روح الضعف والوهن

بنو قريظة : من رسول الله ؟ . لا عهد بيننا و بين محمد ولا عقد . وغضب سعد ابن معاذ رضى الله عنه ؛ لهذا فشاتمهم وشاتموه ـ إذ كان سعد رجلا فيه حدة ـ فقال له سعد بن عباده مهدئا : دع عنك مشاتمتهم فما بيننا و بينهم أرقى[1] من المشاتمة .

ثم أقبل السعدان ـ ابن معاذ وابن عباده ـ ومن معهما على رسول الله فسلموا عليه ثم قالوا : عضل والقارة ـ أى أن بنى قريظة غدرت بنا كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع (جنيب وأصحابه)[2] فقال لهم رسول الله « الله أكبر أبشروا يامعشر المسلمين » .

وعند ما حان وقت القتال دنا الناس بعضهم من بعض وعند ذلك عظم البلاء واشتد خوف المسلمين . إذ أحاط المشركون بالمسلمين وجاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى زلزل المسلمون وذهب بهم الظن كل مذهب وقال أحدهم وهو ـ أوس بن قيظى فى ملأ من رجال قومه : يارسول الله إن بيوتنا عورة ـ أى فى متناول العدو ـ فأذن لنا أن نرجع إلى دورنا فإنها خارج المدينة . . كما ظهر النفاق من بعض المنافقين[3] وقال أحدهم : كان محمد يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر . وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . وقد نزل فى شأن هؤلاء وأولئك قول الله عز وجل (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً . و إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا . و إذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا و يستأذن فريق منهم النبى يقولون : إن بيوتنا عورة وماهى بعورة إن يريدون إلا فرارا[4])

و إلى العدد القادم إن شاء الله لنتم بقية هذه الغزوة .

سعد صادق محمد

---

(١) يقصد بذلك الحرب التى كانوا سيخوضونها مع الأحزاب

(٢) راجع غزوة الرجيع بالهدى النبوى عدد جمادى الأولى ١٣٨١

(٣) يقال إنه معتب بن قشير أخو بنى عمرو بن عوف . راجع سيرة بن هشام ص ٢٣٨ ـ ٣

(٤) الآيات من ١٠ الى ١٣ . الأحزاب

باب الفتاوى

أسئلة وأجوبة

ا - الأسئلة

س ١ — نحن جماعة أنصار السنة المحمدية بالقضارف ـ سودان ـ لنا قطعة أرض مساحتها ١٠×١٢ متراً مربعاً . وبها حجرة اتخذناها مسجداً نصلى فيه . ولها براح كبير يتسع لصلاة الجماعة ، وفى بعض الأحيان يكون الحر شديداً فتشق علينا الصلاة فى داخل المسجد فهل يجوز لنا أن نصلى خارجه ؟ وما الفرق فى ذلك ـ أفتونا مأجورين .

س ٢ — سمعنا من يقول : إن المسافر واجب عليه التيمم ولو كان راكب البحر . فهل هذا صحيح ؟ أفتونا مأجورين .

س ٣ — هل يصح الطواف بالبيت الحرام بغير وضوء ؟

نرجو جوابكم الشافى على صفحات مجلة الهدى النبوى الغراء

عن جماعة أنصار السنة المحمدية بالقضارف

أبو بكر محمد أحمد طه

ب — الأجوبة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

جـ ١ — من الأحاديث الصحيحة التى وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قوله : أينما أدركتك الصلاة فصل ؛ فهو مسجد .

وقوله : الأرض لك مسجد ؛ فحيثما أدركتك الصلاة فصل .

وقوله : جعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها طهوراً .

ومن هذه النصوص يتبين انا أن الصلاة صحيحة فى كل مكان ، على سطح الأرض

فإذا أدركت الإنسان الصلاة فى أى مكان من الأمكنة فيصلها فيه ، وصلاته صحيحة متى أتم لها أركانها .

وقد استثنى الشارع من هذا التعميم أماكن خاصة نهى عن الصلاة فيها ، ومن الأماكن التى نهى الشارع عن الصلاة فيها معاطن الإبل وهى الأماكن التى تقف فيها عند ورودها الماء . قال صلى الله عليه وسلم : لا تصلوا فى معاطن الإبل .

وكذلك المقبرة والحمام . لقوله صلى الله عليه وسلم : الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام

وعلى ذلك فالصلاة فى البراح المتصل بحجرتكم التى اتخذتموها مسجداً صحيحة ولكنها ليست فى درجة الصلاة فى المسجد ، فإن للمسجد حرمة خاصة ليست لغيره من الأماكن إذ يجب تنظيفه وتطهيره وتطييبه . ولا يجوز البول ولا البصاق فيه ، ولا نشدان الضالة ، ويثاب الساعى إليه وتحسب آثاره وإذا جلس فيه من يذكر الله حفته الملائكة وتنزلت عليه السكينة وغشيته الرحمة ، وذكره الله تعالى فيمن عنده ، ومن يتعلق قلبه به يكون من السبعة الذين يظلهم الله تعالى بظله يوم لا ظل إلا ظله .

فإن شئتم أن يكون للبراح المتصل بمسجدكم حكم المساجد فإنزلوا عن ملكيته كله لله تعالى واجعلوه مسجداً خالصاً لله بحيث لا يدعى أحد منكم فيه ملكية شىء ولو قيد أصبع . وبذلك يكون له حكم المساجد ، وللصلاة فيه فضل الصلاة فى مساجد الله ، والله أعلم .

ج ٢ — قال الله تعالى فى سورة النساء : (ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ، ولا جنباً إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه . إن الله كان عفواً غفوراً ٤٣) .

وقال تعالى فى سورة المائدة : (ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق ، وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، وإن كنتم جنباً

فأطهروا ، وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد من منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون : ٦)

والمعنى الظاهر الواضح الذى يمكن فهمه بسهولة ويسر من منطوق الآيتين الكريمتين أن الأعذار المبيحة للتيمم ثلاثة : (١) المرض . (٢) السفر (٣) فقد الماء عقب الحدث الأصغر الموجب للوضوء والحدث الأكبر الموجب للغسل .

ومع ذلك فالمسافر يرخص له فى التيمم ولو لم يكن فاقداً للماء .

هذا ما يمكن أن يفهمه القارىء من الآيتين الكريمتين إذا لم يكلف نفسه حملهما على مذهب من وراء القرآن .

ولكن هذا مخالف لأقوال الفقهاء الذين لم يأخذوا بما دل عليه ظاهر الآيتين الكريمتين من غير تكلف وهو الموافق الملتئم مع غيره من رخص السفر التى منها قصر الصلاة والجمع بينهما ، وإباحة الفطر فى رمضان ، فلا يستنكر مع هذا أن يرخص للمسافر فى ترك الغسل والوضوء وهما دون الصلاة والصوم فى نظر الدين .

ومع ذلك فالتيمم رخصة وليس بواجب ، فيحسن بالمسافر إذ ألم عسراً فى الحصول على الماء أن يتوضأ وخاصة إذا كان راكب البحر . روى مالك فى الموطأ أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضأنا به عطشنا ، أفنتوضأ به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو الطهور ماؤه الحل ميتته . فراكب البحر مسافر بغير شك وقد أباح له الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ بماء البحر إن لم يأخذ بالرخصة والله أعلم .

جـ ٣ — الطواف كالصلاة إلا أن الله أباح فيه الكلام . فيشترط لصحته ما يشترط لصحة الصلاة من الطهارة من الحدث والخبث والله أعلم

أبو الوفاء محمد درويش

إطلاق أول صاروخ عربى فى الفضاء

الصاروخ (القاهر)

فى هذه الفترة المجيدة ، تنطلق صواريخنا عبر الفضاء ، رافعة أعلامنا ، معززة انتصاراتنا ، معلنة انتقالنا إلى عصر الفضاء ـ ووقوفنا جنباً إلى جنب مع دول العالم الكبرى ـ و بقلوب ملؤها الفرحة ، وعيون تتطلع إلى المستقبل الزاهر ، يطيب لجماعة أنصار السنة المحمدية أن ترفع آيات التهنئة والتبريك إلى الرئيس البطل جمال عبد الناصر ضارعين إلى الله أن يأخذ بيد أمتنا الناهضة إلى مواطن العزة والمجد .

وندعو الله تعالى أن يتحقق فى ظل قيادة الرئيس جمال عبد الناصر الرشيدة ، مزيداً من الانتصارات لشعبنا العربى الإسلامى ، الذى يتطلع اليوم إلى السماء فى زهو لصواريخه التى تشق الفضاء فى سبيل العزة والكرامة .

واليوم ـ كما قال الرئيس ـ فى احتفال الكلية الحربية بتخريج الدفعة الرابعة عشرة من طلبتها ـ يحق لنا أن نفخر بأن هدف الشعب من أجل تكوين الجيش الوطنى القوى قد تحقق .

فقد حصلت القوات البحرية الجوية والبرية على أحدث الأسلحة ، فى نفس الوقت الذى بذلت فيه هذه القوات كل جهد من أجل أن تكون على درجة كافية من المهارة والكفاية . .

و بهذا أصبح لنا الجيش القادر على حماية وطننا ، والقادر على التعاون مع الأمة العربية كلها لصد أى عدوان .

العدد ٤ | ربيع الآخر
المجلد ٢٧ | سنة ١٣٨٢

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ – فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٤ | ربيع الآخر سنة ١٣٨٢ | المجلد ٢٧

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل شأنه : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا. إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ، فَقَالُوا : رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا . فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثم بَعَثْنَاهُمْ ؛ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ٩ — ١٢ من سورة الكهف) .

معانى المفردات

حَسِبَ : الْحُسْبَان : العَدّ ، والحِسْبَانُ : الظَّنّ . والمعنى واحد ؛ لأنه إذا قال : حَسِبْتُه كذا ، فكأنه قال : هو فى الذى أَعُدُّه من الأمور الكائنة .

ويقول الراغب عن الحِسْبَان : إنه يقارب الظن ، وليس هو ، لأن الحسبان هو أن تحكم لأحد النقيضين من غير أن تخطر الآخر على البال ، أما الظن ففيه خطور النقيضين على البال .

الكهف : الغار الواسع فى الجبل . وجمعه : كهوف .

الرقيم : فعيل بمعنى مفعول ، مثل جريح بمعنى مجروح ، فأصل الرقيم مرقوم . يقال : رقمت كذا : إذا كتبته . ومنه قيل للرقم فى الثوب : رقم ؛ لأنه الخط الذى به يعرف ثمنه ، ومن ذلك قيل للحيّة : أرقم لما فيها من الآثار . وقال الراغب الرقم : الخط الغليظ ، وقيل : هو تعجيم الكتاب « أىْ نَقْطُه » . وقيل ؛ عن الرقيم أقوال كثيرة : فالرقيم اسم قرية ، أو اسم واد بين عُسْفَان وأيلة دون فلسطين ، كان فيه كهفهم ، أو هو اسم جبل أصحاب الكهف ، أو هو اسم كلبهم .

وقال ابن عباس : ماأدرى ماالرقيم ؟ أكِتاب أم بنيان . وقال سعيد بن جبير : الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ، ثم وضعوه على باب الكهف . وقال غيره : لوح كتب فيه أسماء وأصحاب الكهف وخبرهم حين آووا إلى الكهف ، ثم قيل : وقد رفع هذا اللوح فى خزانة الملك ، وقيل : بل جعل على باب كهفهم ، أو عند أهل بلدهم .

وأقول : قول سعيد بن جبير ، وقول من بعده هو الأشبه بالصواب ، والصحيح ؛ إذ كانت تلك عادة العصر القديم وهو مناسب لأصل المعنى

عجباً : العجب حال تعرض للإنسان من الجهل بسبب الشىء . ويقال للشىء الذى يتعجّب منه : عَجَب ، ومعنى (كانوا من آياتنا عجبا) أى ليس أمر الفتية فى نهاية العجَب ، بل فى أمورنا ماهو أعظم وأعجب من أمر الفتية .

الفتية : جمع فتى ، وهو — كما يقول الراغب — الطَرِىُّ من الشباب . وفِتْيَة جمع قِلَّة لما دون العشرة .

رَشَدًا : قال ابن فارس عن أصل الكلمة : إنه يدل على استقامة الطريق . والرُّشْدُ والرَّشَد خلاف الغَىّ .

ضربنا على آذانهم : أى جعل عليها حجاباً يحول بينها و بين أن تسمع ، فناموا نوماً ثقيلاً ، لاتُنَبِّهُهُمْ منه الأصوات .

الحزبين : الحِزْبُ جماعة فيها غِلَظٌ . ويقال عن الطائفة من كل شىء : حزب . و يراد بالحزبين هنا الطائفتان اللتان اختلفتا فى شأن أصحاب الكهف ، وسيأتى ذكر الطائفتين .

أَمَدًا : الأمد : مُدَّةٌ لها حَدٌّ مجهول إذا أُطْلِق ، وقد ينحصر. والفرق بين الزمان والأمد : أن الأمد يقال باعتبار الغاية والزمان عام فى المبدأ والغاية .

المعـــنى

روى المفسرون عن محمد بن إسحاق قوله : بعثت قريش النَّضْر بن الحارث وعقبة ابن أبى مُعَيْط إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم : سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله : فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ماليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما المدينة ، فسألا أحبار يهود عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووصفا لهم أمره ، و بعض قوله ، وقالا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم ؛ لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، فقالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن ، فهو نبى مرسل ، وإن لم يفعل ، فالرجل مُتَقَوِّل ، فَتَرَوْا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأَوَّل : ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عَجِيب . وسلوه عن رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها : ما كان نبؤه ؟ . وسلوه عن الروح : ماهو ؟ فإن أخبركم بذلك ، فإنه نبى فاتبعوه ، و إن هو لم يخبركم ، فهو رجل مُتَقَوِّل ، فاصنعوا فى أمره مابدا لكم ، فأقبل النضر وعقبة ، حتى قدما مكة على قريش ، فقالا : يامعشر قريش ، قد جئناكم بفصل مابينكم و بين محمد ، قد أمرَنا أحبارُ يهود أن نسأله عن أمور .

فأخبروهم بها ، فجاءوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا : يامحمد . أخبرنا . فسألوه عما أمروهم به ، فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أُخْبِركم غداً بما سألتم عنه ، ولم يستثن «أى لم يقل : إن شاء الله» فانصرفوا عنه ، فمكَثَ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خمس عشرة ليلة لا يُحْدث الله إليه فى ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام ، حتى أَرْجَفَ أهلُ مكة ، وقالوا : وعدنا محمد غداً ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشىء مما سألناه عنه ، حتى أحزن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُكْثُ الوحى عنه ، وشق عليه مايتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبرائيل ـ عليه السلام ـ من الله عز وجل بسورة أصحاب

الـكهف . فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ماسألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطواف ـ أى ذى القرنين كما سيأتى ـ وقول الله عز وجل : (ويسألونك عن اروح) .

تعقيب : لست أملك ماأحكم به على هذه القصةمن أنها حقيقة تاريخية ، أو أنها صورة من صنع الخيال . غير أنى لا أستطيع أن أدفع ذلك اليقين الذى تمتلىء به نفسى ، وهو أن أصل القصة حق لا ريب فيه ، فالذى يتدبر الآيات التى تتعلق بأصحاب الـكهف ، وبذى القرنين ، وبالروح ، يبدو له جلياً أن القصة فى إجمالها ـ لا فى تفصيلاتها ـ صحيحة ونحن المسلمين ـ لا نحب أن نفزع إلى الخيال فى فهم وبسط قصص القرآن ؛ لنستثير عواطف القراء ، ولا نستطيع أبداً أن نزيد على ماذكر القرآن ، أو ننقص ، ولا سيما فى قصص الأنبياء ، وحقائق التاريخ السحيق العميق الذى ليس له من مصدر نعرفه منه سوى الوحى الإلهى .

الرأى فى قصص القرآن :

ونحن المسلمين أيضاً نؤمن إيماناً وثيقاً راسخاً لا يأذن للشك أن يحوم حول قُدْسِه بأن قصص القرآن حق لا ريب فيه بحوادثه ، بألفاظه ، بمعانيه ، بكل صغيرة وكبيرة رويت فى أثنائه ، ومعاذ الله أن نتهم الله بأنه يفترى قصصاً كما يفترى القاصُّون من البشر ! معاذ الله أن نزعم أن قصص القرآن لا سند له من الواقع ، وإنما هو رموز وإشارات وتلويحات . وكل هذا الذى نعوذ بالله منه قد تردَّى فى هاويته كثير ممن أعماهم الحقد ، وأصمهم الحسد[1] ، وممّن خدعتهم الفلسفة المادية عن إيمانهم ، وضلّت بهم عن كتاب ربهم فراحوا ـ ظانين أنهم يخدمون القرآن ، ويقربون بين هداه وضلالة الفلسفة ـ يزعمون أن قصص القرآن قصص فنيٌّ لا يستهدف الإخبار عن واقع ، أو حقيقة ، وإنما يستهدف استمالة القلوب بالعظة ، أو يزعمون ـ بتعبير أصرح ـ أن الله يفترى قصصاً لم تقع !! .

---

(١) قال ذلك قديما إخوان الصفا والباطنية وقالتها البهائية حديثا .

وهؤلاء المخدوعون المغرورون أشد ضررا على الأمة الإسلامية من عدوها المهتوك الستر والقناع . ومنهم ـ ويا أسفى ـ قوم يثق بهم المسلمون ، ويتخذون من آرائهم فى فى الدين حجة لهم و برهاناً ، فليحذر المسلمون[1] ! وليتدبروا قول الله سبحانه . (لقد كان فى قَصَصِهِمْ عِبرةٌ لأولى الألباب ، ما كان حديثاً يُفْتَرَى ، وَلـكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء ، وهدى ورحمةً لقوم يؤمنون) .

أعتقد أننا قد فقهنا حكمة ورود قوله جل شأنه : (ما كان حديثاً يُفْتَرَى) . أليس كذلك ؟ وليعلم المسلم أن القرآن هو المهيمن المسيطر على كل كتاب إلٰهى ، فما بالـكم بكتب البشر ؟ ! وليعلم المسلم أن الله أكبر ، فلا يَهولَنَّك أن ترى كبيراً من البشر يخطىء؛ فكل بنى آدم خطّاء ، وخير الخطائين التوابون .

هذه كلمة كان لابد لى من أن أقولها ، ولا أَمَلّ من تـكرارها ، وأسأله ـ جل شأنه ـ أن يجعلها كلمة حق وصدق ، وأن تـكون خالصة لوجهه الـكريم .

متى ، وأين ؟ : إن الملابسات تؤكد لى أن كل قارىء لهذه الآيات تستشرف نفسه ، وتتطلع إلى أن يعرف : متى وأين حدثت هذه القصة؟ و إلى أن يعرف من هم هٰؤلاء الفتية. ولـكنى أعتذر للقارىء ، فإنى لن أقول له إلا ماأعلمه عن الله ورسوله ، ولن أزيد عما ذكر القرآن ، أو أنقص منه ، فلست أومن إلا بما قال الله ، و إلا بما بين الله من حكمة لقصصه، وهى أنها عِبَرةٌ يعتبر بها أصحاب العقول . ولا تحتاج العبرة مطلقاً إلى ما ترك القرآن ذكره من زمان القصة ومكانها وأسماء أصحابها

---

(١) يفرض علينا الله سبحانه أن نصدع بالحق ، دون مجاملة أومداهنة ولهذا أقول : لقد ذهب الأستاذ الشيخ محمد عبده فيما تكلم به عن قصة آدم مذهبا جنح به إلى رأى القائلين بأن القصة تمثيل للمعانى فى صور محسوسة وبأنه لا يمكن حمل القصة على ظاهرها ففى حملها على ظاهرها محالات كثيرة ! ! ولا نستطيع أن نقبل هذا من الأستاذ المفتى الـكبير ! ! فالله يقول : « ماكان حديثا يفترى » .

من أقـــوال المفسرين : يجمع كثير من المفسرين على أن هؤلاء الفتية كانوا من المسلمين الذين أسلموا لله مع عيسى عليه السلام ، وأنهم ذاقوا مرارة الاضطهاد على يد طاغية سَمَّوْه . « دقيانوس » .

وأطال المفسرون ، و بسطوا القول فى هذا فى عدة صفحات طوال كما فعل الطبرى والخازن والبغوى وغيرهم[1] .

رأى ابن كثير : وقد ذكر ابن كثير ماقاله المفسرون ، وهو أنهم كانوا فتية على دين المسيح ثم عقب على هذا بقوله : (والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية ، فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم ؛ لمباينتهم لهم » ثم ذكر قصة قريش مع أحبار اليهود التى ذكرتها فى أول التفسير ، ثم قال : « فدل هذا على أن هذا ـ يعنى أمراً الفتية ـ أمر محفوظ فى كتب أهل الكتاب ، وأنه مقدم على دين النصرانية ، والله أعلم » .

وحسبنا أن نعلم أنهم فتية مسلمون صدق إيمانهم بالله رب العالمين ، وزادهم الله هُدًى. وفروا بدينهم من طاغية كان هو وقومه يتخذون من دون الله آلهة .

حسبنا أن نتدبر ماذكره الله عنهم ، ففيه هدى وشفاء !

تفسير الآيات : يظهر من روح الآية الأولى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قد سمع بقصة أهل الكهف مجملة ، فأثارت منه العجب استعظاماً لشأن هذه الآية الباهرة والمعجزة القاهرة التى خالفت كل ما عرف الناس من أسباب وعلل ، والتى تدل دلالة قاطعة على أنه لا يستطيع إيجادها إلا من بيده كل الأسباب ، وتحت أمره وقدرته كل السنن .

---

(١) مما ذكره البيضاوى من آراء ، أن أصحاب الرقيم هم أصحاب الغار الذين حبسوا فيه بسبب صخرة سدت بابه ، فراح كل منهم يتوسل إلى الله بعمل صالح من أعماله حتى انزاحت الصخرة .

وأقول : يظهر من روح الآية أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان قد سمع بقصة أصحاب الكهف ؛ لأن الله يقول له : (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) .

أى : أحسبت أن شأن أصحاب الكهف والرقيم فى بقائهم هذه السنين العديدة نائمين لايميتهم جوع ، ولا ظمأ ، ولا تنال منهم آفة ، ولا تنزل بهم ، ولا يصيبهم ما يصيب أمثالهم من تعاقب الليل والنهار وهم فى كهفهم .

أحسبت آية هؤلاء عجباً يثير استعظامك لأمرها ، وهناك من آيات الله ما هو أعظم شأناً من هذه الآية .

خلق السموات والأرض ومن فيهن ، وما فيهن . ما نَزّلت عليك من كتاب فيه الحق والخير والعلم والحكمة والهدى والنور .

إن ما خلقت من آيات ، وما أعطيتك من آيات أعظم من آية أصحاب الكهف . لقد ناموا عدة قرون ، ثم قاموا ، فما بالك بالإنسان الذى خلقته من طين ، وبخلق السموات والأرض ، وبأولئك الذين يموتون ، فيصيرون عظاماً ورفاتا ، ثم يبعثهم الله ؟ ما بالك بالكتاب القيِّم الذى ليس فيه عِوَجٌ . أليس شأن هذه الأشياء أعظم من شأن أصحاب الكهف ؟ أليس شأنها أدل على جلال قدرة الله وقهرها لكل شىء ، وتسخيره للمشيئة الإلهية من شأن أصحاب الكهف ؟ .

ومع هذا فقد جحد المشركون بهذه الآيات ، واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ، فهل تحملهم قصة أهل الكهف على الإيمان ؟ ! .

« إذ أوى الفتية إلى الكهف » أتبع هدى القرآن فى القصة ، فلا أفيض فى شأن القصة إلا حيث يفيض القرآن ، فقد ذكر فى هذه الآية ، وفى الآيتين اللتين بعدها قصة أصحاب الكهف والرقيم مجملة . ثم ذكرها بعد ذلك مفصلة .

وبهدى القرآن أهتدى وأقتدى ، فأذكرك بأن هؤلاء كانوا من شباب الإسلام فى عصرهم ، وتلك هى السنة الغالبة فى أتباع الرسل . إنهم يكونون فى غالبيتهم من الشباب الذين لم تطغ على فطرهم ركام الضلالات الموروثة ، وقد فر هؤلاء الشباب بدينهم إلى كهف فى جبل يختفون فيه عن العيون التى تبحث عنهم ، وحينما احتواهم الكهف لم يخالط إيمانهم شَوْبٌ يدفعهم إلى الظن بأنهم صاروا فى مأمن ، أو بأنهم ليسوا فى حاجة إلى الله ، وإنما زادهم الإيمان لياذاً بالله ، وفاقة إلى عونه ، وفقراً إلى نصره ، زادهم لجوءاً إلى العلى القدير ، وتضرعاً إليه ، وقنوتاً بين يديه ، فقالوا فى صدق الإيمان ، وطهارة التقوى : (رَبَّنَا آتنا من لدنك رحمة) ، وفى قولهم « لدنك » دليل قوى على قوة إخلاصهم فى إيمانهم ، وفى توحيدهم ، وشدة حاجتهم إلى ربهم ، ويقينهم بأن رحمته وحدها هى المنقذة . كان يكفى أن يقولوا : ربنا آتنا رحمة ، ولكنهم أبوا ، أو أبى الإيمان المستقر فى أعماقهم ، المسيطر على مشاعرهم وعواطفهم وألسنتهم وكلماتهم .

أبوا أو أبى إيمانهم إلا الإتيان بكلمة « لدنك » تعبيراً صادقاً دالا بوضوح على عظمة إيمان هؤلاء الفتية ، فما أيأسَهُمْ أن يَحْبسوا أنفسهم فى الكهف ، وما أيأستهم شدة طلب الطاغين لهم ، والبحث عنهم ، ماأيأسهم ذلك من رحمة الله ، فطلبوها ؛ ليعينهم الله فى محبسهم برزقه . ثم قالوا : (وهيىء لنا من أمرنا رشدا) اجعل لنا يارب من أمرنا هذا سداداً وسلوكا للسبيل السوى المستقيم الذى نصل به إلى رضوانك .

لم يوقنوا بأن مافعلوه من فرار هو الخير والسداد ، فلجأوا إلى الله يضرعون إليه أن يجعل من عملهم هذا خيراً وهداية لهم فى دينهم ودنياهم .

(فضربنا على آذانهم) : واستجاب الله برحمته ، وهيأ لهم الرشد من أمرهم ، فألقى على آذانهم حجاباً قوياً ، كأنما أغلقت ، ثم طُبع عليها ، فلا تفتح إلا بإذنه ، فاستغرقوا فى نوم عميق سنين طويلة سيذكرها الله سبحانه .

ولعل العصر الذى كان فيه هؤلاء ، كان عصر إلحاد وجحود بالبعث ، فكانت هذه الآية التى تتجلى بها قدرة الله سبحانه على البعث . تدبر قول الله : (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها) .

(ثم بعثناهم) : والقيام من هذا النوم الطويل العميق العريض بعث ، ولا ريب ، وقد بعثهم الله سبحانه ؛ ليعلم[1] جل شأنه ـ وهو المحيط بكل شىء علماً قبل أن يكون ، وهو الذى يعلم الشىء حين يكون ، كما هو فى علمه قبل أن يكون ـ أى الحزبين اللذين اختلفا فى شأن أصحاب الكهف على صواب فى تقديره لمدة مكث هؤلاء فى الكهف[2] .

ربنا اهدنا بآياتك ، وزدنا هدى ببيناتك ، واربط على قلوبنا بتأييدك وعونك ، وهيىء لنا من أمرنا رشداً .

عبد الرحمن الوكيل

---

(١) لا أستطيع أن أغير أو أبدل فى كلام الله ، فأقول كما يقول الذين يتهمون الله بعدم القدرة على البيان ، وبالعى فى القرآن : ليعلم عبادى ! وينفون ماقال الله . نحن نؤمن أنه يعلم كل شىء أزلا ، وأنه يعلم الشىء قبل وقوعه ، وأن الشىء يقع مطابقاً لما علم الله . وأنه جل شأنه يعلم ماوقع للشىء ، أو يعلم الشىء عند وقوعه . وحسبنا هدى الله .

(٢) يجوز أن نفهم فى الحزبين أن أحدهما هم الذين عثروا عليهم ، وأن الحزب الآخر هم أصحاب الكهف أنفسهم . وقد بين الله أن من أصحاب الكهف من ظن أنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم . ويجوز أن يكون الحزبان هم أصحاب الكهف نفسه ، وقد كانوا فريقين . فريقاً قال : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، وفريقاً قال : ربكم أعلم بما لبثتم ، فلم يحص أحدهم مدة النوم فى الكهف ، وكذلك أهل القبور عند البعث يوم القيامة .

المنفرون

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«أيها الناس إنكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة » .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه ، مالا يذكر وحده منفرداً عن قرينه ، بل لايذكر إلامقترناً به . وذلك مثل « القابض والباسط . والخافض والرافع . والمعز والمذل . والضار النافع . والمعطى المانع إلخ » وذلك لأن الكمال لايحصل إلا باجتماعهما ، فإذا أفرد أحدهما عن مقابله فات هذا الكمال . وهذه كلها صفات أفعال متعدية إلى الخلق تتعلق ، بها مشيئة الله وقدرته على وفق علمه وحكمته . ولهذا يعبر عنها كثيراً فى القرآن بصيغة الفعل كقوله تعالى من سورة البقرة (والله يقبض ويبسُط وإليه ترجعون) وكقوله من سورة آل عمران « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ، إنك على كل شىء قدير) .

أما القبض والبسط فيتعلقان بكل ما من شأنه أن يقبض أو يبسط . وذلك مثل الأرزاق ، فهو سبحانه يفيض الرزق ويقدره على من يشاء من خلقه ، ويبسطه ويوسعه على من يشاء . كما قال تعالى من سورة سبأ (قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) .

وكقوله من سورة الشورى (له مقاليد السموات والأرض ، يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه بكل شىء عليم)، وكقوله من نفس السورة (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ، ولكن ينزل بقَدَرٍ ما يشاء إنه بعباده خبير بصير) .

ومنها قبضه سبحانه لأرواح العباد عند الموت ، وبسطه لها فى الأجساد عند الحياة . فهو القابض والباسط لذلك على الحقيقة ، وإن كان قد وكل ملائكة بإخراج الأرواح وتوفيها . كما قال تعالى (قل يتوفاكم ملك الموت الذى وُكِّل بكم) ووكل ملائكة

آخرين بنفخ الروح فى الأجنة ، فإن هؤلاء الملائكة لايفعلون إلا بإذنه وأمره كما قال تعالى (وهم بأمره يعملون) .

ومنها قبضه الرحمة وإمساكها عمن يشاء ، و بسطها وفتحها على من يشاء كما قال تعالى من سورة فاطر (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده) .

ومنها قبضه لقلوب أعدائه من الكفار والمجرمين فيضيقها حتى لا تتسع لقبول شىء من الخير والهدى ، و بسطه لقلوب أحبابه وأوليائه بما يودعها من معانى صفاته وأسمائه ، قال تعالى (فمن يُرِدِ الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يَصَّعَّدُ فى السماء » .

وأما الخفض والرفع فهما كذلك يتعلقان بكل ما من شأنه أن يخفض أو يرفع ، فهو سبحانه يخفض أعداءه من الكفار والمجرمين بالإذلال والإهانة ، والإشقاء والإبعاد . و يرفع أولياءه من المؤمنين المتقين بالتكريم والإعزاز والتقريب والإسعاد . قال تعالى (يَرْفَعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) فهو سبحانه بيده الملك يخفض و يرفع فلا رافع لمن خفضه الله ولا خافض لمن رفعه .

وهو المعز لأهل طاعته بالعز الحقيقى الذى لا يشو به ذل ، فإن المطيع لله عزيز و إن كان فقيراً محروماً ليس له أنصار ولا أعوان . وهو المذل لأهل معصيته وأعدائه ذلاً فى الدنيا والآخرة . فإن العاصى وإن ظهر بمظاهر العز فقلبه حشوه الذل و إن لم يشعر به لانغماسه فى الشهوات . فالعز كل العز فى طاعة الله عز وجل والذل كل الذل فى معصيته . قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) .

وهو سبحانه المانع المعطى ، فلا معطى لما منع ، ولا مانع لما أعطى .

و يجب أن يعلم أن هذه الأمور كلها تابعة لعدله وحكمته وحمده ، فإن له سبحانه الحكمة البالغة فى خفض من يخفضه ويذله ويحرمه ، ولا حجة لأحد على الله كما أن له

الفضل المحض على من رفعه وأعطاه و بسط له فى الخير ، فعلى العبد أن يعترف بحكمة الله ، كما عليه أن يعترف بفضله ويشكره بلسانه وجنانه وأركانه .

وكما أنه سبحانه هو المنفرد بهذه الأمور كلها ، وكلها جارية تحت أقداره فإن الله جعل لرفعه وإعطائه وإكرامه أسباباً ، وجعل لضد ذلك من الخفض والإهانة والمنع أسباباً ، من قام بها ترتبت عليها مسبباتها . وكل ميسر لما خلق له . أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة.

وهذا يوجب على العبد القيام بتوحيد الله تعالى والاعتماد عليه فى تحصيل ما يحب ، مع الاجتهاد فى فعل الأسباب النافعة ، فإنها محل حكمة الله تعالى . والله أعلم .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية الشريعة

البهـــائية

تاريخها وعقيـــــدتها

تأليف الأستاذ عبد الرحمن الوكيل رئيس الجماعة

قضى المؤلف فيه سنوات يبحث وينقب فى مائة وعشرين كتاباً من كتب البهائيين وغيرهم كالشيعة الإثنى عشرية والإسماعيلية والباطنية وإخوان الصفا والدرزية ، وقد ألم بتاريخ مجمل لهذه الفرق ، منذ قام اليهودى ابن سبأ فى عهد عثمان إلى القرن الثالث عشر الهجرى حيث قام البهائيون . كما عرض تاريخ بعض الثورات ضد الإسلام كثورة بابك الخرمى والزنج وفتنة البرامكة . ثم بسط عقائد تلك الفرق التى نجمت قبل البهائية . ثم تكلم عن الشيخية والبابية والبهائية فى تفصيل تام لتاريخها وعقيدتها وشريعتها ـ عقيدتها فى الله ـ عقيدتها فى الرسل ـ رأيها فى نسخ الإسلام ـ رأيها فى القرآن ـ رأيها فى القيامة ـ مقاييس المعرفة ـ صلاتها ـ صومها ـ حجها ـ شعائرها فى الزواج والطلاق . كل هذا وغيره فى ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير والنوع الجيد من الورق وطبع أنيق جميل فى مطبعة السنة المحمدية يصدر فى الأسبوع الأول من ربيع الآخر إن شاء الله . اطلبه من مكتبة السنة المحمدية ٨ شارع قوله لمديرها محمد موسى خليل ثمنه ٥٠ خمسون قرشاً .

حقوق آل البيت

مالهم وما عليهم

للأستاذ العلامة الدكتور تقى الدين الهلالى

هو الأستاذ المجاهد العلامة الدكتور تقى الدين الهلالى ناصر التوحيد والسنة وقامع البدعة والخرافة وأشد الناس تمسكا بهما رغم طول مكثه بأوروبا ،. وقد كان أستاذ اللغة العربية بجامعة (بون) بالمانيا الغربية قبل الحرب العالمية الثانية ، ثم ارتحل بعدها إلى المغرب حيث أصدر مجلته الاسلامية (اسان الدين) ثم زار مصر ، ومنها إلى العراق حيث أنسباؤه وذوو قرابته ودرس بجامعتها فترة من الزمن ، ثم عاوده الحنين إلى المغرب حيث استقر به المقام فى مكناس . فأرسل إلينا هذه المقالة الفريدة فى بابها . وللعلامة تقى الدين مقال بالهدى النبوى منذ خمس وعشرين سنة عن (الجهاد روح الدين) نشر بعدد ذى الحجة سنة ١٣٥٧ وكان إذ ذاك بألمانيا . بارك الله له فى جهاده وعمره ونفع الله به

الهدى النبوى)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلاته وسلامه على نبينا محمد خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فقد ورد على سؤال أورده بالمعنى لطوله وهو ، أن بعض الناس بعد الاستقلال أخذوا ينكرون فضل أبناء فاطمة رضى الله عنها الذى أعطاهم الله ورسوله إياه اعتماداً على خطبة ألقاها الملك محمد الخامس بعد رجوعه من المنفى ، وذكر الحديث : «لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأسود على أحمر إلا بتقوى الله العظيم » فما هو الحكم الشرعى ؟؟

الجواب والله الموفق للصواب :

إن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جاء بشريعة كلها عدل وإنصاف ومساواة وتواضع ،

بعيدة عن الافتخار بالأنساب ، قاضية على نظام الطبقات . وأدلة ذلك من الكتاب والسنة كثيرة ؛ فمنها قوله تعالى فى آخر سورة الشعراء : (وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل : إنى برىء مما تعملون .) وروى البخارى رحمه الله أن النبى — صلى الله عليه وسلم — لما نزلت عليه هذه الآية دعا أقاربه : فاطمة بنته وصفية عمته والعباس عمه وسائر بنى هاشم ، ثم قال : يافاطمة بنت محمد سلينى من مالى ما شئت ، وأنقذى نفسك من النار ، فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً ، ياصفية عمة رسول الله أنقذى نفسك من النار لا أغنى عنك من الله شيئاً ، يابنى هاشم لا يأتينى الناس بالأعمال وتأتونى بالدنيا تحملونها فتقولون : يامحمد ، فأقول : لا ، قد بلغت . وقال الله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) :

وفى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، سئل من أكرم الناس ؟ « فقال : أتقاهم لله عز وجل : قالوا ليس عن هذا نسألك ، قال : أكرم الناس يوسف نبى الله ابن يعقوب نبى الله بن إسحاق نبى الله بن إبراهيم خليل الله . فقالوا : ليس عن هذا نسألك ، فقال : فعن معادن العرب تسألونى ؟ قالوا : نعم ، قال : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» وروى البخارى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال إن آل أبى فلان ليسوا لى بأولياء ، إنما وليى الله وصالح المؤمنين ، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها : وقال الله تعالى : (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل ؛ لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « يقول تعالى مخبراً للناس : إنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ، وهما آدم وحواء ، وجعلهم شعوباً وهى أعم من القبائل ، ومعرفة القبائل مراتب أخرى ، كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك » . ثم قال : « فجميع الناس فى الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء ، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية ، وهى طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولهذا قال تعالى بعد النهى عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً منبهاً على تساويهم فى البشرية (ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) أى ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته . وقوله تعالى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . أى إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالأحساب .

ثم ذكر ابن كثير حديث البخارى المتقدم فيمن هو أكرم الناس ثم نقل عن الإمام أحمد أنه روى بسنده عن أبى ذر أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال له « انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله » . ثم روى بسنده أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « المسلمون إخوة ، لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » ثم نقل عن البزار بسنده عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب . ولينتهين قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان[1] » .

ثم نقل عن ابن أبى حاتم بسنده إلى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن فى يده ، فما وجد لها مناخا فى المسجد حتى نزل صلى الله عليه وسلم ، على أيدى الرجال ، فخرج بها إلى بطن المسيل فأنيخت ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم على راحلته فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : « ياأيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل برتقى كريم على الله ، ورجل شقى هين[2] على الله تعالى ، إن الله عز وجل يقول : « ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر

---

(١) جمع جعل بضم ففتح نوع من الخنافس التى تطير يعيش بالنجاسات

(٢) من الهوان أى مهين وبالتخفيف ـ اللين ـ قاله فى القاموس .والعبية : الكبر

وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » ونقل عن الإمام أحمد بسنده إلى عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال « إن أنسابكم هذه ليست بمنسبة على أحد ، كلكم بنو آدم ، طف الصاع ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى ، وكفى بالرجل أن يكون بذيا بخيلا فاحشا » ونقله عن ابن جرير بسنده ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس لآدم وحواء ، طف الصاع إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ، ولا عن أنسابكم يوم القيامة . إن أكرمكم عند الله أتقاكم . وروى أحمد بسنده إلى درة بنت أبى لهب قالت : قام رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو على المنبر ، فقال يارسول الله ! ، أى الناس خير . قال صلى الله عليه وسلم خير الناس أتقاهم لله عز وجل ، وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم » .

وقال الإمام ابن كثير فى تفسير آية الشعراء السابقة الذكر ، قال تعالى . (فلا تدع مع الله إلٰها آخر ، فتكون من المعذبين ، وأنذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فإن عصوك فقل : إنى برىء مما تعملون) . يقول تعالى : آمراً بعبادته وحده لا شريك له ، ومخبراً أن من أشرك به عذبه . ثم قال تعالى : آمراً لرسوله صلى الله عليه وسلم أن ينذر عشيرته الأقربين الأدنين إليه . وأنه لا يخلص أحداً منهم إلا إيمانه بربه ، وأمره أن يلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين ، ومن عصاه من خلق الله كائناً من كان فليتبرأ منه . ولهذا قال تعالى : (فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون)ثم ذكر الإمام ابن كثير فى تفسير هذه الآية أحاديث صحيحة معزوة إلى مخرجيها بأسانيدها وفصلها تفصيلا كعادته رحمه الله . ثم ذكر أحاديث أخرى ضعيفة ومتروكة وموضوعة ونبه عليها وانتقدها .

ولنذكر هنا ما يتسع له المقام من القسم الأول ، وهو الأحاديث الصحيحة تاركين أسانيدها وتفصيلها اختصاراً فنقول : الحديث الأول : روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لما أنزل الله عز وجل : (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى النبى صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ، ثم نادى ياصباحاه ! فاجتمع الناس بين رجل يجيء إليه ، و بين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يابنى عبد المطلب ، يابنى فهر ، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى ؟ قالوا : نعم ، قال: فإنى نذير لكم بين يَدَىْ عذاب شديد » فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، أما دعوتنا إلا لهذا ؟ فأنزل الله : تبت يدا أبى لهب وتب » رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى

الحديث الثانى : روى أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يافاطمة ابنة محمد ، ياصفية ابنة عبد المطلب ، يابنى عبد المطلب : لا أملك لكم من الله شيئا ، سلونى من مالى ماشئتم » انفرد بإخراجه مسلم .

الحديث الثالث : وروى أحمد عن أبى هريرة قال : لما نزلت الآية (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ، فعم وخص ، فقال : يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بنى كعب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يامعشر بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يافاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار ، فإنى والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحماً أبلها ببلالها » رواه مسلم والترمذى من حديث عبد الله بن عمر به . وأخرجاه فى الصحيحين . وروى أحمد عن أبى هريرة قال ، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : يابنى عبد المطلب اشتروا أنفسكم من الله ، ياصفية عمة رسول الله ، يافاطمة بنت رسول الله اشتريا

أنفسكما من الله ، فإنى لا أغنى عنكما من الله شيئاً سلانى من مالى ماشئتما ، وروى مسلم فى صحيحه بسنده إلى يزيد بن حبان قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة ، وعمرو بن مسلم إلى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعت حديثه وغزوت معه ، وصليت خلفه ، لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً ، حدثنا يازيد ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ياابن أخى والله لقد كبرت سنى وقدم عهدى ونسيت بعض الذين كنت أعى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما حدثتكم فاقبلوا ، ومالا ، فلا تكلفونيه ، ثم قال : قام فينارسول الله الله صلى الله عليه وسلم يوماً خطيباً بماء يدعى خُمّاً [1] بين مكة والمدينة فحمد الله ، وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال : « أما بعد : أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فأجيب ، وإنى تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله عز وجل ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتى أذكركم اللهَ فى أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى » فقال له حصين : ومن أهل بيته يازيد ، أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال : ومن هم ؟ قال : هم آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس قال : كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم . وفى رواية : ألا وإنى تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله وهو حبل الله ، من اتبعه كان على الهدى ، ومن تركه كان على ضلالة .

ايضاح وتعليقات على هذه الآثار

قوله : إن بعض الناس [2] الخ : لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدق الملك محمد الخامس رحمة الله عليه ، وبر ونصح فجزاه الله خيراً ، وما حمله على ذلك

---

(١) هو غدير خم - بفتح الخاء والجيم المشددة - ماء بين مكة والمدينة

(٢) هو ما أورده فى أول السؤال : إن بعض الناس بعد الاستقلال الخ

إلا أن النصيحة لله ولـكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين ورعيته بالخصوص ، وإلا فلا يوجد نسب أشرف من نسبه ، ولـكنه أعقل وأجل وأتقى لله من أن يسلك سبيل الجاهلية ، ويدعو بدعوتها فيفتخر بالأحساب والأنساب ، بل يقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم ويخفض جناحه للمؤمنين . فقد روى البخارى فى باب ماينهى من دعوى الجاهلية من صحيحه : عن عبد الله[1] عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » . وروى فى الباب نفسه عن جابر قال : غزونا مع النبى صلى الله عليه وسلم . وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا ، وكان من المهاجرين رجل لعاب فـكسع أنصاريا ، فغضب الأنصاوى غضباً شديداً حتى تداعوا ، وقال الأنصارى . ياللأنصار ! ! وقال المهاجر : ياللمهاجرين ! ! فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « مابال دعوى أهل الجاهلية ؟ ثم قال ماشأنهم ؟ فأخبر بكسعة المهاجرى الأنصارى ، قال ، قال النبى صلى الله عليه وسلم ، دعوها فإنها خبيثة »

شرح الحديث الأول

لطم الخدود هو : الضرب عليها براحة اليد جزعاً من المصيبة ، ، وهى عادة خبيثة تفعلها النساء ومن يتشبه بهن من الرجال . وشق الجيوب : تقطيعها وتمزيقها . والجيب هو محل دخول الرأس من القميص وغيره ، ودعوى الجاهلية فى هذا الحديث هو : ماتقوله النادبة من التحمس على الميت والثناء عليه كقولها : واجبلاه : تعنى ياجبلى وملجأى الذى ألجأ إليه عند الفزع ، ذهبت وتركتنى فإلى من ألجأ ؟ . قال شراح البخارى : إن كان فاعل ذلك مستحلا له ، فهو كافر ، فلا تأويل لقول النبى صلى الله عليه وسلم ، أى ليس من أهل ديننا . وإن لم يكن مستحلا ، وإنما غلب عليه الجزع . ثم رجع وتاب وندم فمعناه ليس على سنتنا فيكون ذنباً من الـكبائر .

---

(١) هو عبدالله بن مسعود « الهدى النبوى »

شرح الحديث الثانى

السكسعة : هى الركلة بالقدم فى الدبر . وقوله لعابا أى كثير اللعب والمزاح . وقوله : شاب رجال : اجتمعوا . وحاصل القصة : أن أحد المهاجرين كان مزاحاً فركل أنصارياً برجله فى دبره فغضب الأنصارى ، وثارت فيه الحمية فاستغاث بقومه ، فاستغاث المهاجرى بالمهاجرين ؛ ليدافع كل عن صاحبه فخرج النبى صلى الله عليه وسلم ، وزجرهم عن ذلك . بقوله (مابال دعوى أهل الجاهلية) أى لماذا تدعون بدعوى أهل الجاهلية ، وهى التعصب للقبائل والأوطان والمذاهب والأحزاب ونصرهم المطلق ، سواء أكانوا على حق أم على باطل . ومن دعوى الجاهلية : الافتخار بالنسب والتعاظم والتعالى به واحتقار غيره . ونظام الطبقات نظام فاسد متى تمكن من شعب شتت شمله وفرق جمعه وزاد القطيعة والبغضاء فيما بين أفراده ، وهو نظام مقدس عند الهنادك [1] يزعمون أن الآلهة حكمت به لترضى كل طبقة بحالها ، وتسلم بسيادة الطبقة التى فوقها . وكذلك كان هذا النظام شائعاً فى الروم والفرس على طريق القهر والتغلب ، لا على طريق العقيدة . فكانت طبقة الملوك ثم طبقة الأمراء ثم طبقة أرباب الإقطاع الذين يملكون الأرض ، ومن يعمل فيها من إنسان وحيوان . وهؤلاء يتوصلون إلى مراتبهم بإقطاع ملك ظالم أو أمير غشوم . وقد يتوصلون إلى ذلك برءوس أموال ضخمة جمعوها من المناصب العليا وتعاطى الربا أو هما معاً . ومن أهم الإصلاح الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إبطال هذا النظام كيفما كان نوعه وقد رأيت بعضه فى الشرق ، ولا أريد ذكره هنا كراهية الخروج عن الموضوع .

« للبحث بقية »

تقى الدين الهلالى

---

(١) هم الهنود الوثنيون

١٤ – « نظرات فى التصوف »

الْوَجْد : ذكر له الغزالى عدة تعريفات ، ثم اختار هذا التعريف : « عبارة عن حالة يثمرها السماع ، وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه ، وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين ، فإنها إمّا أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هى من قبيل العلوم والتنبيهات ، وإمّا أن ترجع إلى تغيُّرات وأحوال ليست من العلوم ، بل هى كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض » فالوجد الغزالى نوعان : منه نوع يهب للنفس معرفة الغيوب ، ومشاهدة الحقيقة الإلٰهية ! ! ومما يثمره الوجد الغزالى أيضاً مشاهدة الخضر[1] ! ! .

وإليك بعض تعريفات أخرى للوجد ذكرها الطوسى والغزالى ، فقد عُرِّف بأنه : مكاشفات من الحق ، واستدل أصحاب هذا التعريف بما يحدث للسامع ؛ إذ يكون ساكناً فيتحرك ، ويحدث منه الزفير والشهيق ! ! وعرف بأنه : رفع الحجاب ، ومشاهدة الرقيب ، وحضور الفهم ، وملاحظة الغيب ، ومحادثة السر ، وإيناس المفقود ، وفناؤك من حيث أنت[2] ! ! .

إذا سمع الصوفى آهات مغنِّية ، رفع عنه الحجاب ، وشاهد الغيوب ، أو فنى عن نفسه ، وصار لا يشهد إلا الحقيقة الإلٰهية .

أما الهروى فيعرفه فى منازل السائرين بقوله : « الوجد لهب يتأجج من شهود عارض القلق ، وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى وجد عارض يستفيق له شاهد السمع

---

(١) ص ٢٥٨ وما بعدها ج ٢ الإحياء . ونقول : إن خلود الخضر أسطورة صهيونية تناقض الحق من قول الله لخاتم رسله : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » .

(٢) ص ٢٥٧ ج ٢ الإحياء — ص ٣٠١ اللمع

أو شاهد البصر ، أو شاهد الفكر أبقى على صاحبه أثراً ، أو لم يُبْق . الدرجة الثانية : وجد تستفيق له الروحُ بلمع نورٍ أزلى ، أو سماع نداء أولى ، أو جذب حقيقى إن أبقى على صاحبه لباسَه ، وإلا أبقى عليه نوره ، الدرجة الثالثة : وجد يخطف العبد من يد الكونين ، ويمحض معناه من درن الحظ ، ويسلبه من رق الماء والطين ، إن سلبه أنساه اسمه ، وإن لم يسلبه أعاد رسمه[1] » .

يزعم الهروى أن الوجد الصوفى فى ذروته يهب للسالك مقام الربوبية ! ! .

ومما نقلناه يتبين لك مكانة الوجد والسماع عند الصوفية . إن أغنية غزلية من امرأة غزلية تكشف أسرار الملكوت ، ومقامات الجبروت ، بل ترفع النفس إلى مقام شهود الحقيقة الإلٰهية ! ! .

ومما نقلناه أيضاً يتبين لك صدق مايقوله بعض الناظرين فى التصوف ، وهو أنه تعبير ولهان عن الفشل الموجع فى عشق المرأة ، أو هو تعبير عن سيطرة المرأة على نفوس أولئك المدنفين . ألم تر إليهم كيف يسجدون خشَّعاً على باب خدرها ، وهو منهم مطاف التأليه والتقديس ؟ ! .

أثر الوجد : لا بد للوجد من أن يثمر حركة بالجوارح ، وإلا كان وجداً كاذباً ! ! ومن آثاره التى ذكرها الطوسى القطب الصوفى الكبير : الصَّعْقة والرعدة ، والغشية والزفير والشهيق والبكاء والأنين والصراخ والصياح والضرب باليد على الحائط وتمزيق الثياب والرقص ، وزوال الأعضاء والجنون .

ويزعم السهروردى مايأتى : « شرط الواجد فى زعقته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لايشعر فيه بوجع » وكذلك قال الغزالى والطوسى فى اللمع نقلا عن الجنيد والسقطى . وقد يحدث الوجد إطراقاً وسكوتاً عن النظر والنطق والحركة .

---

(١) ص ٣٦ المنازل طبع السعادة ١٣٢٦ هـ .

ومن الصوفية مَن فضل أهل السكون عند الوجد لشدة تمكنهم ، ومنهم من فضل أصحاب الحركة لقوة الوارد عليهم[١] .

سؤال واحد نوجهه هنا إلى الصوفية : هل يشرف أمةً من الأمم أن ينتسب إليها أئمتكم هؤلاء ؟ وهل بالرقص وتمزيق الثياب والجنون تستعيد الأمة الإسلامية أمجادها ؟ وهل يفتخر به شعب ، أو يعتز قبيل ، أو ولد ؟ ! .

افتراء على رسول الله : زعم المفترون أن جبريل عليه السلام بشر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن فقراء أمته يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام ، ففرح الرسول ، ثم قال : هل فيكم من ينشدنا ؟ فقام بدوى ينشد :

قد لسعت حَيَّةُ الهوى كبدى فلا طبيب لهـا ، ولا راقى
إلا الحبيب الذى شُغفت به فعنـده رُقْيَتى وتِرْياقى

وزعم المفترون أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تواجد حينما سمع هذا الشعر ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، وتواجد كذلك أصحابه ، أى صار مجلس خاتم النبيين مجلس رقص مجنون ! ! .

وقد كفانا السهروردى أبو حفص الذى ذكر هذه القصة فى عوارفه ـ كفانا مؤنة الرد عليها ؛ إذ قال هو : « وما وجدنا فى شىء نقل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشا كل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلا هذا . . . ويخالج سرى أنه غير صحيح ، ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبى مع أصحابه[٢] » .

وهى نظرة صائبة من الصوفى الكبير ! ! ولكنه ـ ويا أسفاه ـ يفترى فى كتابه أشد من تلك القصة شناعة ، وأقبح نكرا ! ! .

---

(١) ص ٢٥٣ ج ٢ الإحياء ، من ٣٠٢ إلى ٣١٠ اللمع ، ص ١٤٣ عوارف المعارف ٢٦٨ ج ٢ الإحياء ، ص ٢٥٨ ج ٢ الإحياء ، ٣٠٨ اللمع .

(٢) ص ١٤٧ عوارف المعارف .

أية أمة هذه التي ترقص ، وتمزق الثياب ، وتضرب الحوائط بأيديها ، وتقطع أعضاءها ، وتلتاث عقولها ، وتصرخ وتصيح ، أو تخمد فيها كل حركة ونأمة ؟! .

إننا لا نرى هذه الأمة إلا في أمكنة لا يتمنى مسلم أبداً أن يكون له فيها محل : مندبة حَرَّى ، أو محبس مجانين ، أو حمأة عرابيد ، أو ردغة خطايا ! ! .

ولن تجرؤ الصوفية على اتهامنا بالافتراء عليها ؛ فإني أنقل عن أعظم قطبين من أقطابها الذين يوصفون بالاعتدال .

سماع الشعر وسماع القرآن : الحقيقة التي تشرق باليقين ، ولا يرتاب فيها مسلم تجعل منها الصوفية قضية تستريب في صحتها ، فتراها مثلا تتساءل : أسماع الشعر أفضل ؟ أم سماع القرآن ؟ أو أيهما أقوى أثراً في تصفية القلب ، واستثارة الوجد الذي يورث المكاشفة والشهود . الشعر أم القرآن ؟ .

يقول الطوسي : « اختلف المستمعون في السماع على طبقات ، فطبقة منهم اختاروا سماع القرآن ، ولم يروا غير ذلك » على أنه يروي قصصاً عجيبة عن أحوال هذه الطبقة ، فيذكر عن أحدهم أنه قال : « ربما أبقى في الآية خمس ليال ، ولولا أني أترك الفكر فيها ماجزتها أبداً ، وربما جاءت الآية ، فيطير فيها العقل ، فسبحان الذي يرده بعد ذلك ! ! » .

أليس هذا مخيفاً ؟ أليس فيه التحذير الخفي من تدبر القرآن ؟ ! .

ويقول الطوسي أيضاً : « حكى عن بعض الصوفية أنه قال : كنت أقرأ ليلة هذه الآية : (كل نفس ذائقة الموت) فجعلت أرددها ، وإذا أنا بهاتف يهتف إلى كم تردد هذه الآية ، وقد قتلت أربعة من الجن لم يرفعوا رءوسهم منذ خُلقوا » أيشجع هذا على قراءة الآيات التي تذكر بالموت ؟ على أنه قد يدفع بعضهم إلى تلاوة هذه الآية وحدها ؛ ليقضي على أمة من الجن ! ! .

ويحكي الطوسي عن الشبلي أنه كان يصلي خلف إمام ، فقرأ الإمام هذه الآية :

(ولئن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بالذى أوحينا إليك) ، فزعق الشبلى زعقة ظنوا بها أنه قد طارت روحه ، ثم اخضر ، وارتعد ، ثم اتجه إلى الله يقول : بمثل هذا تخاطب الأحباب ؟ .

فهل تشم من هذه الصلاة عبير مسلم ؟ ! .

أما الطبقة التى اختارت سماع القصائد ، فحجتها فى هذا أن القرآن كلام الله وصفة من صفاته ، وهو حق لا تطيقه البشرية ؛ لأنه غير مخلوق ؛ فلا تطيقه الصفات المخلوقة ، ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته ، لتصدعت ودهشت وتحيرت . والألحان الطيبة مناسبة للطباع ، ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق ، والشعر نسبته نسبة الحظوظ ، فإذا علقت الألحان والأصوات بما فى الأبيات من الإشارات واللطائف شا كل بعضها بعضاً كان أقرب إلى الحظوظ ، وأخف على القلوب لمشا كلة المخلوق المخلوق . فما دامت البشرية باقية ، ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والأصوات الطيبة ، فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذى هو صفته وكلامه الذى منه بدا و إليه ، يعود [1] .

ومعنى هذا أنهم جعلوا لهوى النفس الكلمة الأولى . فكيف يزعمون أن السماع تربية ، وأنه يستثير وجد الواردات الإلهية ، وهم يجعلون للهوى كل هذا السلطان ؟ ! .

رأى الغزالى : عرض الغزالى رأى المفضلين لسماع الغناء بالشعر ، ورأى المفضلين لسماع القرآن ، ثم قال : فإن قلت : فإن كان سماع القرآن مفيداً للوجد ، فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوالين دون القارئين ، فكان ينبغى أن يكون اجتماعهم وتواجدهم فى حلق القراء لا حلق المغنين ، وكان ينبغى أن يطلب عند كل اجتماع فى كل دعوة قارىء لا قوال ، فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة » و يجيب الغزالى نفسه عن هذا السؤال بقوله :

---

(١) ص ٢٦١ ، ٢٦٤ جـ ٢ الإحياء ص ٢٨٠ ، ٢٨٣ اللمع . وما نقلناه تلخيص الغزالى لكلام الطوسى .

« فاعلم أن الغناء أشد تهييجاً للوجد من القرآن من سبعة أوجه ، وخلاصة هذه الأوجه :

« الوجه الأول : إن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ، ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ماهو ملابس له ، فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم ، فمن أين يناسب حاله قوله تعالى : (يوصيكم الله فى أولادكم ، للذكر مثل حظ الأنثيين) وقوله تعالى : (والذين يرمون المحصنات) وكذلك جميع الآيات التى فيها بيان أحكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها ، وإنما المحرك لما فى القلب ما يناسبه : والأبيات إنما يصنعها الشعراء إعرابا بها عن أحوال القلب ، فلا يحتاج فى فهم الحال منها إلى تكلف ... فلأجل ذلك يفزع إلى الغناء الذى هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها » .

ثم يروى : (أن أبا الحسين النورى كان مع جماعة فى دعوى ، فجرى بينهم مسئلة فى العلم وأبو الحسين ساكت ، ثم رفع رأسه ، وأنشد :

رُبَّ ورقاء هتوف فى الضحى ذات شجو صدحت فى فنن

ذكرت إلفاً ودهرا صالحاً وبكت حزنا فهاجت حزنى

فبكائى ربما أرقها وبكاها ربما أرقنى

ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمنى

غير أنى بالجوى أعرفها وهى أيضا بالجوى تعرفنى

فما بقى أحد من القوم إلا قام ، وتواجد ، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذى خاضوا فيه ، وإن كان العلم جداً وحقاً [1] » .

(١ ص ٦٢ ج ٢ الإحياء . الورقاء : الحمامة البيضاء فى لونها سواد ، والشجو الهم والحزن . والفنن : الغصن . الإلف الصاحب والصديق ، والجوى الحرقة وشدة الحزن .

الوجه الثانى :أن القرآن محفوظ للأكثرين ، ومتكرر على الأسماع والقلوب ، وكلما سمع أولا عظم أثره فى القلوب ، وفى الكرة الثانية يضعف أثره ، وفى الثالثة يكاد يسقط أثره !! ثم إن القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه . أما المغنى بالشعر ، فإنه يستطيع الإتيان فى كل مرة بجديد !! ثم يضرب الغزالى مثلا على ضعف تأثير القرآن فى القلوب بالتكرار . وخلاصة هذا المثل : أن أبا بكر رأى الأعراب يبكون حينما سمعوا القرآن أول مرة ، فقال لهم : كنا كما كنتم ، ولكن قست قلوبنا « انتهى باختصار ».

الوجه الثالث : « أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيراً فى النفس ، فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذى ليس بموزون . وإنما يوجد الوزن فى الشعر دون الأبيات »

الوجه الرابع : أن الشعر الموزون يختلف تأثيره فى النفس بالألحان . . ولا يجوز فى القرآن إلا التلاوة ، وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذى سببه وزن الألحان ، وهو سبب مستقل بالتأثير ، وإن لم يكن مفهوما كما فى الأوتار والمزمار والشاهين وسائر الأصوات التى لا تفهم

الوجه الخامس : أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخرى موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره ؛ لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوى . والقرآن لا يجوز فيه هذا .

الوجه السادس : أن المغنى يستطيع أن يتصرف فيما يغنى به من أبيات ، فيذر مالا يحب السامعون ، ويغنى بما يحبون .

أما القارىء ، فقد يقرأ مالا يوافق حال السامعين ، فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى .

الوجه السابع : القرآن كلام الله وصفة من صفاته ، وهو حق لا تطيقه النفوس . أما الألحان الطيبة فمناسبة للطباع . فإذا علقت الألحان والأصوات بما فى الأبيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضها ، وكان أقرب إلى الحظوظ . وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق المخلوق : ثم قص كعادته قصة نقلها عن الطوسى تأييداً لرأيه خلاصتها : أن رجلا دخل على يوسف بن الحسين الرازى ، فقال له الرازى . أتحسن أن تقول شيئاً ؟ فقال الرجل : نعم . فقال : هات ، فأنشأ الرجل يقول :

رأيتك تبنى دائما فى قطيعتى ولو كنت ذا حزم لهدمت ماتبنى

كأنى بكم والليت أفضل قولكم ألا ليتنا كنا إذ الليت لا يغنى

فأطبق يوسف المصحف ، ولم يزل يبكى ، حتى ابتلت لحيته ، وابتل ثوبه !! ثم قال للرجل : يابنى تلوم أهل الرى يقولون : يوسف زنديق . هذا أنا من صلاة الغداة أقرأ فى المصحف لم تقطر من عينى قطرة ، وقد قامت القيامة على هذين البيتين .

ثم يعقب الغزالى على هذا بقوله : فإذن القلوب ، و إن كانت محترقة فى حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها مالا تهيج تلاوة القرآن ، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع .

تعقيب : نقلنا رأى الصوفية وحجتهم الغزالى فى السماع والوجد ، وقد تبين لنا مما نقلناه نقلا صحيحاً صادقا أنهم يرون الوجد وارداً إلهياً يرد عقب سماع الأغانى ، وأنه يصفى النفس ، ويكشف عنها الحجب . فتشاهد أسرار الملكوت ، وتنعم بلذة الكشف والشهود ، فهو — إذن — غاية عظمى للصوفى ومثل أعلى له . وما لهذا المثل الأعلى من معراج

سوى التغنى بغزل الأشعار ، وعزف الأوتار ودق الدفوف وصدح المزامير ، على صوت غلام أمرد ، أو غانية قتول !!

ألست ترى الهدف واضحاً ؟! .

إنه صرف المريدين عن تدبر القرآن !! ألا ترى أن هذه الوجوه الغزالية[1] إنما هى أقنعة يستر بها وجهاً واحداً .

هو أن يولى المسلمون قلوبهم شطر الصوفية وغزلها وعهرها ، لا شطر القرآن وحكمته ونوره وهداه ترى فى الوجه الأول لمزاً وغمزاً ساخراً محقراً لكل آيات الميراث والطلاق والحدود الشرعية ، وحكما على الإنسانية المسلمة بأنها لا يمكن أن تلتقى على حق ، أو أن تجتمع على خير ، أو أن تسلك سبيلا واحداً فى الوصول إلى الغاية العظمى ، أو أن تحتشد وراء هدف تجاهد فى سبيل تحقيقه ؛ فهى عواطف متنازعة ، وأهواء متباينة ، ومشاعر محتدمة الخصومة والشقاق .

وترى فى الوجه الثانى حكما على القرآن بأنه لا يصلح إلا لمدة معينة ، فإن طال أمد المسلم معه أصبح غير صالح له ، فيجب أن يتوجه إلى الشعر ، و يضرب لنا مثلا مُفترى بالمؤمن العظيم الصديق رضى الله عنه ؛ إذ صار وقد ضعف تأثير القرآن على قلبه . فهل وراء هذا القول من غاية سوى صرف المسلمين عن القرآن ، والحكم عليه بأنه غير صالح لهداية الأمة إلى مثلها الأعلى ؛ لأنه لا يصلح إلا لمدة معينة .

وكذلك ترى بقية الوجوه . وترى فى الوجه السابع ـ وهو المنقول عن الطوسى ـ دعوة صريحة بينة الصراحة إلى هجر كتاب الله بدعوى أن البشرية لا تطيقه . وفى هذا اتهام لله وتجديف عليه بأنه لا يعلم ما يصلح شأن عباده ، أو لا يميز بين ما يهديهم وما يضلهم ، أو بأنه ينزل على عباده مالا يطيقون ! !

---

(١) من ص ٢٦٢ الى ص ٢٦٥ جـ ٢ الاحياء طبع دار الكتب

وفى قصة يوسف الرازى الذى كان أهل الرى يحكمون عليه بالزندقة . فى قصة يوسف هذا سهام مسممة تصوبها أيد يحركها الحقد والضغينة المحمومة ضد القرآن .

لقد ظل يوسف طيلة النهار يقرأ فى المصحف فلم يستهوله عاطفة ولا فكرا ، ولم يلمس قلبه بخشية ، بل مر به مرور النسمة الهافية بالحجر الأصم الصلد لا تزعج من سكونه ، ولا تثير من صمته حتى إذا سمع بيتى غزل قامت قيامته ! إن الحمار لا تستهويه نغمات البلبل وإنما يستهويه نهيق حمارة لشهوتها ، وكذلك هذا الصوفى ! ! .

ترى أيسر مسلماً أن يسمع من حجة الإسلام مثل هذا التجديف على كتاب الله ؟ .

وهل يأذن هدى القرآن المثل هذا البهتان أن يقتحم قدسه ؟ .

وهل يأذن مسلم لهذا التضليل الحقير أن يمس جانب قلبه ؟ .

لو كان الغزالى رجلا عادياً ماغفر له مسلم ذلك ، فما بالك بحجة الإسلام ؟ ؟ .

متى دعا الرسول إلى مثل هذا ؟ متى دعا إلى صرف القلوب عن القرآن ؟ .

إن الصوفية يزعمون أن تراثهم يصور أسمى مراتب الإحسان فى الإسلام ، وأنه يضع أرفع القواعد وأقدسها للسلوك الإنسانى ، وأنه المثل الأعلى للروحانية المتسامية المترفعة عن الماديات والنشوات الحسية ، فهل تحقق الدعوة إلى التغنى بالشعر الغزلى والإصغاء إليه على الترنيمات السواحر من المزاهر ، والأنات المدلهة من امرأة قتول ؟ . هل هذه الدعوة تحقق ذلك المثل الأعلى ، أو تصوره ؟ أو هى دعوة إلى الانطلاق مع الهوى العصوف والعواطف الهوج ، والنزغات التى تنزو على أقدس القيم ؟ . إذن فلنحرم على أنفسنا الضراعة فى المحاريب والمساجد ، ولنهجر مجالس تلاوة القرآن ، ولنفتش كل ردغة لاهية طروب ، ولنأت إلى مجالسنا بالعازفات والراقصات والمغنيات ؛ لنستشف بهذا الإثم ـ كما يزعمون ـ أسرار الغيوب ، والعلوم اللدنية ، وسبحات الجمال المشرقة من الحقيقة الإلهية ! ! .

مشابهة : من أسفار العهد القديم نشيد الأنشاد . ويقول عنه صاحب مرشد الطالبين : « إنه بحسب ماعتبره مفسرو الإنجيل تلميح سرى إلى يسوع المسيح واتحاده

بالـكنيسة الصالحة المستقيمة .. وما ظاهره فى هـذا السفر ، عشق بين عريس وعروس هو زمز إلى فرط محبة المسيح لـكنيسته ؛ لأنه بمنزلة عريس و بعل سماوى لها . . ومما ينبغى أن يذكر هنا أن من كان شهوانياً ليس من أهل التقوى لا يقدر أن يدرك مقاصد هذا السفر بالحقيقة ، وإنما يدركها من كان له عقل سماوى . ويقول فى المسيح حقاً : هذا هو حبيبى وهذا هو قريبى[١] » .

و بمثل هذا قال الدعاة إلى سماع شعر الغزل . يقول الغزالى وهو يتحدث عن أولياء الله : « إن قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم ، وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مهيج لم يكن انزعاجهم إلا إليه ؛ ولا طربهم إلا به ، ولا قلقهم إلا عليه » ويقول عن سماع من أحب الله وعشقه« فلا ينظر إلى شىء إلا رآه فيه سبحانه ، ولا يقرع سمعه قارع ، إلا سمعه منه أو فيه » : « السماع فى حقه مهيج لشوقه ، ومؤكد لعشقه وحبه ، وموري زناد قلبه ، ومستخرج منه أحوالا من المـكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها . يعرفها من ذاقها . وينكرها من كلّ حسه عن ذوقها[٢] » . وسئل ذو النون عن السماع فقال : « وارد حق يزعج القلوب إلى الحق « الله » فمن أصغى إليه بحق تحقق ، ومن أصغى إليه بنفس تزندق[٣] » .

و إنك لتجد فى الشعر الصوفى التعبير عن الله بليلى وسعاد و بثينة . وكما قال شراح نشيد الأنشاد عنه أنه تلميح سرى إلى يسوع المسيح ؛ كذلك قال هؤلاء إن هذه الأسماء كناية عن الحقيقة الإلهية ، وقالوا : إن كل غزل نسمعه ، فإنما نفهمه على أنه غزل فى الحقيقة الإلهية ! ! .

من نشيد الأنشاد : فى هـذا النشيد سحر الفتنة من الغزل ، وإليك فقرات منه : « ليقبلنى بقبلات فمه ؛ لأن حبك أطيب من الخمر ، لرائحة أدهانك الطيبة . اسمى دهن

---

(١) ص ١٥١ وما بعدها مرشد الطالبين ط رقم ٦ .

(٢) ص ٢٣٦ ، ٢٤٦ جـ ٢ الإحياء .   (٣) ص ٢٧١ اللمع .

مهراق ؛ لذلك أحبتك العذارى . اجذبنى وراءك فنجرى ، أدخلنى الملِك إلى حجاله . نبتهج ونفرح بك . نذكر حبك أكثر من الخمر .

فى الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسى . . طلبته ، فما وجدته . إنى أقوم وأطوف فى المدينة. فى الأسواق وفى الشوارع أطلب من تحبه نفسى ، طلبته فما وجدته . وجدنى الحرس الطائف فى المدينة ، فقلت : أرأيتم من تحبه نفسى ، فما جاوزتهم إلا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسى ، فأمسكته ، ولم أرخه ، حتى أدخلته بيت أمى ، وحجرة من حبلت بى . أحلفكن يابنات أورشليم بالظباء ، و بأيائل الحقل ألا تيقظن ، ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء .

حبيبى أبيض وأحمر معلم بين ربوة ، رأسه ذهب إبريز . قصصه مسترسلة حالكة ، كالغراب ، عيناه كالحمام على مجارى المياه مغسولتان باللبن جالستان فى وقبيهما . خداه كخميلة الطيب ، وأتلام رياحين ذكية ، شفتاه سوسن تقطران مراً مائعاً . يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد . بطنه عاج أبيض ملتف بالياقوت الأزرق ، وساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من إبريز ، طلعته كلبنان ، فتى كالأرز . حلقه حلاوة ، وكله مشتهيات . هذا حبيبى ، وهذا خليلى يابنات أورشليم [١] » .

---

(١) العهد القديم نشيد الأنشاد من الإصحاح الأول ، والثالث والخامس وإليك تفسير بعض كلماته : « مهراق -- مصبوب . حجال — جمع حجلة « بفتح الحاء والجيم » بيت للعروس يزين بالثياب والأسرة والستور . أورشليم — بيت المقدس . الأيائل — حيوان شديد السرعة ، وهو طاهر عند اليهود . قصص — جمع قصة « بضم القاف » شعر الناصية . أتلام — جمع تلم الأخاديد الباقية بعد مرور المحراث بالأرض .
الأرز — شجر عظيم اشتهر به لبنان يعلو إلى حد ٧٠ أو ٨٠ قدما وهو دائم الخضرة .
لبنان — جبل لبنان الذى عرف فى أيام داود وسليمان وكانت مناظره بهيجة .

ويقول أصحاب هذا النشيد المتعبدون به - وهم المسيحيون - : إنه تلويح إلى يسوع واتحاده بالكنيسة .

من غزل التصوف : يقول ابن الفارض .

ما بين معترك الأحداق والمهج	أنا القتيل بلا إثم ولا حرج
ودعت قبل الهوى روحى ؛ لما نظرت	عيناى من حسن ذاك المنظر البهج
لله أجفان عين فيك ساهرة	شوقا إليك وقلب بالغرام شج
من لى بإتلاف روحى فى هوى رشأ	حلو الشمائل بالأرواح ممتزج
محجب لو سرى فى مثل طرته	أغنته غرته الغرا عن السرج
وإن ضللت بليل من ذوائبه	أهدى لعينى الهدى صبح من البلج
وإن تنفس قال المسك معترفا	لعارفى طيبه : من نشره أرجى
تراه - إن غاب عنى - كل جارحة	فى كل معنى لطيف رائق بهج
فى نغمة العود والناى الرخيم إذا	تألفا بين ألحان من الهزج
وفى مسارح غزلان الخمائل : فى	برد الأصائل والإصباح فى البلج
وفى مساقط أنداء الغمام على	بساط نور من الأزهار منتسج
وفى مساحب أذيال النسيم إذا	أهدى إلى سحيرا أطيب الأرج
وفى التثامى ثغر الكأس مرتشفا	ريق المدامة فى مستنزه فرج (١)

(١) انظر ديوان ابن الفارض . وإليك معانى بعض كلمات القصيدة . « المعترك = مكان الاعتراك . لله = كلمة تعجب وقسم . للشجى = الحزين . من لى = من يجعله لى ويمكننى منه . الرشأ = ولد الغزال . الشمائل = الخصال . محجب = مستتر عنى . الطرة = يقصد شعر ناصيته . غرته = يقصد مقدم جبينه الأبيض . السرج = جمع سراج والذوائب = جمع ذؤابة يعنى خصلات شعره . البلج = الوضوح والإشراق . النشر = الرائحة الطيبة الأرج = توهج ريح الطيب . الرخيم = الصوت الذى يخرج سهلا عند النطق . الهزج =

ياويح ابن الفارض! إنه قتيل العشق وصريع الغرام!! وأى عشق وأى غرام؟ غرام بعينين نجلاوين أدمتا قلبه بالسهام النافذة. غرام بالوجه الجميل الآسر الفتنة. غرام بالشعر الحالك السواد المسترسل على الكتفين. غرام بالأنفاس العاطرة التى يستمد منها المسك أرجه الساحر.

ياويح ابن الفارض مما فعلته به هذه الغانية الهلوك التى تضنيه وتغريه!! فتخلفه هيمان ولهان لا يعرف إلا الدموع، وإلا السهد مع الأحزان والحرمان!.

إنها تغيب عنه أحيانا، فيصيبه الخبال، حتى ليخيل إليه أنه يراها فى كل منظر جميل. يراها حين يسمع نغمة العود، وهمسة الناى الحنون، وقد امتزجت نغماتهما بهزج المزاهر وسحر الألحان. يراها حين تسنح له الظباء المنعمة فى الخمائل وقت الأصيل، والسحر الندى والصباح الرضى الرخى، يراها حين تبصر عيناه بساطا من الزهر النضير قبلته الأنداء.

يراها حين يرتشف الخمر من ثغور الكئوس فى مستنزه رحيب فواح الأريج ندى الزهور.

هذه هى الحقيقة الإلهية التى يتغزل فيها ابن الفارض.

عينان نجلاوان تقتلان قلوب العشاق!.

وشفتان ساحرتان تظمئان نفوس المدنفين!!

وطرة سوداء، وذوائب مسترسلات فى فتنة داعرة على الكتفين!.

والعاشق ابن الفارض؟!

ضرب من الأغانى فيه ترنم. تألفا = جمعا على وفاق. مسارح الغزلان = مراعيها. الخمائل = جمع خميلة الشجر المجتمع الكثيف. الأصائل = جمع أصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب. الإصباح = الدخول فى الصباح. الالتثام = التقبيل. الثغر = يقصد فمه. المدامة = الخمر. مستنزه = مكان للنزهة. فرج = واسع يشرح الصدر

إنه فى بستان أريج يترشف الخمر من الكأس النشوان ، فيرى صورة الحقيقة الإلهية فى الكأس ، ويتذكر قبلتها المسكرة ، وهو ينادم الكأس !!

بهذه العربدة يعطر ابن الفارض محراب حبه للذات الإلهية ! واقرأ نشيد الأنشاد ، واقرأ غزل ابن الفارض وغيره تجد خمرة الخطيئة تفور من دن واحد !! .

ترى أى دين هذا الذى يدعو إليه هؤلاء السكارى بخمرة الوهم الظنين ، المدلهون بعشق الخيال المفتون ، المستغرقون فى نشوات الشهوات ؟

أى نفع يمس الحياة من دعوتهم ، بل أية رعشة من حياة يثيرونها فى موات العزائم وخابى الهمم ؟

لقد التهم الخبال كل مالهم من رشد وصحو ، وضرب بهم فى تيه من غواشيه يعانون الصمت الموحش الحزين ، والإطراق الكئيب اليائس ، أو العربدة المحمومة المجنونة .

إن الإسلام دعوة إلى الميدان والمسجد ، وهذه الصوفية دعوة إلى الحان والمرقص .

ترى هل يستطيع دعاة هذا الغزل التغنى به أمام فتيتهم وفتياتهم ؟ ماذا يثيرون فيهم بهذه الدغدغة الغزلية من صبوات المراهقة ، وأى مثل أعلى يحلقون بهم إليه ؟ إنهم يشمون من دعوتهم رائحة الخطيئة الشمطاء تتراءى فى شف الفضيلة العذراء ، ويستمعون إلى العربدة تحت أقبية الليل ، وصريخ الشهوات فى الأجساد الآبقة يتخايل بأنه ضراعة إلى الله .

تخيل فتاة تسمع من مغن أو مغنية :

ما بين معترك الأحداق والمهج   أنا القتيل بلا إثم ولا حرج

ألا يدفعها هذا إلى التفكير العميق فى الأحداق والمهج ، وفى تلك المعركة التى تدور بينهما ؟!

ألا يستخفها هذا إلى أن تعمل لتكون إحدى ضحايا هذه المعركة ؟

ألا يثير هذا فى عاطفتها وجداً مشبوبا ، ورغبة رعناء تدفعها إلى نداء من يسهر معها الليل ؟ وهل تصدقنى أو تصدقك إذا زعمت لها أنها معركة بين أحداق الذات الإلهية وقلوب العشاق ؟

ترى أين نقرأ أنباء هذه المعركه فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ .

ياسدنة هذا التراث الملعون !! رفقاً بالقوارير !! رفقاً بالفضيلة المقدسة !!

قد يحجب سحر هذا البيان الصوفى ، وما يثيره من فتنة الجسد نور الحقيقة عن بعض الناس غير أن المسلم الصادق الإسلام لا يرى فى هذا الذى يقدسه الصوفية سوى نزغات من شيطان الخطيئة يدعوه إلى موعد معها ! !

ولهذا كان لا بد للمسلم من النظر فى كتاب الله نظر تدبر ؛ ليتبين جيداً مكانه من الطريق ؛ ولتظل صلته وثيقة بالإسلام ، فلا يصرفه سحر الباطل عن يقين الحق .

إن القرآن هو حجة الإسلام ، لا الغزالى ، وإن كانت الدنيا كلها تطوف خاشعة حول أصنامه !!

وإن أبى أحد إلا أن يجعل من كتاب « الإحياء » للغزالى حجته ، فهو حر فيما يختار غير أننا لن نصدقه حين يزعم أنه مسلم ! ! « لها بقايا »

عبد الرحمن الوكيل

دراسات فى التوحيد

بقلم الدكتور أمين رضا

الأستاذ المساعد بكلية طب الاسكندرية

تعظيم الأشخاص يجر إلى تعظيم آثارهم : إن الذى يحب شخصاً يحب كل ما يتعلق به وكما يعتز بالشخص ويحبه فإنه يعتز بكل شىء يتعلق به . وكما يتبرك بمن يعتقد فيه البركة فهو كذلك يتبرك بكل ما هو منه أو له ، وهذا هو المعهود عند العوام ؛ ولذلك تراهم إذا انتهى بهم حبهم إلى التعظيم فإنهم سيعظمون الرجل فى حياته وجثته أو قبره بعد مماته . وكما يعتقدون أن الأشياء التى كان يلبسها تحل فيها البركة ، كذلك تراهم يعتقدون بعدموته أن البركة مازالت كامنة فى جثته وملابسه ، وفى كل شىء خاص به . فقبره وتمثاله أو صورته ، كلها فيها بركة . بل يذهب بعضهم إلى أبعد حدود السذاجة أو السخافة فى اعتقاداتهم فى البركة فنسمع مثلا أن بول وبراز الحبر الأعظم فى بلاد (التبت) يتهافت عليهما المؤمنون هناك للتبرك بهما (ذكر هذا كولان دى بلانسى) فى قاموسه . ورأينا كذلك كيف كان أتباع الأغا خان يتبركون بالماء الذى كان يغتسل به .

لقد أحب الناس بعض الأولياء والصالحين ، وعظموا قبورهم ، وأقاموا عليها المساجد مع نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولعن فاعليه . وأحب العرب كذلك جديهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وأقاموا لهما التماثيل والصور ، ثم عظموها وعبدوها .

ويمكننا أن نجد أمثلة أخرى كثيرة فى أصنام العرب الشهيرة : اللات والعزى ومناة .

ويمكننا كذلك أن نثبت أن هذه الأسماء الثلاثة لأصنام العرب المذكورة فى القرآن إنما هى أسماء أناس صالحين ، أحبهم الناس فى حياتهم ؛ وعظموهم بعد مماتهم ، كما عظموا آثارهم . ثم عبدتهم الأجيال اللاحقة وعبدت آثارهم ، حتى أصبح عرب الجاهلية يولدون

فلا يعرفون شيئاً عن هذه الآثار المعظمة سوى أنها أصنام عبدها آباؤهم ، فعبدوها كآبائهم وأجدادهم سواء بسواء .

وقد جمع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ الأقوال الواردة فى هذه الأصنام[1] . وملخص ما جمعا عن اللات ، أن هذا اللفظ اسم فاعل من (لت يلت) ؛ إذ أنه أطلق على من قيل أنه عامر بن الظرب ، وكان يقيم على صخرة بيضاء بالطائف ، وكان له غنم . فكان « يلت » - أى يعجن دقيقاً من الشعير والحنطة بالماء والسمن واللبن و يسلؤه ، وكان يطعم من يمر به من الناس .

فلما مات خلدت ثقيف ذكراه بأن نقشوا اسمه على صخرته ، وحافظوا على بيته وكسوه بالأستار ، وعينوا له السدنة ، واصطنعوا له فناء ، وسمى هذا المكان باسم ساكنه « اللات » فكانوا يقصدون هذا المكان ؛ لتذكر الرجل الذى كانت له أياد على كل من كان يمر به ولما تقادم الزمن لم ير أحد من زوار هذا المكان إلا الصخرة وما عليها ، وظنوا أنها المقصودة بالزيارة والتعظيم ، فما لبثوا أن عبدوها ، وسموها «اللات» وما دروا ماهو اللات ، و إنما ساروا على خطوات آبائهم من غير أن يعلموا كنه عملهم .

وأما العزى فكانت امرأة ، وكانت تسكن بناء على شجرة تكسوه الأستار بمكان « نخلة » بين مكة والطائف . وكانت لقريش .

وكانت مناة أيضاً امرأة ، وكانت «بالمشلل» عند قديد ، وهو مكان بين مكة والمدينة وكان صنمها معظماً عند خزاعة والأوس والخزرج ، الذين كانوا يهلون منها للحج .

---

(١) انظر الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ . فتح المجيد . شرح كتاب التوحيد . بتحقيق محمد حامد الفقى . مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة , الطبعة السابعة ، ١٣٧٧ هـ ١٩٥٧م صفحات . ١٣٤ - ١٣٧ و ٢٤٨ - ٢٤٩ .

وقد دمر رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع هذه الأمكنة التي كان الناس يعظمونها إكراما لأصحابها ، فبعث المغيرة بن شعبة إلى اللات ، فهدم الصخرة وما عليها وحرقها بالنار ، وأرسل خالد بن الوليد لما فتح مكة ، إلى العزى فهدمها ، ووجد في بيتها امرأة عريانة فقتلها ، وأرسل على بن أبي طالب عام الفتح إلى صنم مناة فهدمها .

ولما تهدمت جميع هذه الأصنام ذكّر الله بها المشركين في الآية : (٥٣ : ١٩ - ٢٠) ﴿ أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى) وهل هذه الأصنام والأشخاص الصالحون الذين تمثلهم يمكنها أن تنفعكم ، أو تضركم أو أن تتوسط لكم عند الله ، وهي لم تنفع نفسها إذ لم تمنع عن نفسها التهديم والتحريق والتخريب .

وفي القرآن أسماء خمسة أصنام أخرى هي في قوله تعالى : (٧٠ : ٢٣ : وقالوا : لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن وَدًّا ولا سواعاً ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً) . وقد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها كانت تمثل رجالا صالحين من قوم نوح : وقال عنهم محمد بن عبد الوهاب[1] : فلما مات آدم بقي أولاده بعده عشرة قرون على دين أبيهم ، دين الإسلام . ثم كفروا بعد ذلك وسبب كفرهم : الغلو في حب الصالحين . كما ذكر الله تعالى في الآية السابقة عن قوم نوح قوله (٧٠ : ٢٣) .

وقال الكلبي[2] : « حدثنا الحسن بن عليل . قال : حدثنا : على بن الصباح : قال أخبرنا أبو المنذر ، قال : وأخبرني أبي ، قال : كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوماً صالحين ، ماتوا في شهر ، فجزع عليهم ذوو أقاربهم ، فقال رجل من بني قابيل : ياقوم

---

(١) انظر . محمد بن عبد الوهاب . مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بتحقيق محمد حامد الفقي مطبعة السنة المحمدية القاهرة . ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م صفحة ٥

(٢) انظر . أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي . كتاب الاصنام . بتحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا . من مطبوعات إحياء الآداب العربية (مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٤٣هـ-١٩٢٤م) ، صفحات ٥١ -٥٣ .

هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم ، غير أنى لا أقدر أن أجعل فيهم أرواحا؟ قالوا : نعم . فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم . فكان الرجل يأتى أخاه وعمه ، فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول . وعملت على عهد بردى ابن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم .

ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد من تعظيم القرن الأول . ثم جاء من بعدهم القرن الثالث . فقالوا : ماعظم أولونا هؤلاء ، إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله . فعبدوهم وعظم أمرهم واشتد كفرهم ..

وقد أوجز البخارى (عن ابن عباس رضى الله عنه) ما حدث فى هذه الأصنام واتخاذ العرب لها فقال : صارت الأوثان التى فى قوم نوح فى العرب بعد : فكانت « ود » لكلب بدومة الجندل . و « سواع » .. لهذيل : و « يغوث » لمراد ، ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما « يعوق » فكانت لهمدان ، وأما « نسر » فكانت لحمير لآل ذى الكلاع كلها أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحي الشيطان إلى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا ، وسموها بأسمائهم . ففعلوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم « عبدت »[1] . وقد روي ابن جرير مثله .

هذا التعظيم لآثار الناس الذى يبدأ بحبهم وحب مخلفاتهم وينتهى بعبادتهم وعبادة آثارهم ، هو الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده يحذرون المسلمين من تعظيم آثار رسولهم الكريم صلوات الله عليه خوفاً من أن يتعلق قلبهم بهذه الآثار ، فيفلت من أيديهم الزمام ، ويجرهم الشيطان خطوة خطوة حتى يضلوا الطريق فيعبدوا تلك الآثار .

---

(١) أنظر : ابن الأثير الجزرى :جامع الأصول من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم باشراف الشيخ عبد المجيد سليم ، وبتحقيق محمد حامد الفقى رحمهما الله (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م) جزء ٢ ، الصفحتين ٤٨٦ - ٤٨٧ ، الحديث ٨٥٨ .

وهذه طائفة من النصوص الخاصة بهذا الموضوع [١] .

عن أبي هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجعلوا بيوتكم قبوراً [٢] ، ولا تجعلوا قبرى عيداً ، وصلوا على ، فأن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات .

وعن على بن الحسن أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه ، وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبى ، عن جدى ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : لا تتخذوا قبرى عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا على فإن تسليمكم يبلغنى أين كنتم .

ولخوف الفتنة نهى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن تتبع آثار النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن وضاح : سمعت عيسى بن يونس يقول : «أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقطع الشجرة التى بويع تحتها النبى صلى الله عليه وسلم [٣] » . قال مؤلف كتاب فتح المجيد : فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها ، نخاف عليهم الفتنة .

وقال المعرور بن سويد ، « صليت مع عمر بن الخطاب بطريق مكة صلاة الصبح ، ثم رأى الناس يذهبون مذاهب ، فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل : ياأمير المؤمنين مسجد صلى فيه النبى . صلى الله عليه وسلم ، فهم يصلون فيه . فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا . كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس و بيعاً . فمن أدركته الصلاة فى هذه المساجد فليصل ، ومن لا ، فليمض ، ولا يتعمدها » .

---

(١) فتح المجيد ، صفحات ٢٥٤ - ٢٦٢ .

(٢) أى اجعلوا شيئامن صلاتكم فى البيوت ، ولا تجعلوها كالقبور لا يصلى فيها . وقوله (ولا تجعلوقبرى عيداً) أى لاتحتفوا بقبرى وتعاودوا الرجوع اليه كلما بدا لكم ، بل صلوا على حيث كنتم فإن صلا تكم تبلغنى — الهدى النبوى .

(٣) هى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان المذكورة فى قوله تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) من سورة الفتح .

ماذا جر علينا التعظيم فى العصور المتأخرة : هذا النوع من الحب الذى جعل النصارى يؤلهون عيسى ، والذى جعل قوم نوح يعبدون أصنامهم الخمسة والذى دفع مشركى العرب إلى عبادة أصنامهم الكثيرة . هو الحب نفسه الذى يدفع الناس اليوم فيمزجون فى عباداتهم الخبيث بالطيب . وفى طاعتهم الحلال بالحرام .

هذا هو الحب الذى جر به الشيطان المسلمين اليوم إلى إنزال أوليائهم منزلة خاصة من قلوبهم ، فيبدأون بأن يصنعوا لهم ما يذكرهم بهم ، ويجهدون أنفسهم فى تقليدهم واقتفاء آثارهم فى عبادة الله والتقرب إليه . فما يلبث الأبناء أن يروا كيف أن آباءهم يولون آثار أوليائهم عناية خاصة ، فيعتقدون أن عبادة الله لا تكمل إلا بهؤلاء الأولياء ، فيطلبون منهم الشفاعة ويدعونهم للبركة والشفاء والحفظ والرزق . وكل ذلك منشأه الحب الذى يتطور إلى التعظيم ، ثم التقليد الأعمى والجهل والعمل بالظن والحدس .

هذا الحب هو الذى نتج عنه أن عظم بنو آدم إخوانهم وآباءهم وشيوخهم وعظماءهم ، فكان تأثير هذا التعظيم على الناس أن أصبحت كلمة أحبائهم هى المسموعة ، ولو كانت فى معصية الله ، وأن أعمالهم هى الحسنة ، ولو كان فيها تعد لحدود الله ، وانتهاك لحرماته . وتضاءل بذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكان تأثير هذا التعظيم أن ازداد المحبوبون اعتداداً بالنفس ، وزاد تكبرهم وزهوهم ، وطغوا وأفسدوا . ومن منا إلا محب ومحبوب فى آن واحد ، فتختلط فى نفسه مشاعر التعظيم لمن يحب ، وشعور الطغيان والتكبر على من يحبونه ، وبهذا عم الفساد واستشرى الشر ، وانتشر الظلم ، ووطد الطاغوت قدمه فى قلوب الناس .

ونشير إلى (الحاكم بأمر الله الفاطمى) على أنه مثل لأثر تعظيم الأشخاص فقد ولى الخلافة حدثاً دون الثانية عشر ، فما لبثت مظاهر التعظيم والتفخيم من حوله أن أثرت فى نفسه وفى نفوس من حوله حتى ادعوا أنه إله . وأنه عندما اختفى لم يمت ، بل رفع على أنه سيعود إلى الدنيا مرة أخرى . ولا زالت طائفة الدروز على هذا الاعتقاد حتى الآن [١] .

---

(١) أنظر : محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله واسرار الدعوة الفاطمية . الطبعة الثانية ، ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩م نشرت بعناية مؤسسة الخانجى بالقاهرة .

غزوات الرسول
صلى الله عليه وسلم
٣ — غزوة الأحزاب

اشتداد الموقف على المسلمين : ظل الرسول « صلى الله عليه وسلم » والمسلمين مقيمين مايقرب من شهر فى ساحة الحرب ، دون أن ينشب بينهم و بين الأحزاب قتال . إلا تناول الرمى بالنبل وقيام الحصار . ولكن الأمر قد ازداد بلاء وشدة على المسلمين . إذ كان المشركون قد أحكموا خطة القتال وأحاطوا بالمسلمين من كل جانب[1] فقد جاءت كتيبة ابن الأعور السلمى من فوق الوادى . وأتت كتيبة عيينة بن حصن من الجنب . ووقف أبو سفيان من قِبَل الخندق . وأدرك الرسول صلى الله عليه وسلم الخطر الذى يحيط به و بمن معه . وكيف لا يكون الأمر خطيراً وهناك قوتان تحاربان لا يوجد بينهما تكافؤ فى العدد والعدة ؟ . . فهاهى ذى الأحزاب قد جمعوا فى هذه الغزوة ما لم يجمعه عدو المسلمين فى أية غزوة مضت من الرجال والسلاح . وساروابهم إلى رسول الله « صلوات الله عليه » تدفعهم نفوسهم الثائرة والمشبوبة بنيران الأحقاد العقائدية ، وطلب الثأر لتحقيق غرض واحد هو « استئصال محمد وأصحابه » . . ثم هاهم بنو قريظة ينضمون إلى قريش وغطفان ومن معهما من اليهود . و يقطعون عن المسلمين المساعدة المادية والمعنوية . .

لا ريب أن هذا الموقف الخطير يثير الخوف ويدفع المرء إلى الإسراع فى التصرف المحقق للنجاة . وهذا ما شغل ذهن الرسول صلى الله عليه وسلم وجعله يفكر فى أمر الخروج من هذا الحصار المروع الذى لم يكن أحد يعرف مداه إلا الله وحده .

الرسول يسعى للصلح : واهتدى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حيلة ليواجه بها هذا الحصار المضروب – إذ لم تكن هناك وسيلة إلا تلك الحيلة – بعث رسول الله « عليه السلام » إلى عيينة بن حصن والحرث بن عوف المرِّىّ – قائدا غطفان[2] –

(١) راجع الآيتين ٩ ، ١٠ سورة الأحزاب .

(٢) يبدو أن غطفان كانت قد بدأت تشعر بالملل من طول الانتظار . ووجدها رسول الله فرصة سانحة فتقدم إليها بعرضه الصلح عليها تجد فيه من جهة عوضا عما قد يأتيها من غنيمة . ثم لتستريح من جهة أخرى من هذا الموقف الذى أرهقها .

يعدهما بثلث ثمار المدينة إن هما كفا عن القتال . ورجعا بجيشهما عن المسلمين . وقَبِلَ قائدا غطفان هذا العرض وجرى بينها و بين الرسول الصلح . وتكاتبا عليه . ولم يبق إلا التنفيذ.

وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ[١] وسعد بن عبادة[٢] يستشيرهما فى الصلح . ولكنهما لم يقبلاه وبادرا الرسول بقولهما : يا رسول الله امر تحبه فتصنعه . أم شيء امرك الله لابد لنا من العمل به ! أم شيء تصنعه لنا ؟ . بل شيء اصنعه لكم . والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكما عن قوس واحدة . وكالبوكم[٣] من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى امرٍ ما» فقال له سعدبن معاذ : يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان . لانعبد الله ولا نعرفه . وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرًى[٤] أو بيعاً : أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ! ! . . والله مالنا بهذا من حاجة . والله لانعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا و بينهم .

بهذه العبارة المقرونة بالقسم . المفعمة بالحماس والشجاعة والإيمان أنهى سعد بن معاذ كلامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لم يجد بداً من النزول على رأى سعد ، والاستمرار فى المقاومة والحرب مهما كلفه ذلك من ثمن . وقال لسعد « فأنت وذاك » .

وبنفس الحماس والشجاعة عاد سعد يقول وهو يمحو عبارات الصلح التى كتبت بصحيفتها : ليجهزوا علينا .

اقتحام الخندق : واستمر الموقف على هذا الحال بعض الوقت . وفجأة تغير الموقف

(١ ، ٢) استشارهما لإنهما كانا سيدا الأوس والخزرج وممثلاهما فى المدينة .

(٣) اى اشتدوا عليكم (٤)القرى هو مايقدم للضيوف من طعام ذهب رأى سعدبن معاذ أن هؤلاء الأعداء لم يكونوا ليطمعوا أن يتذوقوا شيئامن ثمار المدينة الابأحد سببين : إكرامهم إذا نزلوابناضيوفا : اوشرائهم منا أما أن يأكلوه إتاوة يجب علينا أداؤها فذلك مالانرضى به أبداً. على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن أقل حماساً وإيماناً من سعد ، ولكنه ، صلى الله عليه وسلم ، أراد ان يقف على رأى أهل المدينة حتى يطمئن إلى رضاهم عن المجالدة والاستبسال فى الدفاع عن المدينة . فماكان أحكم قوله . وأسد رأيه فى هذه الإستشارة واوسع أفقه . وأكثر حماسته وإيمانه ، صلوات الله وسلامه عليه ،

عندما وجد الأعداء أن روحهم المعنوية قد ارتفعت بانضمام بنى قريظة إلى جانبهم . فأرادوا أن يبدءوا هم بالقاء أول شرارة فى ساحة القتال .

اندفع بعضهم ، منهم ـ عكرمة بن أبى جهل . وعمرو بن عبد ودّ بن أبى قيس . وضرار بن الخطاب الشاعر . . اندفع هؤلاء مع غيرهم وخرجو على خيولهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة وقالوا : تهيأوا يا بنى كنانة للحرب . فستعلمون من الفرسان اليوم . ثم يمموا وجوههم إلى مكان ضيق من الخندق ، فضربوا خيولهم فاقتحمته واجتازته . وجالت فى السبخة بين الخندق وسلع . وحرك هذا العمل كوامن الحماس فى نفس على بن أبى طالب (رضى الله عنه) فخرج فى نفر من المسلمين حتى سدوا على المشركين الثغرة[1] التى أدخلوا منها خيولهم . وتقدم عمرو بن عبد ود من فرسان المسلمين ونادى : من يبارز ؟ . فتقدم على ابن أبى طالب وبرز له وقال : يا عمرو إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين[2] إلا أخذتها منه . قال له : أجل قال على : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام . قال له : لاحاجة بى بذلك . قال على : فإنى أدعوك إلى النزال قال له : لِمَ ياابن أخى ؟ . فوالله ماأحب أن أقتلك ؟ . قال على : ولكنى أحب أن أقتلك .

ونفذت عبارة على الأخيرة إلى قلب عمرو كالسهام القاتلة حتى أثارته وأغاظته . ولم يلبث أن ضرب وجه فرسه وشد عليه لجامه . ثم أقبل على علىّ فنازلا وتجاوبا وأسرع على فأهوى عليه بسيفه فقتله . وهنا دب الفزع فى نفوس الأعداء ففروا هاربين واقتحموا الخندق وخرجوا بخيلهم منهزمين .

ودفعت نشوة الانتصار على بن أبى طالب إلى التعبير عن فرحته فجعل يقول :

نَصَر الحجارة من سفاهة رأيه[3] ونصرت ربَّ محمد بصوابى

لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب

بنو قريظة يعتدون : وسلك المتحمسون من بنى قريظة سبيلا آخر للعدوان فنزلوا من

---

(١) المكان الضيق الذى اقتحم الاعداء منه الخندق .

(٢) الخلة : الحاجة . وهى أيضا : الخصلة .

(٣) يعنى عدو الله « عمرو بن عبدود »

حصونهم إلى منازل المدينة القريبة منهم بقصد إرهاب أهلها . وكانت صفية بنت عبدالمطلب (رضى الله عنهما) فى قارع[١] حصن حسان بن ثابت فمر رجل من اليهود يطيف بالحصن . ومع صفية حسان . فقالت له صفية : يا حسان إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن . و إنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَنْ وراءنا من يهود . وقد شغل أعنا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وأصحابه . فانزل إليه فاقتله . قال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب . والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . فلما رأت صفية الرفض من حسان أخذت عموداً ونزلت من الحصن . وضربت به اليهودى فقتلته . ولما رجعت من قتله قالت له : يا حسان انزل إليه فاسلبه . فلم يمنعنى من سلبه سوى أنه رجل ! . قال : مالى بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب[٢] .

نعيم بن مسعود يخدع بنى قريظة : وقام نعيم[٣] بن مسعود رضى الله عنه بدور هام فى غزوة الخندق ، كانت سبباً فى خذلان الأحزاب ورحيلهم . فقد أتى نعيم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : يارسول الله : إنى قد أسلمت . و إن قومى لم يعلموا بإسلامى . فمرنى بما شئت . فقال له رسول الله « إنما أنت فينا رجل واحد فخذِّل عنا[٤] إن استطعت فإن الحرب خدعة » .

فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة ـ وكان نديمهم فى الجاهلية ـ فقال : يابنى قريظة قد عرفتم ودى إياكم ، وخاصة ما بينى و بينكم . قالوا : صدقت . لست عندنا بمتهم . فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم . . البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم . لا تقدرون

(١) أعلى الحصن .

(٢) علق ابن هشام فى كتاب سيرة النبى (ص) على موقف حسان بن ثابت من اليهود فقال إن أباذر ــ شارع هذا الحديث ــ استبعد أن يكون حسان بن ثابت (رضى الله عنه) قد نزل إلى هذه الدرجه من الجبن . اذ كان حسان يهجو كثيرا من الشعراء ويرميهم بالصفات الذميمة . وأن احداً من الشعراء لم ينسب إلى حسان هذا الجبن . ولو كان الأمر كذالك لذكر الشعراء له جبانته هذه .

ويستطرد ابن هشام قائلا . إن القصة مذكورة فى كثير من الكتب الصحيحة . راجع ابن هشام ص ٢٤٧ ج ٣ .

(٣) هو من بنى غطفان . (٤) أى : ادخل على القوم بالخديعة حتى يخذل بعضهم بعضا فينفضوا عنا ولا يستمرون فى قتالنا .

على أن تحولوا منه إلى غيره[١] . وإن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه . وقد ظاهرتموهم عليه . وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم . فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم . فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه . فقالوا . قد أشرت بالرأى .

ويخدع قريشاً : ثم خرج فأتى قريشاً ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من زعمائها : قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد . وإنه قد بلغنى أمراً قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم . فاكتموه عنى . قالوا : نفعل . قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد . وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على مافعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين – من قريش وغطفان – رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم . ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم . . فأرسل إليهم أن « نعم » . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً .

ويخدع بنى غطفان : ثم خرج إلى غطفان حتى أتاهم فقال : يامعشر غطفان : إنكم أهلى وعشيرتى . وأحب الناس إلىّ ، ولا أراكم تتهموننى . قالوا : صدقت ، ماأنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا عنى . قالوا : نفعل . فما أمرك ؟ فقال لهم ماقاله لقريش . ثم حذرهم .

وفى يوم سبت من شهر شوال من تلك السنة أرسل أبو سفيان وزعماء غطفان نفراً منهما إلى بنى قريظة وعلى رأسهم عكرمة بن أبى جهل ليتحدثوا إليهم بما عرفهم به نعيم ابن مسعود . فأتوهم فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، وقد هلك الخف[٢] والحافر[٣] فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليهم بنو قريظة : إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً . وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً فأصابه مالم يخف عليكم . ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا

(١) أى : أنكم من المدينة ولا يمكنكم الفرار إلى بلد غيرها إذا أصابتكم الهزيمة .
(٢ ، ٣) الخف : الإبل . والحافر : الخيل .

ثقة لنا حتى نناجز محمداً . فإنا نخشى إن ضرستكم[١] الحرب . واشتد عليكم القتال أن تنشمروا[٢] إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا بذلك معه .

فلما رجعت الرسل حاملة رد بنى قريظة . قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق . فعادت قريش وغطفان وأرسلتا إلى قريظة . فقالا : إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحداً من رجالنا . فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا .

ولما بلغ قريظة مقالة قريش وغطفان . قالت هى أيضاً : إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، مايريد القوم إلا أن تقاتلوا . فإن رأوا فرصة انتهزوها . وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم .

نهاية الأحزاب : وترددت الرسل بين الفريقين لطلب الرهن من الرجال ، ولكن أمرهم قد فشل . وتحققت كلمة الرسول « صلوات الله عليه » وخذل الله الجميع .

ولما أراد الله أن ينصر رسوله ومن معه . ويهلك أعداءه . أرسل عليهم ريحاً وجنوداً فى ليال شاتية باردة فجعلت تكفأ قدورهم[٣] وتهدم أبنيتهم . وتقض مضاجعهم . وفى هذا نزل قوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود ، فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا[٤]) .

وعلم الرسول صلوات الله عليه بما حدث للأحزاب من الهلاك والدمار فقال لأصحابه « مَنْ رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم ، ثم يرجع ؟ . أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ، وخشى بعضهم من خطورة الحال والبرد القاوس . ولكن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه تقدم إلى رسول الله وتطوع للقيام بهذه المهمة الشاقة[٥] . وقال له الرسول

(١) ضرستكم : أى نالت منكم مثل ماينال ذو الأضراس بإضراسه الشىء .
(٢) تنشمروا : تسرعوا بالعودة إلى بلادكم .
(٣) تقلبها وتميلها . (٤) الآية ٩ سورة الأحزاب .
(٥) المعروف كما فى الصحاح والسنن أن النبى صلى الله عليه وسلم نادى ثلاث مرات فلم يجبه أحد ، وكانت الريح عاصفة والظلام مستولياً . وقد تقاعس الناس خوف الظلام والريح عن إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نادى حذيفة بن اليمان باسمه ، فلم يسعه إلا أن يجيب رسول الله ، فكلفه بتلك المهمة ، لا أن حذيفة تقدم تطوعاً منه ، كما ذكره الأستاذ صاحب المقال (الهدى النبوى) .

« ياحذيفة اذهب فادخل فى القوم . فانظر ماذا يصنعون . ولا تحدثن شيئًا حتى تأتينا »
وأسرع حذيفة إلى منازل الأحزاب فوجد الريح قد قلبت حالهم وفتكت بهم . فعاد مسرعًا
إلى رسول الله يبلغه مانزل بالأحزاب .

تجهزت الأحزاب للرحيل بعد أن عصفت بهم الريح ودب الفزع والرعب[1] فى
قلوبهم . وحطم روحهم المعنوية .

ثم قام أبو سفيان وخطب فى قريش وقال : يامعشر قريش : إنكم والله ما أصبحتم بدار
مقام . لقد هلك الكراع[2] والخف ولقينا من شدة الريح ماترون . ماتطمئن لنا قدر .
ولا تقوم لنا نار . ولا يستمسك لنا بناء . فارتحلوا فإنى مرتحل . كما أن طليحة بن خويلد
ظن أن المسلمين وجدوا مانزل بساحة الأحزاب فرصة سانحة للانقضاض عليهم وقتالهم فنادى
فى الناس : إن محمداً قد بدأ كم بشر . فالنجاة النجاة .

فارتحل أبو سفيان ومن بقى معه من الأحزاب عائدين إلى مكة ، دون أن يحققوا غرضهم .
أو ينالوا من المسلمين شيئاً . وفيهم نزل قوله تعالى (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيراً : وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويًا عزيزا ـ ٢٥ سورة الأحزاب) .

أما رسول الله « صلوات الله عليه » فقد عاد بالمسلمين إلى المدينة بعد أن نجاه الله مما
أراد الأحزاب له . وحمد الله على النصر[3] المبين والظفر العظيم .

سعد صادق محمد

---

(١) روى الإمام أحمد فى مسنده أن أبا هريرة (رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول « بعثت بجوامع الكلم . ونصرت بالرعب . وبينا أنا نائم أتيت
بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت فى يدى » راجع البداية والنهاية لابن كثير ص١٠٢ ج ٤ .

(٢) الكراع : الخيل .

(٣) روى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ،
ولا شىء بعده .

العدد ٥ — جمادى الأولى
المجلد ٢٧ — سنة ١٣٨٢

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
الهدى النبوي
مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ ـ في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ المجلد ٢٧

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره : (نَحْنُ نَقُصُّ عليكَ نَبأَهُم بالحقِّ[1] إنهم فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهم ، وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِم إذْ قامُوا ، فقالوا : رَبُّنَا رَبُّ السمٰواتِ والأرضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِه إلٰهًا ، لقد قُلْنا إذاً شَطَطاً .) الكهف الآية ـ ١٣

« معانى المفردات »

« نحن » قال الراغب : « نحن عبارة عن المتكلم إذا أخبر عن نفسه مع غيره ، وما ورد فى القرآن من إخبار الله تعالى عن نفسه بقوله : نحن نقص عليك . فقد قيل : هو إخبار عن نفسه وحده لكى يخرج ذلك مخرج الإخبار الملوكى ، وقال بعض العلماء : إن الله يذكر مثل هذه الألفاظ إذا كان الفعل المذكور بعده يفعله بواسطة بعض ملائكته ، أو بعض أوليائه ، فيكون (نحن) عبارة عنه تعالى وعنهم » انتهى كلام الراغب .

---

(١) أى تعظيما لنفسه . فقد جرت عادة الملوك استعمال هذا الضمير فى تعبير الواحد منهم عن نفسه تعظيما لنفسه .

وأرى أن الأول هو الأصوب ، فقد وردت نحن فى غير ما نقل الراغب عن العلماء مثل قوله سبحانه : (نحن خلقناهم ، وشددنا أَسْرَهُمْ) .

« نبأهم » : النبأ : خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم ، أو غلبة ظن . ولا ريب فى أن النبأ من الله يحصل به يقين العلم .

« وربطنا على قلوبهم » يقال : ربط الفرس ؛ شده بالمكان للحفظ وربط على قلبه قواه بالسكينة والصبر ، فلم يجعل لا للخوف ولا للقلق إليه سبيلا ، وتدبر قوله تعالى : (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ؛ ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) هذه السكينة هى رباط الله على القلب .

« شططا » الشطط : الإفراط فى البعد . والمعنى : لقد قلنا قولا بعيداً جداً عن الحق والصواب .

« المعنى »

قلت فى العدد السالف إن الله سبحانه قص لنا قصة أهل الكهف مجملة فى ثلاث آيات سبق تأويلهن فى العدد الماضى .

أما فى الآيات التى نستعين بالله على تأويلها فى هذا العدد ، فيقص الله ــ جل شأنه ــ قصة أهل الكهف مُفَصَّلة ، وبالإجمال والتفصيل يعتبر القلب، وتسكن النفس ، ويغمرها اليقين بأن ما يقصه الله ليس إلا حقا وصدقا .

رأى المفسرين : يقول ابن كثير فى تفسيره ما يأتى : « ذكر غير واحد من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم ، وأنهم خرجوا يوما فى بعض أعياد قومهم ، وكان لهم مجتمع فى السنة يجتمعون فيه فى ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ، ويذبحون لها ، وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له : دقيانوس ، وكان يأمر

الناس بذلك ، ويحثهم عليه ، ويدعوهم إليه ، فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك ، وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ، ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم، عرفوا أن هذا الذى يصنعه قومهم من السجود لأصنامهم والذبح لها لا ينبغى إلا لله الذى خلق السموات والأرض ، فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه ، وينحاز منهم ، ويتبرز عنهم ناحية ، فكان أول من جلس منهم أحدهم . جلس تحت ظل شجرة ، فجاء الآخر ، فجلس إليها عنده ، وجاء الآخر ، فجلس إليهم ، وجاء الآخر ، وجاء الآخر ، ولا يعرف واحد منهم الآخر ، وإنما جمعهم هناك الذى جمع قلوبهم على الإيمان ... وجعل كل أحد منهم يكتم ماهو عليه عن أصحابه خوفا منهم ، ولا يدرى أنهم مثله حتى قال أحدهم : تعلمون والله ياقوم أنه ما أخرجكم من قومكم ، وأفردكم عنهم إلا شىء ، فليُظهر كل واحد منكم بأمره. فقال آخر : أما أنا ، فإنى والله رأيت ماقومى عليه ، فعرفت أنه باطل ، وإنما الذى يستحق أن يعبد وحده ، ولا يشرك به شيئا هو الله الذى خلق السموات والأرض ، وما بينهما وقال الآخر : وأنا والله وقع لى كذلك ، وقال الآخر كذلك ، حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة ، فصاروا يداً واحدة ، وإخوة صِدْق ، فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه ، فعرف بهم قومهم ، فوشوا بأمرهم إلى ملكهم ، فاستحضرهم بين يديه ، فسألهم عن أمرهم ، وما هم عليه ، فأجابوه بالحق ، ودعوه إلى الله ــ عز وجل ــ ، ولهذا أخبر تعالى بقوله : (وربطنا على قلوبهم) . .

فيقال : إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبى عليهم ، وتهددهم ، وتوعدهم ، وأمر بنزع لباسهم عنهم الذى كان عليهم من زينة قومهم ، وأجّلهم ؛ لينظروا فى أمرهم ، لعلهم يرجعون عن دينهم الذى كانوا عليه ، وكان هذا من لطف الله بهم ، فإنهم فى تلك النظرة توصلوا إلى الهروب منه ، والفرار بدينهم من الفتنة » .

تعليق : هذا ما نقله ابن كثير عن الذين تعرضوا لتأويل هذه القصة ، وإنى لأكرر ماقلته من قبل : وهو أن فيما يقصه القرآن الفنى والعبرة الهادية والعظة الشافية ، ولا نستطيع أن نزيد على ماقص القرآن . أو ننقص منه شيئا ، ولا سيما إذا كانت القصة ليس لها من مصدر يوثق به سوى القرآن ،

ولهذا لا أستطيع الجزم بأن مانقله ابن كثير يطابق الحقيقة التاريخية ، والقصة بأسلوب القرآن . وحقائقها المذكورة فى القرآن فى أرفع ذروة لإعجاز البلاغة والفصاحة وإشراق البيان وسموه ، وهى وحدها حجة الحق ، وقمة الموعظة ، ولكن فيما نقله ابن كثير معالم واضحة من القصة كما هى مبينة فى القرآن .

وما أجمل ما يقوله ابن كثير بعد تعرض للأقوال التى تكلفها المفسرون حول مكان الكهف : « لم يخبرنا ـ يعنى سبحانه وتعالى » بمكان هذا الكهف فى أى البلاد من الأرض : إذ لا فائدة لنا فيه ، ولا قصد شرعى . ولو كان لنا فيه مصلحة دينية ، لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ما تركت شيئا يقربكم إلى الجنة ، ويباعدكم من النار إلا وقد أعلمتكم به » فأعلمنا تعالى بصفته ـ يعنى صفة الكهف ـ ولم يعلمنا بمكانه « وما أجمل ما يقوله أيضا ـ بعد أن تعرض لما قيل عن لون كلبهم « واختلفوا فى لونه على أقوال لا حاصل لها ، ولا طائل تحتها ، ولا دليل عليها ، ولا حاجة إليها ، بل هى مما ينهى عنه ، فإن مستندها رجم بالغيب » .

وهى نظرة دقيقة وصائبة من ابن كثير ، وكذلك أفعل — إن شاء الله — فلا أرجم بالغيب ، ولا أتقول على رب العالمين طمعاً فى إعجاب الناس .

معنى الآيات : فى هذه الآيات ، وفيما بعدها تفصيل من بعد إجمال — لقصة أصحاب الكهف ؛ لقصة هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم إيمانا وثيقا يغمر القلب باليقين ، ويربط حبهم وتقواهم وخوفهم ورجاءهم بالله وحده .

فيقول الله ــ جل شأنه ــ : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) أى بالصدق واليقين ، وربما يطابق تمام المطابقة ماحدث ، فليس للخيال سبيل إلى قصص القرآن ، وليس للعاطفة أثر ما فى تصويرها كما هو الحال فيما يقص البشر .

و إن ورود كلمة « بالحق » هنا لأبلغ رد على أولئك الذين يزعمون ــ أوتزعم أحقادهم، وأهواؤهم ، وجهالتهم ، وتقليدهم لسدنة الفلسفة الكنود ــ أن قصص القرآن قصص فنّى لا يستهدف التعبير عن الواقع ، أو عن الحقيقة وإنما يستهدف بثّ العبرة والعظة ، فهو يصطنع أحداثاً لم تقع ، أو يرمز إلى معنى خفى ، أو يشير إلى مستقبل بما يقصه عن أحداث ماض بعيد .

ولقد جاءت كلمة « بالحق » مناراً يضىء للفكر وللقلب السبيل فى هذا الأمر . فمجيئها من الحق الذى يعلم خلقه علم اليقين أنه لا يقول إلا الحق دليل قوى جليل القوة والتأييد لما يؤمن به كل مسلم : وهو أن قصص القرآن كله حق لاريب فيه ، لو ذكرت الآية بدونها لما ارتاب المسلم الصادق الإسلام فى أن ما يقصه الله سبحانه هو الحق . غيرأنه ــ جل شأنه ــ أتى بها ؛ لنزداد إيماناً ؛ وليقيم بها أبلغ حجة على بطلان ما يفتريه أولئك الذين يزعمون أن قصص القرآن لاسند له من التاريخ ! ! .

وترتيب الكلمات ونوعها فى الآية يدل على العناية الإلهية بشأن القصة و يثير فى النفس لهفة التطلع إلى ما سيقال من أحداث القصة . وكذلك اختيار كلمة « نبأ » بدلا من كلمة خبر . ثم تأمل فى توكيد الجملة التى افتتحت بها قصة هؤلاء الفتية ، وهى قوله ــ جل شأنه ــ (إنهم فتية آمنوا بربهم) كان يمكن أن يقال : هم فتية . ولكنها وردت هكذا توكيداً لأمر القصة ، وتعظيماً لشأن الفتية ، حتى ليؤكدَ العلى الكبير الحديثَ عنهم ، وافتتاح القصة بالحديث عن إيمان هؤلاء الفتية يدل على عظمة إيمانهم وقوته وصدقه و إخلاصه ،

وعلى أن كل ما من الله به عليهم ، وكرمهم به ، إنما هو جزاء لهذا الإيمان العظيم . وفى إضافة كلمة « رب » إلى الضمير الدال عليهم فى قوله سبحانه (ربهم) تعظيم وتكريم لشأن هؤلاء الفتية . ودعوة إلى الإيمان بالرب الذى آمن به هؤلاء الفتية وإشارة إلى أنه جل شأنه يستحق الإيمان به بهذه الصفة وحدها . كان يمكن أن يقال : آمنوا بنا ، أو آمنوا بالله ، ولكنها وردت هكذا (آمنوا بربهم) لتدل على عظمة حب الله لهؤلاء الفتية ، حتى إنه أضاف نفسه إليهم سبحانه وتدل على أنه بالربوبية وحدها يجب أن يعبد وحده . ثم يقول الله سبحانه : « وزدناهم هدى » أعطاهم البصيرة المشرقة التى تميز فى دقة وبلاغة بين الهدى والضلال ، وتستطيع الحكم على الأشياء حكماً لا يضل ولا يزل بهوى أو ضلالة أو جهالة ، والفقه العظيم لآيات الله سبحانه ولقد قام هؤلاء الفتية بين قومهم بالدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، فربط الله على قلوبهم ؛ فلم يمسها خوف أو رهبة من سواه ، وكانوا مثال الفتوة النبيلة والشجاعة الفادية فى الدعوة إلى الحق بالحق ، شأنهم شأن إبراهيم خليل الله ـ صلوات الله عليه ـ فقد كان هو الآخر فتى كما كانوا هم فتية وكلاهما ربط الله على قلبه حين قام داعياً إلى الله وحده .

وقد جمعت دعوة هؤلاء الفتية بين الإيجاب والسلب أو بين الإثبات والنفى ، أو بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، يتمثل النوع الأول فى قولهم : ربنا رب السموات والأرض ، وربوبية الله للسموات والأرض أمر لا يستطيع قوم هؤلاء الفتية أن ينكروه ، ولا ينسبوه إلى آلهتهم التى يعبدون من دون الله .

وقولهم أشبه بقول موسى للطاغية فرعون حينما سأله هذا : وما رب العالمين ؟ فقال موسى : رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين .

ثم قال الفتية فى إصرارهم العظيم على الاعتصام بما هداهم الله (لن ندعو[1] من دونه

---

(١) أرجو أن تلحظ أنهم قالوا : لن ندعو بدلا من كلمة : لن نعبد ، فهل يعتبر دعاة القبور ؟ فقد نص هؤلاء الفتية على أن دعاء غير الله وثنية ، واتخاذ إله من دون الله .

إلٰها) ولن لتأييد النفى فى المستقبل . وهذا يؤكد لك قوة إيمان هؤلاء الفتية ، وعزمهم الأكيد القوى على التمسك بحبل الله المتين .

ولم يكتف الفتية بالتعبير عن حقيقة إيمانهم ، بل عرضوا بالمشركين من قومهم ، ودمغوهم بافتراء الكذب على الله ، فقالوا : (لقد قلنا إذًا شططا) يقولون : والله لو أننا فعلنا هذا لكنا من الذين يقولون على الله قولا جائراً ظالما باغيا بعيداً كل البعد عن الحق ، وكان قومهم كذلك ! ! .

* * *

وإلى العدد القادم — إن شاء الله — إنه الهادى إلى سواء السبيل ؟

عبد الرحمن الوكيل

« عقيدة القرآن والسنة » .

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه «السميع والبصير» وكثيرا مايرد هذان الاسمان الكريمان مقترنين فى القرآن العظيم كقوله تعالى من سورة النساء (إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا) وكقوله من نفس هذه السورة (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا)وكقوله فى أول سورة المجادلة (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) .

والحكمة فى مجيئهما هكذا مقترنين غالبا ، أن كلا منهما دال على صفة من صفات الإدراك ، فالسميع دال على صفة السمع التى تدرك بها المسموعات من الأصوات والكلمات .

والبصير دال على صفه البصر التى تدرك بها المرئيات من الأشخاص والألوان .

والسميع مبالغة من اسم الفاعل الذى هو سامع فمعناه الذى لا يعزب عن إدراكه مسموع مهما دق وخفى ، بل يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، ويسمع نجوى المتناجين مهما بالغوا فى الإخفاء ، قال تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات ومافى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم) .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع قوما يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال « أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعوا أصم ولا غائبا ، ولكن سميعاً بصيرا » وسمعه تعالى نوعان : احدهما سمع عام يتعلق بكل مسموع من

الأصوات والأقوال لا يخفى عليه شيء منها سواء كان محبوبا له أم مكروها، مرضيا عنده أم مسخوطا .

والثانى سمع خاص يتعلق بالإجابة لدعاء الداعين وشكاية المضطرين وضراعة المبتهلين . ومن هذا النوع قوله تعالى على لسان أم مريم عليها السلام .

(رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى إنك أنت السميع العليم) وقوله على لسان خليله إبراهيم عليه وعلى سائر الرسل أتم الصلاة وأزكى التسليم :

(الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربى لسميع الدعاء) فالسمع هنا فى كلتا الآيتين إنما هو سمع القبول والإجابة للدعاء . ومنه أيضا قول المصلى حين يرفع من ركوعه (سمع الله لمن حمده) استجاب له وقبل حمده .

والله سبحانه يصغى إلى بعض الأصوات ويحب سماعها ،فقد جاء فى الحديث الصحيح (ما أذن الله لشيء كإذنه لنبى حسن الصوت بالقرآن يتغنى به) ومعنى أَذِنَ أصغى واستمع .

وينبغى أن يعلم أن سمعه تعالى للأصوات إنما هو بصفة قائمة به ، بها يدرك الأصوات والكلمات ويميز بينها ، لا أنه يسمع بذاته كما تزعم المعتزلة وغيرهم من نفاة الصفات .

روى البيهقى فى كتابه (الأسماء والصفات) عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله تعالى (إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا) فوضع إبهامه على أذنه والتى تليها على عينه والقصد من ذلك واضح لا خفاء فيه ، وهو تنبيهنا على أنه سبحانه يسمع بسمع ، ويرى بعين ، كما نسمع نحن بآذاننا ونرى بأعيننا لكن السمع ليس كالسمع ولا العين كالعين إذ (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) .

وسمعه تعالى يتعلق بصوت نفسه الذى هو غير مخلوق كما يتعلق بأصوات المخلوقين ، فهو إذا قرأ القرآن بصوت نفسه سمعه من نفسه كما يسمع غيره من كلامه ، وإذا قرأه العباد بأصواتهم سمعه منهم كما يسمع غيره من كلامهم .

وأما البصير فهو فعيل ، بمعنى مبصر ومعناه الذى يشاهد كل شىء من المرئيات ويراه ، فلا يعزب عنه ما تحت الثرى ، ولا يحجب رؤيته جدار ولا أستار ، ولا ينفع معها تخف ولا استتار . قال تعالى من سورة الرعد (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) يعنى أنه يستوى عند سمعه إسراركم بالقول وجهركم به ، ويستوى عند بصره استخفاؤكم فى ظلمة الليل ، وسروبكم أى ظهوركم بالنهار .

وقال تعالى مخاطباً الكفار الذين كانوا يستترون بأعمالهم ظنامنهم أن الله لا يراهم (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون . وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) واعلم أن كلا من السمع والبصر وإن كان أزليا بمعنى القدرة عليه ، لكنه بالفعل حادث يتجدد فى ذاتة سبحانه بحسب تجدد المسموعات والمبصرات ، فهو إذا خلق المخلوقات رآها ويسمع أصوات عباده حين يتكلمون بها . قال تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) وقال (أم يحسبون أنّا لا نسمع سرهم ونجواهم) وقال(قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) .

وقال فى شأن الرؤية (قد نرى تقلب وجهك فى السماء) (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) (وتوكل على العزيز الرحيم . الذى يراك حين تقوم . وتقلبك فى الساجدين) ومن الجهل الفاضح مايزعمه أرباب الكلام من أن السمع والبصر قد تعلقا فى الأزل بكل مسموع ومبصر ، إذ كيف يرى الأشياء قبل أن يخلقها أم كيف يسمع الأصوات التى لم توجد بعد ، بل الحق أنه كلما خلق شيئا رآه وكلما حدث صوت سمعه .

وأشد من ذلك جهلا وأعظم شناعة قولهم : إن كلا من السمع والبصر متعلق بكل موجود ، فكيف يتعلق السمع بماليس من شأنه أن يسمع من الأشخاص والألوان ، وكيف

يتعلق البصر بماليس من شأنه أن يرى من الألفاظ والأصوات .

فانظر إلى هذا الخلط العجيب بين الصفتين وتعدية كل منهما إلى وظيفة الأخرى ، كأنهم ظنوا أن قصر السمع على المسموعات والبصر على المبصرات نقص ينافى الكمال ، وهذا خبال مابعده خبال فإن كمال الصفة إنما هو فى إحاطتها بمدركاتها الخاصة بها بحيث لايفوتها شيء منها وليس كما لها فى أن تدرك مالايدرك إلا بصفة أخرى إذ لو كان الأمر كذلك لاستغنى بأحديهما عن الأخرى ، ولم يكن هنا معنى لوجودهما معاً . والله تعالى أعلم .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية الشريعة

الفوائد المجموعة
فى الأحاديث الموضوعة

لشيخ الإسلام

محمد بن على الشوكانى

حقوق آل البيت

ما لهم وما عليهم

---

٢ — تابع ما قبله

وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك الأشعرى قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية ، لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن فى الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » .

شرح هذا الحديث

قوله أربع ، أى أربع خصال ، «من أمر الجاهلية» أى من صفة الكفار وأخلاقهم والإسلام برىء منها « والأحساب » شرف الآباء ومفاخرهم « والطعن فى الأنساب » احتقار أنساب الناس وذمها وانتقاصها ، والاستسقاء بالنجوم ، ادعاء معرفة السنة الخصبة بواسطة النظر فى النجوم . والنياحة : الندبة على الميت . وقد تقدم شرحها .

فالملك محمد الخامس رحمة الله عليه أراد أن يعالج أمراض شعبه ليشفيهم باذن الله من هذا الداء الوبيل . وهو فى ذلك سالك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمصلحين من بعده . وقد انتفع كثير من أولى الألباب بهذا الإصلاح المحمدى فتركوا الافتخار بالأنساب واعتمدوا على العلم والعقل . وما أحسن ما قيل فى هذا المعنى :

عليك بتقوى الله والزم حدوده ... ولا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس ... وقد وضع الكفر الشريف أبا لهب

ومما ينسب إلى على رضى الله عنه وكرم الله وجهه :

النَّاس من جهة التمثيل اكفاء | أبوهم آدم والأم حـواء
إن لم يـكن لهم فى أصلهم شرف | يفاخرون به ، فالطين والماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم | على الهدى لمن استهدى أدلاء

وقال آخر :

عجبت لذى جهل يظن جدوده | ترقيه والمرفوع بالفعل فاعله

وقال غيره :

لسنا وإن أحسابنا كرمت | يوماً عـلى الأحساب نتـكل
نبنى كما كانت أوائلنـا | تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

وقال آخر :

إن كنت تسمو بآباء ذوى حسب | فقد صدقت ولـكن بئس ما ولدوا

وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى يوم القيامة : (أيها الناس إنى جعلت لي نسباً فرفعتم نسبكم ووضعتم نسبي ، فاليوم ارفع نسبى وأضع نسبكم ، أين المتقون ؟)

* * *

وروى مسلم فى صحيحه من حديث عياض ابن حمار رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله أوحى إلى أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد » قال القرطبى : التواضع الانـكسار والتذلل وهو يقتضى متواضعا له ، فالمتواضَعُ له هو الله تعالى . ومن أمر الله بالتواضع له كالرسول والامام والعالم والوالد . فهذا التواضع الواجب المحمود الذى يرفع الله به صاحبه فى الدارين . واما التواضع لسائر الخلق فالأصل فيه أنه محمود ومندوب إليه ومرغب فيه ، إذا قصد به وجه الله تعالى ، ومن كان كذلك رفع الله قدره فى القلوب ، وطيب ذكره فى الافواه ، ورفع درجته فى الآخرة .

واما التواضع لأهل الدنيا ولأهل الظلم ، فذاك الذل الذى لاعز معه والخيبة التى لارفعة

معها ، بل يترتب عليه ذل الآخرة وكل صفقة خاسرة . وقد ورد « من تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه »

وروى أحمد والنسائى وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من تعزى عليكم بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا »

شرح الحديث

التعزى بعزاء الجاهلية ، هو مثل الدعاء بدعوى الجاهلية . قال فى القاموس : وعزاه إلى ابيه نسبه إليه ، وعزا هو إليه وله واعتزى وتعزى : انتسب . فالمعنى اللغوى للتعزى ، هو الانتساب . والانتساب على ضربين : انتساب يراد به التعريف فهو مباح ، وانتساب يراد به الافتخار والتكبر والتعريض بشخص آخر احتقارا له وتعاظما عليه أو طعنا فى نسبه وازدراء له ، فهذا هو المحرم المذموم الذى يجر إلى العصبية الجاهلية ، كما تقدم فى حديث « إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء » الحديث . وقوله : فأعضوه بهن أبيه أى قولوا له على سبيل الاهانة والزجر ، اعضض هن ابيك أى ذكرهُ . وقوله : ولا تكنوا ا : معناه صرحوا له باسم عضو أبيه ، وهو الأير ولا تخاطبوه بالكناية كالهن والفرج . وإنما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، لأن التعصب للأنساب يدعو إلى التفرقة والعداوة ، ويوغر الصدور ، ويمنع من التعاون والاتحاد والتعاضد الذى أمر الله به . ولا تسعد أمة فى دنياها وأخراها إلا به . وكان من عادة العرب إذا أرادت أن تبالغ فى زجر أحد أن تخاطبه بمثل ذلك .

قوله : ينكرون فضل ابناء فاطمة الخ[1] : قال الله تعالى : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال الامام ابن كثير فى تفسير هذه الآية : وهذا نص فى دخول أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل البيت هنا ، لأنهن سبب نزول

(١) هو ماورد فى أول السؤال المقدم الى الاستاذ صاحب المقال ، بالعدد الماضى ، وكان سبباً فى تحرير هذه الكلمات القيمة فى حقوق آل البيت . (الهدى النبوى) .

هذه الآية ، وسبب النزول داخل فيه قولا واحداً ، أما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح ، وروى ابن جرير عن عكرمة أنه كان ينادى فى السوق (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا) .

نزلت فى نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة . وروى ابن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس أنها نزلت فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم خاصة . وقال عكرمة : من شاء باهلته ، إنها نزلت فى شأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن كثير : فإن كان المراد أنهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح ، و إن أريد أنهن المراد فقط دون غيرهن ففى هذا نظر . ونقل ابن كثير حديث أهل العباءة الخمسة : النبى صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين بروايات مختلفة متعددة ، أحسنها ما رواه مسلم من حديث أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان فى بيتها وكان معه على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فجللهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكساء كان عليه ، ثم قال « هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » .

قال أبو الطيب القنوجى بعد ما ذكر اختلاط المفسرين فى المراد بأهل البيت :

وقد توسطت طائفة ثالثة بين الطائفتين فجعلت الآية شاملة الزوجات ولعلى وفاطمة والحسن والحسين . أما الزوجات ، فلكونهن المرادات فى هذه الآيات كما قدمنا ، ولكونهن الساكنات فى بيوته صلى الله عليه وسلم النازلات فى منازله : و يعضد ذلك ما تقدم عن عن ابن عباس وغيره . وأما دخول على وفاطمة والحسن والحسين فلكونهم قرابته وأهل بيته فى النسب .

فقد جعل الآية خاصة بأحد الفريقين أعمل بعض ما يجب إعماله ، وأهمل مالا يجوز إهماله ، وقد رجح هذا القول جماعة من المحققين ، منهم القرطبى وابن كثير وغيرهما وقال جماعة هم بنو هاشم ، واستدلوا بما تقدم من حديث ابن عباس و بقول زيد بن أرقم المتقدم ، حيث قال : ولكن آل محمد من حرم الصدقة بعده : آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فهؤلاء ذهبوا إلى أن المراد بالبيت ، بيت النسب .

قال تقي الدين الهلالي[1] : لا شك أن عليا وفاطمة والحسن والحسين من آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً وعموماً . أما خصوصاً فإن النبي صلى الله عليه وسلم ربى عليا في بيته ، وكان له بمنزلة الوالد ، ثم زوجه فاطمة وهي بضعة منه ، يسوءه ماساءها ويسره ماسرها . وأما فاطمة فهي ابنته وهي داخلة في أهل بيته دخولا أوليا . وأما الحسن والحسين فقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم أنهما أبناه ولم يزل يعاملهما معاملة الأب لابنه وهما متصلان به من جهة الأم ومن جهة الأب . وكذلك موالي النبي صلى الله عليه وسلم كزيد بن حارثة وأبي رافع ، من أهل بيته على سبيل التبعية ، فان مولى القوم منهم ، ونساؤه من أهل بيته ، وكذلك سراريه كمارية القبطية أم ولده ابراهيم عليه السلام ، فهؤلاء ومن في معناهم أهل بيته على سبيل الخصوص . وأما عموما فإن علياً ابن عمه ، وهو ممن نص عليهم حديث زيد بن أرقم ، وهم الذين حرمت عليهم الصدقة لعلو مقامهم ، كما حرمت على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد » وعن أبي رافع ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على الصدقة من بني مخزوم فقال لأبي رافع : إصحبني فانك تصيب منها ، فقال : لا ، حتى آتي النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسأله ، فأتاه فسأله ، فقال « مولى القوم من أنفسهم و إنا لا تحل لنا الصدقة » رواه احمد والثلاثة وابن خزيمة وابن حبان . فاشتراك بني هاشم والمطلب على قول الشافعي وسيأتي دليله .

أقول : اشتراكهم مع النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم الصدقة لأنها أوساخ الناس كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك اشتراكهم مع الخمس . وقد نص الله تعالى على حق ذوي قربى الرسول في الخمس فقال : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى » أي قرابة الرسول يوجب لهم فضلا على غيرهم . ويبين لنا بوضوح من هم آل النبي صلى الله عليه وسلم ، فثبت مما تقدم أن أهل العباءة من آل النبي (ص) خصوصا وعموما . «للبحث بقية» مكناس ــ المغرب تقي الدين الهلالي

---

(١) هو الاستاذ والكاتب للمقال .

أحسن ما قرأت

— لا ينبغى أن يدخل الشر على أهل البيت باسم الصداقة ورفع الـكلفة —
— يجب أن لا تعرض المرأة نفسها فى سوق الناس بما يثير الفتنة —

تحت هذه العناوين الرائعة والمعانى الفائقة ، كتب الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى سلسلة مقالاته التى ينشرها كل أسبوع بجريدة الجمهورية [١] ، هذا المقال القيم ، والفصل الحاسم بين عاملى الخير والشر فى الإنسان ، ومالهما من أثر فى المجتمع ، وقد تعرض فضيلته لتفسير بعض آيات من سورة النور ، وأن هذه السورة نزلت بالمبادىء التى تجعل الأمة مصداق قول الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) . ثم أبان حاجة المجتمع إلى ذلك ووجه المسلمين إلى التفقه فى هذه السورة لمعرفة ما فيها من هدى ونور وإصلاح وارشاد وخاصة فيما يمس العرض والشرف .

قال الأستاذ الأكبر :

قضت الحكمة الإلهية أن يكتنف الإنسان فى هذه الحياة ، عقل وشهوة ، فالعقل يدعوه إلى الخير والفضيلة ، فيسمو بهما فى نفسه وفى مجتمعه ، ويكون عند الله راضيا مرضيا . . والشهوة تدفعه إلى الشر والرذيلة ، فينزل بهما عن مستوى الإنسانية الفاضل فى نفسه وفى مجتمعه ، ويكون عند الله مبعدا مطرودا .

ومتى تغلب العقل على الشهوة كان الإنسان خيرا كله ، عزيزا لا يعرف الذل . شريفا كريما لا يعرف الدنايا يحمله عقله على الحلم والسخاء ، والجود والنجدة . والرحمة ، وتبادل الشعور بالحاجة مع اخوانه المؤمنين . ومتى تغلبت الشهوة على العقل ،

---

(١) نشر بعدد (الجمهورية) الصادر فى ٣/٣ سنة ١٣٨٢ - ٣/٨ سنة ١٩٦٢ .

كان الإنسان شرا كله ، ذليلا لا يعرف العزة مناعا للخير لا يعرف الجود . . مهينا لا يعرف الكرامة ومن هنا عنى الإسلام فى جميع الرسالات الإلهية بتقوية جانب العقل على جانب الشهوة ، ليسلم الإنسان فى حياته من موارد التهلكة التى تدفعه إليها شهوته غير مكترث بعواقبها الوخيمة التى تحول بينه و بين القيام بمهمته فى هذه الحياة وهى مهمة الخلافة الارضية التى تتطلب البناء والتعمير على اساس من العدل والعزة والشرف .

و إن أهم ماعنيت به الرسالات الإلهية فى وقاية الإنسان من الشهوة الطاغية وآثارها المقوضة لدعائم الشرف ، ما كان منها متصلا بجانب العرض . بحفظه تحفظ الكرامة ، والذى بانتهاكه وذبول شجرته الكريمة تتساقط أزهار الكرامة الإنسانية وتتفتت حياتها على صخرة الهوى والشهوة .

باب البصر

و بذلك يلتحق الإنسان بأنواع الحيوانات الأخرى التى لم تدخل فى عناصرها الحيوية. عنصر العرض والشرف وهاتان آيتان كريمتان من سورة النور ينظم الله بهما أوسع باب تغمدته دواعى الشهوة التى تملك على الإنسان عقله وتشعب عليه مظاهر الحياة ، فيضطرب فى حلقاتها ، ولا يجد قرارا يطمئن إليه ولا شاطىء آمن يرسو عليه ، يتعلق بكل شىء ولا ينتفع بشىء ، وهكذا يظل حائرا مضطربا بين مايرى من الصور ، ذلكم الباب هو البصر .

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخُمُرِهن على جيوبهن » .

القيادة العالمية

وسورة النور من السور المدنية التى نزلت بالمبادىء التى تكون الأمة الأخروية : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » « وكذلك جعلنا كم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » . وكان أهم ما عنيت به سورة النور علاج هذا الجانب الذى يتصل بالعرض والشرف ، وإذا كان

لاخير فى أمة تناثرت حبات الشرف فيها ، فأقدس ما يحفظ عليها خيرتها ومكانتها عند الله وعند الناس ، هو عنايتها بعلاج الشرف إذا خدش ووقايته من أن يخدش وهكذا فعلت سورة النور ، بدأت ببدء لم تبدأ بمثله غيرها من السور ، بدء يهز القلوب و يوقظ الوعى و ينبه الضمائر و يعد النفوس و يخلصها من عوامل الغفلة « سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون » ثم تفاجىء فتذكر العقوبة الكبرى لجريمة العرض الكبرى وهى جريمة الاعتداء العملى عليه . فتفرض عقوبة أصلية بدنية يظل أثرها شاخصا فى جسم المجرم الجانى طول حياته ، وذكرى سيئة له فى بيته ومجتمعه بعد مماته ، طبقة بعد طبقة وجيلا بعد جيل « الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » عقوبة تصور لنا مبلغ سخط الله وغضبه على تلك الجريمة وعلى فاعليها .

تكوين الأسرة الفاضلة

ثم لا تكتفى بهذه العقوبة و إنما تردفها بعقوبة أخرى أدبية واجتماعية مقتضاها إهدار صلاحية مرتكبيها لتكوين أسرة فاضلة من أسر الأمة المثالية الفاضلة « الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين » و إذا كان هذا جزاء الجريمة المذكورة وهى جريمة الاعتداء العملى على العرض، فقد وضعت السورة لجريمة الاعتداء عليه بالقول عقوبة مادية أخرى . ثم عقوبة أدبية اجتماعية مقتضاها تجريد مرتكبيها من شرف الإنسانية فيما يختص بقبول شهادته وللاعتداد بما يدلى به أمام الحكم والقضاء ولو إرشادا إلى حق أو دفعا لظلم « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » ثم لا تكتفى السورة بهذا وذاك . بل تهدد هؤلاء الذين أجرموا فى العرض وأشاعوا الفاحشة فى المؤمنين بأفعالهم أو أقوالهم بما أعد لهم من العذاب الاليم فى الدنيا والآخرة . وتسجل عليهم أنهم بأفعالهم وأقوالهم يقتفون أثر الشيطان منبع الشر كله « ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء

والمنكر » هذه غضبة الله على مرتكب تلك الجريمة سواء عنى المسلمون بتطبيق حكمها عليهم وقاموا بحق الله فيها . أم اتبعوا خطوات الشيطان وسلكوا مسلك السفهاء الذين لايعرفون للشرف مكانته ولا للعرض حرمته : فغضب الله بالجميع نازل وهدمها لكيان الأمة لابد واقع .

تضع السورة بعد هذا آدابا وقائية من شأنها أن تسد على الإنسان منافذ الاعتداء على العرض ، وتخص من ذلك أمرين أحدهما خاص بالبيوت ، والأخر عام فى المشاهد والطرقات .

أما الأول : فهو التحذير من المفاجأة بدخول البيوت على اهلها دون استئذان وتسليم « يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » و بهذا كانت للبيوت حرمة وكان لا هلها فيها حرمة . فلا ينبغى أن تقتحم الحرمة ولا أن تسلب الحرية ولا أن يدخل الشر على أهل البيت باسم الصداقة ورفع الكلفة .

أما الثانى : فهو الأمر بالغض عن البصر . ومعناه ألا تطلق لبصرك الحرية فى كل ما يقع عليه مما لك فيه حق ، وما ليس لك فيه حق ، فالشارع والسوق والمجتمعات ملك للناس جميعا ، فلا تتخذها ملكا خاصا لك تربط بصرك فيها بكل ما تريد وتتبع فيها كل ما تشتهى ، فيرتد بصرك خاسئا وهو حسير «قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم» وقل «للمؤ منات يغضضن من أبصارهن »وقايتان عامتان للذكور والإناث . وتخص السورة بعد هذا الإناث وهن مكان الاحساس المرهف للعرض . وهن مبعث الفتنة والشهوة . رضيت المرأة بهذا ام لم ترض تخصهن بوقاية ثالثة هى عدم التبرج والظهور ، بما يثير دواعى الاعتداء على العرض «ولا يبدين زينتهن إلاما ظهر منها » ولا تعنى تلك الوقاية خصوص ستر أعضاء معينة من جسم المرأة وكشف غيرها ، كما يتحدث الناس وتتحدث فى عورة الرجل والمرأة . و إنما تعنى ألا تعرض المرأة نفسها فى سوق الناس . وسوق الابصار وسوق الابرار والفجار ، بما يثير الفتنة ويغرى بها الشيطان. فمشية التلوى فى الطريق ولو مع الستر الكامل إغراء ، واللباس المحدد للجسم وأوضاعه إغراء ، والحزام البراق الذى يجعل الجسم شطرين قمة وقاعدة اغراء ، وكل ذلك لا يقل فى الاغراء عن

مايثير قلب المؤمن من كشف العنق والصدر والذراعين والساقين . وبمثل هذا يقال فى جانب الرجل فالنظرة تلو النظرة إغراء . وكلمات الغزل الخليع والاستحسان البارد اغراء ، ومتابعة السيدات فى الطريق وتضييق المواقف عليهن اغراء ، وتظرف الشباب فى مخاطبة السيدات استلابا لقلوبهن اغراء ، وماسكتت الآيات عن هذه الوقاية فى جانب الرجال الالأنها تعرفهم رجالا يحفظون لانفسهم مظاهر الرجولة التى تحول بينهم وبين الانخلاع منها .

أما بعد : فأرجو أن يقرأ المسلمون رجالا ونساء « سورة النور » ليشع نورها على قلوبهم فيعرفوا غيرة الله على الاعراض ، ويسدوا على أنفسهم باب شر يستوجب غضب الله عليهم ، ويصيروا بذلك أهلا لرضا الله ورحمته « ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ، ولكن الله يزكى من يشاء والله واسع عليم » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

بهذه التوجيهات السديدة ، والإرشادات النيرة ، ختم فضيلة الأستاذ الأكبر كلمته القيمة ، موجها بها نصيحته للمؤمنين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها .

فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيراً

عمر صادق محمد

أدبان

قال بعض الحكماء : الأدب أدبان ، أدب شريعة ، وأدب سياسة . فأدب الشريعة ما أدى الفرض . وأدب السياسة ما عمر الأرض . وكلاهما يرجع إلى العدل الذى به سلامة السلطان ، وعمارة البلدان . لأن من ترك الفرض فقد ظلم نفسه . ومن خرب الأرض فقد ظلم غيره : ولله در القائل :

ما صحة أبداً بنافعة حتى يصح الدين والخلق

نظام جديد لتقييد الطلاق

« تضع الآن وزارة الشئون الاجتماعية مشروعا يستهدف تقييد حق الزوج فى الطلاق ويشترط المشروع أن تعرض المشكلة أو النزاع القائم بين الزوجين على مكتب تنظيم الأسرة الذى سينشأ فى كل قرية أو حى . ويستدعى المكتب الزوجين ومع كل منهما أحد أقربائه ويشترك الجميع فى بحث موضوع النزاع . وبذل الوسائل المؤدية إلى الصلح .. الخ »

« الاهرام يوم ١٩ / ٨ / ١٩٦٢ »

.. لقد سبقت شريعة الإسلام بمئات السنين كل القوانين والشرائع الوضعية التى تهدف إلى اصلاح الأسر . وتجنيبها شرور الطلاق . فوضع شروطا مصلحة للابقاء على كيان الأسر .

والمحاولات التى أمرت الشريعة الإسلامية المجتمع الإسلامى للقيام بها قبل هدم الشركة الزوجية بالطلاق موضحة فى كتاب الله تعالى . فيقول سبحانه فيما يجب أن نفعله عند حدوث الخلاف بين الزوجين (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا) الآية ٣٥ : النساء .

* * *

ماذا فى صحفنا ومجلاتنا ؟ ! .

انتحر حزنا على وفاة (مارلين مونرو) حتى الآن - ٧ - من أمريكا وأوربا . كما انتحرت أيضا من أجل هذه الممثلة موظفة مصرية ببنك مصر .

« الأهرام يوم ١١ / ٨ / ١٩٦٢ »

.. أوردت صحيفة الأهرام هذا الخبر مع تعليق صغير بشأن الموظفة المصرية المنتحرة .

والتى تمكن الأطباء من إسعافها : وليست الأهرام هى التى نشرت فقط نبأ انتحار مارلين مونرو . بل إن صحفنا ومجلاتنا ـ بلا استثناء ـ نشرت خبر انتحار هذه الممثلة الأجنبية يوم أن هلكت فى ١٩٦٢/٨/٦ فى أمكنة بارزة من الصفحات الأولى مع صور مكبرة لها . كما فتحت المجلات مساحات كبيرة من صفحاتها ـ إلى ما يقرب من شهر ـ للآراء والتحليلات والتحقيقات الصحفية الخاصة بهذه المرأة الشقية الماجنة وكأن هذه الصحف والمجلات تتحدث عن اكتشاف علمى هام . أو حدث تاريخى جليل . مما ينبغى أن تتخذها الصحافة مواد لكتابتها فى هذه الفترة بالذات .

ونحن لا ندرى . ماذا يعود علينا من نشر خبر انتحار هذه العربيدة . وسرد اطوار حياتها بهذا التفصيل والاهتمام ؟ ! وصحافتنا لا تكتفى بنشر هذه التفاهات . بل تنشر أيضا باستمرار تفاهات أخرى من هذا القبيل .

فقد دأبت الصحف والمجلات عندنا فى الشهور الماضية ـ بصورة متوالية ـ على نشر صور لنساء عاريات منافية للحياء العام من داخل البلاجات[1] . أو من سهرات المجتمعات المنحلة . أو فى مناسبات أخرى . . صور تثير الشهوات . وتحرك الغرائز البهيمية .

ولا ندرى . هل غدت صحافتنا لا تجد مواد للكتابة ، ولا سبيلا إلى الرواج إلا بنشر مثل هذه التفاهات . وعن طريق الاستخفاف بالقيم . والاستهتار بالفضيلة . ؟ ! .

ونحن نتساءل أيضا : لماذا لاتفرض رقابة على الصحافة لحماية أفكار القراء ـ وخاصة شبابنا ـ من مثل هذا الوباء الذى يفتك بالاخلاق ، ويقضى على الفضيلة ، ويهدم الجانب الإنسانى فى الأمة ؟ ! .

إن الصحافة يجب أن تكون أداة للبناء والإرشاد . ومجالا للتثقيف . ونشر الفكر الصحيح فى المجتمع . لا مجالا لنشر أخبار الفساق وقصص العرابيد والعاهرات . وتملق الغرائز . . فمتى تعرف صحافتنا ذلك ؟ ! .

---

(١) شواطىء الاستحمام .

صلاة الجمعة فى المنيا

« وافق مجلس محافظة المنيا على اقتراح بغلق جميع المحال العمومية لمدة ساعتين أثناء صلاة الجمعة بناء على طلب عمال هذه المحال » .

« الجمهورية يوم ٢٧ ـ ٨ ـ ١٩٦٢ »

. . لا شك أن الذى حفز هؤلاء العمال على التقدم بهذا الطلب هو تمتعهم بروح إسلامية طيبة حريصة على طاعة الله وحبه .

لقد وجد هؤلاء العمال أن أعمالهم تعوقهم عن حضور صلاة الجمعة . . ذلك المؤتمر الاسبوعى الذى سنه الإسلام ليكون مثابة لالتقاء المسلمين . ومجالا لتعارفهم وتوادهم . فتقدموا بطلبهم ذلك فحققه الله لهم .

إننا لنرجو مخلصين ـ ونحن ننشر هذا الخبر والتعليق عليه ـ أن يكون مطلب عمال المنيا الإسلامى دافعاً لعمال المحافظات الأخرى فيطالبوا هم أيضاً بغلق محالهم لمدة ساعتين لتأدية الصلاة يوم الجمعة .

كما نرجو أن يحرك هذا الخبر نفوس أولئك الموتى الذين تذهب أوقاتهم ـ اثناء صلاة الجمعة ـ بالجلوس فى المقاهى . وارتياد دور السينما . ومشاهدة مباريات كرة القدم . غير ذلك من مجالس الشيطان بينما المنادى ينادى فى الناس للصلاة . . حى على الفلاح . . ولا حياة لمن تنادى . . . نرجو من هؤلاء اللاهين الغافلين أن يعلموا أن الله تعالى الذى يتقلبون فى نعمه . ويملأون كروشهم ـ كالأنعام ـ برزقه محاسبهم على أوقاتهم وأيامهم فيم انفقوها .

وقد روى الترمذى عن أبى برزة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ . وعن علمه ما عمل به ؟ . وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيما أبلاه ؟ »

سعد صادق محمد

أســئلة وأجوبة

(١) الأســئلة

س ١ ـ ذكر لنا أحد الإخوان فى بلدة (منوف) عقب صلاة الجمعة أن النبى صلى الله عليه وسلم أمسك بيدى معاذ بن جبل وقبلهما . فهل هذا صحيح ؟ . وفى أى كتب السنة ذكر هذا ؟ .

س ٢ ـ هل حدث خلاف بين الصحابة فى الدين وكان كل منهم يتمسك برأيه باعتباره مذهباً له ؟ .

س ٣ ـ يقول الأخ المذكور : إن الله خلق نبيه «صلى الله عليه وسلم» من نور . ولما عورض فى هذا احتج بقول الله تعالى : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . فهل هذا صحيح ؟

س ٤ ـ ذكر الأخ المذكور على المنبر أن موسى وجد فى التوراة ذكر أمة محمد مكرراً فقال : اللهم اجعلنى من أمة محمد فهل هذا صحيح ؟ .

فتحى مصطفى جمال الدين

٢١ شارع بين الحارات المتفرع من شارع كاوت بك

٥ ـ إذا وقف الحاج بعرفات بعد غروب شمس اليوم التاسع فهل يكون مدركاً للحج؟.

محمد أحمد فرح

إمام جامع ناوى بالسودان ـ امنتجو

(ب) الأجوبة

الحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى .

ج ١ ـ لم نجد فيما وقفنا عليه من كتب السنة الصحيحة ما يثبت صحة هذه الدعوى .

على أن ذلك مناقض لإرشاد الرسول « صلى الله عليه وسلم » وهديه فقد سأله بعض صحابته الكرام : يلقى الرجل أخاه أفيعانقه ؟ قال : لا . قال : أفيقبل يده ؟ قال : لا . أفيصافحه ؟ قال : نعم . فلم يبح الرسول« صلى الله عليه وسلم »تقبيل اليد . والرسول الكريم لايخالف إلى ما نهى عنه .

جـ ٢ ـ لم يحدث بين الصحابة خلاف فى الدين ، ولم تكن لهم مذاهب يتمسكون بها لأنهم فقهوا قول الله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . وقوله تعالى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه . وقوله تعالى : إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون . لقد فقهوا هذه الأقوال الحكيمة من كتاب الله تعالى وعملوا بها . فحفظهم الله تعالى من التفرق والخلاف وجمعهم على الهدى والله أعلم .

جـ ٣ ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا بنص القرآن الكريم قال تعالى : قل : (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد) . فقد خلق كما خلقنا وكما خلق غيرنا من الناس ومن الأنبياء . قال تعالى : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب . ثم قال له كن فيكون) . فجميع البشر مخلوقون من تراب . قال تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار . وخلق الجان من مارج من نار) . وقال تعالى : (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) . والآيات فى هذا المعنى كثيرة .

وأما قوله تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) ، فنى المراد بالنور هنا ثلاثة أقوال : أحدها أنه النبى صلى الله عليه وسلم ، والثانى أنه الإسلام ، والثالث أنه القرآن . ووجه تسمية كل هذه الثلاثة نورا هو أنها للبصيرة كالنور للبصر ولولا النور لما أدرك البصر شيئاً من المبصرات ، ولولا ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم ما أدرك أصحاب البصائر حقيقة دين الله . فليس المراد أن جسمه نور ولكن رسالته هى النور ، على أن العلماء المحققين رجحوا أن المراد بالنور فى الاية الكريمة القرآن المبين . وقالوا : إن العطف هنا عطف تفسير

ورجحوا ذلك بما جاء فى الآية بعدها من قوله تعالى : (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) من إفراد الضمير . ولم يقل : بهما فكان هذا مما يؤيد أن المراد بهما هو القرآن الكريم . والله أعلم .

جـ ٤ ـ لم نقف فيما اطلعناعليه من كتب السنة الصحيحة ما يؤيد هذا الزعم . ومع ذلك فإن الأنبياء جميعاً رسالتهم واحدة ودينهم واحد وأمتهم واحدة . قال تعالى : (يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا . إنى بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدةوأنا ربكم فاتقون ٥٢ : ٢٣) وبهذا يتضح أنه لا معنى لأن يطلب موسى أن يكون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

جـ ٥ ـ وقت الوقوف بعرفه من زوال شمس اليوم التاسع من ذى الحجة إلى فجر يوم النحر ويكفى الحضور فى أى وقت من تلك المدة ولو لحظة فمن وقف بعد غروب الشمس فقد تم ولا شىء عليه لأنه وقف فى غضون الوقت المطلوب الوقوف فيه . والله أعلم .

أبو الوفاء محمد درويش

سفير الله الأعظم

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (صدق الله العظيم)

*
* *

نور من الله عم الكون وضاء — ونفحة من رياض الخلد فيحاء
سرت فعطرت الدنيا بما حملت — من الشذا فكأن الكون غنّاءُ
وأشرق الكون نوراً عند طلعته — ويوم طارت به فى الأرض أنباء
فجر الهداية قد لاحت بشائره — بيضاء فانقشعت فى الأرض ظلماء
فأينما سرت نور دون بهجته — شمس الضحي وازدهت بالنور أرجاء
طلائع الحق فى أفق السماء بدت — تحفها من جلال الله أضواء
تمثلت فى ابن عبد الله من شرفت — به من العرب أجداد وآباء
« محمد » زينة الدنيا وبهجتها — ودرة فى سماء المجد عصماء
أدى الرسالة لم يقعد به وَهَنٌ — وتم للحق إظهار وإعلاء
وتم للدين ما أوحى الإله به — والدين هدى وإلهام وإيحاء
دعا قريشاً فولت عنه معرضة — قلوبها بضلال الشرك عمياء
دعا إلى الله بالإحسان طائفة — آذانها عن نداء الحق صماء
فلم يصبه من الأهلين حين دعا — إلا عناء وتنكيل وإيذاء
بغوا عليه وشطوا فى مكائدهم — وأسرفوا فى ضروب الكيد ما شاءوا
ولم يكفوا عن العدوان آونة — وساوموه فلم يخدعه إغراء
قالوا إذا شئت كن فى أرضنا ملكاً — ونحن فى الملك أتباع أرقاء
أو شئت نهديك أموالاً مكدسةً — إن كان فى الملك والأموال إرضاء
أو كنت ذا علة عسراء أو مرض — فللعلاج وللاصلاح أدواء
فقال لو وضعت شمس الضحى بيدى — والبدر فوق يسارى وهو وضاء

ما حدت عن دعوة ألله مرسلها لسان صدق له فى الكون أصداء
ولا رجعت وقدمت الحياة فدى لله والدين لا خوف وإبطاء

* * *

تلك البطولة فى أجلى مظاهرها فلن يبلغها فى الكون أحياء
لم يغره أى شىء قدموه له لكن بخسران ما قد ساوموا باءوا
فالملك والمال عند المصطفى عَرَضٌ يزول والملك والأموال إغواء
أقسمت لن تلد الدنيا وما ولدت أنثى وليس له فى الكون أكفاء

* * *

قاسى شدائد فى إظهار دعوته تعيى الجبال الرواسى وهى شماء
فكم طوى فى هجير القيظ مقفرة وكم أوته بجنح الليل صحراء
« فما شكت قدماه الضر من سفر » فيما أراد ولم تقعده بيداء
يسير فرداً بذكر الله مؤتنساً ولم ينله من التجوال إعياء
ومن يكل أمره لله معتمداً على العناية إن حاطته أرزاء
ترعاه عين من الرحمن ساهرة ما زارها منذ بدء الخلق إغفاء

* * *

ظل النبى يوالى نشر دعوته لم يثنه منهمو صد وإغضاء
بالرفق يدعو وبالحسنى يجادلهم وليت ينفع إقناع وإدلاء
فالقوم مرجل أحقاد وما فتئت صدورهم ملؤها حقد و بغضاء
إن أم ناحية يتلوه مضطهد أو سار فى جهة تقفوه رقطاء
يروضهم فى أناة إذ يناقشهم وهم عليه أعاصير وأنواء
فكم تحمل أنواع السباب وكم رماه بالإفك هماز ومشاء
قالوا به جِنّة أو ساحر لبق ومدع وله فى النفس أهواء

وتلك دعوى ضعيف عاجز خمل ألقته فى ظلمـــات الجهل عشواء
أو مدع كذباً علماً ومعرفة والرأس خال شبيه الطبل جوفاء
سحقاً لهم ، كذبوا فيما ادعوه وما تقولوه ، وعقبى الإفك سـوداء
فما « محمـد » إلا مرسل وله من جانب الله أنصـار أشـداء
يدعو إلى الحق بالحسنى وقد ظهرت له حفيظتهم واستفحل الداء
لم يلق بالاً ولم يأبه بما فعـلوا ولا بما صاغه فى الذم هجاء
ولاذ بالصبر فى أم القرى ومضى ولم يروعـه أعـداء ألداء
فى ذمة الله ماساموه من عنت ومن مـكائد ، أهلوهـا أخـاء

* * *

لقد تحمل فى صبر وفى جلد ما لو تحمل قـوم بعضه ناءوا
بنى على الحق والإيمان دولته وشاد ما لم يشد فى الأرض بناء
على أساس من التوحيد دعمها ما مسها من صروف الدهر إقواء
جلائل فى سجل الخلد سجلها عظيمة . واسمه الميمون طغراء
صحيفة فى جبين الدهر مثبتة وصفحة فى سجل الخـلد بيضاء

* * *

هذى شريعته الغراء قد ظُلِمَتْ طغت عليهـا خرافات وغوغاء
قد أدخلوا بدعا فى الدين منـكرة والدين حل من الحمقى وما جاءوا
دع المضـلين غرقى فى غوايتهم فإنهم لجـلال الحق أعـداء
يا رب رد إلى الإسلام عزته فإن عزته فى الـكون قعسـاء
وزده مجـداً وإعـلاء وسيطرة فقـد تولاه أقطاب أعـزاء

« الجيزة » نجاتى عبد الرحمن

حول موضوع التيمم للمسافر

إشارة إلى مجلة (الهدى النبوى) العدد ٣ المجلد ٢٧ أرجو أن تسمحوا لى بالتعليق على موضوع تيمم المسافر مع وجود الماء ، ولا شك أن تعليقى للاستفهام .

إن الآيات التى أوردها أستاذنا الشيخ أبو الوفاء هى الآيات التى فهم منها أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم أحكام التيمم ، فهل دار الجدل بين أصحاب الرسول رضوان الله عليهم ؟.

[إن ما وقع بعد جمل متصلة كان قيداً لآخرها] هذا هو المستند الوحيد لفتوى شيخنا أبى الوفاء .

ومادمنا قد قررنا ترك الفقهاء جانباً فمن العدل أن نترك الرجال الذين سار على دربهم الشيخ أبو الوفاء .

إن الخلاف قد فاق الحد فى الفهم المستند على اللغة وحدها ، وحيث أن فهم الأحكام الشرعية بطريق اللغة وحدها ربما يكون تعطيلا للأحاديث ، فإنى أرجو أن تعطوا هذا الموضوع عناية أكبر ، ومن المجلة صفحات أكثر .

وعلى سبيل المثال لا الحصر : حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه حين أمّ أصحابه بالتيمم فى غزوة ذات السلاسل ، وحين عودتهم شكوه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عمرو : فقلت ذكرت قول الله تعالى (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) فتيممت ثم صليت . فضحك صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً ، فلو جاز للمسافر التيمم بسبب السفر وحده ، فما معنى هذا الحديث وشكوى رفقاء عمرو ، وسؤال الرسول ؟ ومثلا حديث جابر رضى الله عنه . خرجنا فى سفر فأصاب رجلا منا حجر فشج فى رأسه ، ثم احتلم . فسأل أصحابه . هل تجدون لى رخصة فى التيمم ؟ فقالوا مانجد لك رخصة ، وأنت تقدر على الماء الخ الحديث .

نعم .

وليس يصح فى الأذهان شىء   إذا احتاج النهار إلى دليل

ثم ماذا نقول فى الأحاديث التى وردت فى المسح ، ثم جواز المسح فى السفر لثلاثة أيام ، ماذا نفهم ؟ ولماذا يتوضأ المسافر ثم يمسح ، وقد أباح له الشرع ماهو أخف وأهون ، والله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه ، والدين يسر لا يحب الشدة ؟ .

أما بعد : فإن هذه الأحاديث لو صحت لتوضح لنا تفسير آيات التيمم .

والله أسأل أن يهدينا جميعاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

عبد الرحمن دهب السوكى

بالسودان

(الهدى النبوى) أرسل إلينا الأخ الكريم الأستاذ عبد الرحمن دهب هذه الكلمة تعقيباً على فتوى الأستاذ الجليل أبى الوفاء محمد درويش المنشورة بعدد ربيع الأول سنة ١٣٨٢هـ فى موضوع تيمم المسافر .

ولم نشأ أن نعلق من جانبنا بشىء على كلمة الأخ عبد الرحمن ، وإن كنا نذهب إلى ماذهب إليه ، إلا أننا نقول : إن الأحاديث التى أوردها فى تعقيبه أحاديث صحيحة ، ليس فى شىء منها طعن أو تجريح ـ فيما نعلم ـ بل هى فى حكم المتواتر . ومع هذا فإننا نترك المجال للأستاذ أبى الوفاء ليدلى برأيه فى هذا التعقيب ، إن بدا له ذلك .

كن معدناً للخير

قال أبو الأسود الدؤلى :

وكن معدناً للخير واصفح عن الأذى   فإنك راءٍ ما عملت وسامع

وأحبب إذا أحببت حبا مقارباً   فإنك لا تدرى متى أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت غير مباين   فإنك لا تدرى متى أنت راجع

١٥ - نظرات فى التصوف

المقامات والأحوال : للصوفى فى سلوكه مقامات لابد له من أن يقيم بها ، وأحوال لابد أن تهتز بها مشاعر نفسه قبل أن يبلغ غاية الطريق . وقد فصل الصوفيون القول فى المقامات وفى الأحوال . وعما كتبوا أنقل ما أكتب هنا :

تعريف المقام : يقول القشيرى : « المقام ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف . ثم يقول : « فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك ، وما هو مشتغل بالرياضة له » وقال الطوسى : « معناه مقام العبد بين يدى الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل » وعرفه ابن عربى بقوله : « عبارة عن استيفاء حقوق المراسم على التمام » .

وعرفه الغزالى فى كتابه « الإملاء » بقوله : المقام هو الذى يقوم به العبد فى الأوقات من أنواع المعاملات ، وصنوف المجاهدات ، فمتى أقيم بشىء منها على التمام والكمال ، فهو مقامه . حتى ينقل منه إلى غيره[١] » .

شرط الانتقال من مقام إلى مقام : يقول القشيرى : « لا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود وإقامة الله تعالى إياه بذلك المقام ؛ ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة » .

مجوسية : سأل الواسطى أصحاب أبى عثمان : « بماذا كان يأمركم شيخكم ؟ فقالوا : كان يأمرنا بالتزام الطاعات ، ورؤية التقصير فيها[٢] . فقال : أمركم بالمجوسية المحضة . هلا أمركم بالغيبة عنها برؤية منشئها ومجريها[٣] » .

---

(١) النصوص : ص٣٢ الرسالة ، وانظر تحت المادة التعريفات للجرجانى . ص ٤١ اللمع ، ص ٢ الاصطلاحات الصوفية مع كتاب التعريفات ، ٦٢ الإملاء بهامش جـ ١ من الاحياء .

(٢) وهذا هو مقام الصديقين ، ولكن الصوفى يسميه مجوسية كما سيأتى (٣) ص٣٢ الرسالة

والمقام يكون عن اكتساب بعد القيام برياضات ومجاهدات، ولا يجوز للسالك أن ينتقل من مقام إلى غيره إلا عن أمر الله، ولا سبيل لمعرفة هذا الأمر إلا عن طريق المشاهدة، أو حضور الحق — كما يعبرون والحق هو الله سبحانه، وبحضوره يفنى وجود السالك، ووجود الكائنات فى وجوده سبحانه، فلا يشهد السالك إلا الوجود الإلهى!!

ترى ما كيفية هذه المشاهدة؟ وهل يبلغها السالك بمقام واحدة وبماذا يعرف السالك أنها مشاهدة، وليست تصور جنون محموم؟ أو أين من القرآن أو السنة مكان هذا الشهود. وإذا كان السالك بمقام واحد يشهد الحقيقة الإلهية، فما فائدة بقية المقامات؟ إنه ببقية المقامات لا يشهد الذات، وإنما يصير هو عين الذات!!

ثم: هل التزام الطاعات ورؤية التقصيرفيها مجوسية؟ يقولون بخداع السحر من الباطل: يجب أن يغيب عن شهود الطاعات وعن شهود التقصيرفيها؛ بشهود الله؛ فهو منشىء الطاعات ومجريها!! إذن لا كسب للسالك فى طاعة ولا اختيار، ولا إرادة، ولا علم بها، ولا شعور يأخذه بما يفعل؟ إنها جبرية ماحقة تجعل فعل العبد فعلا للرب، وتمزج البشرية بالألوهية، أو الألوهية بالبشرية، وترفع عن كاهل الإنسانية كل مسئولية، وتبهت الله بالظلم، إذ يعاقب العبد على ما لم يكتسبه!!

الحال: يقول القشيرى: «معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم، ولا اجتلاب لهم ولا اكتساب لهم من طرب أو حزن أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو احتياج» وقال الطوسى: «نازلة تنزل بالعبد فى الحين، فيحل بالقلب من وجود الرضا والتفويض» ونقل السهروردى أبو حفص: «الحال ما من الله به، أو هو الذكر الخفى» وعرفه الغزالى بقوله: الحال منزلة العبد فى الحين، فيصفو له فى الوقت حاله ووقته، وقيل هو ما يتحول فيه العبد، ويتغير مما يرد على قلبه، فإذا صفا تارة، وتغير أخرى قيل له حال.

مقارنة بين المقام والحال: يقول السهروردى أبو حفص: «إن اللفظ والعبارة

كل منهما مشعر بالفرق ؛ فالحال سمى : حالا ؛ لتحوله ، والمقام مقاماً ؛ لثبوته فاستقراره ، وقد يكون الشيء حالا ، ثم يصير مقاماً » ويقول : « الأحوال مواجيد ، والمقامات طرق المواجيد ، ولكن فى المقامات ظهر الكسب ، وبطنت المواهب ، وفى الأحوال بطن الكسب ، وظهرت المواهب ، والأحوال مواهب علوية سماوية ، والمقامات طرقها ، والحال مقدمة المقام ، والمقام أثبت » .

ويقول القشيرى : « الأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب ، والأحوال تأتى من غير الوجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود ، وصاحب المقام ممكن فى مقامه ، وصاحب الحال مترق عن حاله[1] » .

العلاقة بين الحال والمقام : أيهما أسبق الحال أو المقام ؟ وما العلاقة بينهما : فى المقارنة بينهما إشارة إلى العلاقة . يقول صاحب العوارف : « كثر الاشتباه بين الحال والمقام ، واختلفت إشارات الشيوخ فى ذلك . فتراءى للبعض الشيء حالا ، وتراءى للبعض مقاماً ، وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما » .

ويقول : « قد يكون حالا ، ثم يصير مقاماً ، وضرب لهذا مثلا : بالمحاسبة ، فقد ينبعث داعيها من باطن الذات ، ثم تعود إلى أن تستقر فى النفس ، فتصير المحاسبة مستقراً للسالك ووطناً نفسياً ومقاماً ، وثمة يقال عنه : إنه فى مقام المحاسبة ، بعد أن كان له حال المحاسبة . وعلى هذا يكون الحال أسبق فى الوجود من المقام . يقول صاحب العوارف : إن العبد بالأحوال يرتقى إلى المقامات ، والأحوال مواهب ترقى إلى المقامات » .

تداخل المقامات والأحوال : يقول صاحب العوارف : « لا تعرف فضيلة إلا وفيها حال

---

(١) كل النصوص بالترتيب ص ٣٢ الرسالة وانظر ص ٥٦ التعريفات للجرجانى ، ص ٣٣٤ ص اللمع ، ص ٦ و ٣٢ وما بعدها عوارف المعارف ، ص ٣٢ الرسالة .

ومقام ، وفى الزهد حال ومقام ، وفى التوكل حال ومقام ، وفى الرضا حال ومقام ، وفى المحبة حال ومقام[١] » .

هل يدوم الحال : يقول القشيرى : « قال بعض المشايخ : الأحوال كالبروق ، فإن بقى فحديث نفس ، وقالوا الأحوال كأسمها ، يعنى : أنها كما تحل بالقلب تزول فى الوقت . . . وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها ، وقالوا إنها إذا لم تدم ، ولم تتوال ، فهى لوائح و بواده ، ولم يصل صاحبها بعد إلى الأحوال ، فإذا دامت تلك الصفة ، فعند ذلك تسمى حالا[٢] » .

ونقل السهروردى : « الأحوال كالبروق فإن بقى فحديث النفس » ونقل أيضاً : « الأحوال لا تسكون إلا إذا دامت ، فأما إذا لم تدم فهى لوائح وطوالع و بواده ، وهى مقدمات الأحوال ، وليست بأحوال[٣] » .

وقال الطوسى : « الحال ما يحل بالأسرار من صفاء الأذكار ، ولا يزول فإذا زال ، فلا يكون ذلك حالا[٤] » ونقل الغزالى فى كتابه الإملاء بهامش الاحياء : الحال لا يزول ، فإذا زال لم يكن حالا .

بعض المقامات : منها مقام التوبة ، وهى أول المقامات ، والورع ، والزهد ، والصبر ، والفقر ، والشكر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والرضا .

---

(١) تسمى حالا ، لأنها تعرض للقلب ؛ ثم تذهب عنه ، وتسمى مقاما حين تدوم وتتمكن من القلب .

(٢) ص ٣٢ الرسالة .

(٣) ص ٣٢٨ العوارف . واللوائح هى ما يلوح للأسرار الظاهرة ، والطوالع أول ما يبدو من تجليات الأسماء الإلهية على باطن العبد أو هى أنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة ، والبواده ما يبدو على القلب فى الحين من حيث حال العبد ، وهى بداية الواردات أو هى ما يفجأ القلب من الغيب . فيوجب بسطا أو قبضاً (٤) ص ٣٢٥ اللمع .

بعض الأحوال : منها الحب ، وهو أصل الأحوال السنية والقبض والبسط والصحو والشوق والأنس والقرب والبقاء والفناء والمشاهدة .

تعقيب : من المقامات ـ ولا ريب ـ مقامات تنافحها روحانية الإسلام وتطيب ذكرها شرعة الله . بيد أن فى تسميتها مقامات رائحة غير إسلامية تثير فى النفس ما تثير !!

ثم إن التصوف يوجب على السالك ألا يتطلع إلى الانتقال من مقام إلى مقام إلا بعد أن يتمكن من المقام السابق ، وإلا بعد شهود إقامة الله تعالى إياه فى ذلك المقام . هذا معناه أن السالك لا يعيش كامل الإيمان أبدا ، معناه أنه يعيش على شعبة واحدة من الإيمان .

ترى كيف يعيش تائبا بلا ورع ، وصابرا بلا شكر ، وفقيراً إلى الله بدون توكل !!

يقولون : إن التوبة تتضمن الورع ، والصبر يتضمن الشكر ، والفقر إلى الله يتضمن التوكل على الله : وهذا صحيح . بيد أن القول به يبطل دعواهم فى الفصل بين المقامات ، وفى أنه لا يجوز الانتقال من مقام إلى مقام إلا بعد التحقق من المقام الأول أى لا يصح للسالك ـ كما يزعمون ـ أن يكون صابرا شاكرا فى آن واحد ، أو فقيرا إلى الله متوكلا عليه فى لحظة واحدة !! والقول بهذا فيه قضاء على الوحدة النفسية والإيمانية . إنه يحيل حياة السالك إلى قلق مدمر تنتابه الهواجس التى تجعل منه شتاتا فى التيه .

فما من شك فى أن المسلم يؤمن تمام الإيمان أنه لابد وأن يجمع بين الفقر إلى الله والتوكل عليه ، والخوف منه والرجاء فيه . إن الرسل صلوات الله عليهم وهم المثل العليا للإنسانية المؤمنة يدعون الله رغبا ورهبا . والمؤمن الحق هو من إذا ذكر الله وجل قلبه واطمأن قلبه كذلك . (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وعلى ربهم يتوكلون ـ ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

يؤمن أنه لا بد من أن يكون متصفا بهذه الفضائل العاليات ـ التي تسمى مقامات ـ في وقت واحد ، يصرف بها سلوكه في الحياة .

فإذا مست قلبه قشعريرة باردة من ريح التصوف مضى يضرب في الحياة قلق الخطا ، حيران الفكر ، شديد الشعور بأنه آثم ؛ لأنه يحس في نفسه أنه صابر شاكر ، فقير متوكل خائف راج ، ولكن التصوف يلعن مثل هذا الإحساس ويحارب هذا التكامل الرائع ؛ إذ يحتم على السالك أن يقف في مقام واحد لا يتعداه إلى غيره إلا بعد حين ، وبعد مشاهدة !! وستنقضي حياته دون أن يشاهد ما وعد به ، ستنقضي حياته في سبيل أن يجعل من الوهم حقيقة ، ومن السراب الخلوب نبعاً سرى السلسبيل . كنا نظن أنهم ـ وهم كما يزعمون دعاة الكمال الروحي والوحدة الإيمانية ـ يدعون كما دعا الإسلام إلى أن يجعل المسلم من قلبه مستقرا ثابتا لهذه الفضائل المقدسة .

ولكنهم أبوا إلا أن يتركوا للشيخ المجال الذي يسيطر به سيطرة باغية على المريد حتى في إيمانه ، فيحيا ، وزمام نفسه ، وزمام إيمانه بيد معبوده الشيخ ، فكما أنه لا يستطيع أن يسلك سوى الطريق الذي أمره الشيخ بسلوكه ، فكذلك لا يستطيع أن يشكر ، وهو في مقام الصبر ، ولا أن يرجو ، وهو في مقام الخوف !! هكذا فرض عليه التصوف !!

أما الأحوال ، فبعضها مشاعر نفسية قلقة البداية والمصير ، ومن البغى أن نجعلها من شعائر الدين وأصوله . وبعضها جميل رائع كالحب ، لولا أن للصوفية رأيا في الحب ينال من قداسة الحب الصحيح ، ويلوث محرابه ، ويحقر من شأنه ، ويسلبه روحه ومقوماته . هذا وأكثر قصائد الصوفية التي تعبر عن الحب الإلهي فيها إسفاف وإيغال في التعبير عن شهوة مكبوتة وعن حرمان جسدي موجع الظمأ ، ولهفة محمومة إلى جسد فائر ثائر راغب !!

وبعض هذه الأحوال يعبر عن غنوصية اثيمة الهدف ، وإليك بعض ما ذكره هؤلاء عن بعض تلك الأحوال ، ننقله عمن يوصفون بأنهم معتدلون بعيدون عن الشطح .

الصحو : عرفه القشيرى بقوله : « الصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة » ثم قال : « واعلم أن الصحو على حسب السكر ، فمن كان سكره بحق ، كان صحوه بحق . والسكر والصحو يشيران إلى طرف من التفرقة ، وإذا ظهر من سلطان الحقيقة علم أن صفة العبد الثبور والقهر » وفى معناه أنشدوا :

إذا طلع الصباح لنجم راح تساوى فيه سكران وصاح[1]

وفى معناه أنشدوا أيضاً .

فصحوك من لفظى هو الوصل كله وسكرك من لحظى يبيح لك الشربا[2]

---

(١) الراح : الخمر . أى إذا تجلى الجمال الإلهى وتألقت فى قلوب السالكين إشراقاته شعر السكارى والصحاة منهم بشعور واحد وهو أن وجودهم هو عين الوجود الإلهى .

(٢) اللحظ : النظر بمؤخر العين . والعقار : الخمر ، لأنها تعقر العقل !!واللحاظ: مؤخر العين . واللب : العقل .

البيتان على لسان الذات الالهية . فهل من سمو الإيمان وكمال الأدب مع الله أن أفترى على لسانه مثل هذا الشعر السكران بالإثم . الشعر الذى لا تقوله إلا غانية ترقص فى حانة خمر لعشاقها ؟ . هل يجوز أن نطلق على الله ؛ أن له لحظا ذا خمرة معتقة وأنه يسقى عشاقه من راحه المسكرة ؟

ومعنى البيتين : تقول ذاتهم الإلهية التى يعبدونها : إن إفاقتك من سكرك ، وشهودك ذاتى فى صحوك هو أرفع مقام يصل إليه السالك . أما سكرك الذى يغشيك من شهود جمالى ، وغلبة أنوارى على الوجود ، سكرك الذى يصيبك بالدهشة والحيرة ، فلا تدرى أفى سكر أنت أم فى صحو ؟ . هذه الحال تبيح لك أن تشرب ، وأن تشرب حتى تنتقل من حال السكر إلى مقام الصحو الحقيقى الذى توقن فيه أنك أنا وأننى أنا أنت !!وأنه من الواجب أن تصف كل شىء بصفاتى ، وترى فيه عين ذاتى .

=

فما مل ساقيها ، وما مل شارب عقار لحاظ كأسه يسكر اللبا

وأنشدوا أيضاً :

فحالان لى حالان : صحو وسكرة فلا زلت فى حالىّ أصحو وأسكر

نوعا الصحو : هنالك صحو قبل السكر . وهو تفرقة محضة . أى تفرقة بين وجود الخالق ووجود الخلق . وهنالك صحو بعد السكر ، ويسمونه الصحو الثانى ، أو صحو الجمع أو الصحو بعد المحو ، وهو حال يصير مقاما ، ويكون أسمى من السكر ، لأنه يجعل من الحال مقاما ثابتاً . ويثبت اليقين فى نفس السالك بأنه هو الحقيقة الإلهية . وفى هذا يقول ابن الفارض :

ففى الصحو بعد المحو لم أك غيرها وذاتى بذاتى إذ تحلت تجلت

يزعم عاشق الزندقة ، أو سلطان عشاقها أنه الحقيقة الإلهية فى حالتى صحوه ومحوه ، وتلحظ التسوية التامة بين ذاته وذات الله سبحانه فى قوله الآثم : (وذاتى بذاتى) ، ونلحظ أيضاً أن الصحو بعد المحو أعظم شأنا عند الصوفية ، لأن الصحو الأول تفرقة ، والمحو فناء وإشعار بالغيرية ، والصحو الثانى إيمان بالوحدة التامة بين الخلق والحق ، وجل جلال الله سبحانه

« للنظرات بقايا » عبد الرحمن الوكيل

= وقد يكون المقصود من كلمة « لفظى » الكلمات الإلهية التى تؤكد وجود خالق ، ووجود خلق . فيكون المعنى : إن آياتى القرآنية التى تشعرك بوجودى ووجودك ، وأنك غيرى هو التحديد الحقيقى للصلة التى بينى وبينك . ولكنك حين تتأمل الكائنات بقلبك تشعر تمام الشعور أن هذه الكائنات ليست شيئا سواى . فيعتريك السكر الذى يؤكد لك الوحدة التامة بين وجودى ووجود الخلق ، ولا إثم عليك فى هذه الشعور . ثم يؤكد صاحب البيتين أن حال السكر هذه حال دائمة ، أى حال الشعور بأنه ما ثم فرق بين وجود الخلق ووجود الخالق .

من رسائل القراء

صدق الدعاة وإخلاصهم

مقال قيم يتكلم فيه الأستاذ محمود محمد البرماوى بهذا العنوان عن (صلح الحديبية) نقتطف منه الآتى :

هُدنة نافعة :

كان صلح « الحديبية » فرصة كبيرة ليطوف الدعاة ـ وهم آمنون ـ حول العالم ومعهم كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء . فكان من هؤلاء . دحية الكلبي إلى هرقل ، وعبدالله بن حذافة السهمى إلى كسرى . وعمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى وحاطب ابن أبى بلتعة إلى المقوقس ، وسليط بن عمر إلى اليمامة ، والعلاء الحضرمى إلى البحرين ، وشجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث الغسانى ، ومهاجر بن أمية المخزومى إلى الحارث الحميرى ملك اليمن . وانتشر هؤلاء وغيرهم إلى حيث بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم فأحدثوا دويا رائعاً فى كل صقع من الأصقاع التى أرسلوا إليها . ولنتحدث عن :

عمرو بن العاص :

هو أحد دهاة العرب الأربعة ، والبطل المجرب والحكيم الواسع الحيلة ، والتاجر الذى طاف أشهر البلاد ، والحول الذى لا تقف دونه عقبة ، وسفير الجاهلية والإسلام ، والألمعى الذى يعالج الأمور بالبرهان المقنع . فخر بنى سهم . وزهرة من باقات أرض الحرم . أمّره الرسول على الجيش فى معركة « ذات السلاسل » فأظهر نبوغاً حربياً مع أنه كان تحت إمرته شيوخ المعارك أمثال عمر بن الخطاب وابن الجراح .

هذا البطل حمل رسالة من الرسول إلى « عمان » فكانت مهمته شاقة ولم يكن تحت إمرته جيش يهدد . ولا عسكر يطوق البلد ، وهو سفير إلى دولة يحكمها ملكان شقيقان هما عباد وجيفر ابنا الجلندى وأولهما لين العريكة وثانيهما صعب المراس تياه متكبر صلف أحمق مغرور . ماذا يعمل عمرو ؟ ؟ إنه اختلى أولا بعباد وأقنعه وليست المهمة إقناع عباد

فحسب بل مهمته فتح البلد لتعاليم التوحيد فدخل على جيفر واختار له أسلوبا يغاير أسلوب عباد ويناسب صلفه وغطرسته : فكان عمرو جافا فى قوله . مراوغا فى بيانه . ملوحا بالقوة فى طيات كلامه ثم حمل جيفر مسئولية الرفض وعرفه أن نتيجة القبول إبقاء على ملكه ودولته ..

وبعد الطوفان الذى غرق فيه ـ جيفر . مسح العرق عن جبهته وأخذته العزة بالاثم فقرر الرفض . فأظهر عمرو أنه قد نفد صبره وضاقت سبل الحيلة معه وليس عليه إلا أن يعود إلى المدينة ثم يرجع ولن يكون فى رجوعه وحده . وإنما على رأس جيش يسد الأفق ويحجب ضوء الشمس ، وشرح الخطة لعباد حتى لا يلومه إذا ركب الوعر وتغيرت الحوادث.

وأسرع عباد إلى أخيه يشرح له ما لوح به عمرو ويعرفه أن الجيش العربى قادم لا محالة كلمح البصر أو أقرب ، وأن هؤلاء لو نزلوا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ، وخوفه عواقب اللجاجة لأنه لمح فى عينى عمرو شدة الإصرار . وطلب جيفر أن يخلو بنفسه ليلة وأمهل عباد عمرواً لكن عمرواً أفهمه أنه مسافر فى الصباح بعد صلاة الفجر على أى حال .

وبات جيفر ومضجعه الإبر ومرقده الشوك ، ولم يتحمل عذاب التفكير فقد تصدعت رأسه وأبلغ عمرواً أنه قبل أن يكون مسلماً موحداً قبل طلوع الشمس . وقبل عزمه على السفر . وجاءت تباشير الصباح ومعها تباشير الفتح من غير دم مهراق ولا سيف مشرع ولا نار تؤجج .

فهم بعض النسوة للإسلام

ومن الأستاذ مختار السعيد أبو النور جاءتنا هذه الكلمة :

قرأت اليوم بعدد جريدة الأهرام ١٩٦٢/٨/١٥ فى الصفحة الخامسة ـ ندوة الأهرام ـ تكلم فيها جماعة من النسوة وجماعة أخرى من الرجال . تكلموا جميعا عن قوانين الأحوال الشخصية وتنظيم الأسرة مثل بيت الطاعة وتقييد الطلاق ورفع سن الحضانة وغير ذلك ـ

ومما قاله هؤلاء النسوة وأتباعهن وأذنابهن من الرجال : قالت أمينة السعيد سألت الأستاذ بدر هل ورد فى القرآن شىء عن سن الحضانة ، فأفتاها بأنه لم يرد فى القرآن شىء عن ذلك . و بناء على ذلك يريدون رفع سن الحضانة إلى ١٥ أو ٢٠ سنة .

وتقول السيدة المحترمة التى تجهل كل شىء عن الدين . ولـكنهم مع ذلك يتكلمون باسم الدين ، تقول هذه السيدة أنها لا تعترف بهذه القوانين التى وضعت فى القرون الوسطى . وأن الأئمة الأربعة قد وضعوا من التشريع ما يتناسب مع عصرهم و بيئتهم ـ ولا يهمنا كلام هؤلاء إلا بمقدار ما ينشرون من ضلال و إفك وما يظهرون من جهل بالدين أو إرضاء للشهوات والنزوات ـ ولـكننا نسأل أنفسنا هل أدينا ما فى أعناقنا من أمانة لهذه الرسالة رسالة الاسلام؟ وهل قام العلماء منا بأداء الواجب العظيم لدينهم ووطنهم؟ وهل جاهدوا لدحض الباطل ورفع راية الحق عالية ؟ وهل يكفى الرد على هؤلاء على صفحات المجلات وهن ماضيات يجاهدن و يناضلن من أجل إقامة الباطل و إزهاق الحق ، لا يفترن فى سبيل ذلك لحظة من ليل أو نهار !!

ولقد ذهبت لعرض هذا الأمر على إحدى الهيئات الدينية فقيل لى إن العلماء فى المصيف !! مع أن النساء فى القاهرة يتلظين بحر الهاجرة فى سبيل مطالبهن الآثمة لا يفترن عن ذلك لحظة من ليل أو نهار !!

و إننى أقترح لإسكات هذه الأصوات و إعلاء كلمة الحق(١) أن يجتمع العلماء من جميع الهيئات والجماعات الاسلامية متضامنين متآخين متناصحين وأن يقوم المخلصون منهم بهذه الدعوة فيعملوا ندوة عظمى على مستوى الجمهورية ، تعلن فيها أحكام الشريعة فيما يختص بالأسرة ـ و يطالبون أولى الأمر بالتطبيق كما تطالب النسوة أولى الأمر بتطبيق آرائهم الفاسدة . ولا ينتظر العلماء دعوة أو تـكليفا بهذه المهمة فهى فرض عين وواجب جهاد على العلماء خاصة .

(٢) أن يقوم العلماء بعقد ندوات بالمساجد تشرح أحكام الدين فيما يختص بالأسرة وإسعاد أبنائها وأن ذلك لا يكون بالقوانين فقط وإنما يكون بتربية الوازع والضمير فى الناس وتنفيذ أحكام الدين وإقامة حدوده « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

(٣) أن النساء اللاتى يثرن هذه المواضيع لا يمثلن إلا أنفسهن وليست لهن صلة بالشعب ، لأنهن يفسدن ولا يصلحن .

(٤) أن يقوم العلماء بتوعية الشعب توعية دينية عملا بقول الله تعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون »

محاضرات المركز العام

لجماعة أنصار السنة المحمدية

فى مساء السبت والأربعاء بعد صلاة العشاء من كل أسبوع تلقى بدار المركز العام للجماعة المحاضرات الدينية . ففى مساء السبت يلقى فضيلة الأستاذ الرئيس العام الشيخ عبد الرحمن الوكيل دروسا فى تفسير القرآن الكريم . وأما فى مساء الأربعاء فيلقى فضيلة الأستاذ نائب الرئيس العام الشيخ محمد خليل هراس دروسا فى الحديث الشريف ، وفى شتى الموضوعات الفقهية . والدعوة عامة للجميع .

حاجة الإسلام الى القوة

ومن الأخ عبد الحافظ فرغلى كلمة جاء فيها :

ليت الإسلام يداً قوية تبطش بالذين يسخرون منه ويهزأون به . وليت للاسلام سيفاً بتاراً يلوح للذين يدور بخلدهم المكر والكيد له ، فيموت هذا المكر الخبيث فى صدورهم كما تموت الجرذان فى جحورها حين ترى أن على باب الجحر من سيفتك بها .

إن حوادث التاريخ البعيد والقريب ، والواقع الذى نعيش فيه ، يشهد أن أى دعوة من الدعوات . لا تنجح ولا تؤتى ثمارها إلا اذا اختمرت ورسخت فى أذهان معتقديها ولا تخرج من المعنى إلى الحس ومن عالم الغيب إلى عالم الشهادة إلا بالقوة ، فالقوة هى التى تحول الأشياء من صورة إلى حقيقة وتصل بالأشياء إلى غاياتها وحقائقها .

ومن العقائد عقائد تحتاج إلى القوة دائما تحيا بحياتها وتموت بموتها . وفى ذلك الدليل على أن العقيدة التى هذا شأنها لا تستقل بنفسها ، مثلها فى ذلك مثل شجرة اللبلاب تحتاج إلى عود من الخشب يسندها لأنها لا قوام لها ، ومثل ذلك النظم والنظريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يزعم أصحابها أنها تصلح المجتمع وتهديه إلى التى هى أقوم . ويستبد بهم هذا التفكير حتى يملأ فراغ أذهانهم ، فيحملون الناس حملا على الإيمان بما أتوا به . والذهاب به مذهبهم . ولا يزالون يلحون على الناس فى ذلك بشتى الوسائل حتى يخيل للناظر فى أمرهم وأمر الناس معهم أن هذا دين أو شىء كالدين .

يريد أصحابه له القداسة فى نفوس الناس . ومثل هذا الوهم الشخصى يعيش فى المجتمعات ما عاش أصحابه الأقوياء فإذا سقطوا سقط وإذا ماتوا مات الخ .

فى فرع طنطا

يوم من أيام الله فى طنطا

باسم الله وعلى بركة الله سافر الأستاذ الرئيس العام للجماعة إلى فرع الجماعة بمدينة طنطا يرافقه الأستاذ سيد متولى من المركز العام بدعوة من الفرع المذكور ليلقى فيه محاضرة دينية عن (الصفات الإلٰهية) .

وقد استعد الفرع لهذه المحاضرة استعداداً كبيراً ، فاحتشد فيه المئات من الناس ، وظلوا يستمعون إلى محاضرة الأستاذ الرئيس العام . ثم إلى كلمة الأخ الأستاذ عبد الفتاح سلامه وكيل الفرع ، ثم إلى أجوبة الأستاذ الشيخ محمد خليل هراس عن أسئلة المستمعين .

ومما يسعد نفس كل مؤمن أن ترى دعوة الحق لها كل هؤلاء الأنصار الأجلاء فى طنطا ، وذلك بفضل الله ثم بجهود الاستاذ الكبير نائب رئيس الجماعة ورئيس الفرع الشيخ محمد خليل هراس . فقد كان فيما مضى يحاضر فى فروع الجمعية الشرعية هناك ، ثم ما لبث أن انضم إلى دعوة التوحيد (جماعة أنصار السنة المحمدية) فالتف حوله فئة كبيرة ممن كانوا ينتسبون إلى الجمعية الشرعية ، التفوا حوله فى قوة وعزم يؤازرونه ، فكان نصراً من الله مبيناً ، وفضلا من الله كبيراً

ولقد شهد الناس فى طنطا فى هذه المرة ما لم يشهدوه من قبل ، شهدوا تجمعاً عظيما حول دعوة الحق ، وإيماناً قويا بها ، مما يعطى أملا كبيراً فى تزايد أنصار الحق يوما بعد يوم ، وتقلص الباطل وأنصاره .

ومما يزيد النصر قوة وجمالا أن يحدث هذا النصر العظيم فى طنطا ، بلد الطاغوت الأكبر « البدوى » قلعة كبرى من قلاع الوثنية والشرك .

وإنا لندعو الله أن يوفق أنصار السنة — وهم دعاة التوحيد الخالص — فى هذا البلد ، لنشر دعوة الحق وأن يزيدهم نصراً على نصر ، وقوة على قوة . إنه سميع مجيب .

... وفى مصر الجديدة

انعقدت الجمعية العمومية لفرع الجماعة بمصر الجديدة مساء يوم ٤ ربيع الآخر سنة ١٣٨٢هـ ٣ سبتمبر سنة ١٩٦٢ بمقر الفرع بشارع بلبيس رقم ٥ .

وبعد صلاة المغرب ألقى الأستاذ الشيخ ابراهيم السمان محاضرة عن أهداف الجماعة ومقاصدها وتلاه السكرتير بكلمة حول نشاط الفرع فى السنة الماضية ودعا الحاضرين إلى بذل المزيد من التبرع لإتمام المسجد . ثم أجريت عملية الانتخاب للمجلس الجديد ففاز كل من السادة الآتية أسماؤهم .

على حفنى إبراهيم	رئيساً
سعد على رشوان	وكيلا
محمد عبده الأزهرى	سكرتيراً
محمد كباره	مساعداً للسكرتير
حسن محمد سلام	أميناً للصندوق
عبد المعبود بلال	مراقباً عاماً

وحسين محمد على وبشرى عبد الرحمن وسليم جزولى ومحمد العجمى أعضاء .

وانتهى الاجتماع بكلمة من رئيس الفرع الأستاذ على حفنى حث فيها الحاضرين على التمسك بالكتاب والسنة ، والعمل بهما ، وإحياء عهد السلف الصالح . وختم كلمته سائلا الله تعالى أن يوفق المسلمين إلى السير على سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وإحياء منهاج شريعته الغراء .

وفاة السكرتير العام

لعلماء الهند

جاءنا من الأستاذ أحمد فايد النائب بإدارة قضايا الحكومة ما يلى :

« يؤسفنى أن أرسل لسيادتكم النبأ التالى الذى ورد إلى من نيودلهى » :

لقى ربه فى أوائل الشهر الماضى مولانا (محمد حفظ الرحمن) السكرتير العام لجمعية علماء الهند . واشترك فى تشييع جنازته رجال السلك الدبلوماسى ومن بينهم الأستاذ محمود العريان السكرتير الأول لسفارة الجمهورية العربية المتحدة بنيودلهى . وكذلك الدكتور محمد رياض العتر الملحق الثقافى بالسفارة .

« وقد كان الفقيد شخصية معروفة فى الأوساط العلمية الإسلامية وله مؤلفات عديدة فى شتى الموضوعات الإسلامية ، ومنها : «قصص القرآن» و «النظام الاقتصادى فى الاسلام» وقد بذل خدمات قيمة فى سبيل الاسلام والمسلمين . رحم الله الفقيد ، وأسكنه جنة النعيم .

وقد أذاعت محطة نيودلهى هذا النبأ ورثاه القسم العربى بها » .

أحمد فايد

النائب بإدارة قضايا الحكومة

إلى السادة مشتركى المجلة

ترجو إدارة مجلة (الهدى النبوى) من السادة مشتركيها الذين لم يسددوا اشتراكاتهم عن هذه السنة حتى الآن ، وأن يتفضلوا فيرسلوا إلينا اشتراكاتهم ، حتى لا نضطر إلى قطع المجلة عنهم ، ولهم شكرنا .

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

الله

هو رب كل شيء وخالقه ومليكه ، وهو مدبر الأمر كله ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . كل ما بك و بغيرك من النعم فهى منه سبحانه ، لا يكشف الضر غيره ، ولا ينزل الرزق سواه . لا معطى لما منع ، ولا مانع لما أعطى ، ولا راد لما قضى . له الحكم و إليه يرجع الأمر كله فاعبده .وتوكل عليه .

وهو الله الذى لا رب سواه ، ولا إله غيره .

فاخلص له عبادة قلبك : حباً ومخافة ، وذلا واستكانة ، وتوبة و إنابة ، وتوكلا واستعانة وطمعاً ورجاء ، وتعظيما و إجلالا ، ورضى وتسليما .

واخلص له عبادة لسانك : تسبيحاً وتحميداً ، وثناء وتمجيداً ، وتهليلا وتكبيراً ، ودعاء واستغاثة ، واستعاذة واستجارة ، وحلفاً وتسمية ، وشكراً وشكوى .

واخلص له عبادة بدنك : صلاة وصياما وحجاً وجهاداً ، وركوعاً وسجوداً ، وقياماً وقعودا ، وعملا للصالحات ، ومسارعة فى الخيرات .

وأخلص له عبادة مالك : تنفقه ابتغاء وجهه ، وتعطى وتمنع من أجله ، وتذبح باسمه ، وتنذر له وحده .

العدد ٦ — جمادى الآخرة
المجلد ٢٧ — سنة ١٣٨٢

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقي

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

الاشتراك السنوي
٣٠ ـ في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٦ — جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ — المجلد ٢٧

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره :

(هٰؤلاء قَوْمُنا اتَّخذُوا مِنْ دونِه آلهةً لَوْلاَ يأْتُون عليهم بِسُلْطَانٍ بَيِّن ، فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْـتَرَى على اللهِ كَذِباً . وَإِذِ اعْتَزَلْتُموهُم وما يَعْبُدُون إلاَّ اللهَ ، فأْوُوا إلى الكَهْفِ يَنْشُرْ لكم ربُّكمْ من رحمتِه ، ويُهَيِّئْ لكم من أمْرِكُمْ مِرْفَقاً . وَتَرَى الشَّمْسَ إذا طَلَعَتْ تزَاورُ عن كَهفِهم ذاتَ اليمينِ ، وإذا غَرَبَتْ تَقرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ وهُمْ فِي فَجْوةٍ منه ؛ ذٰلك مِنْ آياتِ الله ، من يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضْلِلْ ، فلن تَجِدَ له وَلِيّاً مُرْشِداً . وتَحْسَبُهُمْ أَيقاظاً وهُمْ رُقُودٌ ، ونُقَلِّبُهُم ذاتَ اليمينِ ، وذاتَ الشمالِ ، وكَلْبُهُم باسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيدِ ، لو اطَّلَعْتَ عليهم لَوَلَّيتَ مِنهم فِرَاراً ، ولَمُلِئْتَ منهم رُعْباً . الكهف ١٥ — ١٨)

« معانى المفردات »

« سلطان » السلاطة : التمكن والقهر . والسلطان هنا فى الآية الحجة والدليل .

وسميت الحجة سلطاناً ، لأنها تهجم على القلب ، وتتمكن منه .

« إفترى » الفَرْىُ : قطع الجِلْدِ للخرز والإصلاح ، والإفراء الإفساد . وقد استعمل في القرآن فى الـكذب والشرك والظلم ، وافترى الـكذب : اختلقه متعمدا ؛ ليفسد به .

« فأوُوا » يقال : آوى إلى كذا : انضم إليه ، فأووا إلى الـكهف : أى الجأوا إليه ؛ لتتخذوا منه مَأوًى لـكم « ينشر لـكم ربكم من رحمته » يقال : نشر الثوب أو الصحيفة أو النعمة أو السحاب أو الحديث إذا بَسَطه .

« مِرْفقاً » أصل الـكلمة يدل على موافقة ومقاربة ، ثم يشتق منه كل شىء يدعو إلى راحة وموافقة ، ومنه سمى مرفق الإنسان : مِرفقا ، لأنه يستريح فى الاتكاء عليه ، والمعنى هنا : يجعل الله لـكم من أمركم هذا ما تـكون فيه راحتكم .

« تَزَاوَرُ » الزَّوَرُ : المَيْل . يقال : ازورَّ عن كذا أى : مال عنه .

« تقرضهم » القرض : ضَرْبٌ من القطع . وسمى قطع المـكان وتجاوزه قرضاً والمعنى: أن الشمس كانت تجاوزهم ، ولا تقربهم .

« فَجْوة » ساحة واسعة فى الـكهف .

« رقود » الرُّقاد : المستطاب من النوم القليل ، ورقود : جمع راقد .

« الوصيد » قيل : هو فناء البيت ، وقيل : عتبته ، وقيل : بابه ، وهو الأصوب .

« رعباً » خوفا يرعب الصدر . أى : يملؤه .

« المعـــــنى »

وقفنا بالقارىء فى العدد الماضى عند قول الله تعالى حاكياً عن الفتية أصحاب الـكهف قولهم : « ربنا رب السموات والأرض ، لن ندعو من دونه إلهاً ، لقد قلنا إذاً شططاً » .

ثم قال الفتية كما بين الله : (هٰؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة) من قالها ؟ قالها أحد هؤلاء الفتية ، أو قالها كل فرد منهم فى وعظه ودعوته إلى الله ولمن قالوها ؟ قالوها للملك ، أو فى مجتمعات قومهم . العبرة فى أنها قيلت .

واتخاذ قومهم آلهة معناه أنهم كانوا يدعون مع الله سواه ، يدلنا على هذا نفى الفتية عن أنفسهم هذا العمل فى قولهم : (لن ندعو من دونه إلهاً) إن من يدعو مع الله أحداً ، فإنه يكون ممن يتخذون من دون الله إلها . فليعتبر اللائذون بالقبور ، العاكفون على القباب فإنهم بدعائهم لمن فيها ، وتوسلهم بالموتى و بأضرحتهم يعبدون من دون الله أصناماً وآلهة ! !

ثم قال الفتية قول المطمئن الواثق الموقن بما يدعو إليه ، و بأن ما سواه باطل : (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أى هلا جاء قومنا بدليل واضح ، وحجة ظاهرة تثبت صدق ما يزعمون وهو أن هؤلاء الذين يدعونهم يستجيبون لهم دعاء ، أو يملكون لهم ضراً ونفعا ، هلا جاءوا ببرهان قاطع يثبت أن هؤلاء يصح أن يُدْعَوا من دون الله ؟ !

والفتية يؤمنون أنه لا دليل ، ولا أثارة من دليل عند قومهم فما للباطل من دليل يعتد به أمام الحق أبداً . ولكنهم أرادوا بهذا إتاحة الفرصة لقومهم ، لعل شعاعاً من نور الحق يصدع ما بأعماقهم من ظلمات ، أو يرف سَناه فى عقولهم[1] ، وأرادوا أيضا طعن التقليد الأصم ، و بيان أنه لا يجوز لامرىء أن يقتنع أو يؤمن بشىء إلا عن دليل و بينة وكثير من الناس يرثون خرافات وأساطير يحسبونها من أصول الدين ، وأنها من المسلّمات أو البَدَهِيّات التى لا يصح لأحد أن يجادل فيها . فإذا جئت أنت إلى أصول دينه هذه وطالبته بدليل عليها رجع إلى نفسه فعلم ، أنه لا دليل ، ولا أثارة من دليل كما فعل إبراهيم عليه السلام بقومه حينما حطم أصنامهم وقال لهم :(فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم ، فقالوا : إنكم أنتم الظالمون . ثم نُكِسُوا على رُءوسِهِم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) .

---

(١) فقد ينبه قول الفتية قومهم ، فيعرفون أنهم لا يملكون دليلا يساند باطلهم ، وهنالك يتميز الخبيث من الطيب ، فإما أن يظل الكافر مصراً على كفره . وإما أن يرجع إلى الله نادماً تائباً .

وأمثال هؤلاء يعيشون على قلق مدمر ، وشك قاتل ، ولـكن عنادهم يحول بينهم و بين أن يطمئنوا إلى ما يريح من اليقين ! !

ثم حكم الفتية فى هذه القضية الحـكم العادل الذى يجب أن يحكم به من يحب الله و يخافه فقالوا : (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) والمقصود بالاستفهام النفى ، إذ يريدون أن يقولوا : ليس أظلم من إنسان يخترع على الله الـكذب .

ومن الـكذب المخترع على الله ما زعمه قومهم ، وهو أن هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله ، أو مع الله يملـكون لهم شيئاً ، فما بالك بمن يجمع بين الـكفرين الخسيسين : دعاء غير الله ، واستمداد الدين من غير الله ؟ ! إنه بالأول يتخذ له إلٰها من دون الله ، و بالآخر يتخذ له ربًّا من دون الله ، فأشرك بالله فى ألوهيته وربو بيته .

و يظهر أن طغيان الوثنية كان باغياً ساطيا ، وأن الفتية لم يجدوا من يساندهم ولم يجدوا من يسمع لهم بقلبه ووعيه . فاعتزلوا قومهم فراراً بدينهم ، ثم راح يشاور بعضهم الآخر ، و يكلم بعضهم الآخر ، فـكان مما قاله أحدهم لإخوانه : (و إذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الـكهف). يقول ناصحهم الأمين المجرِّب : ما دمتم قد اعتزلتم قومكم ، واعتزلتم كل ما يعبدون ما عدا واحدا ، وهو الله سبحـانه ، فالجأوا إلى الـكهف كى لا يعثر عليكم قومكم .

ومن هذا نفهم أن قوم الفتية كانوا يعبدون الله ، و يعبدون معه غيره تماماً كقوم إبراهيم الذين قال لهم كما بين الله (أَفَرَأَيْتُمْ ما كنتم تَعْبدون . أنتم وآباؤُكم الأَقْدَمون . فإنهم عَدُوٌّ لى إلا ربَّ العالمين) وكذلك دأب الشرك فى كل أمة فالناس فى عصرنا مثلا يصلون ، ثم هم يدعون أولياءهم الموتى مما يدلك على أن مصدر الوحى بالـكفر واحد ، وهو الشيطان الذى يكرر نفسه فى كيده لدين الله فى كل أمة . فبعين ما كاد به لدين الإسلام فى عصر نوح ، يكيد اليوم لدين محمد، عليهما السلام!! . القبور والقباب والأولياء المزعومون، والشيوخ !

قوم نوح عبدوا « وَدًّا وسُوَاعَ و يغوثَ ويَعُوق ونَسْرا » و يعبد الناس اليوم مئات بل ألوفاً ! ! فلكل قرية معبود ، ولكل مركز معبودات ، وهكذا : « البدوى ، الدسوقى ، الرفاعى ، الشاذلى ، المرسى أبو العباس ، شبل الأسود ! ! » ما الفرق ؟ ؟ .

ماالفرق بين عبادة يعوق ، وعبادة البدوى ؟ .

ما الفرق بين دعاء يغوث ، ودعاء الدسوقى ؟ .

لا فرق ، إلا أن زعمنا أن ثمت فرقاً بين الشىء ونفسه ! ! .

ونفهم أيضاً من تعريف كلمة « كهف » بالألف واللام أن هذا الكهف كان معروفاً للفتية ، ولقد برهن هؤلاء الفتية مرة أخرى على قوة إيمانهم بالله ورحمته ، فقالوا : (ينشر لكم ربكم من رحمته ، ويهيىء لكم من أمركم مرفقا) ونلحظ الثقة الكاملة من هؤلاء فى عطاء ربهم ورحمته ، إذ جعلوا نشر رحمة الله و بسطها جزاء اللجوء إلى الكهف فلم يقولوا مثلا : لعل الله ينشر ، وإنما رتبوا بسط الرحمة على لجوئهم إلى الكهف فراراً بدينهم ، ولم لا ؟ وهم يغادرون وطناً وأهلا ومتاعًا وسعة فى العيش ، و يتركون كل ذلك فى سبيل الله ، ثم هم يوقنون بوعد الله لكل من يؤمن به ، وهو أن يكون الله معه ، وأن يدافع عنه ! ! .

ولجأ الفتية إلى الكهف ، واستقروا فى جوفه ، فى مكان وسيع منه ، وتضرعوا إلى الله أن يهيىء لهم من أمرهم رشداً ، ثم رقدوا على أرضه ، وظل كلبهم فى صورة المترقب المترصد على باب الكهف ، وضرب الله على آذانهم فى الكهف ، فناموا دون أن يصل إلى حسهم ماينبههم من نومهم ، فماذا كان يحدث ، وهم فى الكهف ، لا تبصر بهم إلا عين الله ، ولا ترعاهم إلا رعايته جل شأنه .

هذه هى الشمس تشرق ، فتميل عن كهفهم جهة اليمين ، فلا يسقط منها شعاع قد يدل عليهم ، أو يحرق من أجسادهم : (وترى الشمسَ إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات

اليمين) والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولـكل من يؤمن بقول الله ، وهل رأى محمد ؟ نعم رأى بقلبه ، وبإيمانه الوثيق القوى ، وكذلك كل مسلم يرى وهو يقرأ هذه الآيات بتدبر المؤمن . إنه يشعر كأنما يعيش فى عصر هؤلاء الفتية ، ويرى الشمس ، وهى تصنع — بأمر الله — ماتصنع ولم لا يرى ذلك والـكلام حق وصدق ، ولا يخبر إلا عما وقع .

فانظر إلى الشمس وهى تميل عن الـكهف إلى جهة اليمين ، ثم انظر إليهـا وهى تغرب ، إنها تميل عنهم جهة الشمال وهم راقدون فى فجوة من الـكهف يناسمهم من الريح مايصلحهم .

وهكذا كان نهارهم مع الشمس ، فى مشرقها لا تمسهم ، وفى مغربها كذلك[1] .

واحذر أن ترتاب فى هذا الشأن ، أو تظن أن هذا العمل من الشمس مستحيل ، فالله هو الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، واعلم أن عملها هذا من دلائل قدرة الله سبحانه وأن الله سبحانه هو الذى هدى هؤلاء الفتية إلى هذا الـكهف وهدى الشمس إلى هذا العمل ، ومن يهده الله ، فهو الجدير باسم المهتدى ، وهو السعيد بالهداية فعلا ، وهو

---

(١) يقول ابن كثير عن هذه الآية : « فيه دليل على أن باب هذا الـكهف كان من نحو الشمال ، لأنه تعـالى أخبر أن الشمس إذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه ذات اليمين ، أى يتقلص الفىء يمنة . وهذا بين لمن تأمله ، وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والـكواكب ، وبيانه : أنه لو كان باب الغار من ناحية المشرق لما دخل إليه منها شىء عند الغروب ، ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شىء عند الطلوع ، ولا عند الغروب ، ولا تزاور الفىء يميناً ولا شمالا ، ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع ، بل بعد الزوال ، ولم تزل فيه إلى الغروب » وكلام ابن كثير يجعل من عمل الشمس مع الـكهف عملا يجرى على سنن الله فى كل يوم . ويصير قوله تعالى : ذلك من آيات الله ، مراداً به توفيقه سبحانه للفتية فى سبيل العثور على هذا الـكهف ، واختيارهم للرقاد فى فجوته ، وجعله سبحانه لهذا الـكهف بهذه الـكيفية . أو مراداً به إرشاده سبحانه لهؤلاء الفتية إلى الهداية الحقة من بين قومهم .

المطمئن القلب بالهداية ، ومن يبين الله له ، ويعمل بما بين الله ، فهو الذى لايضل ولا يذل ومن يضلل الله سبحانه ، فلن يجد أبداً مايهديه أو من يهديه لا يجد كتابا ولا إماما ! ! فقد هجر الكتاب الحق وتنكر للإمام الحق ، وما أضله الله ظلما ، وإنما هو الذى أراد ، فحقق الله له ماأراد ! ! (وما ربك بظلام للعبيد) .

ثم تبيّن الآية حال هؤلاء الفتية فى كهفهم . فيقول : إن من يرى هؤلاء الفتية فى كهفهم يظن أنهم أيقاظ ، والحال أنهم راقدون . ومن هذا نفهم أن هؤلاء الفتية كانت لهم حال اليقظين أعنى أن أجفانهم لم تكن مطبقة ، وهذا الأمر يشاهد بكثرة ، فمن عادة بعض الناس أن يناموا ، وتظل عيونهم متفتحة . ثم يذكر الله لنا دليلاً من دلائل رحمته ودفاعه عن المؤمنين به ، فيذكر سبحانه أنه كان يقلبهم جهة اليمين ، وجهة الشمال ، حتى لا يظلوا على جنب واحد ، فتأمل فتية ينامون قروناً ، والله يقلبهم ، وهم لا يشعرون ، . . . . . تبارك الله أحسن الخالقين ! !

ولقد زعم بعض المفسرين أنه سبحانه كان يقلبهم مرتين فى العام ، وزعم غيرهم غير ذلك ، وكلا القولين رجم بالغيب ، وحسبنا أن نعلم ـ لنعتبر ـ أن الله كان يقلبهم طيلة هذه القرون . أما كلبهم ، فظل رابضا على باب الكهف ، يحرس عليهم بابه فمن الذى أوحى إلى هذا الحيوان أن يربض بباب الكهف فى مثل هذه الصورة التى تخيف المغير ؟ إنه الله المهيمن على كل شىء جل جلاله .

إن الأدلة على عظم قدرة الله سبحانه فى هذه القصة أدلة جلية تتلألأ فبينما تصمد الأجسام ـ بقدرة الله وأمره ـ للجوع والظمأ عدة قرون ، فإننا نرى هذه الأجسام تطلب حاجتها من نوع آخر من حاجاتها ، فيقلبها الله ذات اليمين وذات الشمال ، ولعل هذه الأجسام أيضاً استطاعت بقدرة الله أن تظل منابت الشعر فيها تعمل ، وتعمل حتى تهدلت الشعور ، وتكاثفت على الصدور ؛ فالله يقول (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ، ولملئت منهم رعباً) لو أبصرهم أحد ما استطاع أن يصمد أمام رؤيتهم ، بل إنه لن يجد

له من وسيلة يصد بها الرعب عن نفسه سوى الفرار ، وقد امتلأ صدره خوفاً عنيفاً من منظرهم ، فلماذا ؟

تأمل حال أجسام تنمو شعورها وأظافرها طيلة هذه القرون . قد لا تستطيع تخيل هذه الصورة ، أو قد تمنع نفسك من تخيلها ، حتى لا تمتلىء رعباً .

يقول بعض المفسرين إن الفرار يكون من مهابتهم ، ولكن أسلوب الآية لا يعطى هذا المعنى ، وتدبر قول الله ولملئت منهم رعباً . والإنسان لا يمتلىء رعباً ممن يهابه لمنظره الجليل المهيب ، فالهيبة مزيج من حب وخشية و إعظام . أرأيتم ماذا فعل الله للفتية ؟ أيقدر على هذا أحد غيره ؟ ما أظن أن أحداً يجرؤ على أن يقول : نعم !! أعاذنا الله من أن نشرك به . وهدانا ـ و إيا كم ـ سواء السبيل م ؟

عبد الرحمن الوكيل

(توحيد الله عز وجل)

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (الْحَكَمُ) وقد ورد ذكره فى القران فى قوله تعالى من سورة الأنعام (أفغير الله أبتغى حَكَماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلا) .

وهو أبلغ من الحاكم لأنه يدل على تعيينه للحكومة واختصاصه بها ، كما يدل على خبرته بوجوه الحكم ورضى كل من الخصمين بتحكيمه . قال الراغب ما نلخصه :

« والحكم بالشىء أن تقضى بأنه كذا وليس بكذا سواء ألزمت غيرك أو لم تلزمه ، قال تعالى : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » « يحكم به ذَوَا عدل منكم » وقال عز وجل « أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ » ويقال حاكم وحكام لمن يحكم بين الناس . قال الله تعالى « وتدلوا بها إلى الحكام » والحكم المتخصص بذلك ، فهو أبلغ . قال الله تعالى : (أفغير الله أبتغى حكماً ؟) وقال عز وجل « فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها » وإنما قال حكماً ولم يقل حاكماً تنبيهاً أن من شرط الحكمين أن يتوليا الحكم عليهم ولهم وحسبما يستصوبانه من غير مراجعة إليهم فى تفصيل ذلك) اهـ .

وهذا النص من كلام الراغب يدل على أن الحكم هو الذى يحكم بلا مراجعة فى حكمه ويكون حكمه ملزماً يعنى أنه حكم مشفوع بالتنفيذ . ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه « اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيمينك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك » فوصف حكمه سبحانه بالمضاء وهو النفوذ قال الإمام ابن القيم « وفرق بين الحكم والقضاء وجعل المضاء للحكم ، والعدل للقضاء فإن حكمه سبحانه يتناول حكمه الدينى الشرعى وحكمه الكونى القدرى والنوعان نافذان فى العبد ماضيان فيه ، وهو مقهور تحت الحكمين قد مضيا فيه ونفذا فيه شاء أم أبى . لكن الحكم الكونى لا يمكنه مخالفته وأما الدينى الشرعى فقد يخالفه » .

وحكمه الكونى سبحانه يتمثل فى خلقه الأشياء على هذا النحو البديع المحكم وفى إعطائه كل مخلوق صورته التى تؤهله للقيام بما نيط به من وظيفة ، وهدايته إلى ذلك . كما قال تعالى (ربنا الذى أعطى كل شىء خَلْقَه ثم هدى) ويتمثل أيضاً فى وجوه التدبير المختلفة التى تجرى على نظام الأسباب والمسببات وما بينها من روابط وعلاقات ثابتة لا تتحول ولا تزول كما قال جل شأنه (لا تبديل لخلق الله) (ولا تجد لسنتنا تحويلا) وأما حكمه الدينى الشرعى فيتمثل فيما شرعه لعباده من شرائع تكفل لهم انتظام حياتهم الدنيا لما تضمنته هذه الشرائع من قواعد العدل ووضع حدود المعاملات وتفصيل الحقوق والواجبات .

كما تكفل لهم سعادة الآخرة إن هم قاموا بها كما ينبغى لأنها متضمنة لكل ما يحبه الله ويرضاه .

وأما حكمه الجزائى فيتمثل فى الدنيا فى نصره للرسل وأتباعهم وجعل العاقبة لهم كما قال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا) (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون) وفى خذلانه للطغاة والظالمين وأنزال العذاب بهم قال تعالى : (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة أن أخذه أليم شديد) (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا) .

وأما فى الآخرة فيتمثل فى حكمه بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون ، وفى إعطائه كل عامل جزاء عمله بلا ظلم ولا تضييع . قال تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً) (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى) (الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جنات النعيم . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) .

وبالجملة فحكمه تعالى متعلق بالمخلوقات والشرائع وكلها فى غاية الإحكام فهو سبحانه الحكيم فى أحكامه القدرية وأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية .

والفرق بين أحكام القدر وأحكام الشرع ، أن القدر متعلق بما كوّنه وقدره ، وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن . وأحكام الشرع متعلقة بماشرعه والعبد لايخلو منهما أو من أحدهما ، فمن فعل منهم ما يحبه الله ويرضاه فقد اجتمع فيه الحكمان ، ومن فعل ما يضاد ذلك فقد وجد فيه الحكم القدرى فإن فعله واقع بقضاء الله وقدره ولم يوجد فيه الحكم الشرعى لكونه نزل ما يحبه الله ويرضاه. فالخير والشر والطاعات والمعاصى كلها متعلقة وتابعة للحكم القدرى . وما يحبه الله منها هو تابع الحكم الشرعى ومتعلقه .

ومن أسمائه الحسنى كذلك (العدل) وهذا الاسم الكريم يجئ عقيب الاسم السابق لأنه فى الحقيقة وصف له يقال « فلان حكم عدل » ومعناه الذى لايميل به الهوى فيجور فى الحكم وهو فى الأصل مصدر سمى به ، فوضع موضع العادل وهو أبلغ منه لأنه جعل المسمى نفسه عدلا .

فهو سبحانه العدل فى وصفه ، فإن العدل صفة ذاته من حيث أنه كمال يستحيل خلوه عنه ، إذ لو خلا عنه لاتصف بضده وهو الظلم ، والظلم نقص يتنزه الله عنه .

وهو سبحانه العدل فى فعله فإن أفعاله كلها قائمة على العدل المطلق من حيث وضعه كل شىء فى موضعه اللائق به . ولهذا قال الغزالى إنه لا يعرف عدل الله تعالى من لم يعرف فعله، وأنه ينبغى لمن أراد أن يفهم هذا الوصف أن يحيط علما بأفعال الله تعالى من أعلى ملكوت السموات إلى منتهى الثرى .

وهو سبحانه العدل فى قوله فإن أقواله إما إخبار فهى فى غاية الصدق وهو عدل . وإما أوامر ونواه وهى مشتملة على الحكمة والمصلحة والعدل. قال تعالى : (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته) وهو سبحانه العدل فى حكمه فلا يظلم ولايجور ولايأخذ إلا بذنب ولا يجزى السيئة إلا بسيئة مثلها ، ولا يعاقب أحداً بجريرة غيره إلا أن يكون قد تسبب فيها . والله تعالى أعلم) .

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

حقوق آل البيت

ما لهم وما عليهم

٣ – تابع ما قبله

٣ — تأمل قول الإمام ابن كثير : فجميع الناس بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء ، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية ، وهى طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم . هذا كلام واضح فى أن الفضل الثابت لأهل البيت ، عليهم السلام ، لم يجئهم من الطين وحده ، فإن الناس فيه سواء ، وإنما جاءهم من حيث الطين المصحوب بالدين . فإذا خلا من الدين لم يبق له فضل . قال الله تعالى (الذين يحملون العرش وَمَنْ حوله يسبِّحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ، ربّنا وَسِعْتَ كل شىء رحمة وعلماً ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربّنا وأدخلهم جنات عَدْنٍ التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذُرِّياتهم) .

فانظر كيف شرط الصلاح فى الآباء والأزواج والذرية ، وكذلك شرطه رسوله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الذى هو تفسير لكتاب الله ، وعبر بأداة الحصر فقال : « إنما وَلِيِّيَ الله وصالح المؤمنين » وتأمل النكتة فى اشتراط الصلاح فى المؤمنين فى الآية والحديث تعرف أنهما خرجا من مشكاة واحدة ، ولا غرو فقد قال الله تعالى (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وَحْيٌ يوحىٰ) .

ولم يقل أحد الطوائف بالشرف الطينى المجرد فيما نعلم ، إلا البراهمة وبنو إسرائيل بعد ذهاب زمان أنبيائهم ، ومن المتأخرين (دروزنبرك) الزعيم الثقافى للحزب النازى ـ حزب هتلر ـ فلم ينجح ذلك ، بل كان وبالاً على أهله .

* * *

٤ — تأمل قول النبى صلى الله عليه وسلم « إن الله أذهب عنكم عبية[1] الجاهلية وتكبُّرها

---

(١) العبية بكسر العين المهملة وكسر الموحدة التحتية مشددة فياء مثناة من تحت . معناه ما عطف عليه ، التعظم والتكبر والفخر بالآباء .

بآبائها » وقوله عليه الصلاة والسلام : « فالناس رجلان ، رجل بر تقى كريم على الله تعالى ورجل شقى هين على الله تعالى » قسم النبى صلى الله عليه الناس كلهم إلى قسمين ، وهذا التقسيم بيان لتقسيم الله سبحانه . قال تعالى (يومَ تَبْيَضُّ وجوه ، وتسوَدُّ وجوه) قال ابن عباس : تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف ؛ وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف . وقال تعالى (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) وقال تعالى (فريقا هدى وفريقا حقت عليهم الضلالة) وقال تعالى (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) إلى غير ذلك .

والذى يفتخر بالنسب المجرد ويعتقد به يقسم الناس ثلاثة أقسام : بر تقى كريم على الله تعالى ، وفاجر كريم على الله ، لنسبه ، وفاجر شقى هين على الله ، لعدم تقواه وعدم نسبه ، وهذا التقسيم مخالف لتقسيم الله ورسوله ، فهو باطل .

* * *

٥ — قول النبى صلى الله عليه وسلم « إن أنسابكم هذه ليست بمنسبة على أحد » أى لا ترفع أحداً على أحد ، ولا تشرف منزلته عليه ، لأن جميع الناس خلقوا من نفس واحدة أى من آدم ، ولا يعقل أن يكون بعض بنى آدم أفضل من بعضه . وقوله عليه الصلاة السلام « طف الصاع » . قال صاحب مجمع البحار : هو برفع طف ونصبها ، وجعله من الطف بمعنى التطفيف ، وهو النقص . والمعنى أن الصاع ، وهو المكيال ، إذا كلنا به كيلة فطففناها بمسح أعلا المكيال بعصا ونحوها ، ثم وضعنا تلك الكيلة فى مكان ، ثم ملأنا الصاع مرة أخرى ومسحناه ووضعنا الكيلة الثانية فى مكان آخر ، فإن إحدى الكيلتين لا تزيد على الأخرى بشىء . فكذلك بنو آدم متساوون فى الآدمية ، لا يزيد بعضهم على بعض بشىء من الطين . وإنما يتفاضلون بأمر آخر وهو الإيمان وطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذا المعنى واضح فى مثل قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إليَّ أنما إلٰهكم إلٰه واحد) وقوله تعالى مخاطبا أفضل خلقه محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قل لا أقول

لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إني مَلَكٌ ، إن أتبع إلاَّ ما يوحىٰ إليَّ) أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لجميع الناس : إني بشر مثلكم ليس عندي شيء من خصائص الله ، كملك خزائن السموات والأرض وسائر الأرزاق الحسية والمعنوية ، ولا من خصائص الملائكة لكونهم لا يأكلون ولا يشربون ، ولا ينامون ولا يتعبون (يسبّحون الليل والنهار لا يفترون) والشيء الوحيد الذي خصني الله به من دونكم ، إنما هو الوحي والرسالة ، وهذا كلام واضح في عين المسألة . قوله عليه الصلاة والسلام « وكفى بالرجل أن يكون بذياً بخيلاً فاحشاً » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكل من يفتخر بالنسب يحتقر غيره ويتكلم بالبذاءة والفحش في القول بالسب والشتم والازدراء ، والهمز واللمز والطعن ، ويكون بخيلا في الغالب ، لأنه يرى لنفسه حقا على الناس ، ولا يرى لهم حقا عليه ، يكافئهم على معروف أسدوه إليه ، لأنه يراهم كالعبيد له . فكل ما فعلوه من الإحسان إليه ، فإنما هو واجب أدوه . فمثل هذه الحكم النفائس لا تصدر إلا من تلك المشكاة .

* * *

٦ — قوله عليه الصلاة والسلام « إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » هذا يقضي على ما تعتقده العامة من المغاربة إذ تزعم أن الأحساب والأنساب تنجي أصحابها من عذاب الله ، وتوجب لهم الكرامة عند الله ، ومن أقوالهم في ذلك (سيدتنا تعرف أولادها يوم القيامة) يريدون بذلك فاطمة عليها السلام . ومقصودهم أن من كان من ذريتها وغمط حقه في الدنيا وترك نسيا منسيا ، ولم يلتفت إليه ، ففاطمة ستعرفه في الآخرة وتدخله الجنة ، وتظهر فضله ، ولا يقتصرون على ذلك ، بل يزعمون أن من أحب آل البيت ، وهم في اعتقادهم أولاد فاطمة فقط ، يدخلونه الجنة ويضمنونها له ، ولا حاجة به إلى العمل . ويقول بعض الجهال له : إن النار لا تمس جسمك حتى تمس جسمي أنا ، فيصدق ذلك الغمر[1] ويطمئن . وهذا تكذيب لجميع

---

(١) الغمر: الذي لم يجرب الأمور .

آيات الوعيد والأحاديث المفسرة لها . أفلا يعلم هؤلاء الجهال أن صحبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو الشفيع المشفع ، إذا لم يصبها إيمان وعمل لا تنجى صاحبها من عذاب الله ، ولا توجب له الكرامة عند الله ؟ .

قال الإمام ابن كثير فى تفسير قوله تعالى (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله من يشاء) يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : إنك يا محمد لا تهدى من أحببت ، أى ليس ذلك لك ، إنما عليك البلاغ ، والله يهدى من يشاء ، وله الحكمة البالغة والحجة القاطعة من كما قال تعالى (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء) وقال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) وهذه الآية أخص من هذا كله ، فإنه قال (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) أى هو أعلم بمن يستحق الغواية . وقد ثبت أنها نزلت فى أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان يحوطه وينصره ، ويقوم بحقه ، ويحبه حبًا طبعيًا ، لا شرعيًا ، فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والدخول فى الإسلام ، فسبق القدر فيه واختطف من يده ، فاستمر على ما كان عليه من الكفر . ولله الحكمة التامة .

قال الزهرى : حدثنى سعيد بن المسيب ، وهو المسيب بن حرب المخزومى . قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعم قل لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : ياأبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعودان له بتلك المقالة ، حتى كان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك ، فأنزل الله تعالى : (ما كان النبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) . وأنزل فى أبى طالب (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) فلو كانت المحبة

وحدها تنفع أو تشفع ، أو تدفع ، لـكانت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعت أبا طالب عمه .

* * *

٧ — قول ابن كثير : ومن عصاه من خلق الله كائنًا من كان فهو يتبرأ منه . فقوله كائنًا من كان هو منطوق الآية ، وهو ما دلت عليه الواو فى (عصوك) ، فلا يخرج عنه أحد من آل البيت أو غيرهم . وقد نطقت الأحاديث بذلك وتقدم بعضها ، وسيأتى التعليق عليها .

قوله : ياصباحاه : جرت عادة العرب أن تدعو بمثل ذلك إذا أغار عليهـا عدو فى الصباح والناس غافلون ، ليأخذوا حذرهم وليدافعوا عن أنفسهم ، وأراد النبى صلى الله عليه وسـلم أن يجمعهم بذلك النداء ليحذرهم من عذاب الله إن استمروا على الـكفر والمعصية .

والتب والتباب : هو الهلاك والخسران ، وقصد أبو لهب بذلك شتم النبى صلى الله عليه وسلم . وأسند التباب فى الآية إلى يديه ، لأن الإنسان يتولى أكثر الأعمال بيديه ، كما قال تعالى : (ذلك بما قدمت يداك) أى بما قدمت بيديك ، وغيرهما من جوارحك ، كاللسان والسمع والبصر والفؤاد والرجلين ، ومثل ذلك مألوف فى كلام العرب .

* * *

٨ — تأمل قول النبى صلى الله عليه وسلم لأعز الناس عليه : « يافاطمة بنت محمد أنقذى نفسـك من النار فإنى والله لا أملك لـكم من الله شيئاً » الحديث . فأكد الخبر بالجملة الإسمية ، وأن القسم وما بعد ذلك من توكيد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن لـكم رحما أبلها ببلالها » معناه : إنى أحسن إليـكم وأصل رحمكم فى الدنيا ، أما فى الآخرة فلا ينجيكما من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح .

٩ — تأمل حديث زيد بن أرقم تجد فيه مسائل : أولها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يستفتح خطبته بحمد الله والثناء عليه ، وكذلك خلفـاؤه ومن بعدهم فى زمان العز

والإقبال والسيادة والاستقلال ، حتى إذا جاء زمان الذل والاستعمار تركت هذه السنة واستبدلت بسنة المستعمر : (سيداتى آنساتى سادتى) — (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) .

ثانيًا — أخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه لابد أن ينتقل من هذه الدار الفانية ، وأنه تارك فى أمته كتاب الله ، وأخبر أن هداهم ونورهم فى الأخذ بكتاب الله والتمسك به تعلما وتعليما واتخاذه إمامًا وحكمًا ، وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، وفى الرواية الأخرى : أن القرآن حبل الله ، أى عهده ، فمن اتبعه كان على الهدى ، ومن تركه كان على ضلالة فمن ترك كتاب الله واستبدله بقوانين البشر فهو على ضـلالة ، فى ظلمة مدلهمة يخبط فيها خبط عشواء ، ولا يستقيم له أمر أبداً .

وثالثها — الوصية بأهل بيته والتأكيد فيها ، ولا شك أن الله أطلعه على ماسيلقاه أهل بيته من أعدائهم بعده ، ومع توكيد تلك الوصية فقد ضيعها المضيعون ، واتخذوا أهل بيته غرضا من بعده ، ونصبوا لهم العداوة ولم يراعوا فيهم إلاً ولا ذمة ، فقتلوهم تقتيلا وطاردوهم ، وسيلقون جزاءهم فى الآخرة بعد مالقوه فى الدنيا .

وقوله « ثقلين » : الثقل هو متاع المسـافر ، فيتركه وديعة حتى يرجع من سفره ،

والمقصود هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم ترك أمرين وديعة عند أمته ، أحدهما يتبع ويقتدى به ويحكم ، وهو القول الفصل ، وهو كتاب الله . والثانى : يكرم ويرقب فيه عهده بعد وفاته ، كما كان يرقب فيه فى حياته ، وهم أهل بيته .

ورابعها — بيان أهل بيته من هم ؟ وقد تقدم الـكلام فى هذا المعنى مستوفىً ، وفى رواية لمسلم بعد قوله : « وعترتى أهل بيتى ، ولن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض » فقوله عليه الصلاة والسلام : ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، نص صريح فى الخصوصية والمزية وعلم من أعلام نبوته ، فإن أهل البيت الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض هم : عباس وأهل بيته ، وعلى وأهل بيته ، وعقيل وأهل بيته ، وجعفر وأهل بيته ، كلهم كانوا على الهدى

المستقيم ، عاشوا عليه وماتوا عليه ، ولم يحدث منهم شيء ينكر ، ولا ندعى أنهم معصومون ، فإن العصمة خاصة برسول الله ، خلافاً للإمامية القائلين بعصمتهم .

وقد اختلف الناس فى على ، وهلكت فيه طائفتان : هما طائفة غلت فيه حتى جعلته إلهاً ، وهى طائفة عبد الله بن سبأ اليهودى . وقد أنكر علىٌّ قولهم ، وبالغ فى عتابهم فأحرقهم بالنار ، ليكونوا عبرة للعالمين . ولا يزال لهم أتباع إلى هذا الزمان ، لا يقول أحد بإسلامهم ، لا من أهل السنة ولا من أهل الشيعة .

أما الطائفة الأخرى التى هلكت فى على ، فهم الخوارج والنواصب . وقد تقدم الكلام فى تقسيم هؤلاء ، والحكم عليهم . فإن قلت : ماهو دليل الخصوصية فى هذه المزية ، أفلا تشمل ذريتهم إلى يوم القيامة ؟ .

فالجواب : إن قوله عليه الصلاة والسلام « ولن يفترقا حتى يردا على الحوض » . جوابه شاف عن هذا السؤال ، وهذه الفضيلة وإن كانت خاصة بأعيانهم ، وهم الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا شك أن من صلح من ذرياتهم ولم يفارق الكتاب والسنة له نصيب منها . ومحبة هؤلاء وإكرامهم فرض على كل مسلم ، ويدل عليه قوله تعالى (والذين آمنوا واتَّبَعَتْهُمْ ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما أَلَتْنَاهُم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين) . قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره نقلا عن ابن أبى حاتم بسنده إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قول الله تعالى (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) قال : هم ذرية المؤمنين يموتون على الإيمان ، فإن كانت منازل آبائهم أرفع من منازلهم ألحقوا بآبائهم ولم ينقصوا من أعمالهم التى عملوها شيئاً ، انتهى كلام ابن كثير .

أقول وهذا الإلحاق لا يقتضى أن ينال الخلف جميع مزايا من سلف من آبائهم . فأبناء العشرة المبشرين بالجنة ليسوا مبشرين بالجنة ، وأبناء البدريين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال : « اعملوا ما شئتم فقد

غفرت لكم(١) » ليسوا بدريين ولامشاركين لآبائهم فى هذه المزية . فالفضائل التى وردت فى الأعيان لاتشمل ذريتهم . ومع ذلك ففضائل آل البيت المتبعين كتاب الله وسنة رسوله ثابتة ، ومحبتهم من محبة النبى صلى الله عليه وسلم ، وهى فرض ، لما تقدم ، على كل مسلم . وعلى ذلك مضى سلف الأمة من جمهور الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين .

ومما ينسب إلى الإمام الشافعى رحمه الله فى ذلك قوله :

يا راكباً قف بالمحصّب من منى | واهتف بقاعد جمعها والناهض
إن كان رفضاً حب آل محمد | فليشهد الثقلان أنى رافضى

وينسب إليه أيضاً :

يا أهل بيت رسول الله حبكم | فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم المجد أنكم | من لم يصل عليكم لاصلاة له

وبيان ذلك : أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مشروعة فى الصلاة فى التشهد الأخير . قال الله تعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وعن أبى مسعود الأنصارى قال ، قال بشير بن سعد : يا رسول الله أمرنا أن نصلى عليك ؟ فكيف نصلى عليك : فسكت ثم قال : « قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد . والسلام كما علمتم » رواه مسلم . وزاد ابن خزيمة فيه : فكيف نصلى عليك إذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا ؟ قال صاحب فتح العلام شرح بلوغ المرام : وهذه الزيادة أيضاً رواها ابن حبان والدار قطنى والحاكم ، وأخرجها أبو حاتم وابن خزيمة فى صحيحيهما . وحديث الصلاة أخرجه الشيخان عن كعب بن عجرة عن أبى حميد الساعدى . وأخرجه البخارى عن أبى سعيد والنسائى عن طلحة والطبرانى عن سهل بن سعد عن زيد بن خارجة .

والحديث دليل على وجوب الصلاة عليه فى الصلاة لظاهر الأمر أعنى « قولوا » وإلى

---

(١) رواه البخارى .

هذا ذهب جماعة من السلف والأئمة والشافعي وإسحاق ودليلهم الحديث مع زيادته الثابتة. ويقتضي وجوب الصلاة على الآل، وهو قول أحمد بن حنبل. ولا عذر لمن قال بوجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مستدلا بهذا الحديث، دون القول بوجوبها على الآل، إذ المأمور به واحد. ودعوى النووي وغيره الإجماع على أن الصلاة على الآل مندوبة، غير مسلمة، بل نقول: الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لا تتم، ولا يكون العبد ممتثلا بها حتى يأتي بهذا اللفظ النبوي الذي فيه ذكر الآل. لأنه قال للسائل: كيف نصلي عليك؟ فأجابه بهذه الكيفية أنها الصلاة عليه وعلى آله، فمن لم يأت بالآل فما صلى عليه بالكيفية التي أمر بها، فلا يكون ممتثلا للأمر، وإذاً فلا يكون مصلياً عليه. وكذلك بقية الحديث من قوله «كما صليت» الخ يجب، إذ هو من الكيفية المأمور بها. ومن فرق بين ألفاظ هذه الكيفية بإيجاب بعضها وندب بعضها فلا دليل له على ذلك. انتهى كلام فتح الملام.

وقد اتضح الآن قول الشاعر: [من لم يصل عليكم لاصلاة له] والعجب ممن أعطاه الله هذا الفضل كله، ثم رغب عنه وجاهر بترك الصلاة، وهو كفر، وصار من أعداء الإسلام، ومع، ذلك يريد أن يستمتع ويفخر على غيره بالنسبة إلى الآل، ويتطاول على الناس ويتعاظم؛ وهذا هو التناقض وقلة الحياء:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

قال تقي الدين محمد بن عبد القادر الهلالي الحسيني، عفا الله عنه، هذا آخر ما يسر الله كتابته في جواب السائل وهو السيد محمد بن الحاج أحمد اليوسفي الأدريسي الحسني من سكان مدلت، أسأل الله أن ينفعنا وإياه وسائر المؤمنين بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا.

وصلى الله على نبيه وخير خلقه محمد وآله وسلم(١).

---

(١) وكان الفراغ منه بالمنزه من مدينة مكناس، حرسها الله من كل باس صبيحة يوم لسبع وعشرين خلون من المحرم سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة وألف — ١٣٨٢ هـ.

« لكى تشرق الشمس من جديد »

هذا عنوان لسلسلة من الرسائل اعتزم إصدارها تباعا الأخ الأديب والداعية المسلم عبد الفتاح إبراهيم سلامة وكيل فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بطنطا .

وقد استهلها بإصدار كتابه القيم (لاتتخذوا القبور مساجد ولا تجعلوا الأضرحة معابد)

وقد قسم البحث فى هذا الكتاب إلى ثلاثة أبواب : الباب الأول فى حكم بناء المساجد على القبور ، وهو يمهد لهذا ببيان فضل المساجد والترغيب فى بنائها والسعى إليها ، وما ينبغى التزامه من الآداب لمن أمها . ثم ما كان لها من شأن عظيم فى القرون الأولى للإسلام ، وما انحدرت إليه بعد ذلك من اتخاذها للرياء والفخر ، أو لتكون مقبرة لمؤسسها .

وحين يشرع فى المقصود تراه يستوعب الموضوع من جميع أطرافه ، فيورد جملة كبيرة من الأحاديث النبوية التى ورد فيها النهى الصريح عن اتخاذ القبور مساجد ولعن فاعليه . ثم يعقب عليها بأقوال الأئمة ثم يعلق هو على الأحاديث تعليقات تدل على فقه ودقة فهم ، مبيناً العلة الصحيحة للنهى ، وهى أنها لسد ذريعة من أكبر ذرائع الشرك .

ثم يفصل القول فيما تحرم الصلاة فيه من المساجد وما لا تحرم ، ويعقد فصلا خاصا لمسجد الرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه ، ويرد على ما يشغب به القبوريون من وجود قبره الشريف بالمسجد ، بعرض تاريخى يبين فيه انفصال حجرات أزواجه أمهات المؤمنين عن المسجد إلى عهد الخليفة الأموى (الوليد بن عبد الملك) .

ثم يتحدث عن الروضة الشريفة وما ورد فى فضل الصلاة فيها ، وعن شد الرحال إلى المساجد الثلاثة ، وما ينبغى لمن شد الرحل إلى المسجد النبوى بعد الصلاة فيه من زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم زيارة يلتزم فيها الأدب والحدود الشرعية .

وهكذا يمضى المؤلف فى كتابه كله على هذا النحو من الاستيعاب والدقة والنظرة الفاحصة ، والحكم المبرأ عن الهوى والمجازفة . فهو كتاب لا يستغنى عنه طالب للحق فى هذه المسائل وسيجد فيه كل ما يشبع رغبته ويزيل من نفسه كل شك وارتياب .

ونحن إذ نشكر المؤلف على هذا الجهد القيم الذى بذله فى هذا الكتاب نسأل الله عز وجل أن يوفقه فى باقى حلقات السلسلة حتى تأتى على هذا النسق من دقة البحث وشموله . إنه ولى التوفيق .

محمد خليل هراس

تيمم المسافر رخصة ! ! !

ولو كره النَّفَّاشُون

سأل سائل عن تيمم المسافر : أوَاجبٌ هو ؟ وطلب نشر الإجابة على صفحات مجلة الهدى النبوى الغراء . فأجبته : أن تيمم المسافر رخصة ، وليس بواجب . وأقمت الدليل على ذلك من كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وكنت أحسب أن هذا الدليل مقنع لكل من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ، ولكن حين أشرقت طلعة العدد الخامس من مجلة الهدى النبوى الذى صدر فى جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ طالعنى فيه تعليق على إجابتى ، بدأه صاحبه مستفهماً كما يقول ، ثم ختمه موبخًا ، مؤنبا مثربًا مستعينًا بهذا البيت المظلوم الذى يستنجد ويستغيث لأنه وضع فى غير موضعه ! .

وليس يصح فى الأذهان شىء   إذا احتاج النهار إلى دليل ! .

وكان من صاحب الحجة الناصعة ، والبرهان الساطع ، والدليل القاطع ، أن يتمثل بهذا البيت ، فإن النهار الواضح الذى لا يحتاج إلى دليل هو آيات كتاب الله الذى لا تنقض حجته ، ولا يرد برهانه .

وكان لزامًا على من يعترض على حكم صدر فى أمر شرعى أن يكون على بينة من تاريخ التشريع حتى لا يتنكب سبيل الحق ، ولا يتورط ، ولا ينأى به حب الاعتراض عن جادة الصواب .

وهآنذا أوجز للقارىء الكريم كيف ومتى كان التيمم رخصة للمسافر ، فليرعنى ذهنه ، وليتابع ما أكتب على مُكْثٍ واتئاد :

١ — فرضت الصلاة فى مكة قبل الهجرة ، وعلمها جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعلمها الرسولُ أمَّته بقوله : صلوا كما رأيتمونى أصلى :

فهل كانوا يصلون بغير طهارة ؟ .

لئن سكتت عن ذلك الكتب ، وسكت المؤلفون ، ما سكتت عنه العقول التى خولها الله الناس ليفقهوا بها ؛ فقد أدركت بفطرة الله التى فطر الناس عليها أن جبريل عليه السلام حين علمه الصلاة علمه الطهارة بأنواعها علمه الوضوء والغسل عند وجود الماء ، وعلمه التيمم عند فقد الماء . وقد علم الرسول صلى الله عليه وسلم الأمة هذه الأحكام ؛ فسارت على ضوئها ، فكانت تتوضأ إذا وجدت الماء ، وتتيمم إذا فقدته .

٢ — كانت غزوة ذات السلاسل التى احتج المعترض بالحادثة التى وقعت فيها فى شهر جمادى الآخرة من السنة الثامنة للهجرة قبل فتح مكة ، ولم تكن سورة النساء التى جاءت بها أول آية ترخص للمسافر فى التيمم ـ قد نزلت بعد ، فإنها نزلت فى أوائل السنة التاسعة للهجرة ، وقد نزلت بعد سورة الممتحنة ، وسورة الممتحنة نزلت بعد فتح مكة الذى خرج له رسول الله فى اليوم العاشر من رمضان فى السنة الثامنة من الهجرة .

والدليل على أن سورة الممتحنة نزلت بعد فتح مكة ما جاء فيها من توجيه اللوم إلى حاطب بن أبى بلتعة الذى كتب إلى أهل مكة يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وذلك حيث يقول جل ثناؤه (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون إليهم بالمودة ، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) .

إذاً حين تيمم عمرو بن العاص لم تكن آية الرخصة قد نزلت ، فاجتهد وأصاب وأقره الرسول صلى الله عليه وسلم على إجتهاده .

وكذلك حديث الذى شج رأسه ، لأنه لما سأل الصحابة قالوا : لا نجد لك رخصة . فلو كانت الآية قد نزلت لوجد الرخصة فيها .

٣ — هذا هو الحق فى هذه المسألة على فرض صحة الأحاديث .

٤ — وآية المائدة التى نزل فيها الأمر بالوضوء . وإباحة التيمم للمسافر لم تنزل إلا فى السنة العاشرة للهجرة فهل مكث المسلمون عشر سنين يصلون بغير وضوء ؟ ؟ ؟ .

٥ — يقول الله تعالى فى كتابه العزيز « خلق الإنسان علمه البيان » والبيان هو قدرة المتكلم على الإفصاح عما فى نفسه بعبارة يفهمها السامع في يسر وسهولة. فإذا كان المخلوق يستطيع البيان أفلا يكون الخالق العظيم أقدر على البيان من الإنسان ؟ .

والقرآن الكريم تعبير عن الكلام النفسى لرب العزة جل ثناؤه ، وقد سماه الله تعالى كتابًا مبينًا ، وقرآنًا عربيًا غير ذى عوج ، وقال تعالى (والكتاب المبين . إنا جعلناه قرآنا عربيًا لعلكم تعقلون) .

٦ — والقاعدة الحكيمة التى تلقيناها من لدن الرسول الأمين الذى أنزل عليه الذكر الحكيم وعن خلفائه الراشدين ، أن القرآن الكريم هو الأصل لهذه الشريعة المطهرة ، وأن حكم الله تعالى يلتمس فيه قبل كل شىء ، فإن وجدناه أخذنا به وعضضنا عليه بالنواجذ . ولم نحتج معه إلى مأخذ آخر ، وإن لم نجده التمسناه فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد أقر الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا معاذاً عليه الرضوان حين بعثه إلى اليمن وقال له : كيف تقضى بينهم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد . قال : بسنة رسول الله فأقره الرسول على ذلك وحمد الله على توفيقه .

٧ - ماذا يقول القرآن ؟ .

يقول : (وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فَتَيَمَّمُوا صعيداً طيبًا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) صدق الله العظيم .

المعنى الواضح الصريح المفهوم الذى يفهمه القارىء من نص الآية في سهولة ويسر ، أن الله تعالى سوى بين المريض والمسافر فى الحكم . وبذلك يباح التيمم فى ثلاثة أحوال : (١) فى المرض (٢) فى حال السفر (٣) فى حال فقد الماء .

هذا ما يفهمه القارىء من نص الآية الكريمة إذا لم يتكلف حملها على مذهب من المذاهب التى تناهض القرآن .

٨ — والقرآن الكريم واضح جلى بين مبين ، وهو أفصح الكلام وأبلغه وأظهره .

ولا يحتاج من الراسخين فى علوم العربية وأساليبها إلى تكلف العلماء الذين عدوا الآية مشكلة لأنها لا تنطبق على مذاهبهم .

٩ — أما الذين فهموا روح التشريع الإسلامى ، وخالطت بشاشة الإيمان ببيان القرآن قلوبهم ، وتمكنوا من فهم الأساليب العربية والقرآنية بنوع خاص ، فقد فقهوا الآية حق فقهها ، وفهموها حق فهمها ، وعلموا أنها توضح يسر الإسلام الذى يقول كتابه : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) . ويقول : (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم عليكم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) .

ويقول رسوله الكريم إن الله بعثكم ميسرين ولم يبعثكم معسرين . ويقول : يسروا ولا تعسروا .

١٠ — وجملة القول : إن آية الرخصة نزلت بعد كل الحوادث التى يريد المعترض أن نحتج بالأحاديث التى تضمنتها فقضت عليها ، وصار الحكم للآية الكريمة المفهومة الواضحة .

١١ — أما أولئك المتشددون المتنطعون الذين نبذوا نص القرآن وراء ظهورهم ، وعملوا بآرائهم ووضعوا القواعد المشددة ، فهم من الذين : أسلموا من علماء اليهود ، ولم يستطيعوا أن يتخففوا من إصرهم والأغلال التى كانت عليهم . ففهموا التكاليف الشرعية على أنها عقوبات كما كانت فى شريعتهم التى تخلصوا منها (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) . وأخذ عنهم علماء المسلمين بحسن نية ، فبعدوا عن الحق . وسيأتى قريباً اليوم الذى ينقشع فيه الغشاوات عن الأعين ، والأكنة عن القلوب ، وتزول الرواسب التى خلفتها قرون الجهل والغفلة على العقول ، ويومئذ يفهم الناس القرآن حق فهمه ولا يؤثرون على أحكامه حكماً .

١٢ — هذا ولأقرب المعنى إلى ذهن القارئ فأقول : هل يصح فى الأذهان أن يقال : وإن كنتم مرضى فلم تجدوا ماء فتيمموا ؟ ؟ ؟

أليس المرض وحده عذراً يبيح التيمم و يرخص فيه ؟

كذلك ما جاء مقارناً للمرض وهو السفر ، فالحكم واحد بلا شك .

وقد جعل الله حكم المريض والمسافر واحداً فى الصوم ، فقال تعالى :

(فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) .

و بعـــد

فلى كلمة مع السيد المعترض ! !

قال السيد المعترض : (إن ما وقع بعد جمل متصلة كان قيداً لآخرها) هذا هو المستند الوحيد لأبى الوفاء ! !

وأقول : إن أبا الوفاء لم يذكر هذه العبارة فيما كتب ولم يستند إليها ولم يحتج بها ، و إجابته مسطورة فى المجلة فليرجع إليها القراء الكرام فلن يجدوا لها عينا ولا أثرا . ولعل الكاتب قرأها فى بعض الكتب أو سمعها من أفواه العلماء ، فلما أراد أن يعلق على إجابتى أسندها إلى ، وليس هذا من الأمانة العلمية فى شىء ، ولا من الحق فى ظل ولا فىء .

أما مستند أبى الوفاء فنص الآية الصريح والأسلوب العربى البين الواضح ، وتاريخ التشريع ، وقواعد النحو التى يعرفها صغار الصبية فى المكاتب ؛ فإن العطف بالفاء يكون على آخر المذكورات لأنها للترتيب مع التعقيب . وتأويل الآية الكريمة : و إن كنتم مرضى أو على سفر ، أو أحدثتم فلم تجدوا ماء . فالفاء عاطفة ولم تجدوا معطوف على الأخير وهو أحدثتم بلا شك . و إذا حللنا أحدثتم إلى أجزائه فإنه يكون هكذا : (أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء) ومجموعها فى قوة فعل واحد هو أحدثتم المعطوف عليه . وأما قوله فتيمموا فهو جواب للجميع .

هذا ، وليعلم السيد المعترض أن أبا الوفاء لا يسير على دروب الرجال كما يتهمه . ولكنه

مستقل الفكر لا يكتب إلا ما يعتقد ولا يعتقد إلا ما تمليه النصوص الصحيحة فى وضوح و بيان .

فإن كان ثمّ من يوافقه فى رأيه فليس ذلك لأنه سار على دربه كما يقول السيد المعرض . بل لأنه فهم كما فهم واعتقد كما اعتقد .

* * *

هذا وقد قررت فى إجابتى أن التيمم فى السفر رخصة فمن أخذ بها فبها ونعمت . ومن لم يأخذ بها فقد أباح الشارع له رخصة أخرى وهى المسح على الخفين الذى شرع قبل نزول آية التيمم . فمن أخذ بالعزيمة وتوضأ فقد أباح له الشارع أن يمسح على خفيه .

والعجب العاجب أن السيد المعترض يقول : (والله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه . والدين يسر لا يحب الشدة)

وهذا القول لو ـ لو تدبر ـ حجة عليه لا له ، فأينا الذى ييسر ؟ وأينا الذى يعسر ؟

و بعد أيضاً ! !

فإن المجلة تقول : إن هذه الأحاديث فى حكم المتواتر ! !

مع أن حديث عمرو بن العاص لم يروه مسلم ورواه البخارى بصيغة التضعيف فقال : و يذكر أن عمرو بن العاص أجنب . . . الخ ولم يذكر له سنداً فكيف يرتفع إلى درجة الصحيح فضلا عن درجة المتواتر ؟

والحق أحق أن يتبع . وليس بعد الحق إلا الباطل ، وليس بعد الهدى إلا الضلال . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . والسلام على من اتبع الهدى .

أبو الوفاء محمد درويش

* * *

كلمة أخيرة

(الهدى النبوى) لم نكن نحسب حين نشرنا تعليق الأخ الكريم عبد الرحمن

دهب على فتوى فضيلة الشيخ أبى الوفاء درويش فى الترخيص للمسافر أن يتيمم مع وجود الماء ، أن هذا التعليق سيثير فضيلته كل هذه الإثارة ، ويخرج به إلى هذه العبارات العنيفة التى كنا نحب له أن يتورط فيها ، حتى فى عنوان المقال نفسه .

و إن مجلة الهدى النبوى ، على عادتها تفسح صدرها للنقد مادام نزيهاً ، وترحب بالجدل البرىء الذى تقرع فيه الحجة بالحجة ، ويقابل فيه الدليل بالدليل ، أما أن يخرج إلى الطعن والتجريح ، والإعجاب بالرأى ، والاستخفاف بكلام الخصم ، فذلك ماتنأى عنه ولا تسمح به . ولهذا ترددنا كثيراً فى نشر هذا المقال ، ثم رأينا أن فيه مالا ينبغى السكوت عليه ، من أمور تتعلق بالطعن فى أصول التشريع ، من السنن العملية المتواترة والإجماع ، فنشرناه للتنبيه على هذه المطاعن والرد عليها ، حتى يعرف الناس أنها رأى شخصى لصاحبها وليست من منهج الجماعة ولا من مبادئها .

ولم تشأ المجلة حتى الآن — إيماناً منها بحرية الرأى — أن تدخل طرفاً ثالثاً فى النزاع ، مع أن عندها من الأدلة فوق ما أورده الأخ المعترض مايكفى لدحض ذلك الرأى الشاذ الذى أورده فضيلة الشيخ أبى الوفاء وادعى أنه المعنى الواضح الصريح الذى لا تحتمل الآية غيره .

ونبدأ فى التعليق على ماجاء فى المقال مع إيراد العبارات التى يراد التعليق عليها بنصها ، حتى لا نتهم بالتحيز والافتيات .

قال فضيلته : « فرضت الصلاة فى مكة قبل الهجرة وعلمها جبريل رسول الله صلى الله عليه ، فهل كانوا يصلون بغير طهارة ؟ لئن سكتت عن ذلك الكتب وسكت عنه المؤلفون ، ماسكتت عنه العقول التى خولها الله للناس ليفقهوا بها » فما معنى هذا الكلام ؟ ومتى سكتت كتب السنة أو سكت مؤلفوها من أئمة الحديث عن بيان الطهارات الواجبة ونقل المأثور فيها عن صاحب التشريع صلوات الله وسلامه عليه ؟ ثم متى كانت هذه

الأحكام العملية العبادية خاضعة لعقول الناس حتى يفهموها بعقولهم وحدها ؟ إن ذلك وإن جاز فى أصول الاعتقاد لما هنالك من الأدلة والبراهين الكافية للعقول على جهة الإجمال فإنه لا يصح فى الفروع التى لا تعلم إلا بالنقل الصحيح ، ولا مجال للعقل فيها .

ثم قال فضيلته : « فقد أدركت بفطرة الله التى فطر الناس عليها أن جبريل عليه السلام حين علمه الصلاة علمه الطهارة بأنواعها ، علمه الوضوء والغسل عند وجود الماء ، وعلمه التيمم عند فقد الماء » .

فهذه قضية من أعجب القضايا التى انفرد بها فضيلته ، فلم نسمع عن أحد قبله من هذه الأمة أيا كانت نحلته ، أنه ادعى أن من مدركات الفطر أن جبريل حين علم الرسول الصلاة علمه الطهارة بأنواعها ، وإلا فليدلنا فضيلته على رجل واحد ذهب مذهبه فى ذلك ، وأى فطرة هذه التى تدرك بنفسها لزوم الطهارة للصلاة ، ثم تدرك نيابة التراب عن الماء فى الطهارة ، مع أن ما بين التراب والماء من تضاد ، فهذا منظف وذاك معفر ، على أن ما أدركه فضيلته بفطرته مخالف لما جاء فى الأحاديث الصحيحة التى رواها البخارى وغيره من أن شرعية التيمم كانت فى إحدى الغزوات ، يعنى بعد فرضية الصلاة بزمان بعيد ولهذا فرح بها المسلمون فرحاً شديداً .

إن كلام فضيلته هنا لا يحمل إلا معنى واحداً ، وهو دعوة الناس إلى رفض السنن والآثار العلمية لآيات الكتاب ، والرجوع إلى عقولهم وحدها فى فهم هذه الآيات . فهل هذا ما يريده فضيلته ؟ أرجو أن لا يكون .

ثم قال فضيلته فى الجواب عن الأحاديث التى احتج بها الأخ المعترض ، بأن الحوادث التى وقعت فيها كانت سابقة على نزول الآية التى رخص فيها للمسافر فى التيمم ، لأن أول آية نزلت فى ذلك من سورة النساء ، وسورة النساء قد نزلت فى أوائل السنة التاسعة من الهجرة الخ .

ونحن نسأل : ما الذى يدل لفضيلته على أن الآية نزلت فى بيان الرخصة للمسافر ، مع أن الآية ذكر فيها حكم المسافر وغيره ؟ فقد نهوا فيها عن قربان الصلاة وهم سكارى حتى

يعلموا مايقولون ، وعن المكث فى المساجد وهم جنب حتى يغتسلوا — ولماذا لا تكون الآية قد نزلت فى شرعية التيمم كما أطبق عليه أئمة التفسير والحديث ، لاسيما أن هذا هو الأصل فلا يعدل عنه إلا بدليل . ووجود الآية فى سورة النساء التى تأخر نزولها إلى السنة التاسعة ، على قوله ، لا ينافى سبق نزول الآية . ولهذا نظائر : فإن سورة البقرة كانت من أول مانزل بعد الهجرة ومع ذلك فقد اشتملت على آيات الربا ، وهى من آخر مانزل ، بل قد قال كثير من العلماء إن آخر مانزل من القرآن على الإطلاق قوله تعالى من سورة البقرة (واتقوا يوماً تُرْجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وإذا كانت الآية نزلت للرخصة ، فما الذى أخر نزولها إلى هذا الوقت مع شدة الحاجة إليها ، لشدة ما كان يصيبهم من العنت والمشقة ، لا سيما فى الغزوات التى وقعت كلها أو معظمها قبل نزول الرخصة ، وقد جاء فى آية المائدة (مايريد الله ليجعل عليكم من حرج) فأى حرج أعظم من أن يتركوا مدة اشتغالهم بالغزو محرومين من هذا التخفيف ، حتى إذا جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وقل خروجهم للغزو نزلت الرخصة ؟ إن الذى جرت به سنن الله ، وتقتضيه رحمته وحكمته ، أن يشرع الرخصة إبان الحاجة إليها .

ثم قال فضيلته « هذا هو الحق فى هذه المسألة على فرض صحة الأحاديث » . فهل سمع فضيلته من إمام مجتهد قبله أنه جزم برأيه فى مسألة من مسائل الاجتهاد ؟ إن أحسن حال المجتهد بعد النظر فى الأدلة واستخراج الحكم منها ، أن يعتقد رجحان رأيه فقط ، وأما الجزم به فلا سبيل إليه . ولكن الذى يظهر من كلام فضيلته ، أن المسألة عنده ليست موضع اجتهاد فهى عنده مساوية لقولنا : الله واحد مثلا ، فما أتعس هؤلاء المساكين الذين خالفوا هذا الرأى ، من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة الهدى من بعدهم . كيف لم يفطنوا إلى مافطن له فضيلته ، وكيف لم يفتح عليهم مافتح له من الفهم فى كتاب الله ! ! يالها من أمة بلغت الغاية من الغباء والبلادة فاجتمعت على خطأ وضلال طيلة أربعة عشر قرناً من الزمان ، حتى جاء فضيلته ليكشف عنها حجاب الغفلة ، ويبصرها بالحق الواضح الصريح من كتاب الله تعالى .

وأعجب من ذلك قوله « إن هــذا هو الحق على فرض صحة الأحاديث » فماذا عسى أن يكون إذاً ، إذا لم تفرض صحة الأحاديث ؟ وأى مطعن لفضيلته فى هذه الأحاديث حتى يجعل صحتها إلى مجال الفرض والتقدير مع أنهـا قد بلغت حد التواتر المعنوى حيث وردت كلها تقريباً مقيدة بعدم وجود الماء ، وليس فيها حديث واحد يدل على أنه رخص لهم فى التيمم مع وجود الماء . ونحن نطالب فضيلته أن يأتينـا بواقعة حال عن أحد من الصحابة أو التابعين أو الأئمة المعتبرين ، أنه ترخص لهم فى التيمم فى السفر مع وجود الماء وليس من المعقول أن تنزل رخصة فى آيتين من كتاب الله ، ثم تظل معطلة ولا يفطن لها أحد من هؤلاء الذين هم أعلم الناس بكلام الله ودينه .

ثم قال : « والقرآن الـكريم تعبير عن الـكلام النفسى لرب العزة جل ثناؤه » .

ونحن نقول له : إن القرآن الـكريم ليس تعبيراً ولا حكاية عن الـكلام النفسى كما تزعم ذلك الـكلابية والأشعرية ، بل هو كله كلام الله ، لفظه ومعناه جميعاً تكلم به بصوت نفسه كما هو مذهب السلف رضى الله عنهم ، لأن الله أضافه إلى نفسه فقال : (وإنْ أحد من المشركين استجارك فأجِره حتى يسمع كلام الله) فدل ذلك على أن هذا القرآن المسموع هو كلام الله على الحقيقة وليس عبارة أو حكاية فقط ، كما يقوله نفاة الـكلام اللفظى . ونحن نحيل فضيلته على ما كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فى هذه المسألة عسى أن يقلع عن أشعريته ويؤمن بما آمن به أنصار السنة جميعاً من أن ربنا يقول ويتـكلم وينادى ويناجي الخ بكلام هو حرف وصوت يسمعه من يشاء من خلقه .

ثم قال : « والقاعدة الحـكيمة التى تلقيناها من لدن الرسول الأمين الذى أنزل عليه الذكر الحـكيم عن خلفائه الراشدين أن القرآن الـكريم هو الأصل لهذه الشريعة المطهرة وأن حكم الله تعالى يلتمس فيه قبل كل شىء ، فإن وجدناه أخذنا به وعضضنا عليه بالنواجذ ولم نحتج معه إلى مأخذ آخر إلخ » .

ونحن لا ننازع فى أن القرآن الكريم هو الأصل لهذه الشريعة المطهرة ، ولكنها كلمة حق أريد بها باطل ، إذا كان المقصود منها نبذ السنن العملية الصحيحة التى تجيء مبينة لما أبهم فى الكتاب العزيز ، أو مفصلة لما أجمل فيه ، والرسول صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بما أنزل عليه وقد أمره الله بالبيان كما أمره بالبلاغ فقال (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّل إليهم) فيرجع إلى بيان الرسول فى فهم الكتاب ولا يترك الأمر للعقول وحدها تشتغل بفهم ذلك فتتأوله على غير تأويله ، وتفهمه على غير وجهه ، كما فعلت ذلك الخوارج فضلوا ومرقوا من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، أعاذنا الله من ذلك .

وقد صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا ألفينّ أحدكم متكئاً على أريكته يجيئه الأمر من أمرى فيقول حَسْبنا كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال أحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه » .

ثم قال الشيخ بعد أن أورد آية التيمم : « المعنى الواضح الصريح المفهوم الذى يفهمه القارىء من نص الآية فى سهولة ويسر أن الله تعالى سوى بين المريض والمسافر فى الحكم وبذلك يباح التيمم فى ثلاثة أحوال : ١ — فى حال المرض ٢ — فى حال السفر ٣ — فى حال فقد الماء » .

ونحن نقول : ليس فى الآية ما يوجب حملها على المعنى وحده ، ولو كان الأمر كذلك لم تكن موضع خلاف ولما ساغ فيها الاجتهاد ، ولكان المخالف معرضا عن نص صريح لا يحتمل اللفظ غيره . وهذا كفر والعياذ بالله ، بل هو معنى تحتمله الآية كما تحتمل غيره . وإذ كان الأمر محتملا فيجب الرجوع إلى السنة لتعيين المراد ، وقد بينت السنة أن القيد المذكور وهو عدم وجدان الماء معتبر فى حال السفر كما هو معتبر فى الأمرين الأخيرين أعنى المجيء من الغائط وملامسة النساء . وأما المريض فإنه لا يعتبر فيه هذا القيد بإجماع ، إذا كان يتعذر عليه استعمال الماء لخوف الهلاك أو تأخر البرء فيكون كأنه فاقد للماء . وأما المسافر إذا كان معه الماء فما الذى يخاف عليه من استعماله ، وأى معنى للرخصة فى حقه ، بل لعل استعمال الماء ينشطه فى سفره ويزيل عنه وعثاء السفر .

وادعاء أن التسوية بين المريض والمسافر هنا هى كالتسوية بينهما فى إباحة الفطر فى رمضان قياس مع الفارق ، فإن كلا من المريض والمسافر يشق عليه الصوم أثناء السفر ، وليس كذلك استعمال الماء فإنه يشق على المريض ولا يشق على المسافر .

إن الرخصة التى فهمها المسلمون من كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ليست هى إباحة التيمم فى السفر مع وجود الماء ، بل هى شرعية التيمم ذاته ، فقد كان المسلمون يجهدون جهداً شديداً فى طلب الماء إذا حان وقت الصلاة وليس معهم ماء ، فرخص لهم فى استعمال التراب بدلا من الماء عند فقده أو عند تعذر استعماله ، وكان ذلك رحمة من الله بهم ، ولهذا فرحوا حين نزلت آية التيمم فرحا شديدا .

ثم قال فضيلته « هذا ما يفهمه القارىء من نص الآية الكريمة إذا لم يتكلف حملها على مذهب من المذاهب التى تناهض القرآن » .

ونحن نقول له : إن أنصار السنة حين حملوا الآية على اعتبار السفر مقيداً بعدم وجود الماء لم يكونوا مقلدين لمذهب من المذاهب . فقد خلعوا عنهم ربقة التقليد والحمد لله ، وإنما كانوا متبعين للسنة التى بينت المراد من الآية ، فهل يعتقد الشيخ أبو الوفاء أن السنة هنا مناهضة للقرآن وخارجة عن سبيله ؟ على أننا لا نقر وصف المذاهب بأنها مناهضة للقرآن ، فإن ذلك كفر بالقرآن ، والأئمة رحمهم الله كانوا يتلمسون أحكام القرآن ، ولكن منهم من يصيب ومنهم من يخطىء . ولكن ذنبهم عند الشيخ أبى الوفاء أنهم لم يسايروه فى فهمه للآية ، وفهموها على ضوء السنة التى جعلها الله مبينة للكتاب .

ثم قال « أما أولئك المتشددون المتنطعون الذين نبذوا نص القرآن وراء ظهورهم ، وعملوا بآرائهم ، ووضعوا القواعد المشددة . فهم من الذين أسلموا من علماء اليهود ولم يستطيعوا أن يتخففوا من إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، ففهموا التكاليف الشرعية على أنها عقوبات فى شريعتهم التى تخلصوا منها (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) وأخذ عنهم علماء المسلمين بحسن نية فبعدوا عن الحق » .

إى والله ، هذا كلام الشيخ أبى الوفاء بنصه ، لم نتزيد عليه حرفاً واحداً فانظر معنا أيها القارىء : ماذا أبقى الرجل من الإسلام والسنة بعدما أتى عليهما من القواعد ونسفهما بقلمه نسفاً .

إن حملة السنة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان هم فى نظره متشددون متنطعون ، نبذوا نص القرآن وراء الظهور ، وعملوا بآرائهم ، وهم من اليهود الذين أسلموا ولم يتخففوا من آصارهم وأغلالهم . وأن علماء هذه الأمة وأئمتها الذين تلقوا عن هؤلاء كانوا مغفلين ، لأنهم لم يفطنوا إلى كيد هؤلاء المحتالين .

لقد كنا نود أن يكون فضيلته من الشجاعة بحيث يعين لنا أسماء هؤلاء المتشددين المتنطعين ، وأسماء الذين أخذوا عنهم من العلماء المغفلين ، حتى نحذرهم على ديننا كما حذرهم هو على دينه .

ولكنه ألقى الاتهام هكذا عاماً شائعاً ، ليشمل كل حامل سنة ، وكل متلق لها من الأولين والآخرين . لأن الإسلام فى نظره ليس إلا القرآن وفهمه هو للقرآن ، ولا عليه بعد ذلك أن يوجه الاتهامات و يسدد الطعنات لكل من يخالف فهمه للقرآن ، ولو كان من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين .

و إنا لنسأل فضيلته لو أن أحداً من أعداء الإسلام الشانئين أراد أن يكيد للإسلام فماذا يبلغ من الكيد أكثر مما نالت منه هذه العبارات التى جاءت على لسان أحد أنصاره المشهورين ؟ ثم من هم هؤلاء اليهود الذين أسلموا ثم نبذوا القرآن وراء ظهورهم ، وعملوا بآرائهم ، ووضعوا القواعد المشددة ؟ وكيف خفى أمرهم على جهابذة السنة وأئمتها ، وكيف استطاعوا أن يدخلوا الغفلة على كل علماء هذه الأمة حتى جاء الشيخ أبو الوفاء فكشف عنهم وهتك أستارهم ؟

إننا لا نعرف فيمن أسلموا من اليهود رجلا واحداً اشتهر بالتشريع والكلام فى الأحكام ، حتى يأخذ عنه علماء هذه الأمة مذاهبهم . و إن كنت قد عرفتهم فدلنا عليهم

حتى نعرف إن كنت متجنياً عليهم أم منصفاً . أما هذا الاتهام السابح لكل حملة السنة فلا يمكن أن يفسر إلا بأنه انخلاع من ربقة السنة .

ثم قال « وسيأتى قريبا اليوم الذى تنقشع فيه الغشاوات عن الأعين والأكنة عن القلوب وتزول الرواسب التى خلفتها قرون الجهل والغفلة على العقول ، ويومئذ يفهم الناس القرآن حق فهمه ولا يؤثرون على أحكامه حكما » .

والشيخ هنا يهدد ويتوعد بأنه يُعد للسنة وحملتها ضربة هائلة تنفذ منها فى الصميم وتجعلها شذر مذر ، وحينئذ يتنفس الناس الصعداء ، ويزول عنهم هذا الكابوس الجاثم فوق صدورهم ، والذى يمنعهم من فهم القرآن بعقولهم وحدها . وإذا حصل هذا – لا قدر الله – فسيفهم الناس القرآن حق فهمه لأنهم سوف لا يتقيدون فى فهمه بسنن ولا آثار وسيأخذون بأحكامه مجردة من كل اعتبار .

ألا إن أنصار السنة ، وقد اشتق اسمهم من مبدئهم وعقيدتهم التى وطدوا النفس على الثبات عليها والذود عنها ، ليؤمنون بأن السنة الصحيحة ، العملية منها والقولية ، هى من صميم الذكر المنزّل المحفوظ ، لقوله تعالى (وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى) والله يقول الحق . وهو يهدى السبيل .

واجب المسلمين

لابد للدعوة التى يقدر لها البقاء والخلود أن تكون ملائمة للفطر السليمة ، وموافقة للعقول الصحيحة ، وصالحة فى مجال الحياة ، وأن يكون لها أثرها فى دنيا الناس .

على أن المبادىء الكريمة والمثل العليا لا تكفى وحدها لإنهاض دعوة ونجاحها حتى يقوم على هذه المبادىء حماة يذودون عنها و يهبونها كل ما فى وسعهم من طاقة وجهد .

ولقد بدأ الإسلام يبشر الناس بالحياة الطيبة . و يعدهم السعادة والرفاهية و يشرع لهم الأحكام التى ترفع رءوسهم ، وتطهر نفوسهم ، وتسمو بأرواحهم وتمكن لهم فى الأرض . فوجد من القلوب الغلف والأكباد الغلاظ مقاومة عنيفة لم تنته إلا بمقاومة أعنف وأشد .

وفى كتاب الله ما يلفت الأنظار ، و يوجه العقول إلى هذا المعنى . يقول الله سبحانه « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » ففى إرسال الرسل بالبينات و إنزال الكتب إشارة إلى المبادىء القويمة التى لا تصلح الحياة إلا بها . وفى إنزال الحديد إشارة إلى القوة التى تحمى هذه المبادىء وتصونها .

وأكثر المسلمين من عهود مضت لم يقوموا بواجبهم نحو التراث الذى جعله الله أمانة فى أعناقهم ، وصلاحاً لدنياهم ودينهم . فتأولوا نصوص الكتاب ، وابتدعوا فى الدين وزادوا عليه ونقصوا منه ، وضيقوا ما كان منه سهلا ، وحجروا ما كان واسعاً ، وجمدوا على تقاليد بالية ، وعكفوا على عادات ما أنزل الله بها من سلطان ، وانتهى الأمر بكثير من المسلمين إلى أن ساروا فى طرف ، وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى طرف آخر[1] ولم يعد الإسلام ذلك الحق القوى ينزل الميدان و يصارع التيارات الفاسدة . والأهواء المضلة ، والشهوات المردية ، والنزوات العمياء .

---

(١) كما نرى اليوم ونشاهده من المبتدعين . وأصحاب الطرق الصوفية .

لم تعد تلك القوة الباطشة التى تقذف بالباطل وتهوى به فى مكان سحيق .

وواجب المسلمين اليوم إذا كانوا قد استيقظوا من سباتهم وأرادوا أن يأخذوا مكانهم. ويستردوا ما فقد منهم ، أن يرجعوا إلى الوحى الإلهى ، وأن يعودوا إلى هدى الكتاب والسنة ، وأن يلفظوا كل ما عداها من الخرافات ، والترهات والأضاليل والأباطيل ، وأن يقيموا حياتهم على هذا النهج الصالح الكريم ، فيكون واقعهم قرآناً حياً يمشى بين الناس، وواجبهم أن يعرفوا قدر هذه التعاليم ، وأثرها فى حاضرهم ومستقبلهم . بعد أن عرفوا قدرها فى ماضيهم الزاهر ، وأن يفدوها بأنفسهم وأموالهم ، ويكونوا لها سياجاً منيعاً يذودون عنها ويكافحون من أجلها .

إنه لا وجود للمبادىء إلا بقدر ما فيها من صلاحية . وبقدر ما تقدم للانسانية من خير ، وإنه ليس فى دنيا الأقوياء اليوم مكان للضعفاء والواهنين .

فلنتصفح تاريخنا ولننظر إلى الأعمال العظيمة التى قام بها أجدادنا الأمجاد . ألم يتركوا لنا هذا الميراث الضخم من العلوم والفنون والمعارف وغيرها من أنواع الثقافات الإنسانية ؟ ألم يشيدوا هذه الحضارة الكبرى التى تعد من أكبر المفاخر وأعظمها؟ ألم يغيروا مجرى التاريخ ويوجهوا الحياة وجهة للروح فيها نصيب وللجسد فيها نصيب ؟ ؟

إن أجدادنا سادوا الشعوب فلم تسقط لهم راية ، ولم يطو لهم علم ، ولم يجبنوا فى غزو أو يضعفوا فى كفاح أو يقصروا فى مكرمة ، مهما كلفهم ذلك من تضحيات ومهما بذلوا من جهود . . . ! !

لقد استخلفهم الله فى الأرض فكانوا أمناً للخائف ، ونصفة للمظلوم ، وقوة للضعيف وغنى للفقير ، وعيناً ساهرة على مصالح الناس ويداً رحيمة تمسح آلامهم وتخفف عنهم أوزارهم ، فسعدت بهم الدنيا ، واطمأنت بهم الحياة .

نعم لنقلب صفحات تاريخنا المشرق ولنأخذ منه قبساً ينير لنا الطريق ويهدينا سواء السبيل .

لنجعل حاضرنا امتداداً للماضى المجيد ، ولا نطمع أن نسعد غيرنا ونحن لم نسعد بعد .
ففاقد النور لا يستنير به غيره . إن الله جلت قدرته كما أبقى أسباب الحياة المادية حتى لا يتوقف سير الحياة ، أبقى كذلك نبع الحياة الروحية حتى لا ينقطع الإنسان عن الله ولا يضل ولا يشقى . . ! !

والمسلمون وحدهم هم المسئولون عن تبليغ هذه الرسالة الروحية السامية . وهم المنتدبون من الله لحمايتها والذياد عنها ، وقد أعطاهم الله الكثير من أسباب النجاح . وإنما تعوزهم الإرادة القوية والعزيمة المصممة والعمل الدائب والسعى الحثيث ...

إن بين أيديهم من الحقائق ، ولهم من التجارب ما يمكنهم – لو أرادوا – أن ينتفعوا بها وأن يبلغوا السمو والرفعة ويحلقوا فى سماء السؤدد والمجد .

إنهم اليوم بين أن يؤدوا واجبهم ويضطلعوا بما حملوا من أعباء الرسالة ، وحينئذ يبسط الله لهم يده بالمعونة ويبوئهم مبوأ صدق ويجتبيهم للزعامة التى وعدهم بها ،

وبين أن ينصرفوا عن مهمتهم إلى محقرات الأعمال وسفاسف الأمور ، فيقبض الله يده عنهم ويكلهم إلى أنفسهم ، ثم يستبدل بهم قوماً « يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم »

السيد عبد الحليم محمد حسين
رئيس جماعة أنصار السنة بالملايقة

وكلاء « الهدى النبوى »
فى المغرب

اعتمدت إدارة مجلة (الهدى النبوى) السيد/محمد بن محمد بن عبدالقادر وكيلا لها بمدينة – مكناس – بالمغرب – ليقوم بتحصيل قيم الاشتراكات وغيرها الخاصة بالمجلة .

واعتمدت كذلك السيد/الحاج أحمد هارون بمدرسة القاضى عياض . بمدينة تطوان – بالمغرب – وكيلا لها ليقوم بتحصيل قيم الإشتراكات وغيرها الخاصة بالمجلة .

باب الكتب

كتاب « لا تتخذوا القبور مساجد »

لمؤلفه الأستاذ عبد الفتاح إبراهيم سلامة

إن من يرى دولة الباطل والخرافات وهى تصول وتجول إفساداً وتضليلاً فى ملايين المسلمين ، يدرك لأول وهلة أنه من الضرورى حشد كل القوى لصد الخطر الداهم الذى يزحف على أفكار المسلمين ليشككهم فى دينهم . ويفسد عليهم معتقداتهم .

ولا شك أن هذا ما دعى الأستاذ عبد الفتاح سلامة إلى وضع هذا المؤلف القيم ليسير به فى قافلة الحق لنصرة كلمة الله والقضاء على كل ما يخالف دعوة التوحيد . وخاصة إذا علمنا أن المؤلف يقيم فى طنطا التى فيها البدوى وهو - كما نعرف - طاغوت كبير يشار إليه بالبنان ، ويقصده العامة والخاصة للتبرك به ودعائه من دون الله الواحد القهار .

يقع هذا الكتاب فى ١١٦ صفحة من الحجم المتوسط ، وقد قسمه المؤلف إلى ثلاثة فصول . وقبل أن يدخل فى موضوع الكتاب كتب كلمة حول ما أصاب الناس من الجهالات والعمايات . وما لحق التشريع من الزيف والمنكر . كما عاب على الخاصة كتمانهم للحق عن الناس . . ثم بدأ فى الموضوع بالكلام عن مساجد القبور فى الباب الأول . فبين الأماكن التى تصح فيها الصلاة . . والمساجد التى تبنى للفخر وعن مسجد أهل الكهف . كما تطرق إلى علة النهى فى اتخاذ القبور مساجد . وتحريم الصلاة فيها . والأماكن التى تحرم فيها الصلاة . كما تعرض لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وحكم الصلاة فيه بعد إدخال قبره الشريف داخل المسجد .

وفى الباب الثانى أبان شرع الله فى بناء القبور وضرورة عدم ارتفاعها عن الأرض . وعدم الطواف بالأضرحة. وشد الرحال إليها . كما تحدث عن شجرة الرضوان التى بايع المسلمون الرسول تحتها والتى قطعها عمر بن الخطاب رضى الله عنه درءاً لباب الشرك عند ما أراد بعض المسلمين التبرك بها . والصلاة عندها .

أما الباب الثالث فقد تناول فيه موضوع النذور . و بين أنواعها ووجوب الوفاء بها إذا نذرت على الوجه المشروع . كما تكلم عن الأماكن التي نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الذبح عندها . . ونذور الجاهلية وأنواعها وما أهل لغير الله . وأوضح بطلان صناديق النذور ، لأن ما فيها من النذور لم تخرج لله . بل تخرج باسم الأولياء . وتذهب إلى وجوه غير مشروعة . كما تكلم عن المناسبات البدعية التي تقدم فيها أموال النذور .

تلك هي محتويات الكتاب بإيجاز . وقد دعم المؤلف موضوعات كتابه بآيات من القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فخرج الكتاب قاطعاً في الحجة . قوياً في البيان .

و إذا كان لنا من نقد على هذا الكتاب ففيما سجله حول موضوع يتصل اتصالا وثيقاً بقضية التوحيد ، إذ ذكر في فصل « هل تحرم الصلاة في مساجد القبور كلها » ص ٣٣ رقم ٤ قوله : إذا كان القبر في مسجد من المساجد الكبيرة وصليت في مكان من المسجد بعيداً عن القبر لا تستقبله ولا تستدبره صحت صلاتك . . ونرد عليه فنقول :

(١) لا ريب أن المؤلف يعلم أن علة النهي في اتخاذ القبر مسجداً ترجع إلى الخوف من تعظيم صاحبه وتقديسه ، لأن في هذا مخالفة لدعوة التوحيد ، وذريعة إلى الشرك . وقد سجل الأستاذ المؤلف ذلك في كتابه ص ٣١ كما سجله أيضاً بصفحة ٤١ حين أورد ما قاله الإمام النووي ـ شارح مسلم ـ عن رأى العلماء في هذا الشأن .

(٢) إن الله أمرنا باجتناب الشرك باعتباره رجساً من عمل الشيطان فقال تعالى (فاجتنبوا الرجس من الأوثان الآية ٣٠ : الحج) والأمر بالاجتناب هو البعد عن مواطن الشرك كلية .

(٣) إن علة النهي والتحريم ثابتة بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الكثيرة الواردة في هذا الشأن . نذكر منها على سبيل المثال حديث « . . . . . ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك » وهو حديث صحيح » .

(٤) إن القبر يجب أن يسوى بالأرض ولا يكون مشرفاً كما يفهم من حديث على ابن أبى طالب لأبى الهياج الأسدى حين بعثه إلى اليمن يسوى القبور ، ويطمس التماثيل .

مما تقدم من هذه النصوص نفهم أن المسجد إذا احتوى على قبر ، فإن الرجس قد لحقه ، وصار فى وضع يخالف عقيدة التوحيد . وبالتالى فإن أىّ مكان فيه غير صالح للعبادة .

والرسول صلى الله عليه وسلم أمر علياً بهدم القبور وتطهير المساجد منها ، لا بالإبقاء عليها ، وتنبيه الناس بعدم الصلاة أمامها أو خلفها ، أو الترخيص لهم بالصلاة بعيداً عن مكان القبر .

وإذا سلمنا برأى الأستاذ المؤلف فعندنا مئات المساجد التى تضم قبوراً ألّه الناس ساكنيها وعبدوهم ، وبإمكاننا الصلاة فيها على الوجه الذى يراه الأستاذ المؤلف . . وإذن فلا فرق بين من يرتاد مساجد القبور للتبرك والدعاء . وبين من يدخلها للصلاة . والله نسأل أن يبصرنا بالحق . وأن يهدينا صراطه المستقيم .

* * *

كتاب « عبد الملك بن مروان »
للدكتور ضياء الدين الريس

هذا الكتاب أصدرته وزارة الثقافة والإرشاد فى سلسلتها « أعلام العرب » ويظهر فى كل شهر عربى .

تناول الكتاب جانباً هاماً من حياة الرعيل الأول من المسلمين . وهو الفتوحات الإسلامية التى شملت الكثير من البلاد التى كانت ترزح تحت حكم استبدادى ظالم . فانضوت تحت لواء الإسلام ونعمت بحكمه وعدله .

وهذا الكتاب هو أول ما يؤرخ لعبد الملك بن مروان من خلفاء بنى أمية كما يقول المؤلف ، وهو ابن مروان بن الحكم الذى تنتهى سلسلته إلى عبد مناف .

ولد عبد الملك بن مروان فى المدينة عام ٢٤ هـ فى خلافة عثمان بن عفان ، وتولى الخلافة زهاء ٢١ عاما .

تحدث الدكتور صاحب الكتاب فى الفصل الأول منه عن تولية عبد الملك للخلافة عام ٦٥ هـ . . ثم عن الفترة التى سبقت خلافته ، وما تخللها من حوادث كان أهمها قتل الحسين رضى الله عنه ومقاتلة أهل المدينة وحصار مكة .

ثم أعقبه بنبذة عن خلافة مروان بن الحكم وحكمه لبلاد المسلمين ، ثم عن أسرة عبد الملك ، ودور بنى أمية فى نشر الإسلام . ثم تحدث عن ثورة الشيعة فى العراق ، وأسباب مقتل الحسين بكربلاء والمسئول عن قتله ، ثم ختم الكتاب بجهود عبد الملك بن مروان فى ضم شتات الطوائف الإسلامية وجمع صفوفها تحت راية واحدة وقيادة موحدة بعد أن كانت تتحكم فيها الأهواء والخلافات والمنازعات والأحقاد .

والحق يقال : إن الكتاب يعود بنا إلى أيام تمثل فترة عزيزة مجيدة من تاريخ الأمة الإسلامية الأول « أيام أن هزم المسلمون جحافل الروم والفرس ، و بسطوا نفوذهم على العالم ، فصارت تلك الدول المتفرقة دولة واحدة عظيمة تمتد مساحتها من الهند شرقاً إلى بلاد المغرب غربا . ومن بحر قزوين شمالا إلى حدود النوبة جنوبا .

فما أحوجنا إلى مثل هذا الكتاب الذى يعيد إلى أذهاننا الفتوحات الإسلامية وأعمال الإصلاحات المختلفة التى توج بها أولئك الأبطال عهودهم ، وتقرب إلى أبصارنا أيضاً سطوراً تحكى أمجادهم فى الاستبسال والجهاد فى سبيل الله ، حتى إن التاريخ يروى لنا صورة عن ذروة البطولة والجهاد عند أولئك الأبطال ، وإليك مايرويه عن القائد المقدام « عقبة بن نافع الفهرى » إنه حين وصل بجيوشه إلى المغرب الأقصى وقف تجاه شاطىء المحيط وقال قولته المشهورة (يارب لو أعلم أن وراء هذا البحر أرضاً لمضيت مجاهداً فى سبيلك) .

* * *

كتاب الفلسفة الإسلامية

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

وهذا الكتاب يصدر أيضاً عن وزارة الثقافة والإرشاد فى سلسلة « المكتبة الثقافية » ويعرض لنا المؤلف فيه قضية الفلسفة ، فيبين غايتها ومعانيها ومصدرها وعلاقتها بالإسلام ، كما يذكر الآراء المعارضة للفلسفة ، وغير ذلك مما يرسم للقارىء صورة واضحة عن هذا المذهب المادى .

يذكر المؤلف فى مستهل كلامه أن هدف الفلسفة : البحث فى الكون والإنسان والنظر فى مبادىء الوجود وعلله ، وأن مذهب بعض الفلاسفة يتجه إلى المادية التى تنكر وجود الله .

وفى علاقة الفلسفة بالإسلام يثبت أن الفلسفة ليست من الإسلام فى شىء ، بل هى اصطلاح يونانى دخيل على اللسان العربى كما هو باسمه ، ويستشهد على ذلك بالفارابى الفيلسوف الذى يفسر لنا الفلسفة فى اللغة اليونانية بكلمة (فيلسوفيا) ومعناها إيثار الحكمة . أى أنها مركبة من (فيلو) وهى الإيثار و (سوفيا) وهى الحكمة .

وفى هذا الجانب من العلاقة يقرر أيضاً أن الدين انتصر فى آخر الأمر فى معركته مع الفلسفة وأن الدين حكم على الفلاسفة بالكفر والإلحاد .

أما زمن دخول الفلسفة فى بلاد العرب فيقرر الكتاب أن الفلسفة جاءت إلى العرب فى عصر العباسيين حين عنيت هذه الدولة بترجمة الكتب اليونانية فى علوم الطب والمنطق والنفس وغيرها إلى العربية فى عهد المنصور العباسى عام ١٤٨ هـ ، ثم يذكر الكتاب أن الفلسفة وجدت معارضة شديدة تزعمها الإمام أحمد بن حنبل ، ثم الإمام أحمد بن تيمية ومن بعده تلميذه الإمام ابن قيم الجوزية .

والمعروف أن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ناقش الفلاسفة وأفحمهم بالحجة والبيان وبين أن الفلسفة مذهب طارىء على الإسلام ، إذ ليس فى الدين مايسمى بالفلسفة .

سعد صادق محمد

الشــاعر الصوفى

واقعة حال :

بعض الناس يريد أن يكون شاعراً لا يشق له غبار ، وأنف العربية والنحو والصرف راغم ، ونحن على غير استعداد لسماع مثل هذا الضرب من الشعر الفاسد ، والفن الجديد الساقط . ذلك لأن هذا الشاعر يتعسف فى المدح ، ويضرب النحو على عينيه ، ويزعج النحاة فى قبورهم .

ولا ندرى مالهذا الرجل والشعر ، وما ذنب القراء حتى يلطمهم هذه اللطمات بشعره الركيك غير المتزن !! .

فى الصباح الباكر وأغلب الناس نيام ، دق باب « الشقة » التى أسكنها دقاً عنيفاً ، فقلت فى نفسى من هذا المبكر الذى يطرق الباب فى عنف مستمر ، و بغير حذر ؟! ففتحت الباب وقلت : تفضل ياسيدى ، أهلا وسهلا ، ومن تكون ياترى ؟ أرجو أن تشرفنى باسمك ولقبك ، وإن شئت فبمهنتك ، ليكمل الشرف والتعارف ، فذكر لى ماأردت ، ولكنه أدهشنى حين أخبرنى أن مهنته « شاعر صوفى » ! !

قلت ياسبحان الله ، « شاعر » معروف ، فما معنى تقييده بالصوفى ؟ !

وكيف تعيش من مهنتك أيها الشاعر الذى هو صوفى ؟!! .

قال يجب ياأستاذ ألا تنظم الشعر إلا فى أهل البيت [1] والأولياء والصالحين رضى الله عنهم . . ثم انفرد بى يعرض على ماهب ودب من شعره . من النوع الذى لا وزن له ولا قافية ، ولا معنى يستطيع السامع أو القارىء أن يعى شيئا منه .

كقوله فى المديح لسيده « البدوى » :

---

(١) يعنى آل البيت .

مدحى لكم بالقرب منكم واجب والبعد حتى لو أكون « بأسية »
ولذا القلوب كما تريد محبة ياسيدى البدوى مُنَّ بنفحة

وهو عين الشرك ؛ كما ترى .

وكقوله فى مدحة أخرى :

أما « الحسين » فسيد من نسله سيدى «الدسوقى» فصاحب «للفرغل»
والسر حقاً باتم بطهارة وكذاك كل كرامة للأنسل

وقوله لهؤلاء جميعاً وغيرهم :

السر والجهر والإمداد عندكمو والحلم والفضل والسلطان بالحجج
والبحر يعجز لا يجرى بساحتكم ماعنده مدد بل يجرى باللجج

وهكذا أبيات كالأكواخ لا تصلح لسكنى المعنى ، وقواف متهافتة ، وألفاظ تستغيث وقد أقحمها فى كل بيت من الشعر حتى كاد يخرج أنفاسها ، وأسلوب كرقاص الساعة مضطرب مهزوز ، ومعان موثقة « بجنزير » فى الأبيات ، ولولا هذا الوثاق لفرت وولت الأدبار من ظلم هذا الشاعر الصوفى الجبار ! !

فزاد بى الحنق والغيظ ، ثم التفت إليه وقلت له :

— وما حاجة « أهل البيت » إلى الشعر ولهم من نسبهم وولايتهم غنى عن كل ذلك ؟ فأنا إذا أردت المحافظة على دينى والتمسك به ، وقفت الثناء والمديح والحمد كله ، شعراً و نثراً على الله وحده ، لأنه هو تعالى وتقدست أسماؤه ، المستحق للحمد والشكر ولا شريك له .

— قال يأستاذ هذا هو سبب الشقاء والبلاء علينا ، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ، ألا تفهم ذلك ؟

— قلت حاشا أن أفهم مثل ذلك ، ثم رفع إلى بديوان شعره رفعاً فإذا كله من طراز عجيب مضحك مؤلم ، وعبثاً حاولت أن أجد بين « الديوان » بيتاً واحداً يمت إلى الشعر

بصلة ما فأستطيع قراءته أو الإصغاء إليه ، وإلى القارىء الكريم نماذج أخرى من هذا الضرب الموجع :

عبدكم ياسيدى بالباب واقف : فاسمحوا لى بدخولى أتملى

« ياحسين » يا ابن بنت المصطفى أنت مولاى فى دنياك أعلى

وعلى هذا النمط البديع جرى الشاعر الصوفى ـ وبالعكس ـ شوطا طويلا فى ديوانه فى نفس واحد !!

— فقلت له إن الحسين رضى الله عنه ، لو بعث الآن من مرقده وسمع شعرك أو قرأه لتمنى الموت أبد الآبدين ، ولأدبك قبل أن يعود إلى الحياة الباقية مرة أخرى ؛ فما هذا الذى تقوله ؟ ؟ . ياأيها الصوفى الشاعر . وبالعكس .

هذا نظم مبتذل ، ورياء سخيف ، والدين يتنافى وتلك الخنوثة الظاهرة فى ديوانك ياهذا .

— قال وماذا تفعل لوعلمت أنى ما جئتك إلا لتقرظ هذا الديوان وأنت الآن تعيبه وتنقده ؟

— قلت إن كلمة الحق الصريح لم تترك لى مجالاً ، فاتركنى ولا تسلنى مالا أقدر عليه ، ورحم الله أمير الشعراء « شوقى » رحمة واسعة ، وأجزل له المثوبة والرضاء .

— قال وما مناسبة ذلك الآن ؟

— قلت لقد رمى المضلين والملحدين والداعين إلى البدع والخرافات وعباد الطواغيت، وقذف بهم من حالق ، بأبيات لو تدبرتها وعرفت ما بها لأغنتك كثيراً عن منهجك الذى نهجته وطريقك الذى تسير فيه ، تضل عباد الله ضلالاً كبيراً ؛

— قال أسمعنى ماذا قال .

— قلت اسمع بقلبك وأذنيك وعواطفك كلها ، ثم تلوت عليه هذه الأبيات التى نظمها أمير الشعراء ، لأنه رأى وسمع ما حرك وجدانه السليم لنظمها وهى :

لما رأيت شــفاه قوم فى الثرى وجباههم تدلى إلى الأعتـــاب
ورأيت فى الحنفى[1] من يســمى له بصحيفة مرفرعـــة وكتاب
وسمعت من طنطا ضراعـــة قائل يا أيها « البـــدوى » فرج ما بى
ورأيت فى روما كنيسة بطـــرس تبلى الشفاهُ بها حديدَ البـــاب
وعلمت أن من العبـــاد مؤلهاً يدعى لمظلمة وفصل خطـــاب
أيقنت أن الخلق ضـــلوا ربهم يا رب خـــذهم كلهم بعذاب

* * *

فلم يعجب الشاعر الصوفى هذا النوع من الشعر السامى الرفيع ، ولم يسعنى إلا أن فتحت له الباب على مصراعيه وأفهمته أنى « سأعزل »غداً صباحاً مبكراً وسأخبرك بعنوانى الجديد إن شاء الله .

فخرج مهطعاً لا يلوى على شىء ، وتذكرت بعد ذلك تشطيراً لثلاثة أبيات أختم به هذه الرسالة وقد ودعته بها وهى :

« ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا اجتنابك طيب العيش واللينـا
ولا عداؤك للدنيـــا وزينتها ولا بكاؤك إن غنىّ المغنونا »

* * *

« ولا صياحٌ ولا رقصٌ ولا طربٌ ولا اتباع الهوى إن كنت مفتونا
ولا اندفاعٌ مع الأهـــواء تتبعها ولا اختباطٌ كأن قد صرت مجنونا »

* * *

« لـكنما هو أن تصفو بلا كـــدر وتحمد الله موهوباً ومغبـــونا
وتتبعه فـــلا تأتى بمعصيـــة وتعرف الحق والقرآن والدينا »

« الجيزة » نجاتى عبد الرحمن

(١) هو المدعو بالسلطان الحنفى .

من مبادئ

جماعة أنصار السنة المحمدية

الولاية

قال الله تعالى (الله ولى الذين آمنوا) وقال (والله ولى المتقين) وقال (وكفى بالله وليا) وأمرنا أن نقول (إن وليي الله الذى نزل الكتاب) وقال (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون (فتدبر هذه الآيات البينات تعرف معنى الولاية .

فالله سبحانه وتعالى هو الولى : بمعنى الرعاية والعناية والتوفيق والتسديد والنصر والإعزاز والتأييد والهداية لعباده المؤمنين .

وهم أولياء الله بالتوكل والرجاء والخوف والخشية والإنابة والدعاء والعبادة والإيمان والتقوى ، وعدم التوجه بشيء من ذلك كله إلى أحد من خلقه .

والمؤمنون بعضهم أولياء بعض بالتعاون والتناصح والتناصر .

أما الذين توجهوا بقلوبهم وحبهم ودعائهم ورجائهم إلى الموتى باسم الأولياء والصالحين ، فطافوا بقبورهم ، وأقاموا لهم الموالد ، والتمسوا منهم البركات ، وجعلوهم شفعاء ووسطاء وتوسلوا بهم إلى الله . وتعلقوا بالبدع والخرافات والخزعبلات التى تروجها وتبثها وتدعو إليها الصوفية والمادية الكافرة الملحدة الفاجرة ، فإنهم أولياء الشيطان ، يطيعونه فى معصية الله ، ومحادة الله ورسوله .

(والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) .

العدد ٧
المجلد ٢٧

رجب
سنة ١٣٨٢

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقي

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

الاشتراك السنوي
٣٠ ـ في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٧ رجب سنة ١٣٨٢ المجلد ٢٧

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره :

(وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ ؛ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ، قال قَائِلٌ منهم : كَمْ لَبِثْتُمْ ؟ قَالُوا : لَبِثْنَا يَوْمًا أو بَعْضَ يَوْمٍ ، قالوا : رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ، فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إلى المدينة ، فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ منه ، وَلْيَتَلَطَّفْ ، ولا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا . إنهم إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ ، أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ ، وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا : ١٩ ، ٢٠) .

« معـــــانى المفردات »

« بعثناهم » : أصل الكلمة يدل على إثارة الشيء وتوجيهه ، يقال : بعثتُ الناقة إذا أثرتها ، وسيّرتها . والبعث — كما يقول الراغب — نوعان : بشرى كبعث البعير ، و بعث الإنسان فى حاجة .

والنهى ، وهو نوعان : إيجاد الأعيان والأجناس والأنواع ، بعد أن لم تكن .
والثانى إحياء الموتى .

« ليتساءلوا » : ليَسْأَلَ بعضهم بعضاً ؛ فيعرفوا حالهم ، وما صنع الله بهم .

« لبثتم » : أصل الكلمة يدل على تمكث ، يقال : لبث بالمكان : أقام به متلازماً .

« وَرِقِكُمْ » : الوَرِقُ ، والوِرْقُ ، والوَرْقُ ، والرِّقة : الدراهم المضروبة .

« أزكى » أصل الزكاة : النمو الحاصل عن بركة الله تعالى ، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيوية والأخروية ، وقوله تعالى : أيُّها أزكى طعاماً : أى أىُّ أهل المدينة أحل وأطيب طعاماً لا تستوخم عاقبته .

« برزْقٍ » : يقال : للعطاء الجارى تارة دنيوياً كان أم أخروياً وللنصيب تارة ، ولما يصل إلى الجوف ، ويُتَغَذَّى به تارة ، وأصل معناه — كما يقول ابن فارس — يدل على عطاء لوقت ثم يحمل عليه غير الموقوت .

« ليَتَلَطَّفْ » : أصل كلمة لطف يدل على رِفْقٍ ويدل على صِغَر فى الشىء . فاللطف الرِّفق فى العمل . ويقول الراغب : يعبَّر باللطف عن الحركة الخفيفة ، وعن تعاطى الأمور الدقيقة . ومعنى الكلمة هنا : ليتكلف اللطف والإتقان فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يحدث مايسىء إليهم .

« يُشْعِرَنَّ » : الشِّعْر فى الأصل : العلم الدقيق ، وشَعَرْت بالشىء إذا علمته وفطنت له . ومعنى الكلمة هنا : لا يفعلن مايؤدى إلى الشعور بنا .

« يَظْهَرُوا » : يطلعوا عليكم ، ويظفروا بكم .

« يَرْجُمُوكُمْ » : الرِّجام : الحجارة . والرَّجْمُ : الرَّمْىُ بالرجام . ويؤخذ الرَّجْمُ للرَّمْىِ بالظنِّ والتوهُّم وللشتم وللطرد .

« مِلَّتِهِمْ » : أصل المِلَّة من أَمْلَلْتُ الكتابَ ، فالملة جملة الشرائع التى اتخذت دينا ،

أو هى الطريقة الدينية التى اتخذها المرء لنفسه ، وقد تكون ملة حقٍّ كملة إبراهيم ، وملة باطل كملة هؤلاء القوم .

« المعــــنى »

نام الفتية فى الكهف قروناً ينشر الله عليهم رحمته ورعايته دون أن تنال منهم الأرض شيئًا ، أو يصيبهم كرُّ العشايا وتعاقب الأسحار بما يصاب به غيرهم من خلق الله ، غير أنهم صاروا فى حال يصفها الله سبحانه بقوله : (لو اطّلَعْتَ عليهم لولّيْتَ منهم فراراً ، ولَمُلِئْتَ منهم رُعْبًا) وقد تكلمت عن هذا فى العدد السالف .

ثم يقول الله : « وكذلك بعثناهم » يُشار بكلمة « ذلك » فى هذه الآية إلى ماصنعه الله لهؤلاء الفتية ، وهو ماسبق ذكره فى الآيات التى تكلمت عنها من قبل . وأعظمه أخذاً بالقلوب المؤمنة لِتزداد إيمانًا ، هو ذلك النومُ المتطاول العميق الذى أفقدهم كل حِسٍّ وشعور حولهم ، وبما تضطرب به الدنيا ، وتمور من أحداث ذلك النوم الذى ضُرِب على آذانهم فى فجوة من كهف لا تراهم فيه إلا عين الله ، ولا تصل إليهم فيه إلا أقداره برحمته ورعايته وحفظه .

مَنْ حال بين الناس ، و بين أن يلجوا هذا الكهف ؟ .

مَنْ حال بين الأرض و بين أن تصنع فى هذه الأجسام ماأذن الله لها أن تصنعه فى الأجسام الأخرى ؟ .

من أمَدَّ أجسامهم بهذه القوة التى جعلتها تقاوم هذه الآفات المهلكة حقبًا متطاولات ؟ ، بُطُونٌ تصمد للجوع أكثر من ثلاثة قرون ! ! وأمعاء تصمد أجيالا للسكون الرهيب دون أن تجد فى لحظة ماتفعله ! ! .

جاعوا قرونًا وعطشوا قرونًا ، فما أيقظهم من نومهم جوع ، ولا أقلقت لهم مضاجعَ لذعةٌ من عَطَش ! ! .

لم تضمر الأجساد ، ولم تجف الأمعاء ، ولم يحرق الظمأ الأكباد ! ! .

إنها قدرة الخلاق ، فأين من يزعمون أن الأسباب تسيطر على خالق الأسباب ؟ .

وتظل الأجسام تعمل ، وتُنْبت الشعر ، وتتقلب بقدرة ذات اليمين وذات الشمال ! ! .
فسبحانك اللهم وتعاليت ! ! .

إن الذى فطر الخلق هو وحده الذى يسخر هذه الفطر مايشاء .

أما « الكاف » التى فى « كذلك » فهى للتشبيه . أى كما فعل الله بهم ذلك الذى يوجب الإيمان بأن قدرة الله تهيمن على كل القوَى والقُدَر ، و بأن الله يخلق مايشاء و يختار ، و بأنه هو وحده الذى يبدأ الخلق ، ثم يعيده .

كما فعل بهم ذلك الذى ذُكر فى الآيات فعل الله بهم أمراً آخر عظيما هو أنه ـ جَلّ شأنه ـ بعثهم من رقادهم الطويل السحيق العميق تذكيراً بقدرة الله على الإماتة والإحياء والبعث بعد الموت .

« ليتساءلوا بينهم » ليسأل بعضهم بعضاً عما حدث لهم ، ونزل بهم ، فيزدادوا إيماناً بقدرة الله وعظم فضله الذى منّ به عليهم .

وقال أحدهم : كم لبثتم ؟ يسأل عن المدة التى مضت عليهم ، وهم فى كهفهم . فهو ـ كبقية إخوانه ـ لا يشعر بحقيقة مقدار الزمن الطويل الذى عَبَر .

وأنّى لهم أن يعلموا الحقيقة ؟

إن الفطرة البشرية بكل مالها من خصائص وصفات لا توحى إليهم مطلقاً بالحقيقة الزمنية التى توحى إلى العقل بالسجود لفاطر هذه الحقيقة الرائعة التى مرت . وكأنها فى حس هؤلاء الفتية يوم أو بعض يوم ! !

ولعل الذى جعل هذا القائل يسأل عن الزمن هى تلك الحال التى كانوا عليها . والتى توحى بأنه قد مر عليهم زمن طويل ، ثم هى أيضاً تلك التجارب البشرية التى توحى بأنهم لم يلبثوا فى نومهم إلا يوما أو بعض يوم ، ثم هى تلك الحال النفسية التى لا توحى إليهم إلا بما يوحى به واقع البشرية الذى شهدوه ، وورثوا تاريخه الطويل ، هذا مع ذلك

أثار فى نفوسهم ، أثارة من الشك والحيرة دفعت بهم إلى السؤال ، وإلا فالموقن العارف لا يسأل .

« قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم » يدل هذا على أنهم اشتركوا جميعًا فى الإجابة ولعل بعضهم قال : لبثنا يوما ، والبعض الآخر قال : لبثنا بعض يوم ، أو لعلهم جميعاً ترددوا بين قول هذا وذاك . أى قال كل منهم : لبثنا يوما ، ثم رجع ، فقال : لبثنا بعض يوم ، وهذا يدل على أنهم استيقظوا فى غير الوقت الذى يفكرون أنهم دخلوا فيه الكهف . فلعلهم دخلوا الكهف ـ مثلا ـ صباحا ، ثم استيقظوا ـ مثلا ـ ظهراً ، أو فى الأصيل ، فظن بعضهم أنهم لبثوا بعض يوم ظناً من أنهم دخلوا الكهف ـ مثلا ـ صباحا ، ثم استيقظوا فى ظهر نفس اليوم أو أصيله :

أما الآخرون ، فظنوا أنهم استيقظوا فى ظهر اليوم الثانى أو أصيله ، مالمح أحدهم أثارة من حقيقة الزمن الذى عبر : رغم ما يرون على أنفسهم من دلائل توحى بأنهم مكثوا زمناً طويلا !! :

أرأيتم إلى العقل البشرى كيف يُخدَع ، وكيف يسلمه الخداع إلى الجهل المبين بالحقيقة ؟

فهل يمكن أن نسلم مقادنا فى الدين إلى العقل وحده ؟

وهل نصدق أن العقل يستطيع أن يصل إلى الحقيقة الدينية وحده دون عون من الله ، أو بتعبير آخر دون عون من رسول يرسله الله سبحانه ؟

وها نحن نرى الفتية ـ على إيمانهم ، وصفائهم الروحى الشفاف ـ يخدعهم الحس عن الحقيقة الزمنية .

والله الذى خلق العقل يقول : (فعسى أن تكرهوا شيئاً ، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ٤ : ١٩) (قالوا : رَبُّكم أعلم بما لبثتم) هذه شيمة هؤلاء الفتية فى إيمانهم القوى وإسلامهم الصادق العظيم ، فأنت تتبين من قولهم هاتين الحقيقتين .

الأولى : صَرْفُ النفس عن المجادلة التي لا تولد سوى الشحناء والبغضاء !!
فقد رأيت أنهم لم يجادلوا طويلا فى شأن المدة التى قضوها فى داخل الـكهف رغم وجود دواع و بواعث كثيرة تثيرهم إلى المناقشة والمجادلة .

الحقيقة الأخرى : سرعة التفويض إلى الله ، وصدقه يتجلى هذا فى قوله سبحانه الذى قصه عنهم : (ربكم أعلم بما لبثتم) وقد أُسْنِد إليهم جميعاً مما يدل على أن هذا التفويض إلى علم الله سبحانه كان من إيمانهم جميعا .

(فابعثوا أحدكم بورقـكم هذه إلى المدينة ..) ودعاهم الوجدان الحسى إلى أن يبحثوا عن الطعام .

لقد لبثوا أكثر من ثلثمائة سنة فى كهفهم لا يأكلون ، ولم يوقظهم من نومهم هذا الجوع الطويل الشامل العميق السحيق المتطاول الحقب . أما الآن ، وفى لحظة اليقظة ، فقد دفع بهم جوعهم إلى أن يطلبوا الطعام . ويظهر أنه كان لهم كبير ، ولـكنه كان يتوجه بأمره إليهم فى صورة المشورة . فقال (فابعثوا أحدكم بورقـكم ..) أرسلوا واحداً منكم بهذه الدراهم[1] الفضية إلى المدينة [2] ، وليبحث لنا عن طعام طيب حلال .

والذى يدفع إلى إجلال إيمان هؤلاء الشباب والثناء عليه والإعجاب المظيم به هو أنهم فى هذه اللاحظة التى تُذْهِل عن أمور كثيرة لم ينسوا أبداً دينهم والحرص على قدسية إيمانهم فقالوا : « فلينظر أيها أزكى طعاما » أى أىُّ أهل المدينة أطيب وأطهر طعاما فلقد هربوا من مدينة تعبد الأوثان . مدينة لا تحترم الحلال ، ولا تخاف من الحرام . مدينة تذبح لغير الله ، وتلغ فى الفسُوق والمعصية ، لهذا طلبوا من صاحبهم أن ينقب فى البحث عن

---

(١) هذا يدل على أنهم قبل الفرار حملوا معهم من أموالهم مايعينهم فى غربتهم .

(٢) قالت التفاسير . أنها طرسوس ، أو أفسوس . ولـكن الله يحرم علينا أن نرجم بالغيب . وكل ما استطيع أن أقوله هو أنهم يريدون مدينتهم التى هربوا منها بدليل وجود « أل » التى تدل على العهد

رجل يتقى الله : ليشتروا منه طعاما لهم ، ليكونوا على بينة من أنه طعام زَكِىٌّ طيب . ويظهر أنهم كانوا يعرفون معرفة إجمالية أنه يوجد فى المدينة من يخاف الله مثلهم غير أنهم كانوا يكتمون إيمانهم . يدل على هذا قولهم « أزكى طعاما » ولا يكون هـذا الطعام الزكى ـ كما يؤمنون ـ إلا عند مؤمن . والمجىء بكلمة « أزكى » التى تفيد التفضيل تظهر لنا أنه كان يوجد مؤمنون ، بعضهم أصدق إيمانا من بعض .

« فليأتكم برزق منه » فليأتكم بنصيب من هذا الطعام الزكى .

وتستطيع أن تتبين من تعبيرهم بكلمة « رزق » أن إيمانهم يسيطر على ألسنتهم وكلماتهم العادية أيضاً ، وأنه يلهمهم ما يقولون حتى ما يقولونه حول أمور دنياهم وتستطيع أن تتبين من تعبيرهم بكلمة « منه » قوة قناعتهم ، وأنهم ما كانوا يريدون ملء البطون ، وإنما كانوا يريدون ـ فحسب ـ إسكان ثورة الجوع . فقد كانوا يفكرون فيما هو أعظم من حاجة الجسد . ثم طلبوا من صاحبهم أن يكون على حذر ودقة فيما يقول ويعمل حتى لا يشعر بهم أحد .

وكل هذا يدل دلالة قاطعة على أنهم ـ حتى هذه اللحظة ـ كانوا يجهلون حقيقة الزمن الذى مر عليهم ، وأنهم كانوا يؤمنون بأنهم يعيشون فى عصرهم ، وفى عهد الطاغية الذى هربوا من ظله وطغيانه ثم بينوا لصاحبهم سبب دعوتهم إياه إلى الحذر وإلى الدقة فى القول والعمل ، فقالوا : « إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم ، أو يعيدوكم فى ملتهم ، ولن تفلحوا ـ إذاً ـ أبدا » ويبدو لنا جلياً أن الفتية لم يكونوا يخافون من أن يرجموا بالحجارة قدر خوفهم من أن يحاول هؤلاء الظلمة الباغون من قومهم أن يعيدوهم إلى ملة الضلالة . فهم لم يعقبوا على الرجم بشىء أما الإعادة إلى الملة ، فقد عقبوا عليها بقولهم « ولن تفلحوا إذا ـ أبدا » فقد ربطوا عدم الفلاح بالعودة إلى ملة الكفر ، وهذا ما كانوا يرهبونه ويخافونه ، بل هذا يكشف لنا عن قوة إيمانهم وصفاء تقواهم ، وشدة خشيتهم من الله . فهم يعلنون خوفهم من العودة إلى الملة رغم أنها ستكون عودة قهرية يقهرهم عليها بطش هؤلاء

الحاكين الطغاة البغاة ولكنهم لا يتلمسون لأنفسهم عذراً حتى مع هذا القهر ! !

وجملة : « يعيدوكم فى ملتهم » يدل على أنهم كانوا فى هذه الملة ، ثم هداهم الله ، فآمنوا فكيف آمنوا ؟ يظهر أنه الإيمان الذى يغمر النفس عن طريق التفكير الصحيح الصائب فالقرآن لم يحدثنا عن رسول فى عصرهم ، أو لعل رسالة رسول سابق وصلت إليهم ، فرأوها رسالة حق وصدق ، فآمنوا .

ومجىء كلمة « فى » فى قوله سبحانه « يعيدوكم فى ملتهم » بدلا من كلمة « إلى » يدل على شدة خوفهم من التردى فى هذه الملة الضالة ، والتوغل فيها ، فلا يستطيعون منها خلاصاً.

وتدل الآية على أن العودة إلى الكفر يرتبط بعدم الفلاح .

فاللهم اجعلنا كهولاء الفتية إيماناً وثقة ويقيناً ، وآتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدنا .

عبد الرحمن الوكيل

(توحيد الله عز وجل)

« عقيدة القرآن والسنة »

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (اللطيف) ، (الخبير) وقد جاء هذان الاسمان الكريمان مقترنين كثيراً فى القرآن مثل قوله تعالى من سورة الأنعام (لا تُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) وقوله من سورة الحج (ألم ترأن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير) .

وقوله من سورة لقمان (يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير) .

وقوله من سورة الأحزاب (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا) أما اللطيف فهو اسم من اللطف يقال لطف به وله ، بفتح الطاء يلطف لطفاً إذا رفق به ، وأما لطف بالضم فهو من اللطافة بمعنى الصغر والدقة . واللطيف هو الذى اجتمع له الرفق فى الفعل والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلىمن قدرها له من خلقه ، فلا يستحق هذا الاسم على وجه الكمال إلا من يعلم دقائق المصالح وغوامضها ، ثم يسلك فى إيصالها إلى مستحقها سبيل الرفق دون العنف ، ولا يتصور كمال ذلك فى العلم والفعل جميعا إلا فى حقه سبحانه . فإن الغوامض والخفيات هى فى علمه كالظواهر الجليات .

وكذلك رفقه جل شأنه فى الأفعال هو بالغ غاية الكمال ، لأنه تابع لمعرفته بتفاصيلها وأحاطته بغوامضها يقول الغزالى « فمن لطفه خلقه الجنين فى بطن الأم فى ظلمات ثلاث ، وحفظه فيها وتغذيته بواسطة السرة إلى أن ينفصل فيستقل بالتناول بالفم ثم إلهامه إياه عند الانفصال التقام الثدى وامتصاصه ولو فى ظلام الليل من غير تعليم ومشاهدة ، بل فلق البيضة عن الفرخ وقد ألهمه التقاط الحب فى الحال ، ثم تأخير خلق الأسنان عن أول الخلقة إلى وقت الحاجة للاستغناء فى الاغتذاء باللبن عن السن ثم ، إنباته السن بعد ذلك

عند الحاجة إلى طحن الطعام ، ثم تقسيم الأسنان إلى عريضة للطحن وإلى أنياب للكسر وإلى ثنايا حادة الأطراف للقطع » اه .

ويقول العلامة ابن القيم فى قصيدته النونية .

وهو اللطيف بعبده ولعبده ... واللطف فى أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرة ... واللطف عند مواقع الإحسان

فيريك عزته ويبدى لطفه ... والعبد فى الغفلات عن ذا الشان

يعنى أنه سبحانه يلطف بعبده فى أموره الداخلية المتعلقة بنفسه ، ويلطف له فى الأمور الخارجية عنه ، فيسوقه ويسوق إليه ما به صلاحه من حيث لا يشعر . وهذا من آثار علمه وكرمه ورحمته . فاللطف الذى هو وصفه سبحانه نوعان : أحدهما الخبرة التامة وإحاطة علمه بالبواطن والأسرار ومكنونات الصدور ومغيبات الأمور ، ومالطف ودق من كل شىء .

والثانى لطفه بعبده ووليه الذى يريد أن يتم عليه نعمته ويشمله بإحسانه وكرمه ، ويرقيه إلى المنازل العالية فييسره لليسرى ، ويجنبه العسرى ، ويجرى عليه من صنوف المحن وأنواع البلاء التى يكرهها وتشق عليه ما علم أن فيها صلاحه والسبيل إلى سعادته . كما امتحن الأنبياء عليهم السلام بأذى قومهم وبالجهاد فى سبيله ، وكما يمتحن أولياءه بما يكرهونه لينيلهم ما يحبون . واعتبر فى ذلك بما جرى على يوسف الصديق عليه السلام من أحوال كانت فى ظاهرها محنة . ولكنها فى حقيقة الأمر ألوان من البلاء والتمحيص ، كمل بها جوهره وصفى بها عنصره حتى أوصلته فى النهاية إلى حسن العقبى فى الدنيا والآخرة .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله (فكم لله من لطف وكرم لا تدركه الأفهام ولا تتصوره الأوهام ، وكم استشرف العبد على مطلوب من مطالب الدنيا من ولاية أو رياسة أو سبب من الأسباب المحبوبة ، فيصرفه الله عنها ويصرفها عنه ، رحمة به لئلا تضره فى دينه فيظل العبد حزينا من جهله وعدم معرفته بربه . ولو علم ماذخر له فى الغيب

وأريد إصلاحه فيه ، لحمد الله وشكره على ذلك . فأن الله بعباده رؤف رحيم ، لطيف بأوليائه . وفى الدعاء المأثورة (اللهم مارزقتنى مما أحب فاجعله قوة لى فيما تحب ، ومازويت عنى مما أحب فاجعله فراغالى فيما تحب ، اللهم الطف بنافى قضائك ، وبارك لنا فى قدرك حتى لا نحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت) .

وأما الخبير فهو العليم الذى نفذ علمه إلى كل خفى من الأمور وأحاط بتفاصيلها ودقائقها بحيث لا يعزب عنه شىء من الوجوه الممكنة لها ، يعلم ماغاب كما يعلم ما حضر ، ويعلم مادق وصغر كما يعلم ما جل وكبر ، فالكل فى علمه سبحانه سواء ، كما قال تعالى من سورة الرعد (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد . وكل شىء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) .

ولهذا لا يجىء وصفه تعالى بهذا الوصف إلا بالنسبة للأمور التى فيها دقة وخفاء بحيث يعجز عن تناولها إدراك المخلوقين كقوله تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) وقوله (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقوله من سورة التحريم (وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير) .

وهكذا فى كل موضع ذكر فيه هذا الوصف فى القرآن العظيم تجده لا يذكر إلا حيث يكون الكلام متعلقا بالخفايا ومغيبات الأمور . والله تعالى أعلم ؟

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

الإسلام ... والمدنية

جاء الإسلام ليقضى على كل فساد ، ويقطع جذور الوثنية من الأعماق ويطيح بالهمجيات من نفوس البشر ، ويضع دعائم السلام فى الأرض ، ليبنى مجتمعاً ذا مدنية راقية ، تتفق مع رقى الإنسان الفكرى ، ونضوجه العقلى .

وقرر أن الهلاك لا يحل بالأمة ؛ وهى صالحة مصلحة . تؤمن بالحق ، وتفعل الخير . (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ١١ . ١١٧) .

والصالحون من عبـــاد الله الذين يؤدون الحق ، ويضطلعون بالواجب ويتحملون المسئوليات ، هم أحق وأولى بميراث الأرض . (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ٢١ ، ١٠٥) .

والحياة الطيبة الكريمة حياة القلب والعقل والضمير ! ! إنما هى ثمرة لإيمان صحيح . وعمل صالح (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ١٦ . ٩٦) .

والمصلح قد يخيل له أن جهده الاصلاحى يذهب سدى ، وتعصف به عواصف الرياح فأخبر الله جل شأنه أن ذلك مدخر لا يفنى ولا يضيع (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين ٧ . ١٦٩) .

وقد طلب الإسلام السمح الكريم إزاء دعوة الصلاح والإصلاح الذى ينير الحياة ، ويجعلها جديرة ، بأن يحياها الإنسان ويظهر فيها مواهبه وطاقاته ، ويفتح فيها آفاقاً واسعة من الإنتاج والابتكار (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه) .

إن الفساد طبيعة من طبائع النفاق ومرض القلب (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ١ . ١٠ . ١١) .

ولذلك كان جزاء المنافقين أن يحجبوا عن الله ، ويحال بينهم وبين رحماته .

(والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، و يقطعون ماأمر الله به أن يوصل و يفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ١٣ . ٢٥)

لقد كان الفساد العامل الأول لفرعون وأضرابه . ولذلك كان الحساب عليه عسيراً (إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم و يستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ٢٨ . ٤)

وطبيعة المفسدين أنهم يتسلطون على غيرهم ، و يستعبدون الضعفاء و ينكلون بالأبرياء ، و يفسدون بتمكين من لا كفاءة له ، و إهدار كرامة الأحرار المدافعين عن أوطانهم ، فيقول الله : (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ٢٧٠ . ٣٤) .

وثمة صنف من الناس ، يحسنون القول ، و يسيئون العمل ، ولا تنطوى جوانحهم إلا على خبث الطوية ، وفساد الضمير ، وسوء القصد ، وهم مع ذلك أقوياء فى لبس الحق بالباطل . وستر أعمالهم السيئة بما يظهرونه من لين القول وعذوبة الحديث ، فيقول سبحانه : (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . و إذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد ١ . ٢٠٤ . ٢٠٥) .

وقد حذر القرآن المسلمين من الفساد وأوعدهم إن هم فعلوا ذلك بسوء المصير فقال : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم . ٤٧ ـ ٢٢ ٠ ٢٣) .

هذه دعوة الإسلام إلى الصلاح ، ونهيه عن الفساد بشتى صوره لينظم أمر العيش وليطمئن كل على نفسه وعرضه وماله وكرامته ! !

أما مدنية اليوم . أما شرعة الغاب . التى يطبقها دعاة الحضارة فى هذا العصر فهى بربرية لا تتمشى مع ما حصل عليه الإنسان من رقى مادى ، وكشف علمى ، ونجاح فى ميادين الحياة المختلفة .

ولو أفاق المسلمون إلى أنفسهم ونظروا إلى دينهم بعين الفهم والتبصر لما وقعوا فيما يعانونه اليوم من فساد الأخلاق ، وهتك الأعراض وذهاب الحريات ، وتشتيت الشمل وإثارة الفرقة والحزازات ! ! ! فإنه من المعلوم المتفق عليه من نقائص المدنية الحديثة :

١ — إهدار القيم الروحية مما يتسبب عنه تدهور الأخلاق ، ونضوب معين الفضائل .

٢ — اعتبار القوة وتقديسها إلى حد العبادة دون مراعاة للحق والعدل .

٣ — التهديد بالحرب واختراع أدوات التخريب والتدمير . مما جعل الناس يعيشون فى جو يسوده القلق والاضطراب .

وهذه النقائص هى نفسها نقائص الجاهلية ، وقد كانت مثار فساد كبير فى المجتمع البشرى مما اقتضى جهوداً كبيرة من رسل الله وأنبيائه ، صلوات الله وسلامه عليهم .

لذلك كان من الخبل تقليد الغرب فى مدنيته وذيوع تعاليمه الكافرة فى المجتمع الإسلامى الذى وضع له قواعده وقوانينه وأهدافه أحكم الحاكمين ، رب العالمين ! ! !

نحن معشر المسلمين مطالبون بنشر دعوة الإسلام ، لنقدم للناس هذا النور الذى لا غنى لهم عنه ، وهذا الروح الذى لا حياة لهم بدونه .

وهذه القيم هى التى تجعل الإنسانية تستمتع بسكينة النفس ، وطيب العيش ، وسلام الضمير . . . والله يتولى المؤمنين .

السيد عبد الحليم مهرقى

قال بعض السلف :

إنى وجدت خير الدنيا والآخرة فى التقى والغنى ، وشراً لدنيا والآخرة فى الفجور والفقر :

ولم أر بعد الدين خيراً من الغنى ولم أر بعد الكفر شراً من الفقر

تعليقات على الصحف

عيادات أولياء الله !!

فى باب « حديث بالصور » نشرت الأهرام عدة صور تبين مايدور فى بعض الأضرحة من أمور تخالف الشرع والصواب . وقالت : إن عشرة مساجد بها أضرحة يقال إن لأصحابها الأولياء معجزات فى الطب . ففى كل يوم ثلاثاء يذهب بعض مرضى الأعصاب والأطفال الضعفاء لزيارة ضريح « أبو السعود » . . وفى هذا اليوم أيضا يزور الناس بأطفالهم المصابين بالشلل مسجد الشعراوى ليغسلوا أبدانهم بمياه جوفية يقال أنها تخرج من أرض المسجد . أما السيدة نفيسة فإنها متخصصة فى علاج أمراض العيون . وموعد عيادتها يوم السبت .

وذكرت الصحيفة أن هناك أضرحة أخرى للأولياء مثل : زين العابدين . والجلشانى والشيخ ريحان والمغاورى . وأن لكل من هؤلاء شهرة فى شفاء امراض خاصة .

« الأهرام يوم ١٤ / ١٠ / ١٩٦٢

• • الواقع أن الحديث المصور الذى نشرته الأهرام يكشف عن مدى سيطرة الجهل على عقول الناس . كما يحسر الغطاء عن دور سدنة القبور الذين يروجون عند العامة خرافة قدرة ساكنى الأضرحة على شفاء المرضى .

ولقد أرشدنا الإسلام إلى سبل العلم والمعرفة . وهى السبل الجدية التى يجب أن نتبعها وذلك باستشارة الطبيب واستعمال العقاقير الطبية ، حتى لا يقودنا الجهل والوهم إلى طرق أبواب الموتى لالتماس الشفاء من أعتابهم وهم عاجزون غافلون .

وقد روى البخارى أن النبى « صلى الله عليه وسلم » قال فى التداوى (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء) على أننا نقول : إن مهمة إرشاد السذج من الناس إنما تقع على عاتق اجهزة وزارة الثقافة والإرشاد القومى بوضعها لأجهزة الوزارة المختصة

فى توجيه و إرشاد المواطنين إلى كل نافع ومفيد . بما لديها من وسائل الإرشاد مثل الإذاعة والتليفزيون والسينما . . كما تقع على عاتق إدارات الوعظ والإرشاد بالأوقاف والأزهر . فلعل هذه الجهات تقدر مسئولياتها أمام الله ثم أمام الوطن .

* * *

أين ذهب محصول القطن هذا العام

سجلت عدسة الأهرام عدة صور عن الاحتفال بالليلة الكبيرة لمولد السيد البدوى . وقالت فى تعليقها « كانت صور الليلة الكبيرة فى مولد السيد البدوى ترسم ملامح الرخاء الذى عرفه الفلاح المصرى هذا العام حيث سجل محصول القطن ارقاما قياسية » ثم قالت « وكادت طنطا تختنق . . إنها لم تشهد مثل هذه الجموع من قبل . . العام فقد كان عدد من استقبلتهم طنطا : فى الموالد ٤٠ ألف نسخة . لقد تضاعف الرقم مرة ونصف مرة . . الخ » .

« الأهرام يوم ١٩ / ١٠ / ١٩٦٢ »

• • أين ذهب محصول القطن هذا العام ؟ . اين ذهب مانسميه « بالذهب الأبيض »؟! لقد ذهب المحصول إلى الفساد والمنكر . مائة ألف مخلوق يحمل كل منهم إنتاج أرضه السنوى ، وكله عرق وكفاح وجهد ويقطع مئات الأميال ليقف خاشعا أمام ضريح البدوى ذلك الصنم العاجز الأصم : ويقذف بما أعطاه الله من النعم فى صندوق النذور وكأنه جاء ليقدم للطاغوت الشكر على ما منحه من الخير . بينما لودعيت هذه الألوف للخروج إلى غزوة فى سبيل الله لتقاعسوا . . بل لودعوا إلى بذل بعض القروش لوجه آخر ابتغاء مرضاة الله لأمسكوا أيديهم وآثروا أولياءهم على الله تعالى .

ولقد كان المشركون الأولون يجعلون نصيبا مما رزقهم الله من الثمار والأنعام لآلهتهم ويحملونها إلى الموالد والاعياد الشركية .. واليوم نجد المنتسبين إلى الإسلام يصنعون ما كانت تصنعه الجاهلية الأولى فما أشبه الليلة بالبارحة ؟ !

من فساد الأضرحة

قبضت المباحث على محتالين كانا يتخذان من ضريح وهمى وكراً لتخبئة المخدرات . ويقيمان فيه حلقات الذكر . ويدعون الناس لزيارة الضريح والتبرك بساكنه للتمويه عليهم حتى لا يكشف أحد حقيقة الضريح .

« الجمهورية يوم٢٢/١٠/١٩٦٢ »

. . هذا دليل جديد دامغ يضاف إلى الأدلة السابقة التى أثبتت كذب الأضرحة الوهمية المقامة بواسطة الدجاجلة ليتستروا بها فى ممارسة أعمال الدجل والفساد .

وعندنا مئات الأضرحة الوهمية المنبثة فى الحارات والأزقة يتخذها أرباب السوابق والعاطلون أوكاراً لهم . لا بد من إزالة هذه الأضرحة التى شوهت جمال الإسلام ، خدمة لدعوة التوحيد .

إننا نأمل فى جرأة الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف . . هذا الرجل الذى عرف بغزارة العلم وعمق الفهم لأصول الدين ، ونصرته لمبادىء الإسلام . . نأمل فى جرأة الدكتور البهى أن يهتم بأمر الأضرحة التى أنشئت لتكون ثلمة فى عقيدة التوحيد فيأمر بهدمها ليطهر بذلك سمعة الإسلام من أرجاس الشرك ودنس الباطل .

* * *

دنيـــا التسول

قبضت الشرطة على متسولة . وعند تفتيشها تبين أنها كانت تخفى فى حزام كان بوسطها نقوداً ومصوغات قدرت بمبلغ ١٢٦٧ جنيها . . كما قبض على متسولة أخرى بالأسكندرية كانت تخفى فى جيبها مبلغ ٥٠٠ جنيهاً .

« صحف يوم١ نوفمبرسنة١٩٦٢ »

ليست هذه هى المرة الأولى التى نسمع فيها عن متسولين يقتنون مثل هذه المبالغ الكبيرة ، بل سبق أن سمعنا عن غيرهم وكانوا يقتنون أموالا كثيرة . وبجانب هذا يملكون عمارات أيضاً .

ونحن لا نلوم هؤلاء المتسولين لأنهم لجأوا إلى هذه الطريقة الذليلة للتعيش ، واقتناء الأموال . فإن مهنة الشحاذة لن تكلف صاحبها شيئاً من الجهد سوى مد اليد والإلحاح ، فما أسهلها وأ كسبها مهنة ! ! ولكننا نعود باللوم على أصحاب النفوس العاطفية الذين يمدون المتسولين بالنقود عند السؤال . فلو أن هؤلاء العاطفيين انتهوا عن العطاء لما وجد المتسولون سبيلا إلى الكسب الحرام . ولما عطلوا جوارحهم عن العمل والإنتاج . ولاتجهوا إلى التعيش عن طريق مهنة شريفة .

لقد حث الإسلام أهله على الكسب من عمل اليد ونفرهم من الشحاذة والتذلل حتى يعيش المسلم عزيزاً كريماً . وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »[1] .

ويقول أيضاً : « إن أطيب ما أكلتم من كسبكم »[2] .

ولعل هاتين الحادثتين تقنعان الناس بعدم إمداد المتسولين بالنقود حتى لا يشجعونهم على التعيش عن طريق الشحاذة .

* * *

المرأة . . ومنصب القضاء

فى باب رسائل المساء بجريدة (المساء) سأل قارىء السيد محرر الباب عن موقف الإسلام فى موضوع تعيين السيدات فى وظائف القضاء[3] وأجاب المحرر بأن الإسلام أباح للمرأة تولى الوظائف العامة ودلل على ذلك بما يأتى :

---

(١) رواه البخارى عن الزبير بن العوام (٢) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه والبخارى فى تاريخه عن عائشة .

(٢) كان هذا السؤال بمناسبة ما نشر فى الصحف عن اعداد مشروع يسمح بتعيين السيدات فى وظائف القضاء .

اشتراك المرأة فى غزوة خيبر. وإن فى هذا مساواة المرأة بالرجل فى القتال .

إباحة مذهب أبى حنيفة بجواز قضاء المرأة فى كل شىء عدا الحدود والقصاص .

قول الله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)[1] .

« المساء يوم ١١ نوفمبر سنة ١٩٦٢ »

• ليس فى شىء مما ذكره السيد المحرر ما يمكن أن ينهض دليلا على جواز تولية المرأة للوظائف العامة ، فإن اشتراك المرأة فى غزوة خيبر — أو فى أية غزوة أخرى — كان مقصوراً على أعمال التمريض والسقاية وخدمة المحاربين . وليس فى هذا ما يدل على مساواة للمرأة بالرجل فى أن تتولى القضاء أو الرياسة .

أما إباحة مذهب الإمام أبى حنيفة لجواز قضاء المرأة فإنها وإن لم تكن إباحة مطلقة فإنها لا تستند إلى أى دليل شرعى من الكتاب أو السنة ، بل إلى مجرد الرأى شأن هذا المذهب فى جميع أحكامه .

أما الآية الكريمة التى ورد فيها لفظ الولاية فهى لا تدل على ماذهب إليه السيد المحرر من تولى المرأة للشئون العامة للمسلمين والمسلمات ، بل الولاية فى هذه الآية هى كما جاءت فى كتب التفسير (ولاية النصر والأخوة والود والمناصحة) وولاية المرأة هى من هذا القبيل ، كاشتراكها فى عمل الخير من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وخدمة الرجل فى الحرب على نحو ماأسلفنا ، وغير ذلك مما تتحمله طبيعة أنوثة المرأة .

وإن مبادىء الإسلام الواضحة لا تبيح للمرأة أن تزج بنفسها فى معترك الوظائف العامة . أو أى عمل يخالف وظيفتها ويصطدم مع حالاتها الطارئة التى تتعرض لها شهر من حيض وحمل ونفاس ، وما يصاحب هذا من آلام ومتاعب .

---

(١) الآية ١٧١ : التوبة

وأخيراً نتساءل : أى نفع تجنيه المرأة من الاشتغال بالوظائف العامة ، أو القضاء سوى تعطيلها من وظيفتها الأساسية التى خلقت لها وهى تربية النشأ ورعاية شئون البيت ؟ .

* * *

محاولات لتنظيم احتفال بالموالد

« صلاح دسوقى محافظ القاهرة يبحث مع لجنة تطوير الاحتفالات الشعبية والموالد التى كونها . الاسس التى ستقام عليها الاحتفالات » .

« الأهرام يوم/١٢/١٩٦٢ »

•• كم من مرة قرأنا عن المحاولات التى يبذلها المسئولون لتنظيم الاحتفالات بالموالد . ولكن باءت كل هذه المحاولات بالفشل .

ونحن نعتقد أن الحل الوحيد لهذا الموضوع أن يريح المسئولون أنفسهم من عناء هذه المحاولات المضيعة للوقت والجهد ، وذلك بالعمل على إبطال الاحتفال بهذه الموالد بصورة تدريجية ما دام قد ثبت أنها تتخذ أوكاراً للفساد والمنكرات والأباطيل . لأن محاولات تغيير صور الاحتفالات غير مجدية . علاوة على أنها بدع منكرة ومخالفة صريحة لسنة الإسلام الصحيحة ؟

سعد صادق محمد

« لاتحاسدوا ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً . المسلم أخو المسلم ، لايظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ها هنا (ويشير إلى صدره ثلاث مرات) . بِحَسْبِ امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » .

(حديث شريف)

١٦ - نظرات فى التصوف

« تابع المقامات والأحوال »

المحو : جاء فى الرسالة للقشيرى : « المحو رفع أوصاف العادة . . وينقسم إلى محو الذلة عن الظواهر ، ومحو الغفلة عن الضمائر ، ومحو العلة عن السرائر . ففى محو الذلة إثبات المعاملات . وفى محو الغفلة إثبات المنازلات ، وفى محو العلة إثبات المواصلات » المحو الأول يحقق لك وصف العبودية ، والمحو الثانى يثبت لك التجاوب الروحى والشهودى بينك و بين الحقيقة الإلهية. والمحو الثالث يثبت أنك من الواصلين الذين امحت صفاتهم ، لتحل محلها صفات الله !!

وجاء فى الرسالة أيضا « ومن محاه الحق سبحانه عن مشاهدة أثبته بحق حقه ، ومن محاه الحق عن إثباته به رده إلى شهود الأغيار ، وأثبته فى أودية التفرقة » ثم يقول القشيرى : « قال رجل للشبلى : مالى أراك قلقا ؟ أليس هو معك ؛ وانت معه ؟ فقال الشبلى : لو كنت أنا معه ، كنت أنا ، ولكنى محو فيما هو » .

فالمحو الأول عند القشيرى يمحو عن السالك صفات الخلق ، ويثبت له صفات الحق . أما المحو الآخر فهو عود بالسالك إلى بشريته ، وإلى شهود خلق وحق ، أو إلى الإيمان بوجودرب وعبد .

وذلك هو معنى قولهم : « الإثبات فى أودية التفرقة » .

والمحو الأول واحة الظل فى صحراء السالك ، وفجر ليله المظلم الحيران ! !

وفى كلام الشبلى توضيح لعقيدة الصوفية فى المحو . تأمل قوله : « لو كنت معه ، لكنت أنا » إن الألم يرمضه ، والقلق يضنيه ؛ لأن صفات البشرية لا تزال تشده إليها بأسبابها ، فتشعره بأن هنالك وجودين وجودا حادثا هو وجود الخلق ، ووجودا قديما هو وجود الله ! وتؤكد له أن ثمت مغايرة بين الوجودين وإنه ليتمنى تلك الحال التى تجعله يحيا ، وهو مؤمن بوحدة الوجود ، وهو مستغرق فى وجوده الذى يراه عين وجود

الحقيقة الإلهية . يتمنى تلك الحال ، أو ذلك المقام ؛ ليتحقق صدقه ، وهو يقول : أنا الله ، أو أن الله هو الشبلى ! ! ؛ ولهذا لفه الحزن فى صمته الموحش القلق الحيران : ولهذا أيضا يكد فى سبيل الوصول إلى مرتبة المحو التى تؤكد له أن الوجود الحادث عين الوجود القديم ، . أو أنه ما ثم إلا وجود واحد . هو وجوده .

علاقة الصحو بالمحو : يقول الكاشانى : « الصحو نتيجة المحو ، والمحو مقدمة رفع المغايرة[1] ، ورفع المغايرة سبب قبول تجلى الذات . . ولا ينتج تجليها السكر ؛ لأنها لا تصادق غيرها ، وهذا هو نهاية الاتحاد . كما أن بدايته تجلى الذات لغيرها[2] » .

فالصحو الثانى إذن أرفع وأسمى من المحو ؛ لأن المحو بداية ، والصحو غاية ؛ ففى المحو تتجلى الذات لغيرها . أما الصحو ففيه تتجلى الذات لنفسها ، لأنها فى هذه الحال تتجلى وهى عين كل شىء ، ويتجلى كل شىء فى هذه الحال وهو عين الحقيقة الإلهية ؛ لهذا قالوا : إنها فى هذا التجلى لا تصادق غيرها ؛ فما ثم غير حتى يقال عنها : إنها تجلت له . والصحو اتحاد تام ، أما المحو ، فبداية من بدايات الاتحاد .

بين السكر والصحو : يقول شاعرهم :

هل العيش إلا أن تروح ، وتغتدى   وأنت بكأس العشق فى الناس نشوان

ويقول . ابن الفارض :

فعندى لسكرى فاقة لإفاقة   لها كبدى — لولاى الهوى — لم تفتت
إخال حضيضى الصحو والسكر معرجى   إليها ، ومحوى منتهى قاب سدرتى
ومن فاقنى سكراً غنيت إفاقة   لدى فرق الثانى ، فجمعى كوحدتى
فأعجب من سكرى بغير مدامة   وأطرب فى سرى ، ومنى طربتى

---

(١) يعنى المغايرة بين الرب والعبد فى الذات والصفات .
(٢) ص ١٦٢ ج ١ كشف الوجوه الغر لعبد الرازق الكاشانى .

تساوى النشاوى والصحاة لنعتهم   برسم حضور ، أو بوسم حظيرة
فلا أين بعد العين ، والسكر منه قد   أفقت وعين الغين بالصحو أصحت

يزعم ابن الفارض فى البيت الأول أنه سكران وفى حاجة إلى الصحو من سكره ، ودون السكر يحرمه من مطالعة الأسماء والصفات ومشاهدة الذات فى تعيناتها . أما الصحو صحو الجمع فشهود أو هو وحدة .

وفى البيت الثانى يصف ما عراه من حيرة وهو فى بداية الطريق ، فقد كان يظن أن الصحو هبوط إلى القرار ، والسكر معراج إلى سماء الوحدة « والحال أن المحو الكلى عن البقايا الوجودية التى هى مناط الصحو والسكر ومدار الغيبة والحضور منتهى قدر تردده وغاية سيره إلى مطلوبه » وهذا نص قول الكاشانى فى شرح الديوان .

وفى البيت الثالث يزعم أنه إن كان هناك من يفوقه فى حال السكر ، فإنه يفوقهم جميعاً فى حال الصحو الذى تسامى به إلى مرتبة الفرق الثانى ، وهى أسمى مراتب الاتحاد بالذات الإلهية ؛ إذ ليس بعدها انفصال ، ولا تفرق ، ولا شعور بالمغايرة . وفى البيت الرابع يبدى دهشته لسكره من غير خمر ، ويطرب لهذا ، ثم يستدرك بقوله : « و منى طربتى » يريد أن طربه نابع من أعماق نفسه وهو صاحبه ومصدره وسببه ، لأن السكر إنما اعتراه من مشاهدة جماله الذى تجلى ، فرآه عين جمال الحقيقة الإلهية . وفى البيت الخامس يزعم أن أصحاب السكر وأصحاب الصحو . قد تساووا فى شىء ، هو أن لهم جميعًا حضورا مع الذات الإلهية ، غير أن السكارى يحضرون الذات المجردة عن الصفات والأفعال فهو حضور ناقص . أما أصحاب الصحو فلهم الحضور التام الكامل ، لأنهم يرون اتحادهم التام بالذات ، ويرون الذات بصفاتها وأسمائها وأفعالها متعينة فى مظاهر الكون والوجود .

وفى البيت الأخير يشير بالأين إلى الجهة ، وبالعين إلى الذات الإلهية ، وبالغين إلى الحجاب الذى يستر العين عن الشهود الكامل التام . يشير إلى أن السكر فيه احتجاب

الذات الإلٰهية بستر الغيرية . وإلى أنه قد أفاق من السكر ، فشاهد عين الذات ، شاهد الوحدة التامة بينه وبين معشوقه ، وهو لهذا لا يطلب الرؤية كما طلبها موسى ؛ لأن طلب الرؤية إقرار بالغيرية ، وإقرار بأن جهة المرئى غير جهة الرائى . أما هو فقد بلغ مقام الصحو الكامل . مقام الاتحاد التام بالذات فإن نظر إلى نفسه ، فقد نظر إلى الذات حقيقة وصفة واسماً وفعلاً ووجوداً ! !

فالسكر إذن أقل درجة من الصحو . السكر حيرة والصحو يقين ، السكر تفرقة ، والصحو جمع .

يقول الكاشانى : السكر دهش يلحق سر المحب فى مشاهدة جمال المحبوب فجأة أو هو استتار العقل بغاشية نورانية[١] .

ويقول الهروى فى منازل السائرين : « السكر اسم يشار به إلى سقوط التمالك فى الطرب ، وهذا من مقامات المحبين خاصة ، فإن عيون الفناء لا تقبله ، ومنازل العلم لا تبلغه » فصاحب السكر لا يملك الصبر الذى يدافع به قوة الطرب ، وصاحب السكر بين وجود وعدم ، وجود لذة وعدم تمييز ، وصاحب السكر شاعر بطربه شاعر ببقية وجوده ، ولهذا قال : « وعيون الفناء لا تقبله » ؛ لأن الفناء التام عدم ووجود . عدم ما سوى المشهود . ووجود المشهود ، فليس فيه شعور من الفانى بوجوده ، ولا بأنه فان عن وجوده .

ثم إن السكر دهش يغمر صاحبه ، فلا يستطيع لحاله وصفاً ، ولا يستطيع غيره كذلك لهذا قال : « ومنازل العلم لا تبلغه » ثم قال الهروى : « وللسكر ثلاث علامات : الضيق عن الاشتغال بالخبر ، والتعظيم قائم ، واقتحام لجة الشوق والتمكن دائم ، والغرق فى بحر السرور والصبر هائم ، وما سوى هذا لحيرة تنحل اسم السكر جهلا أو هيمانا يسمى باسمه جوازاً » إن وهج العشق فى قلب السكران ، وشدة شوقه إلى المعشوق يحولان بينه وبين

---

(١) ص ٣٤ ج ١ ، ص ٥١ ج ٢ كشف الوجوه الغر .

الاشتغال بالتكاليف الشرعية ، و بين الاصغاء إلى نقد الناس له ؛ لأنه فى حال تسيطر على عقله وقلبه وجوارحه . إنه ذهول مستغرق فى وحشة الصمت ، وانزلاق إلى هوة العدم من القلق وشوق مستعر ، وصبر مفقود ! !

ألا تحس أن وراء ذلك الكلام نفسا عربدت فيها الخمر ، وسيطرت على عقلها نشوات الكأس ، وأخلف معها الشيطان موعد الخطيئة ؟ ! .

ألا تحس أن وراءه عاشقاً أتلف العشق عقله ودنياه ، فصور معشوقته النافرة فى صورة رب معبود ومضى يهذى به الحرمان ، ويعوى فيه الجوع والظمأ جوع الجسد ، وظمأ الشهوة المحمومة ؟ ! .

إن نفحة واحدة من الإيمان تشعرك بأن هذا الرجل لايتكلم عن الله ، و إنما عن غانية توهجت لياليه بها مع الكأس والعزف ، ثم فرت منه إلى حيث لا يدرى ، فهو موجع ملهوف هيمان حيران يتشهى خمرة هذا الجسد النافر مرة أخرى ، وعلى نابيه جوع ، وعلى شفتيه ظمأ ، وفى جسده غليل متوقد ! !

إن محمداً صلى الله عليه وسلم هو أعظم الناس لله حباً وأصدقهم فى هذا الحب . وما أثر عنه عليه الصلاة والسلام شىء من هذا الخرف السكران والوله الحيران ، والإثم الغارق فى دن الخطايا ، ما أثر عنه إلا السمو الأعظم والكمال الأسمى والطهر الأقدس والعبودية الخاشعة فى مناجاة ربه : « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت . خلقتنى ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » البخارى والترمذى والنسائى .

تأمل طهر إيمان النبوة وسمو الحب فيما تدعو به وتخشع ، ثم انظر ما يقول دعاة السكر ، وصرعى الخمر !! .

« لها بقايا »

عبد الرحمن الوكيل

قضية المرأة ! !

إن تعجب يا أخى المسلم المؤمن فاعجب من هذه القضية التى يسمونها قضية المرأة ، والتى يصورون فيها المرأة فى صورة المظلوم المأخوذ منه حقه ومقومات حياته .

وإن العجب ليشتدبك حين تنظر فى المسألة نظر الرشد والحكمة فيتبين لك أن هؤلاء الذين يطالبون بحق المرأة بزعمهم ، هم أعداؤها الذين يبغون لها الغوائل وينصبون لها الحبائل . ولقد ظل هؤلاء ينشرون فى المجتمع المصرى ضلالتهم من نصف قرن تقريبا ولا يزال لهم خلف ، فبئس السلف والخلف . حتى استطاعوا أن يغروا المرأة عن نفسها وأن يخدعوها عن حقيقة دعوتهم . وساعدهم فى دعوتهم ونجاحها الاحتلال العسكرى والثقافى ، وجهل المسلمين بدينهم وبعواقب الأمور ، وعدم تميزهم بين سبيل الرشد وسبيل الغى ، وبعدهم عن كتاب ربهم وهدى نبيهم صلى الله عليه وسلم . لا زال هؤلاء الذين قسموا الأمة على نفسها ، وكأن اسم زعيمهم مشتق من القَسْم والتفريق ، يعملون عملهم حتى وصل الحال بالمرأة إلى ما نرى فى أيامنا هذه . امرأة مسترجلة تحاول أن تكون رجلا ويحاول لها ذلك غيرها من هؤلاء الأعداء ، ويتكلفون لذلك تكلفا شديدا . ويضعونها على خشبة المسرح لتمثل دور الرجل . وتمشى فى الطريق . فلا تلبث أن تحضرها طبيعتها وأنوثتها وما فطرها الله عليه من الضعف . فتقف عن التمثيل فيهرع إليها أعداؤها يلقون فى سمعها كلمات الحماسة والتنشيط . وتظل المسكينة مرهقة متعبة تغالب نفسها وتغالب فطرتها ، فتارة تغلب وتارة تُغلب . وهى فى كل أحوالها تشعر أنها تمثل دوراً غير دورها ، وتؤدى وظيفة غير وظيفتها .

تبا لكم يا أعداء المرأة الذين يلبسونها ثوبا غير ثوبها . ماذا تريدون من السوء لهذا المجتمع ؟ وماذا تبغون بكيدكم ومكركم له ؟ لا شك أنكم قد وصلتم فى سبيل غايتكم إلى ما يقاربها . فأصبحت المرأة عدوة لزوجها تنازعه سلطانه . فمن الرجال من عصمه الله بالهدى فاستمسك وحافظ على سلطانه . ومن الرجال من استسلم وسلم سلطانه حين فقد

العصمة . وهؤلاء هم الأكثرون فأصبحت أمور المجتمع فى يد النساء ، ولم يعد الرجال سوى أقنعة تخفى وراءها الفاعل الحقيقى . ولا نبالغ إذا قلنا إنه ما من عمارة تنشأ إلا وعلى ذوق المرأة وهواها ، وما من ثياب تخرج إلى السوق إلا وعلى هوى المرأة وذوقها . وما من طعام يهيأ إلا وعلى ذوق المرأة ، بل إن المرأة لتختفى وراء أجل الأعمال وأبعدها عن مظنة أن يكون لها يد فيها .

كل ذلك قد كان . فهل سارت أعمالنا وأحوالنا سيراً حسنا كريما ، لا ، بل ما من عمل مما يقع تحت سمعنا و بصرنا ألا وفيه نقص وعوج . وسبب ذلك أن المرأة لها فيه يد ، إما بطريق مباشر أو غير مباشر . والواقع الذى يؤمن به وحده الماديون يشهد بذلك .

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فيما روى البخارى رحمه الله فى كتاب المغازى عن أبى بكرة رضى الله عنه وكان يهم أن يلحق بأصحاب الجمل الذى كانت فوقه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها . يقول : ذكرت قول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سمع أن الفرس ولوا عليهم ابنة ملكهم ، فقال « لا يفلح قوم ولوا أمرهم أمرأة » .

نقول : هذه عائشة أم المؤمنين ، رضى الله عنها ، تخرج لأمر ترى فى نفسها أن فيه الخير للمسلمين ، فيريد الصحابى الجليل أبو بكرة أن يقوم معها نصرة لها فى ذلك الأمر ، فيتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا يفلح قوم ولو أمرهم أمرأة » فيزورُّ عن مناصرتها ، و يرى أن لا خير فى خروجها لذلك الأمر تصديقاً لقول الرسول الآنف الذكر ، فيرتد راجعاً .

ومع هذا فإننا نرى اليوم وقد أصبحت رواتب الرجال فى يد النساء تتصرف فيها كيفما تشاء ، وكان نتيجة ذلك أن أنفقتها فى الأهواء والشهوات . ولعل موظفاً كبيراً أو صغيراً تنفق زوجته على هواها وشهوتها وكمالياتها ما يكفى أن يصل به زوجها ذوى رحمه جميعاً ولذا فهو لا يملك شيئا . وقد أصبح مجردا من السلطان والمال وأصبح هو رعية لزوجته .

ما أظن إلا أن أعداء المرأة الذين وضعوها لتمثل فى الحياة دورا غير دورها ، وتزاحم صاحب الدور الحقيقى حتى تطرده من مكانه ، ما أظنهم إلا أن عيونهم قريرة الآن

وصدورهم منشرحة . لأنهم استطاعوا أن يقلبوا الأوضاع ويعكسوا الأمور . فالولد الآن لا يعرف إلا أن أمه هى التى تكسوه وتطعمه وتسقيه وهى التى تدخله المدرسة . ولا يتوهمن متوهم أن ذلك فى الطبقة العالية من الناس فحسب ، بل إنه شمل كل الطبقات . وهذا من انعكاس الطبيعة فينا .

وما أحسب إلا أن هؤلاء الذين قاموا بالدعوة إلى تحرير المرأة كما زعموا ، إلا أنهم فى أول أمرهم وجدوا المجتمع بلانساء فى الطرقات واشتاقت نفوسهم الخبيثة أن ترى ذوات الخدور ، وأن يروا العذارى والأبكار ، فنفثوا هذه الدعوة كما تنفث الأفعى سمها . فخرجت واحدة فى إثر أخرى حتى ضاق بهن الوادى وأصبحن ملء الأرض ، واستمتع بهن هؤلاء الذئاب وأكلوا من عرضهن وشرفهن حتى شبعوا وولغوا فى دمائهن حتى ارتووا .

فيا أيها المسلم المؤمن إعلم أن هؤلاء يريدون أن يأخذوا منك زوجتك وابنتك وأختك ليأكلوا لحمها ويتركوا لك عارها وشنارها . واعلمى أيتها المرأة المسلمة المؤمنة ذلك . ولاتكونى مع هؤلاء فإنهم أعداؤك الحقيقيون ، وكونى مع أتباع النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يشفق عليك كما تشفقين على القارورة أن تنكسر . يريد هؤلاء الكذبة الفجرة أن يلقوا بك تحت الأقدام مهينة حقيرة بعد أن يسلبونك أثمن شىء عندك وهو حياؤك : ولا خير فى امرأة فقدت حياءها :

عبد الحافظ فرغلى

« رأى نقاد الصحف فى كتاب البهائية »

نشرت صحيفة « المساء » فى عددها الأسبوعى رقم ٢٢٠٤ الذى صدر بتاريخ ١٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ ، ١١ من نوفمبر سنة ١٩٦٢ بقلم الأستاذ الناقد « فاروق منيب » ما يأتى :

البهائيـــة

للأستاذ عبدالرحمن الوكيل

لعل من أسباب تفرق كلمة المسلمين منذ القديم هو ظهور الفرق والمذاهب الإسلامية المختلفة ، ولكن مهما تناقضت هذه الفرق فيما بينها ، فإنها فى النهاية تصب فى مجرى الإسلام العام ، تؤمن بأركانه الأساسية ، وقيمه ومثله الروحية التى جاء بها القرآن الكريم والحديث الشريف .

ولكن المذهب الذى تعدى هذه الأصول والقواعد الإسلامية جميعها هو مذهب البهائيـة .

والكتاب الذى ألفه الأستاذ عبدالرحمن الوكيل يبين اتجاهات ذلك المذهب وتياراته ، مدللا على رأيه بالتطبيقات العملية ، والآراء والحجج المنطقية التى استقاها من تاريخ البهائية والظروف التاريخية التى نشأت فى خلالها دعوتهم .

إن أهم خطر ينبع من الدعوة البهائية هو ارتباطها التاريخى بالاستعمار . فلقد روج الاستعمار لهذا المذهب واحتضنه منذ البداية . ومنذ عام ١٨٩٣م ظهرت البهائية فى أمريكا التى افتتحت لها المراكز العديدة ، وحشدت لها كل الإمكانيات اللازمة لبث دعوتها المزيفة . وأيضا انتشرت هذه المراكز العديدة وحشدت فى روسيا القيصرية وانجلترا ، ووجدت بهما أنصارا لها يروجون دعاياتها الفارغة الطنانة . واستعملت البهائية فى نشر دعوتها أساليب التضليل والمظاهر الكاذبة حتى غلفت أهدافها الحقيقية وراء هذه المظاهر الخادعة .

والدعوة البهائية لم تقتصر على الاتصال بالاستعمار ، و إنما كان لها شأن أيضاً فى سرقة أفكار الآخرين ، وتشويش عقائدهم . فعلى حين يقول سفر متى : « لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن ، فحول له الآخر أيضا » ، وورد أيضاً « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنو إلى مبغضيكم وصلوا لأجل من يسيئون إليكم و يطردونكم » ، فى حين يقول سفر متى هذا ، يقول البهاء : « البهائى يحب جميع العالم كأنهم إخوته ، فإذا ضر به أحد ، فلا يعامله بالمثل ولا يتكلم عنه بسوء » . إن البهائية تنافق وتكذب وتدعى فى سبيل أن تكسب أنصاراً ومؤيدين بأى ثمن ، حتى ولو كان ذلك التأييد على حساب عقائد الإسلام الأساسية ومثله وقيمه الرئيسية .

وفى لندن تتركز البهائية . إن عبد البهاء يقول « إن لندن ستكون مركزاً لنشر الأمر » يقصد البهائية طبعاً .

و يناقش الأستاذ عبدالرحمن الوكيل فى كتابه فلسفة البهائيين ، ويكشف عن تضليلهم لعقول مريديهم الذين يستهويهم البريق الزائف لكلامهم المعسول .

إن البهائية تدعى أن الميرزا « حسين النورى » هو ذلك الجسد الذى تجسدت فيه الحقيقة الإلٰهية بكمالها الأعظم . أما موسى وعيسى ومحمد ، وكل الرسل فلم تكن لهم من مهمة سوى التبشير بظهور الله فى جسد البهاء . و إعداد القلوب . وتهيئتها لقبول تجلى الله الأتم الأكمل الأبهى فى الميرزا « النورى » .

« فاروق منيب »

«الهدى النبوى» ونحن نشكر الأستاذ الناقد على هذه الكلمة القيمة التى تظهر لنا مدى احترامه العميق لقلمه حيث كتب ما كتب عن قراءة متدبرة واعية ثم هو لم يلجأ لثناء أو ضفر أكاليل الغار على صاحب الكتاب ، و إنما قام — فى عدالة و إيجاز دقيق — بعرض موضوع الكتاب . فشكراً جزيلا للناقد الكبير على هذه الروح الرفيعة النبيلة غير أننا نؤمن أنه ما أضر بالمسلمين شىء كهذا التفرق فى الدين ، وهذه العصبية المقوتة للآراء المضللة

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم

غزوة بنى قريظة[1]

بعد الأحزاب : عادت جيوش الأحزاب الذين اتحدوا على رسول الله « صلوات الله وسلامه عليه » بعد أن عكس الله عليهم أمرهم ، وخيب ظنهم ، وأصابتهم الهزيمة المدمرة ومزقت كيانهم شر ممزق .

وكذلك عاد الرسول « عليه الصلاة والسلام » بالمسلمين إلى المدينة بعد أن جاءه نصر الله وأدركه تأييده فى تلك الغزوة .

وما أن وصل المسلمون إلى المدينة حتى شرعوا فى إلقاء السلاح لينفضوا عن كواهلهم غبار المعركة . إلا أنه كان على المسلمين ألا ينسوا أن هناك معركة يتحتم عليهم ألا يلقوا السلاح حتى يخرجوا إليها ليثيروها على أعدائهم . فإن بنى قريظة خانوا عهد الخير والسلام والمعروف الذى ربطهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غدروا بإغراء من عدو الله حُيَيّ بن أخطب لهم . وجعلهم يخرجون على ميثاق الرسول معهم وينحازون إلى جانب المشركين ليضربوا المسلمين ضربة واحدة .

لذلك كان على المسلمين أن يخرجوا إلى بنى قريظة ليتولوا تأديبهم ويجبرونهم على أن يدفعوا ثمن الغدر والخيانة باهظا . وليكونوا عبرة لغيرهم ممن تسول لهم أنفسهم أن يكفروا بنعم الله عليهم . وأن يؤثروا الباطل على الحق . والعداوة على المسالمة والأمان .

الأمر بالخروج إلى بنى قريظة : وما أن حان وقت الظهر حتى جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم حاملا معه الأمر بالمسير فوراً إلى بنى قريظة لمقاتلتهم معتجراً

---

(١) هذه الغزوة تابعة لغزوة الأحزاب . غير أنها سميت هكذا لأنها كانت بين المسلمين وبين بنى قريظة وهم قبيل من اليهود .

بعمامة من إستبرق ممتطياً بغلة عليها رحاله ، وعليها قطيفة من ديباج . . ونزل جبريل على رسول الله « صلوات الله وسلامه عليه وكان يغتسل فى بيت أم سلمة ، فقال له جبريل : أو قد وضعت السلاح يارسول الله ؟ . قال « نعم » . قال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم . إن الله عز وجل يأمرك يامحمد بالمسير إلى بنى قريظة . فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم .

ولم يكد رسول الله « عليه الصلاة والسلام » يتلقى الأمر بالمسير إلى بنى قريظة حتى أمر مؤذنا يؤذن فى الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة .

واستعد المسلمون للنفير إلى بنى قريظة . واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم . وأمر على بن أبى طالب أن يتقدمه بالمسلمين إلى حصون بنى قريظة وأعطاه الراية .

وسار على بن أبى طالب إلى القوم ووراءه رسول الله . ولمادنا على من حصون بنى قريظة سمع مقالة قبيحة تمس ذات رسول الله « عليه الصلاة والسلام » فآذته المقالة غيرة على رسول الله ، فعدل عن السير ، ورجع إليه فألفاه فى الطريق وقال له : يارسول الله : لا عليك ألا تدنو من الأخابث . فقال له النبى « لم ؟ . أظنك سمعت منهم لى أذى» قال : نعم يارسول الله . قال له الرسول « لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئاً » .

فلما دنا رسول الله من حصون بنى قريظة قال لهم « يا إخوان القردة : هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ » قالوا . يا أبا القاسم . ما كنت جهولا .

ونزل رسول الله والمسلمون عند بئر من آبار بنى قريظة يقال له « بئر أنا » .

وتابع المسلمون الوصول إلى منازل بنى قريظة فوصل نفر منهم بعد صلاة العشاء ، دون أن يؤدوا فريضة العصر ، امتثالا لقول النبى « صلى الله عليه وسلم » عندما أذن مؤذنه فى المدينة « لايصلين أحد العصر إلا ببنى قريظة » .

فلما وصلوا إلى منازل الأعداء أدوا صلاة العصر[١] بعد دخول العشاء . وأحاط الرسول « عليه الصلاة والسلام » بديار بنى قريظة وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، حتى طال عليهم الحصار وجهدهم وضاق عليهم الحال ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب .

إقرار المشركين بالحق : وأدرك بنو قريظة أن الرسول « صلى الله عليه وسلم » لن ينصرف عنهم حتى يناجزهم ، وأنهم واقعون فى قبضة المسلمين وهالكون لا محالة .

وفى غمرة الخوف واليأس والعسرة ، وقف كعب بن أسد القرظى زعيم بنى قريظة يعرض عليهم اقتراحا للخروج من الحصار المضروب عليهم . وقال : يامعشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ماترون . وإنى عارض عليكم خلالا[٢] ثلاثا فخذوا بأيها شئتم ، قالوا : وما هى ؟ . قال نتابع هذا الرجل ونصدقه . فوالله لقد تبين لكم إنه لنبى مرسل . وإنه للذى تجدونه فى كتابكم[٣] . فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم .

ولكنهم تمادوا فى العناد والطغيان وقالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً . ولا نستبدل به غيره . قال : فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد . فإن نهلك

---

(١) يقال أن بعضهم أدى صلاة العصر فى الطريق إيمانا واحتسابا . (راجع البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١١٧) والمعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم حذر أمته وشدد النكير على من تفوته صلاة العصر بغير عذر كالنوم والسهو فقال . « الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله » وفى رواية أخرى « من فاته صلاة العصر فقد حبط عمله » البخارى .

(٢) خلالا : طرقا .

(٣) روى عن ابن عباس « رضى الله عنهما » قال . كانت يهود بنى قريظة وبنى النضير وفدك وخيبر يجدون فى كتبهم صفة النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وأن دار هجرته المدينة .

نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه . وإن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء . قال هؤلاء المساكين : . فما خير العيش بعدهم . قال : فإن أبيتم على هذه ؛ فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا : أتفسد سبتنا علينا ، وتحدث فيه مالم يحدث من كان قبلنا ، إلا من قد علمت . فأصابه مالم يخف عليك من المسخ . قال كعب غاضباً أما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة من الدهر حازما .

ماذا فعل أبو لبابة ؟ . وحار كعب بن أسد فى أمر قومه . ثم استقر رأيهم على أن يفاوضوا الرسول « صلى الله عليه وسلم » فى الموقف . فبعثوا إليه نباش بن قيس أن ينزلوا على مانزلت عليه بنو النضير[1] من أن لهم ما حملت الإبل إلا الدروع والسلاح ليرحلوا إلى الشام بأولادهم ونسائهم ، ولكن الرسول « صلى الله عليه وسلم » أبى عليهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكمه . فعاد إليهم نباش بن قيس ليخبرهم برأى الرسول . فعادوا وبعثوا إليه ليرسل لهم أبا لبابة بن عبد المنذر ليستشيروه فى أمرهم . فأرسله رسول الله « عليه الصلاة والسلام » إليهم. وكان أبا لبابة من الأوس ـ حلفاء بنى قريظة ـ وكان أولاده وماله فى بنى قريظة . فلما رأوه قام إليه الرجال : وأجهشت النسوة والأطفال بالبكاء من شدة الحصار ومن مصيرهم الذى ينتظرهم . حتى تحركت فى أبى لبابة كوامن الرقة والعاطفة فقالوا له .

أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ . قال : نعم ـ وأشار بيده إلى حلقه ـ إنه الذبح .

وكان أبو لبابة يعرف أن مصير بنى قريظة سيكون الذبح إن هم نزلوا على حكم

---

(١) كان بنو النضير قد عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء الحصار الذى وقع عليهم أن يكف عن قتالهم فى مقابل أن يحملوا مالهم عدا السلاح والدروع . ووافق رسول الله على ذلك . راجع غزوة بنى النضير فى سلسلة هذه الغزوات بالهدى النبوى عدد جمادى الأولى عام ١٣٨١ العدد الخامس المجلد ٢٦

رسول الله . وبهذا أشار إلى بنى قريظة [١] وأدرك أبو لبابة أنه وقع فى خيانة بسبب إفشائه خبر مصير بنى قريظة وهو الذى أئتمنه رسول الله ليقدم المشورة للأعداء من غير أن يفشى إليهم أسرار المسلمين .

وهنا نرى خلقاً عظيما سامياً من أخلاق المسلمين يتجلى فى هذه الحادثة ، فإن أبا لبابة حين أخطأ شعر بخطيئته وانطلق على وجهه . ولم يأت رسول الله ، بل ربط نفسه إلى سارية بالمسجد وقال : لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت . وعاهد الله : ألا أطأ بنى قريظة أبداً . ولا أرى فى بلد خنت رسول الله فيه أبداً [٢] وقد نزل فى شأن أبى لبابة قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول[٣] وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) .

وهكذا نجد أبا لبابة يسرع فى الاستغفار ويبادر إلى التوبة . بل ويقسو على نفسه للتعبير عن التوبة الأكيدة .

واستبطأ رسول الله أبا لبابة . فلما علم بأمره قال « أما أنه لو جاءنى لاستغفرت له فأما إذ فعل مافعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » . فتاب الله عليه ونزلت الآية (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئاً [٤] عسى الله أن

---

(١) راجع تهذيب سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٠٤ التعليق رقم ٢

(٢) روى أن النبى (ص) سأل امرأة أبى لبابة عنه «أيصوم ويصلى ويغتسل من الجنابة؟» فقالت : إنه ليصوم ويصلى ويغتسل من الجنابة ويحب الله ورسوله . راجع تفسير المنار ج ٩ ص ٦٤٢ .

(٣) الآية ٢٧ : الأنفال . . ويقال إن هذه الآية نزلت فى شأن منافق أبلغ أبا سفيان بما يعتزم الرسول أن يفعله مع قريش . راجع تفسير هذه الآية بالمنار ج ٩ ص ٦٤١ .

(٤) الآية ١٠٢ : التوبة :

يتوب عليهم) فتولى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » إطلاقه بيده وهو خارج إلى صلاة الصبح[1] .

بنو قريظة يرضخون لحكم رسول الله : وأخيراً لم يجد بنو قريظة بدأً من النزول صاغرين على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادت الأوس أن يشفعوا فى بنى قريظة حلفائهم ـ عند رسول الله ، لينقذوهم من الهلاك . فتقدم جماعة منهم إلى رسول الله « عليه الصلاة والسلام » وقالوا : يارسول الله : إنهم موالينا دون الخزرج . وقد فعلت فى موالى إخواننا ـ أى بنو قينقاع ـ بالأمس ما قد علمت ـ وكان الرسول « صلوات الله عليه » قد قبل شفاعة عبد الله بن أبى بن سلول فى بنى قينقاع حلفاء الخزرج . فعدل عن فكرة قتلهم واكتفى بطردهم من المدينة[2] ـ قال لهم النبى « ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ » . قالوا : بلى . قال « فقولوا لهم فليختاروا من شاءوا » فاختاروا سعد بن معاذ (رضى الله عنه) ورضى رسول الله بذلك الاختيار وأذن له أن يحكم بينهم .

وإلى عدد قادم إن شاء الله تعالى لنكمل بقية هذه الغزوة .

سعد صادق محمد

عاقبة الظلم والشح

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم » رواه مسلم .

---

(١) أقام أبو لبابة ست ليال مرتبطاً بجذع المسجد ليعبر عن توبته وندمه . وكانت امرأته تأتيه فى كل وقت صلاة لتحله للصلاة ثم يعود ليرتبط بالجذع . راجع تهذيب سيرة ابن هشام ص ٣٠٥ ج ٢ .

(٢) راجع غزوة بنى قينقاع بمجلة الهدى النبوى عدد المحرم سنة ١٣٨٠ .

قطار الصعيد والخفير القنائى

تحيــة وتقدير :

على أثر الأنباء التى روتها الصحف عن الـكارثة التى كاد يقع فيها قطار الصعيد ،وكان به ألف راكب ، فى جهة « قنا » لولا أن تداركتهم رحمة الله ، وسبب لهم يقظة « الخفير » النابه الذى أحرق جلبابه لينبه السائق الذى فطن لذلك فأسرع بإيقاف القطار على بعد كيلو متر واحد من الجسر الذى طغت عليه المياه فقطعته وأحدثت به فجوة كبيرة كاد يقع فيها القطار ولـكن الله سلم .

جاء كالبرق ضيـاء وسنـا ينهب الأرض ويغشى الأعينا

تتلظى النـار فى أحشـــائه وهو ماض ثائر ماوهـــنا

وتراه مـــــتقراً أبدا بل ولم يعرف بأرض وطنـا

يملأ الدنيا صـــفيراً وصـدى كصدى الريح يصم الأذنا

مقبـــلاً كالطود إلا أنه ثائر فى نفســه ما سكنـا

فهو كالرقطاء فى مشيتـــه أينما ســـار تلوى وانثنى

يبعث النيران من مدخنة حمم البركان فيهـا كمنـا

ريع منـــه الجن والإنس وما راع هـــذا الطود شىء فى الدنا

مر قبـــــل الجسر فارتاع له وجثـــا الجسر جلالاً وانحنى

مر كالسهم وشــــاء الله أن تتفاداه المنايا والفنـــــا

* * *

يارعاك الله من قاطرة ورعى شهماً عليـك إءتمنا

ورعى الله « جمالا ناصرا » مارأى المحسن إلا أحســـنا

قدر المجهود أعلى قدره وحباه بالتحايا والمنى

* * *

أيها الحارس فى يقظته أحرق « الجلباب » ، صد المحنا

أنت لولاك لطاحت أنفس لم تجد بالجسر حتى الكفنا

وغدا الجسر « لألف » مدفنا كل مامر عليه دفنا

وسعت رحمة ربى خلقه فله الحمد دواماً والثنا

تأخذ الأعين منا سنة غير عين الله تأبى الوسنا

الجيزة نجاتى عبد الرحمن

ما هو التوسل ؟

التوسل أمر عظيم وازدلاف إلى الله العلى الكبير القائم على كل نفس بما كسبت ، وتوجه إلى من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء : فهو أمر يحبه الله ويرضى عن فاعليه ، ويبشرهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم - إن التوسل سبب النجاح فى الدنيا والفلاح فى الآخرة . فمن رغب فى السعادتين وأراد أن ينصره الله ويدافع عنه ويستجيب دعاه ويبسط له فى رزقه ويصرف عنه السوء ويهديه فى ظلمات البر والبحر ويقضى حاجاته ، فليبتغ الوسيلة إليه فإنها سبيل إلى كرم الله وفيض بره وصلة إلى ما عرفنا ومالم نعرف من خزائن آلائه وكنوز خيراته .

فويل لمن لم يتق الله ، مالم يبتغ الوسيلة إليه ، وويل لمن غفل عن ذكر الله واتبع هواه فكان أمره فرطا ، وطوبى للمتقين الذين يبتغون الوسيلة إلى ربهم الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، إن الذين يصدفون عن ابتغاء الوسيلة إلى الله عصاة آثمون ظالمون لأنفسهم لأن الله يدعوهم إليها - فمن لم يستجب حرم التوفيق ، وكان من الخاسرين . ألم تر إلى ربك كيف يقول :

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) الآية وللتوسل وجهان :

وجه حسن مليح بارع الجمال يشع نوراً وإشراقا . . يحفه الجلال ويحيط به الكمال ينظر الله إليه ويقبل بالرضا عليه .

ووجه آخر مشوه قبيح ممقوت بغيض مظلم حالك السواد عليه غبرة ترهقه قترة يخيف الناظر إليه :

والتوسل الأول هو الذى طلبه الله سبحانه وتعالى وحض عليه ودعا الناس إليه بقوله :

« ابتغوا إليه الوسيلة » ـ إن جهل الناس بالقرآن جر عليهم شراً مستطيراً و بلاءاً عظيما ، وورطهم في هلكات لا ينجون منها إلا إذا فهموا القرآن وتدبروا آياته وسلكوا سبيله السوى وطريقه المستقيم .

فالتوسل الحق الذى يرضى الله عنه ويدعو إليه ويثيب عليه ، هو التقرب إليه بصالح العمل ، وعمل الخير تطهيراً وتزكية للروح (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وقد صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل « ما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه » إذاً فالخير والسعادة والفلاح كله فى هذا الدين الذى شرعه العليم الحكيم وألزم العبد تزكية لنفسه سبيلا إلى رضاه ومحبته ووسيلة إلى جنته ورحمته . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أجله فليصل رحمه » . فجعل صلة الرحم سبباً فى بسط الرزق والنسيئة فى الأجل . فمن رغب فيها وعملها فقد ابتغى الوسيلة إلى الله تعالى وقال عليه الصلاة والسلام . « داووا مرضاكم بالصدقة » فجعل الصدقة وسيلة إلى شفاء المرضى . وليس المراد أن يقعد الإنسان عن التداوى والتماس العلاج اعتماداً على الصدقة ، فليس هذا مراد الشارع الحكيم الذى أنزل الداء وأنزل له الدواء : إنما المراد أن يلتمس الدواء ثم يجعل الصدقة وسيلة إلى التماس الشفاء من الله تعالى ـ إن الطبيب لا يملك الشفاء و إنما يملك العلاج ووصف الدواء ، والشفاء من الله تعالى تتوسل إليه بالصدقة . ألم تر كيف يقول الله تعالى فى شأن أهل الكتاب (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) فجعل سبحانه وتعالى إقامتهم لأحكام التوراة والإنجيل والقرآن وتقربهم إلى الله بصالح العمل وسيلة إلى سعة أرزاقهم ـ ويقول سبحانه جلت ، قدرته (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب) إلى آخر الآية .

فجعل سبحانه تقواه وسيلة إلى خروج الإنسان من كل ضيق و إلى تيسير أرزاقه بل أن يأتيه الرزق من حيث لا يقدر ولا ينتظر ولا يحتسب .

وحسبك حديث الصخرة الذى رواه مسلم وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح عملكم ، قال رجل منهم اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق [1] قبلهما أهلا ولا ولداً ـ فنأى بى طلب الشجر يوماً فلم أرح [2] عليهما حتى ناما لحلبت لهما غبوقهما [3] فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما حتى ظهر الفجر والصبية يتضاغون عند قدمى ، فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه ـ قال الآخر ـ اللهم إنه كانت لى ابنة عم وكانت أحب الناس إلى فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى و بين نفسها ففعلت ـ فلما قعدت بين رجليها ـ قالت اتق الله ولا تفض هذا الخاتم إلا بحقه فانصرفت وإنها لمن أحب الناس إلى ـ وتركت الذهب الذى أعطيتها ـ اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها ـ فقال الثالث اللهم استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب ، فَثَمَّرت أجره حتى كثرت الأموال فجاءنى بعد حين ، قال ياعبد الله إِدِّلى أجرى . فقلت كل ما ترى من أجرك ، من الإبل والغنم والرقيق . فقال ياعبد الله لا تستهزىء بى . فقلت لا أستهزىء بك، فأخذه كله واستاقه ولم يترك منه شيئاً ـ اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا مانحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون » فهذا الحديث صريح فى أن التوسل يكون بعمل العبد نفسه إلى مولاه ينفعه به عند الشدة . وصفوة القول أن لفظ التوسل يراد به معان ثلاثة :

---

(١) الغبوق الشرب ليلا والصبوح الشرب صباحا .

(٢) لم ارح : أعود إلى البيت .

(٣) عشاءهما من اللبن .

الأول : التقرب إلى الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وهذا واجب لا يكمل الإيمان إلا به

الثانى : التوسل إليه سبحانه وتعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فى حياته ، والشفاعة فى عرصات يوم القيامة حيث يقوم الناس لرب العالمين .

الثالث : التوسل به صلى الله عليه وسلم بمعنى الإقسام على الله بذاته ، فهذا لم يقع من الصحابة رضى الله عنهم فى الاستسقاء ونحوه لافى حياته ولا بعد مماته — ولا نعرف هذا فى الأدعية المأثورة المشهورة عنهم . وبذلك تكون قد عرفت الوسيلة التى يحبها الله ويرضاها ويثيب من يبتغونها إليه — وعلمت أنها الحق وأن مادونها هو الباطل الذى ما أنزل الله به من سلطان . ولكن لا أدرى لم انصرف الناس عن الحق إلى الباطل وعن الهدى إلى الضلال ، وعن القوى القادر إلى الضعيف العاجز ، وعن العليم الحكيم الذى لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، إلى الجاهل الذى لم يؤت من العلم ما يعرف به نفسه ؟ ؟

لقد صار المسلمون الآن فى حاجة ماسة إلى من يجدد لهم أمر دينهم بعد ما نسوه وغفلوا عن أسراره وحكمته — قال تعالى (ألم يَأْنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) .

كم رفع الناس فى كل زمان ومكان عقائرهم يدعون غير الله تعالى من أنبياء وأولياء ، وكم وقفوا أمام القبور خاضعين خاشعين يذرفون الدمع سخيناً ؛ وكم أحرقوا بخورهم وأضاؤوا شموعهم وقدموا نذورهم وأنفقوا أموالهم ، يحسبون ذلك مجدياً عليهم نافعاً لهم ، كانت (أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تحذر وتنذر من يدعو غير الله تعالى بالعذاب الأليم والجزاء المهين ، وتبين أن دعاء غير الله شرك وضلال — (ولا تَدْعُ من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين) ويقول تعالى ذكره (ولقد أُوحى إليك

وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) والعبادة مخها الدعاء قال تعالى (قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) وظاهر فيها أن الدعاء مخ العبادة والإنسان يعمل مؤمناً كان أو كافراً ، وعمل المؤمن يقبله الله ويجزى عنه الجزاء الأوفى كما قال (إنما يتقبل الله من المتقين) وقال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وعمل الكافر مردود عليه غير مقبول كما قال (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) وقال (أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ــ و ــ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال)

فلو أن قليلا من دعائهم وتضرعهم وخشوعهم ونذورهم لغير الله ؛ نقول لو أن شيئاً من هذا كله توجهوا به إلى الله لكان وسيلة إلى رضاه وسبباً فى الفلاح فى الدنيا والآخرة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

والآن أصور لك وجه التوسل القبيح الممقوت الذى يكرهه الله ورسوله ولا ينظر إليه ولا يزكيه ولا يرضى عنه ولا عن أصحابه .

ذلك أن تتخذ أحداً من خلق الله واسطة بينك وبين ربك ــ وأنت تعلم ــ واعلم إن لم تكن تعلم ــ أن الدين الإسلامى جاء لتحطيم الحجاب والتطويح بالوسطاء والسمو بالنفس الإنسانية إلى درجات الكرامة . والاتصال بالله تعالى من غير واسطة ؛ قال تعالى : (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) .

يا قوم أناشدكم الله أن تَدَعُوا الوسطاء للغاوين من أصحاب الأديان الأخرى . وتبقوا على سماحة الإسلام وجماله وجلاله ، ولا تشوهوا محاسنه بهذه المنكرات والمبتدعات التى اقتبستموها من وثنية الجاهلية الأولى . وتدبروا قول الله لنبيه (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ــ الآية وقوله (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حُشر الناس كانوا لهم أعداءاً وكانوا بعبادتهم كافرين ؟) .

من شرفات التاريخ :

الرجل الذي ادعى النبوة

ونزول جبريل عليه

انتهز طليحة بن خويلد الأسدى - وهو من بنى أسد بن خزيمة الفرصة حين علم بمرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذه الغرور من نفسه ، وافتخر بأعماله ، وهكذا يلعب الشيطان دوره على مسرح المؤمن الضعيف الذى لم يتحصن قلبه بمثل قول الله تعالى : (أَحَسِبَ الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون) ترقب مرض الرسول بعد حجة الوداع طمعا فى أن يكون له ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدعى أن جبريل ينزل عليه ، وأظهر دعواه هذه بين أهله وعشيرته ، ومما زاد الطين بلة أنه حينما وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور إلى بنى أسد ، وأمره أن يحارب من خالف الله ورسوله وارتد عن الإسلام ، لم يقف فى وجه ضرار ومن معه إلا طليحة، هذا الرجل المفتر بنفسه المتكبر على أبناء جنسه ، فأراد ضرار ومن معه أن يأخذوه سلما إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا أن ضراراً ضربه بالسيف فلم يصبه وانحرف عنه السيف ، فشاع بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه .

ادعى طليحة أن جبريل ينزل عليه ، وتزايد المصدقون له وكثر أتباعه ، خصوصاً لما أراد ضرار أن يضرب به بالسيف فأخطأ ، وادعى أتباعه أن السيف لا يعمل فى جسمه . وبينما هم على ذلك إذ نعى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعظم أمره وتفاقم الخطب ، وقد نظم أسجاعاً من الأكاذيب ، وأمر قومه أن لا يعبدوا الله إلا قياما وأن يتركوا السجود فى الصلاة ، مدعيا أن العبادة على طريقته تدل على العزة لقومه فلا تطأ جباههم الأرض ، وصادف هذا الادعاء هوى فى نفوس حاشيته وأتباعه ، وظاهره كثير من العرب عصبية . ولذلك نرى أن أكثر أتباعه وأنصاره من قبائل أسد وغطفان وطيىء وعبس وذبيان ومن لف لفهم ، فقد كان هؤلاء جميعا بطونا فى قبيلة واحدة .

وجاء بعد الرسول صلى الله عليه وسلم الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه الذى كان أول عمل له :تطهير العقيدة من أدران الشرك والأوثان والقضاء على كل مرتد وطاغ .

فقد أمر خالداً أن يبدأ بتطهير العقيدة فى طيء بالأكناف « وهما جبلان : سلمى وأجأ » وأن يكون وجهه بعد ذلك إلى البزاخة « ماء بنى أسد » ولا ينتقل من قوم إلى قوم حتى يأمره بذلك .

وأظهر أبو بكر أنه خارج إلى خيبر ثم توجه إلى خالد عند جبلى طيء .

وكان أبو بكر قد أرسل عدى بن حاتم إلى قومه (الغوث من طيء) قبل أن يجتاحهم خالد بمن معه من الجيش ، فذهب إليهم وحذرهم ودعاهم وخوفهم ، وبدأ يحاربهم فى الخفاء حتى أجابوه وقالوا له : استقبل خالداً فأمهله عنا ثلاثاً حتى نستخرج من لحق من قومنا بجيش طليحة . فإنا إذا خالفناه ربما قتل الذين معه أو ارتهنهم . وقابل عدى خالداً وطلب منه التمهل حتى يجتمع خمسمائة مقاتل ، فأمهله خالد .

وأراد عدى أن يلعب دوراً على مسرح السياسة الإسلامية كما فعل مثل ذلك من قبل نعيم بن مسعود بين الأحزاب وبنى قريظة بعد أن قال له الرسول « خذّل عنا فإن الحرب خدعة » .

طلب عدى من خالد أن يمهله مدة أخرى لاستجلاب قبيلة جديلة وقال له : يا خالد إن طيئا كالطائر وإن جديلة أحد جناحى ذلك الطائر ، فأجلنى أياما لعل الله أن ينقذ جديلة كما أنقذ الغوث . وذهب عدى إليهم ولم يزل بهم حتى بايعوه ، فجاء بإسلامهم ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب .

بدء المعركة

توجه خالد ومن معه ومن انضم إليه من طيء نحو بزاخة وأرسل من يستكشف له ، وهما عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم الأنصارى ، فصادفا « حبالا » أخا طليحة فقتلاه

فبلغ الخبر طليحة فخرج مع أخيه سلمة فلقيا عكاشة وثابتاً فقتلاهما ، و بينما جيش خالد يسير كالسيل العرم إذ وطئت أقدامه جثتا عكاشة وثابت ، فصاح المسلمون وجزعوا وقالوا: قتل سيدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم ، فانصرف خالد نحو طيء حينما رأى ما نزل بأصحابه من الجزع من هذا الحادث الأليم .

« المعركة »

التقى الجيشان ودارت رحى الحرب ، واشتد القتال وحمى الوطيس ، خالد بن الوليد يقتل يمنة و يسرة وطليحة فى بيت له من الشعر يتنبأ لهم ، ولحقتهم الهزيمة ، ولما هزتهم الحرب ذهب عيينة بن حصن الفزارى إلى طليحة وقال : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال طليحة : لا ، فرجع وقاتل قتالا شديدا ثم كر عليه مرة أخرى فقال له : هل جاءك جبريل بعد ؟ قال طليحة : لا ، وتردد عليه ثالثة ، فقال : لا ، فقال له عيينة : متى يأتى إليك ! والله قد بلغ منا ما بلغ . ثم رجع فقاتل قتالا شديداً ، ثم كر عليه فقال : هل جاءك جبريل بعد ! قال : نعم ، فقال له : وماذا قال لك . قال : قال لى : إن لك رحا كرحاه وحديثاً لا تنساه ، فقال عيينة : قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه . . . يا بنى فزارة هكذا فانصرفوا فوالله إنه لكذاب مخادع فانصرفوا ، و انضم عيينة إلى جيش خالد بسبعمائة مقاتل ، و انهزم طليحة .

دور طليحة

وقبل أن آتى على دور طليحة أحب أن أذكر ما كان من أمر الشيطان فى غزوة بدر الكبرى فإن دوره هناك يشبه تماماً دور طليحة هنا وما دوره إلا هفوة من هفوات اتباع الشيطان فإن الشيطان زين لقريش أعمالهم .وقال لاغالب لكم اليوم من الناس و إنى جار لكم فلما تراءت الفئتان والتقى الجيشان ولحقت الهزيمة بقريش ، فر هاربا وولى الأدبار وتبرأ من الكفار وقال لهم إنى برىء منكم . وهكذا شأن الشيطان فإنه يقول للإنسان اكفر فحين يكفر ، يقول له : إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين .

أما طليحة فقد ذهب إليه قومه يجرون أذيال الهزيمة ويقولون له بماذا تأمرنا ؟ فقام فوثب على فرسه وحمل امرأته ونجا بها - وكان قد أعد فرسه لذلك وهيأ بعيراً لأمراته النوار. ثم قال لهم من استطاع منكم أن يفعل مثل مافعلت وينجو بأهله فليفعل - ولحق بالشام هو وأهله وارفض جمعه ، ثم أسلم من بعد وحسن إسلامه وعلم أن ما كان عليه هو عين الضلال ، وكان ذا مال وأثر محمود فى حروب الفرس فى زمن عمر ابن الخطاب . واستشهد هنالك .

الأسباب التى ساعدت خالداً على النصر

١ — كان خالد يحارب عن عقيدة وإيمان واثقاً من نصر الله .

٢ — ما أشاعه أبو بكر من أنه سيسير بجيش إلى خيبر ويتلاقى مع خالد لقتال العدو فساعد بذلك على تثبيط همة جيش طليحة وفت فى عضده :

٣ — قتل طليحة لعيون المسلمين «عكاشة وثابتاً» . مما ألهب الحماس فى قلوب المسلمين

٤ — انضمام طيء لجيش المسلمين : مما كسر شوكة العدو فإنهم كانوا شطر جيش طليحة .

٥ — تململ عيينة بن حصن من القتال ، وانصرافه بقومه فى شدة المعركة .

٦ — عدم الوثوق بالنصر فى نفس طليحة الأسدى ، وهو قلب الجيش وروحه وقائده . وإن رجلا يقاتل وهو ينوى الهرب لجدير بالهزيمة .

ومن أصدق من الله حديثا إذ يقول :

(ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

(وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) .

عرفه محمد محمد شمس
جامعة الأزهر
كلية الشريعة

عمر بن الخطاب وأعرابي

روى عن أبي بكرة رضى الله عنه أنه قال : جاء أعرابى إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال :

يا عمر الخير جُزيت الجنه أكس بنياتى وأمهنه
وكن لنا من الزمان جُنه أقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر رضى الله عنه ، فإن لم أفعل يكون ماذا ؟ فقال :

إذن أبا حفص لأذهبنه

فقال عمر ، فإذا ذهبت يكون ماذا ؟ فقال :

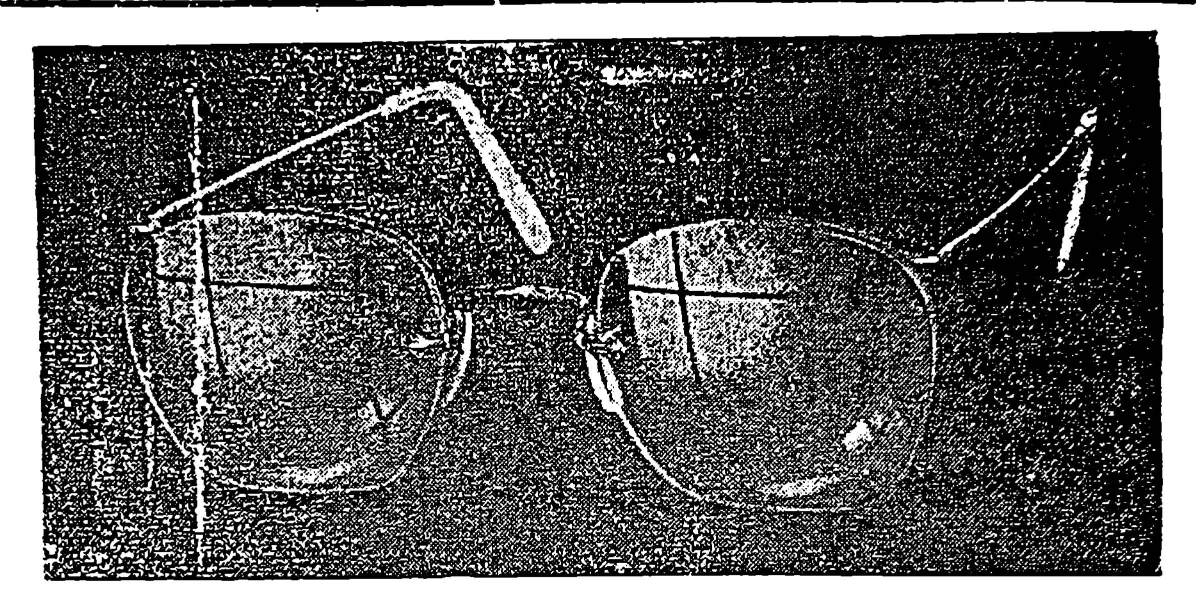
يكون عن حالى لتُسألنه يوم تكون الأعطيات هنه
وموقف المسئول بينهنه إما إلى نار وإما جنه

فبكى عمر حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : يا غلام ، إعطه قميصى هذا لذلك اليوم ، لا لشعره ، أما والله لا أملك غيره .

الأمل والأجل

روى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال :

غرّ جهولا عمله يموت من جا أجله
ومن دنا من حتفه لاتُغن عنه حيله
وما بقاء آخر قد غاب عنه أوله
والمرء لا يصحبه فى القبر إلا عمله



من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

محاربتهم للتقليد

التقليد معناه لغة : أن تضع فى عنق الدابة قلادة وتجرها إلى حيث تريدها أنت . فالمقلد يضع نفسه مكان الدواب والأنعام ويكفر بنعمة العقل والإنسان والذى بسببهما كرم الله بنى آدم وفضله على كثير من خلقه .

لقد كان التقليد ولا زال سبب كفر الناس وجحودهم قديما وحديثا ، واسمع إلى ما قال الله سبحانه عنهم (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولايهتدون) بل ردوا بالتقليد براهين الرسالة وحجة القرآن ودليل العقل فقالوا (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) ولما فند إبراهيم عليه السلام عبادة قومه للأصنام لم يحيروا جوابا ولم يجدوا دليلا على كفرهم وضلالهم إلا قولهم (بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) وهكذا تجد المقلد إذا دعوته إلى كتاب الله وسنة رسوله أعرض ونأى بجانبه وقال إن ما هو عليه من البدع والضلالات أخذه عن الشيوخ والآباء والأئمة . ولقد برأ الله الأئمة من هذا الإثم والكفر والضلال الشنيع ، فقد نهوا جميعا أشد النهى وآكده عن تقليدهم ، ونصوا فى كتبهم على وجوب اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل صغيرة وكبيرة لأنه وحده المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى .

العدد ٨ شعبان
المجلد ٢٧ سنة ١٣٨٢

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهـرس

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ قرشًا في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ في الخارج

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية
تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة الشيخ محمد حامد الفقى

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٨ — شعبان سنة ١٣٨٢ — المجلد ٢٧

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال جل ذكره :

(وكذلك أعثرنا عليهم ؛ ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم ، فقالوا : ابنوا عليهم بنيانا ، ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا . سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون : خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل : ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ، فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ، ولا تستفت فيهم منهم أحدا ، ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا .

الكهف ٢١ ـ ٢٤) .

« معـــــانى المفردات »

« أعثرنا » قال ابن فارس عن المادة إنها أصلان صحيحان يدل أحدهما على الاطلاع على الشيء ، والآخر على الإثارة للغبار . وأعثرت فلاناً على كذا إذا أطلعته عليه .

« الساعة » قال الراغب : الساعة جزء من أجزاء الزمن ، ويعبّر به عن القيامة تشبيهاً بذلك لسرعة حسابه كما قال (وهو أسرع الحاسبين) ولما نبه عليه بقوله (لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) وأصل المادة ـ كما يقول ابن فارس فى معجمه : يدل على استمرار الشيء ومضيه .

« ريب » شك وخوف ، وفرق ابن تيمية بين الريب والشك بأن الريب شك يصحبه اضطراب ومعركة ، وهو ضد اليقين الذى هو سكون وطمأنينة[1] .

« يتنازعون » التنازع والمنازعة المجاذبة ، ويعبر بهما عن المخاصمة والمجادلة .

« غلبوا » أصل الكلمة يدل على قوة وقهر وشدة ، وقال الراغب : أصل غلبت أن تنال ، وأصبت غلب رقبته[2] .

« أمرهم » : الأمر : الشأن ، وهو لفظ عام للأفعال والأقوال .

« مسجداً » موضع الصلاة .

« رَجْماً بالغيب » : أصل الرِّجام حجر يُشد من طرف الحبل ، ثم يدلى فى البئر ، أو هو الحجر الذى يشد بطرف عَرْقُوَة الدلو ، ليكون أسرع لانحدارها ، والرجام الحجارة أيضاً ، ويُستعار الرجم للرمى بالظن والتوهم والشتم والطرد ، فمعنى رجماً بالغيب ، قول بلا علم كمن يرمى إلى مكان لا يعرفه ، فإنه لا يكاد يصيب ، وإن أصاب فبلا قصد .

لا تمـار : المرية : التردد فى الأمر ، وهو أخص من الشك ، والمماراة : المحاجَّة ، ويقول ابن فارس : أن المراء مأخوذ من المرو ، وهى حجارة تبرق لأن المراء كلام فيه بعض الشدة .

---

(١) ص ١٦ مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية (المطبعة السلفية) .

(٢) يقال غلبت رقبته أى غلظت وغلبه بوزن فرح .

« لا تستفت » : استفتى سأل عن حُـكم مشكل ، والفُتيا والفتوى الجوابُ عما يشكل من الأحكام .

« عسى » : فعل يفيد الطمع والترجِّي والقرب والإمكان .

المعـــنى

مازالت الآيات تقص أنباء هؤلاء الفتية الذين آمنوا ، وقد استعلن جحودُ الـكفر ، و بغى فجوره ، فأواهم الله إلى كهف ضرب فيه على آذانهم ، فناموا سنين عدداً وقد بينت الآيات السالفة أن الله بعثهم من مرقدهمَ ، وأنهم ارتابوا — بعد قيامهم — فى شأن المدة التى قضوها نائمين فى كهفهم ، ولو أنهم كانوا على يقين فيها ماارتابوا ـ كما بينت أيضاً أنهم بعثوا واحداً منهم إلى المدينة ليشترى لهم طعامًا ، وأنهم طلبوا إلى صاحبهم هذا أن يكون على حذر .

ثم بعد هذا تتحدث الآيات هذه عن إعثارِ الله عليهم عن معرفة أهل المدينة شأن هؤلاء الفتية .

لقد طوت الآيات فى إيجـاز مُعْجِزٍ فى بلاغته — ذكر بعض شئون القصـة التى لا يخل طَيُّهاَ بالعبرة الرائعة المنشودة من القصـة — وهى آية بادية واضحة الإشراق تتجلى لك من قصة القرآن ، وتلك هى الإضراب عن ذكر بعض أحداث القصـة ووقائعها وأزمنتها ، وأمـكنتها وأسماء أصحابها . هذا لأن مهمة القصص القرآنى تتجلى واضحة من قول الله سبحانه : (لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلْبَـابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْـتَرَى ، وَلَـكِنْ تَصْدِيقَ الذى بَيْنَ يديهِ ، وتفصيلَ كُلِّ شيءٍ وهدى ورحمةً لقومٍ يؤمنون ١٣ : ١١١) والذى يُطوى من وقائع القصة لا يتعلق بالعبرة التي ينشدها أولوا الألباب من القصة ، وهذا يهدينا فى شأن مانقصـه على الناس من قصص قرآنى وغيره . ، فلا نزيد على ماذكرِ القرآن شيئًا ، ولا نطلب الإطناب المخل بالعبرة فيما نقص من قصص للاعتبار .

ونحن نستطيع أن نستنتج بعض ماحدث مستهدين بنور القرآن وهداه ، نستطيع أن ندرك أن هذا الفتى الذى أرسله الفتية بورقهم ليشترى لهم طعاماً قد استراب فى شأنه مَنْ قدم لهم وَرِقَه بشراء الطعام ، وأن هذه الاسترابة قد تحولت شيئاً فشيئاً إلى يقين حتى عرف أهل المدينة شأن هؤلاء الفتية معرفة تلمس جانب اليقين ، وسأضرب صفحاً عن ذكر ماسوّد به المفسرون الصفحات الطوال حول قيام الفتية من قبورهم ، أو معرفة أهل المدينة بحقيقتهم ، فإنى أستهدى بهدى القرآن فى قصصه ، فلا أفترى شيئاً لم يقله .

« وكذلك أعثرنا عليهم » الكاف حرف تشبيه . تشبيه ما ستقصه الآية بما قصته الآيات السابقة فالسابق واللاحق آيات قدرةٍ قاهرة غالبة مهيمنة على كل القوى والقدر . آيات قدرة الله العلى الكبير . و « ذلك » اسم إشارة يشير إلى عظمة شأن ما فات من أمور القصة كما ضرب على آذانهم فى الكهف سنين عدداً ، وكما بعثهم من كهفهم أعثر الله عليهم أهل المدينة ؛ (ليعلموا أن وعد الله حق) ليعلموا أن ما وعدهم الله به من قيام بعد الموت وَعْدٌ صادق لا ريب فيه « وأن الساعة لا ريب فيها » وأن القيامة آتية لامحالة ولا شك فى شأنها . فالذى بدأ الشىء يكون هينا عليه إعادته وفعله مرة أخرى . وهى قضية لا يمارى فيها عقل ، ويسجد لها إذا نسبت إلى الخلاق الكبير .

ونستطيع أن نستنبط من هدى القرآن أن الفتية قد ماتوا بعد هذه الصحوة وأن الله أعثر عليهم أهل المدينة ، وهم فى كهفهم موتى بعد أن استيقظوا من نومهم الأول . ولا أستطيع أن أسكن من ثورة اللهفة التى تتطلع بعاطفة القلب إلى معرفة ما حدث بعد ذهاب الفتى إلى المدينة بورقه ، ولا أن أصدع بما صدع به المفسرون فى هذا الشأن ، ولا أستطيع أن أبين كيف عرف الناس شأن أهل الكهف ، أو كيف عاد الفتى إلى الكهف ، أو كيف عثروا عليهم ، أو كيف مات الفتية مرة أخرى ، حسبنا أن نعرف أن أهل المدينة عثروا على أهل الكهف بعد أن صاروا موتى فى كهفهم ، وأن الله أعثرهم عليهم ؛ ليوقنوا بما نبأهم الله به عن يوم القيامة وبأن الله ـ جل شأنه ـ سيبعث من فى القبور جميعاً ، وأنها ستكون قيامة أرواح بأجسادها ، لا قيامة أرواح كما يزعم الملحدون فقد بعث الله الفتية كذلك ، وقال عقب هذا : « وكذلك أعثرنا عليهم ، ليعلموا أن وعد الله حق » وماحدث يشبه ماوعدهم الله به ، وماحدث هو قيام أجساد بأرواحها بعد حين .

« إذ يتنازعون بينهم أمرهم » المتنازعون هم الذين أعثرهم الله على أهل الـكهف[١] . والأمر الذى كانوا يتنازعون فيه ، هو أمر هؤلاء الفتية[٢] . ففريق أخذتهم روعة القصة وجلال الحادثة . غير أنهم لم يربطوا بين الآية القاهرة وبين ربها ، فامتلأت قلوبهم بإجلال هؤلاء الفتية وتقديسهم دون أن يجعلوا لما فرض الله عليهم سلطانا قويا يُقوِّم شعورهم نحو الفتية تقويما صحيحا . وفريق يشعر ـ مما قصه الله عنهم ـ أنهم مسلمون صادقو الإسلام أخذتهم روعة القصة بالقدر الذى يجب أن تأخذهم به ، فلم يرفعوا من شأن الفتية بغير علم ، وإنما ظلوا يعتصمون بإسلام القلب والوجه لله ، فأسندوا العلم بحقيقة هؤلاء الفتية إلى الله سبحانه وحده ، وهذه سمة المؤمن . إنه لا يزعم أبدا أنه يعرف الغيب ، ويخشى أن يحكم على الشىء بغير علم ، وأن يسند إلى الله سبحانه مالم تقم له بينة وحجة من الله سبحانه .

رأى الفريق الصادق الإسلام : تنازع الذين عثروا على الفتية فى شأنهم ففتح فريق قلبه لآية الله سبحانه ، وما زاغ بهم شأن الفتية عما يوجبه الإسلام من التفويض إلى الله فيما ليس لهم به علم ، فقالوا : « ربهم » أعلم « بهم » وما طلبوا سوى بناء بنيان يسد باب الـكهف على الفتية الموتى .

رأى الفريق الغالب : أخذتهم الآية بمن جعلهم الله محلا لآيته ، فقدسوا هؤلاء . وسموا بهم إلى أفق لا يجيز الإسلام أن يتساموا بهم إليه ، فقالوا مُقْسِمين[٣] مصممين :

---

(١) يزعم بعض المفسرين أن المتنازعين هم الفتية ، وكانوا يتنازعون فى شأن اختفائهم بعد أن علموا أن أهل المدينة قد عرفوا أمرهم .

(٢) وقيل إن الأمر الذى كانوا يتنازعون فيه هو أمر البعث أهو بالجسد والروح معا ، أم بالروح فقط .

(٣) يدل على القسم وجود اللام فى الفعل المضارع « لنتخذن » ووجود نون التوكيد الثقيلة وهما دليلان لقسم محذوف لولا تقديره ما ألحقت اللام بالمضارع .

« لنتخذن عليهم مسجدا » . وأنقل هنا ما كتبته فى كتابى « دعوة الحق[1] » الذى صدر منذ عشر سنوات عن مسألة أهل الكهف : وإليك ما جاء فى الكتاب : « يحاول بعض الوثنيين الاستشهاد على جواز بناء المساجد على القبور ، وجواز الصلاة فيها ، بمسجد أهل الكهف. غير أن هذه المحاولة البائسة اليائسة حلم من أحلام الكفر الجحود بالخلود فى الجنة ، ووهم من خيالات الباطل يتراءى فى وشى من زينة الحق . والدليل على بطلان زعمهم تلك الأحاديث التى ذكرتك بها ، والتى يؤمن هؤلاء المفترون بصحتها ، والتى تدل على أن بُناة المساجد على القبور من شرار الخلق عند الله يوم القيامة ، وعلى لعن الله وقتاله لمن يتخذون القبور مساجد[2] . . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى نجد فى الآيات القرآنية التى قص الله ـ سبحانه ـ قصة أهل الكهف قرائن قوية تدل على أن اتخاذ مسجد عليهم كان عملا فى غير طاعة الله وتقواه . وإليك ما تقصه الآيات عن النزاع الذى شَجَر بين من أعثرهم الله على أهل الكهف (إذ يتنازعون بينهم أمرهم ، فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم : لنتخذن عليهم مسجدا » فالمتنازعان فريقان فريق فوض أمر هؤلاء الفتية إلى الله ؛ إذ قالوا : ربهم أعلم بهم . وهذا التفويض من أصدق الأدلة على صدق الإيمان ، حيث لم يفتنهم حال أولئك الفتية ، ولم يغرهم بالعدوان على علم الله ، ولم يلههم عن الإيمان المطلق بأنه ـ سبحانه ـ يعلم الغيب وحده . وهذه صفات تشرق من الإيمان الصادق . ألم يأمر الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم أن يقول : (قل : ما كنتُ بِدعًا من الرسلِ وما أدرى ما يُفعَل بى ، ولا بكم ٤٦ : ٩) . ومن تلك الصفات تؤمن أن هذا الفريق كان مسلما خالص الدين لله رب العالمين . أضف إلى ذلك دليل هدى من اقتراحهم ، فهو : إقامة بناء بسد باب الكهف على الفتية ؛

---

(١) طبع سنة ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م بمطبعة السنة المحمدية وقد ورد الموضوع فى ص١٧٤

(٢) من هذه الأحاديث: عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يجصص القبر ، وأن يبنى عليه« وأن يوطأ » . وحديث : «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وغيرهما مما ذكر فى دعوة الحق .

إذ قالوا : « ابنوا عليهم بنيانا » فلم يقترحوا بناء قبة أو مسجد ، ولا اتخاذ الكهف مسجدا يصلون عنده . وهذا هو الهدى والحق من دين الإسلام الذى هو دين الرسل جميعا .

أما الفريق الثانى فقد غلبوا على الأمر ـ أمر الفريق الأول ، أو أمر الفتية ـ فصمموا على اتخاذ مسجد عليهم ، ونفذوا ما اعتزموه ، فكانوا بهذا على تضادٍّ مع الفريق المؤمن الصادق لسببين : قطعهم برأى فى حال الفتية ، وهذا عدوان على علم الله ؛ إذ لم يفوضوا أمر الفتية إلى ربهم كالفريق الأول .

والسبب الثانى اعتزامهم اتخاذ مسجد على أهل الكهف . وهذا غير ما اقترحه الفريق المؤمن الصادق ، فمن ذا الذى ينازع المؤمنين قولهم وعملهم ، واعتقادهم ؟ إنهم غير المؤمنين . . فكيف نستدل بعمل هؤلاء على جواز بناء المساجد على القبور ، وجواز الصلاة فى مساجد القبور ؟ وأنت لو تأملت اقتراح الفريق الأول لناسمتك منه روح مؤمنة طيبة خاشعة ؛ إذ قالوا : (ابنوا عليهم بنيانا) معللين اقتراحهم هذا بقولهم : (ربهم أعلم بهم) . أما اقتراح الفريق الثانى ، فتشعر منه بروح العناد والمغالبة والتصميم القاطع على التنفيذ وفراغ النفس من خشية الله ، ومن الإيمان بأنه عالم الغيب ؛ إذ قالوا : (لنتخذن عليهم مسجدا) . هكذا باللام والنون الثقيلة المؤكدتين للفعل توكيدا بالغا . فأين الدليل الموهوم من الآية على جواز بناء المساجد على القبور . وأنت ترى الهدى من الآية مشرقا يدلك على غير مايفترون[1] » .

« سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم » سيقول الذين يجادلون فى شأن عدد أهل الكهف ممن كانوا على عهد خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . سيقول بعضهم إنهم بكلبهم أربعة ، وسيقول آخرون إنهم بكلبهم ستة . وقد وصف الله القولين بأنه « رجم بالغيب » أى قول بلا بينة ولا دليل .

---

(١) نص ما كتبته فى كتابى « دعوة الحق » منذ عشر سنوات .

وثمت فريق ثالث تلمح من قَصِّ رأيه وكلامه أنه يقول ، وهو يؤمن بما يقول فقد فصلوا « بالواو » بين عدد الفتية وكلبهم فقالوا : سبعة وثامنهم كلبهم . أما الآخرون قبلهم فلم يفعلوا . ولم يأت من قولهم ما عُقِّبَ به على قول الفريقين السالفين . أى لم يوصف قولهم بأنه رجم بالغيب ، ونلحظ أيضاً أنه لم يأت بعد هذا عدد آخر .

كما نلحظ أيضاً أن الله ذكر بعد قولهم هذا قوله جل شأنه : « قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل » وهذا القول يثبت قطعاً أنه كان يوجد من يعرف عدد هؤلاء الفتية ، ولهذا يروى المفسرون عن ابن عباس — رضى الله عنهما — قوله : أنا من القليل : كانوا سبعة .

ورغم هذا . — أى رغم وجود من كان يعرف عدتهم — فإن الله يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المتنازعين فى شأن عدة أهل الكهف : ربى أعلم بعدة هؤلاء الفتية ، و إن هذا ليهدينا إلى أن نسكت عن الجدال فيما ليس له شأن كبير ، وألا نضيع من جهدنا ووقتنا فيما لا ينقص الجهل به من الإيمان شيئاً أو يزيده العلم به . هب أنهم اثنان أو مائتان . هل يتغير شأن الآية أو عظمتها أو جلالها أو تغير الكثرة أو القلة من دلالتها العظيمة على قدرة الله سبحانه ؟ كلا .

فلنجعل من القرآن أسوة لنا ، ولنسكت عن الجدال فى هذا ومثله من أمورنا .

فالله ـ تعالى ـ يقول مؤدباً لنبيه العظيم : (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً) أى لا تجادل هؤلاء الذين يجادلون فى أهل الكهف إلا جدالا يسيراً هيِّناً لا تذهب فيه إلى أعماقه ، أو إلى مداه . حسبك ما قصصته عليك وهو الهدى ، وهو الذى يقوم بالعبرة خير وأعظم قيام.

هكذا يهدينا القرآن السبيل السوى فى الجدل مع الذين يجادلوننا فى شأن أمرٍ من الأمور .

نستطيع أن نستنبط من هدى القرآن أن العدة الحقيقية لهؤلاء الفتية كان معروفا لفئة من الناس . ورغم هذا كله يطلب الله من نبيه ألا يجادل فى هذا الشأن ، فهو جدال لا يتعلق بأمر ذى بال .

كذلك ينهى الله نبيه عن أن يطلب من أحد فتوى فى شأن هؤلاء الفتية . نهى عن هذا لـكيلا يستغل هؤلاء استفتاء الرسول صلى الله عليه وسلم فى سبيل إثبات أنهم أعلم ، ولـكيلا يحدث هذا الاستفتاء لهم مكانة فى قلوب الجهلاء .

ثم هو تعليم يفرض ألا يضيع القول والوقت والجهد فيما ليس له قيمة تعلى من شأن الإيمان ، أو تمده بنفحة من الهدى .

« ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله » لقد علم الله نبيه ألا يجادل فى شأن الغيب الذى يتعلق بالماضى . وفى هذه الآيات يطلب منه أن يبتعد عن الجدل فى غيب المستقبل وأن يفوض علم ذلك إلى الله سبحانه : يعلمه جل شأنه الأدب العظيم الذى يجب أن يتأدب به إذا اعتزم أن يفعل شيئاً . وهو أن يوقن أنه لن يستطيع القيام بما اعتزم أن يقوم به إلا أن يشاء الله ذلك . وأن ينطق بهذا لسانه بَيِّنَةً على ما يقوله قلبه و يدين به فؤاده .

إن الإسلام لا ينهاك أبداً أن تدبر أمور غدك ، وأن تعد لمستقبلك ما تعد . ولـكنه يطلب منك أن تعد هذا وأنت تعتقد أن تحقيق هذا كله لن يكون إلا بمشيئة الله وعونه وتوفيقه . وأن تقرن حديثك عن المستقبل ـ قريباً كان أو بعيداً ـ بقولك : إن شاء الله أو إلا أن يشاء الله أو : ماشاء الله لا قوة إلا بالله ، ولا سيما حين يتحقق لك ما أردت بتوفيق الله ، كما طلب الرجل المؤمن من صاحبه ذى الجنتين .

« واذكر ربك إذا نسيت » وإذا نسيت ماهديتك إليه فى شأن هذا كله أو غيره ، فاذكر الله سبحانه وتعالى ، فذكر الله يذكر بما نسينا من هداه .

« وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا » عسى أن يقربنى الله سبحانه وأنا راشد مما هدانى الله سبحانه إليه . ونلحظ من كلمة « لأقرب » جمال الرحمة الإلهية وعظمتها وتدفقها بالإحسان العظيم ، تُسْكن من خوف البشرية المؤمنة وقلقها حين تحاول الوصول إلى القمة ، فلا تستطيع إلا الاقتراب منها فحسب . والاقتراب منها مجال لرضوان الله كما علمنا فى دعائه : ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا .

عبد الرحمن الوكيل

عقيدة القرآن والسنة :

« توحيد الله عز وجل »

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (الحليم) وقد ورد فى القرآن مرتين مقترنًا باسم (العليم) أولاهما فى قوله تعالى من سورة الحج : (لَيُدْخِلَنَّهم مُدْخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم) والثانية فى قوله من سورة الأحزاب : (والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما) كما ورد مقترنًا باسم الغفور فى موضعين الأول قوله تعالى من سورة الاسراء (تُسَبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) والثانى قوله من سورة فاطر (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفوراً) .

والمناسبة بين هذا الاسم الكريم وكل من هذين الاسمين ظاهرة ، فإن علمه تعالى بأحوال خلقه وما ركبوا عليه من ضعف وعدم استمساك عند الشهوات يقتضى حلمه بهم وعدم معالجتهم بالعقوبة كما أن حبه سبحانه للمغفرة يوجب كذلك إمهالهم عسى أن يتوبوا فيتوب الله عليهم .

ومعنى الحليم كما قال ابن الأثير : هو الذى لا يستخفه شىء من عصيان العباد ولا يستفزه الغضب عليهم ، فهو سبحانه يشاهد معاصى العصاة ويرى أنواع المخالفات والجرائم التى يرتكبونها ثم لا يسارع إلى مؤاخذتهم والانتقام منهم مع استحقاقهم لذلك كما قال تعالى : (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) .

وهذا الاسم الكريم قد يقع وصفا لبعض العباد كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام (إن إبراهيم لأوّاه حليم) وكما قال عن ولده إسماعيل (فبشرناه بغلام حليم) .

ولكن هذا اشتراك فى الاسم فقط لا يقتضى أن حلمهم كحلمه . بل حلمه تعالى وسع السموات والأرض وجميع ذنوب العباد وجرائمهم ، فلا أحد أحلم منه سبحانه كما لا أحد أصبر على أذى سمعه منه ، وكما لا أحد أغير منه . وهكذا يقال فى كل الأسماء المشتركة : أن الثابت لله عز وجل منها هو ما يليق به الكمال الذى لا نقص فيه بوجه من الوجوه . والثابت منها للمخلوق هو ما يليق به من الضعف والنقص بحيث لا يجوز توهم مماثلة أصلا بين صفة المخلوق. وصفة الخالق .

ومن أسمائه الحسنى كذلك (العظيم) وقد ورد مقترناً باسم (العلى) فى آية الكرسى التى هى سيدة آى القرآن قال تعالى : (ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) .

وكذلك فى قوله تعالى من سورة الشورى (له ما فى السموات وما فى الأرض وهو العلى العظيم) ولا يخفى ما بين صفتى العلو والعظمة من مناسبة ، فالشىء كلما علا على غيره كان أعظم منه ولهذا كان العرش أعظم من الكرسى لأنه فوقه حتى إن الكرسى فى جوفه كحلقة فى فلاة والكرسى أعظم من السموات السبع والأرض ، فكلها فى جوفه كحلقة فى فلاة قال تعالى : (وسع كرسيه السموات والأرض) فما ظنك بعظمةٍ من العالم كله من عرشه إلى فرشه بين يديه كخردلة فى كف أحدنا ؟ ! إنها عظمة تتقاصر القول عن إدراك كنهها والإحاطة بها وبحسبنا أن نعلم أن العظمة المطلقة التى لا يتصور لها نهاية ولا حد تقف عنده ، هى ثابتة لله عز وجل وحده على أكمل وجه وأتمه . وقد ورد فى الحديث القدسى (العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فى شىء منهما قصمته) .

فهو سبحانه إن وصف بعض عباده بالعظمة كقوله فى العرش (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) وكقوله فى عرش بلقيس (وأُوتِيَتْ من كل شىء ولها عرش عظيم) وكقوله فى شأن السحر الذى جاء به سحرة فرعون (سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم) فإنما يراد بها العظمة التى تناسب المخلوق حين ينسب إلى ما هو أحقر منه .

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله :

« واعلم أن معانى التعظيم الثابتة لله وحده نوعان أحدهما أنه موصوف بكل صفة كمال وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه ، فله العلم المحيط والقدرة النافذة والكبرياء والعظمة . ومن عظمته أن السموات والأرض فى كف الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس وغيره وقال تعالى : (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) وقال (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) .

فلله تعالى الكبرياء والعظمة الوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما .

والنوع الثانى من معانى عظمته تعالى ، أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله ، فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم ، وذلك ببذل الجهد فى معرفته ومحبته والذل له والانكسار له والخضوع لكبريائه والخوف منه وإعمال اللسان بالثناء عليه وقيام الجوارح بشكره وعبوديته .

ومن تعظيمه أن يُتَّقَى حق تقاته فيطاع ولا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر .ومن تعظيمه ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) و (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) .

ومن تعظيمه أن لا يعترض على شىء خلقه أو شرعه . والله تعالى أعلم .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

« اتق الله حيث ما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »

حديث شريف

حول كتاب

« مالك .. تجارب حياة »

الأستاذ رئيس تحرير الهدى النبوى الغراء

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

فإننى أعرض ما إن لم أفعل فسأظل واقعاً تحت وعيد « من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار » ومخالفاً لوصية النبي الأمين « أن أقول الحق ولو كان مراً وألا أخشى فى الله لومة لائم » .

ذلك أننى قرأت فى كتاب أستاذنا الشيخ أمين الخولى الذى أصدرته وزارة الثقافة والارشاد من سلسلة أعلام العرب « بمالك .. تجارب حياة » ص ٢٩٨ ما يأتى : —

(وكذلك الأمر مع الرشيد يوشك أن يشتد فيتردد فى إتيانه حينما دعاه وهو بالمدينة ، ثم يرخى ، ويأتيه أخيراً لكنه يشد فى حديث السفرجل إذ أرسل إليه الرشيد ينهاه أن يحدث بحديث السفرجل وذلك أن حديث السفرجل هذا يذكر أنه أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم سفرجل فأعطى أصحابه واحدة واحدة وأعطى معاوية ثلاث سفرجلات وقال له : « ألقنى بهن فى الجنة . . » وهو نوع من الفضل لمعاوية رأس الأمويين ، أعداء العباسيين ... إلى أن قال : فلما جاء النهى مالكا تلا قوله تعالى :

(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس ـ وهنا حذف الأستاذ الفاضل كلمتى (فى الكتاب) ـ أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) ثم قال ـ يعنى مالكا ـ : « والله لأخبرن بها فى هذه العرصة ؛ واندفع فقال : حدثنى نافع عن ابن عمر قال : كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فأهدى إليه سفرجل الحديث) اهـ .

قال محمد نجيب المطيعى : لفتنى سوق الحديث بهذا الاسناد : « مالك عن نافع عن ابن عمر » وهذا إسناد يعرفه أهل الفن بأنه « أصح الصحيح » ويطلقون عليه « السلسلة الذهبية » وكنت قرأت أقوال المحدثين فى هذا الحديث وحكمهم عليه (بالوضع) فى شتى طرقه التى ورد بها على قلتها ـ وطبعاً لا يمكن أن يكون من بينها هذا الطريق الذى ساقه أوحكاه

أوحاكه الأستاذ الفاضل — وإلا لما جرءوا على أن يهبطوا به إلى درجة الضعيف، بله (الموضوع) لأن آفته عندهم هى الأسانيد التى ورد بها والتى فيها الوضاعون والكذابون، فقد قال الإمام محمد بن على الشوكانى حاكم صنعاء المتوفى سنة ١٢٥٠هجرية فى كتابه «الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة» الطبعة الأولى ص ٤٠٦ باب المناقب فضل مناقب معاوية — يعنى ماورد من الأحاديث الموضوعة فيه — مايأتى:

«١٥٣ — حديث أن جعفر بن أبى طالب، أهدى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم سفرجلا فأعطى معاوية ثلاث سفرجلات وقال تلقانى بهن فى الجنة» قال ابن حبان: موضوع[1]. وقال الخطيب: الحديث غير ثابت، وجعفر قتل فى مؤتة، ومعاوية إنما أسلم عام الفتح فلعن الله الكذابين».

ثم ذكر الشوكانى أحاديث أخرى ١٥٤، ١٥٥ وطرقاً أخرى لحديث السفارج وليس منها ـ طبعاً ـ هذه الرواية التى حكاها أوحاكها المؤلف منسوبة لمالك ـ ثم قال الشوكانى رحمه الله: قلت قد ذكر الترمذى فى الباب الذى ذكره فى مناقب معاوية من سننه ماهو معروف فليراجع وأما هذه الأكاذيب المذكورة هنا فأمرها بيِّن اه ص ٤٠٧ من الفوائد المجموعة.

ولكنى على الرغم من هذا رجعت إلى موطأ الإمام مالك وإلى إسعاف المبطأ

---

(١) يلاحظ هنا أن ابن حبان لم يشذ عن إجماع المحدثين فإن له زلات تحصى فى تحسين بعض الموضوعات لأنه يميل إلى التساهل أحياناً كذكره عمرو بن زياد فى الثقات. مع مخالفة كل رجال الجرح والتعديل كالذهبى وابن حجر وابن الجوزى على أنه وضاع وهو واضع حديث: «إن الله أمر النبى أن يأكل من طبق جاء به إليه جبريل من رطب الجنة وأمره أن يواقع خديجة لحملت بفاطمة» والحديث لا شك أنه كذب لأن فاطمة ولدت قبل النبوة والمثل يقول «إن كنت كذوباً فكن ذكوراً» إلا أن أكثر واضعى الحديث من ضعاف الذاكرة — المطيعى.

السيوطى فلم أعثر فى كليهما على ما يفيد أن مالـكا سَمِـع أو سُمِـع له أو عنه شىء فى معنى (السفارج) ألبتة . ثم رجعت إلى كتب أخرى توفرت على تدوين الموضوعات وإبرازها للتحذير منها كتذكرة الموضوعات للإمام الفتنى الهندى و (اللآلىء المصنوعة) للحافظ السيوطى ، فلم أجد إلا اتفاقاً واصطفاقاً على الحـكم على هذا الحديث بالوضع ، الأمر الذى أهمنى والذى زاد من همى واشمئزازى هو ظنى بأن فى الأمر استخفافاً بالناس أو استغفالا لمن يقال عنهم (الرأى العام) ولـكنى مضيت فى تجاهل هذا الظن — وإن حسن الظن هنا من سوء الفطنة — ورجال الحديث يقدمون الجرح على التعديل ، وهو تفصيل لسوء الظن عندهم . وقاية للدين وحماية للخبر وسياجًا من الدس . وكان أحمد يقول : لأن أطعن فى رجل خير من أ كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول : مضيت فى هـذا التجاهل ورجعت إليه وطلبت منه أن يرشدنى عن مرجعه فى هذا الحديث فأخذ يتكلم عن أمور أخرى ليست لاصقة بالحديث ولا صلة لها بالموضوع ، وأخيراً صرح بأنه لم يراجع المسألة ولم يتوخها من الناحية الفنية وإنما قصد بكتابه النواحى الاجتماعية فى حياة مالك ، ولما كان هذا الـكلام لا يشفى غلة الصادى كما يقولون خصوصاً وأنه قرأ لى فقرات من كتابه مالك ترجمة محررة وهو كتاب سابق على « مالك تجارب حياة » فوجدت الـكتاب الأول يَرِدُ عليه ما يرد على الـكتاب الآخر ، ذلك أن مالـكاً لم يرو هذا الحديث ولم يُرْوَ له ولم يُنْبه عَن التحدث به ولم يأت اسمه فى أى سند من أسانيد هذا الحديث الـكذوب ، ومن ثم لا مجاز بين هذا الحديث وبين مالك وبالتـالى لم تقع معركة بين الرشيد وبين مالك حول السفرجلات حتى يمكن استغلال الحديث لتأليف قصة تـكون جسراً بين مالك وبين شده وإرخائه .

ثم إن المؤلف حذف كلمتى (فى الـكتاب) من الآية ليوهم بأنها شاهد فى هذا المقام ـ مقام الاستدلال بالحديث النبوى الشريف ـ لأن الآية بتمامها بنصها وفصها إنما تحصر الوعيد فيمن (يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس)(فى الـكتاب)

(أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) كل هذه الفقرات يظاهر بعضها بعضاً فى أن المقصود هنا (القرآن) فإذا حذف المؤلف كلمتى (فى الكتاب) ساغ أسلوبه ، وحبكت قصته ، وانسجم مالك فى قعدته واندفع يهدر ويزمجر فى عرصة الأستاذ المؤلف المفضال وأرجو أن أكون مخطئا فى الاستنتاج حتى لا يكون بيننا من أئمتنا من يجرؤ على العبث بكلمات الله التامات ، وآياته البينات . ألا إنها إحدى الكبر ، وكبرى الزلات . هذه كلمتى أريد أن أظهر بها الحقيقة ناصعة حتى يحذر من يريد أن يخوض فى سير المحدثين بغير هدى ولا كتاب منير . إن القراء رقباء عليه يحصون الأمور الجلىّ ويردُّونه إلى أحضان الأمانة العلمية وهى رسالة الصالحين .

والسلام على من اتبع الهدى .

وكتبه : محمد نجيب المطيعى

الوراق بميدان عبده باشا بالقاهرة

الرشيد وأبو العتاهية

يروى أن الرشيد حبس أبا العتاهية ، فكتب على حائط الحبس :

أما والله إن الظلم لؤم ... وما زال المسيء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجمع الخصوم

ستعلم فى المعاد إذا التقينا ... غداً عند المليك من الظلوم

فأخبر الرشيد بذلك ، فبكا بكاء شديداً ، ودعا أبا العتاهية فاستحله ووهب له ألف دينار وأطلقه .

١٧ – نظرات في التصوف

« تابع » المقامات والأحوال

« الصحو »

ثم يقول الهروى عن الصحو « الصحو فوق السكر ، وهو يناسب مقام البسط ، والصحو مقام صاعد من الانتظار ، مغن عن الطلب طاهر من الحرج ؛ فإن السكر إنما هو هو بالحق . والصحو من منازل الحياة ، وأودية الجمع ، ولوائح الوجود » .

هذا وغيره مما هو مبثوث فى كتبهم يدلنا على اعتقادهم فى أن السكر أقل درجات من الصحو ؛ لأن السكران لا يستطيع أن يقول : أنا الله ، أما الصاحى ، فيستطيع أن يقول صادقاً : أنا الله . ويا له من صدق هو شر من دناءة الكذب ، وخسة الكفر يدلك على أن القوم ينشدون الصحو من السكر ؛ لأن السكر تفرقة والصحو جمع ؛ لأن السكر إثنينية والصحو وحدة .

يدلك على أن هذه الزندقة هى دين القوم منذ نشأتهم ، بيد أن قوة الدولة وقوة الإيمان الذى كان يسيطر على الغالبية . جعلت هؤلاء الصوفية الأولين يخنسون وراء الجبانة فيبطنون معتقدهم فى أسلوب حذر ماكر ، على محياه وشائج إيمان باهتة وفى قلبه ـ إن كان له قلب ركام زندقة باغية .

يدلك على أن الغنوصية هى دين الصوفية الذى كانوا يحاولون نشره قديما فى حذر وتقية ، فلما ضعفت الدولة بضعف الإيمان استعلن كفر القوم ، وتبرجت فتنتهم ! !

الفناء : للفناء الصوفى بداية وغاية ، فبداية الفناء سقوط الأوصاف المذمومة . فيقال عن تارك الأفعال الذميمة إنه فان عن شهوته ، وعن الزاهد فى الدنيا : إنه فان عن رغبته ، وعمن نفى عن نفسه الخلق السيء : إنه فان عن سوء الخلق ، وعمن يشهد جريان القدرة فى تصاريف الأحكام : إنه فنى عن حسبان الحدثان من الخلق . بيد أن هذه الفناءات

كلها بدايات لغايات ؛ لأنها تدور حول البشرية الكامنة فى أعماق السالك ، ولأنها مشعرة بالسوى والتفرقة .

ويأتى بعد هذا فناء السالك عن توهم الآثار من الأغيار ؛ ليبقى بصفات الحق . أى فناؤه عن صفات الخلق بصفات الخالق . بيد أن هذا الفانى لا يلج بفنائه هذا قدس الحقيقة . نعم هو يطرق الباب طرقا خافت الهمس ، ويترقب فى شغف الإذن له بالدخول .

إنه فنى عن صفات الخلق بصفات الحق . غير أن الفناء التام هو الفناء عن صفات الحق بشهود الحق نفسه ، ومعبر هذا الشهود الذاتى لا يكون إلا باستيلاء سلطان الحقيقة عليه ، فلا يشهد من الأغيار — كما يقول القشيرى — لا عينا ولا أثراً ولا رسماً ولا طللا ، أى لا يرى فى الوجود إلا الله ، ولا يشهد غير الله ؛ لأن الغيرية وهم وسراب . ويقال عن صاحب هذه الحال : إنه فنى عن الخلق ، وبقى بالحق ، وتكاشف بشهود الحق سبحانه .

فالفناء ـ إذن عند بداية الغاية ـ هو فناء السالك عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق ، ثم فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق ، ثم تأتى الغاية الكبرى . وهى فناؤه عن فنائه باستهلاكه فى وجود الحق [1] ! !

إن فناءه عن صفات الحق بشهود الحق نفسه مازال يهمس بالمغايرة بينه وبين الذات ، لأنه مازال شاعراً بفنائه ، فلابد ـ إذن ـ من أن ينعدم فيه هذا الشعور شعور منه فان عن شىء ، فما ثم شىء غير الله ، حتى يقال إنه فنى عنه ، حتى الصفات الإلهية يجب أن ينعدم فيه الشعور بفنائه عنها ، لأن شعوره بأنه فان عن الصفات يحجبه عن شهود الوحدة التامة بينه وبين الله ! !

لقد بلغ مرتبة الفناء ، بيد أن المرتبة الكبرى إنما هى فناء الفناء ، وسلب السلب إيجاب . ونفى النفى إثبات ، وفناء الفناء وجود وبقاء . إنه يشعر فيه بأنه فى بقاء ماله

---

(١) ص ٣٦ وما بعدها ـ الرسالة .

من فناء ، ولم يسبقه من قبل فناء ، إنه يشعر ـ إنه جاز التعبير بالشعور فى هذه المرتبة ـ أنه كان مخطئاً حين ظن أنه فنى عن شىء سواء كان ذاتا أم صفة ، إذ ما كان ثمت من شىء ولا غير ؛ فاليقين الحق الثابت هو أن الله عين كل شىء . وأن كل شىء هو الله .

كان مخطئاً حين ظن أنه فنى عن وجود الخلق وعن صفات الحق ؛ لأن هذا الوجود وهذه الصفات هما ذات عين الحق ! ! .

ويقول الهروى فى منازل السائرين : « الفناء اضمحلال مادون الحق علماً . ثم جحدا ، ثم حقا » وهو على ثلاث درجات الدرجة الأولى : فناء المعرفة فى المعروف وهو الفناء علما ، وفناء العيان فى المعاين ، وهو الفناء جحداً وفناء الطلب فى الوجود ، وهو الفناء حقاً » ..

الدرجة الثانية : فناء شهود الطلب لإسقاطه ، وفناء شهود العلم لإسقاطه ، وفناء شهود العيان لإسقاطه .

الدرجة الثالثة : الفناء عن شهود الفناء . وهو الفناء حقاً شائماً برق العين ، راكباً بحر الجمع ، سالكا سبيل البقاء » .

يفنى عن معرفته بمعروفه ، وعن عيانه بمعاينه ، وعن طلبه بمطلوبه تلك هى الدرجة الأولى .

أما الدرجة الثانية : فهى فناء أرباب الدرجة الأولى عن فنائهم الأول فناؤهم عن شهود أنهم يطلبون أو يعاينون أو يعرفون .

أما الدرجة الثالثة ، فهى أرفع درجات الفناء ، فالثانية فناء عن شهود الطلب والعلم والعيان : غير أنه لايزال شاعراً بفنائه عن ذلك .

أما هذه الأخيرة ، فالسالك فيها يفنى عن ذلك كله ، أى يفنى عن شهود فنائه . إنه يرى فيها نور الحقيقة ، إنه فيها يعرف نفسه ويعرف وجوده ، ويعرف ما يرى ، يعرف

أنه هو الله ، وأن وجوده عين وجوده ، وأن مايراه هو عينه ، يعرف وحدة الوجود ! !

وهذه غاية تُسَخَّر من أجلها كل بداية . وهى الحقيقة التى لاينال منها جهل الناس بها فـكما لا يصح أن تنكر وجود الشمس فى الصحوة الغائمة بسبب استتارها وراء الغيم ، كذلك لا يصح أن تنـكر وحدة الوجود ، بسبب ران الحس الـكثيف .

هذا دين ، لن تجده أبداً فى كتاب أوحى به الله ، ولـكنك تجده فى كتب عدو الله منذ القدم . وإلا فأين فى كتاب الله هذا الفناء الصوفى ؟ .

إنهم يشيرون إلى قوله جل شأنه : (٥٥ : ٢٦ : ٢٧ كل من عليها فانٍ . ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) فأين من جلال هذا الحق ونوره وهداه ، وضاعة ذلك الباطل وظلامه وضلاله . فالله يخبرنا أن كل من على الأرض سيعدم ويهلك فلا يبقى إلا الله سبحانه أما الفناء الصوفى فمعناه فناء وجود الخلق فى وجود الخالق ، أو بمعنى أصرح . الإيمان بأن وجود الخلق عين وجود الخالق . الايمان بوحدة الوجود . فهل فى هذا الباطل اللجاج لمحة من نور ذلك الحق الأبلج ؟! :

البقاء : يقول الهروى . « البقاء اسم لما بقى قائما بعد فناء الشواهد وسقوطها ، وهو على على ثلاث درجات : بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عينا لا علما ، وبقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجوداً لا نعتا ، وبقاء مالم يزل حقا بإسقاط مالم يكن محوا » .

إن السالك الصوفى يعلم الله !! وقد يشعر بهذا العلم ، وقد لا يشعر إذا كان مستغرقا فى لذة الشهود : وسقوط علمه بأنه يعلم هو البقاء الأول : وفى هذه المرتبة يظل شاعرا بمعلومه ، لا بعلمه ! ! .

المرتبة الثانية : بقاء المشهود بعد فناء الشهود وجودا لا نفياً » وفى هذه المرتبة يصير المعلوم مشهوداً ، أو يفنى الخلق ، ويبقى الحق !! أو يفنى الشاهد ، ويبقى المشهود !!

المرتبة الثالثة : « بقاء مالم يزل حقاً » ما كان ثمت خلق إلا فى الوهم . وإن هذا

الذى كان يظنه السالك خلقاً سيشهده السالك فى هذه المرتبة حقاً . وهذا الوجود الممكن الحادث يراه السالك عين الوجود الواجب الأزلى الأبدى . وهذه الكثرة الموهومة والأفانين الأخيرة من البقاء : حقا . هذا الوجود الحادث يراه السالك عين الوجود القديم هذه الكثرة الموهومة والأفانين العديدة من شتى الصور يراها السالك وحدة لها صورة واحدة وحقيقة واحدة هى الله ، فما هذا الوجود إلا الله ! ! .

وبهذا يتبين لك أن كل مرتبة من الفناء يعقبها مرتبة من البقاء . فإذا فنى مثلا عن صفات الخلق قيل إنه بقى بصفات الحق ، وإذا فنى عن صفات الحق قيل إنه بقى بالحق ، وهكذا .

وهكذا أيضاً يتبين لك أنه ما من حال يتكلم عنه التصوف إلا وهو يستهدف إثبات وحدة الوجود .

« للمنظرات بقايا »

عبد الرحمن الوكيل

أحسن ما قرأت (١)

« وعظ فى الهواء وقرآن للبيع »

« اشتركت وزارة الشئون الاجتماعية ، ووزارة الصحة ، ووزارة الأوقاف ، وإدارة الأزهر ، وعدة هيئات شعبية فى الاحتفال بذكرى الحسين . وقلت لنفسى : أذهب إلى الساحة المائجة لأسمع وأرى ، لم أدر أأتهم نفسى أم أتهم الناس . كانت مكبرات الصوت مبثوثة هنا وهناك ، والأغانى الخليعة تذاع إلى جانب المحاضرات الدينية .

أفتظن الجو كان يتميز كثيراً عن الهزل ؟ ! .

لا ! إن تميز فى جوهره فلا يتميز فى جمهور السامعين الذاهلين .

إن صيحات الواعظ كانت تهز موجات الهواء . ولكنها لم تهز جوانب القلوب ، واستوقفت نظرى أمور شتى فى خطب أولئك الواعظين ! .

ما هذه الأحاديث الشريفة التى تلقى فى الهواء بالعشرات . . ؟ إنها الدرر التى كانت تنحدر من فم الرسول فيلقفها السامعون بمشاعر الإعزاز البالغ ، ويعرف صاحبها العظيم قيمتها فهو يقتصد فى إلقائها اقتصاداً ، ويوجز فى أحاديثه حتى لتحصى على الأصابع إحصاء .

هذه الأحاديث كانت تلقى فى إسراف شديد ... فى الهواء ! أولقوم قلوبهم فى الهواء .

ورأيت رجلا قارب الستين أو جاوزها ، يدخل فى دكان ليعرض على من كان فيه بضاعته ؛ وما بضاعته . ؟ إنه الوحى الذى نزل به الروح الأمين . ! !

هذا رجل أشيب يرتزق بالقرآن من قديم ، وكان صاحب الدكان زاهداً فى السماع

---

(١) للأستاذ النابه فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى كتابه « تأملات فى الدين والحياة » تحت العنوان المتقدم .

فأعطى السائل قريشات وصرفه . وتبعت القارىء السائل بعين تـكاد تطفر دمعاً . وقلب ملىء بالـكآبة . ! !

وهل رأيت مواكب الصوفية المتتابعة في هذه الساحة الغاصة ؟ !

إن طبولها تدق لا لإعلان الحرب على الشيطان ، بل لإعلان حرب الشيطان على دين الرحمن .

ورأيت يهودياً يرمق الموكب الصاخب بنظرات شزراء ! فتضاءلت فى شخصى وأحسست بسهام الخزى تخترق فؤادى من كل صوب . ؛ ثم مرت الأعلام التى نقشت جوانبها بأسماء الخلفاء الأربعة ، ومن تحتها فلول الفلاحين الأغبياء ! !

ووقفت فى مكانى أستعرض المارة كما يستعرض القائد المـكسور جيشه المهزوم ! .

ولم أجد أفضل من أن أعود أدراجى تاركاً لوزارات الشئون والصحة والأوقاف والأزهر عبء العمل المنتج فى ساحة الاحتفال المهيب » إنتهى كلامه .

أقول : هذه صيحة أرسلها صاحبها فى ساحة الوجود وسجلها فى كتابه منذ خمس عشرة سنة أو يزيد بجوار صيحات أنصار السنة وطلاب الحق من أمد بعيد ! !

وتساءلت أين ذهبت تلك الصيحات ؟!! بلا ريب ذهبت أدراج الرياح لأنها لم تـكن مصحوبة بيد حاكمة مؤمنة قوية تفرض تنفيذها وتقديرها فى أمة عششت فيها الأوهام ، وسيطر على عقولها الجهل بالدين ، ونـكصت على عقبيها عن الحق وأهله ، وقبول دعوته وهديه !

إنه لم ينتشر بيننا سوء الخلق ، وفقدان الضمير ، ووهن العزائم ، والركون إلى الحياة ، دون عمل مذخور لنا عند الله . . . إلا من يوم أن فقدنا عقائدنا النقية الطاهرة ، فى تلك الموالد البدعية الشركية ، حول تلك الأصنام ، التى زينها الشيطان للعقول المخبولة من دهماء المسلمين وغوغائهم . ! !

ونحن نناشد المسئولين ، الذين يريدون إصلاح هذه الأمة ، أن يدركوا خطر أولئك على عرقلة طرق الإصلاح أمامهم . . ! !

فما رأينا مجتمعاً صلح على دروشة فريق من الناس ، فكيف بمجتمع قد تدروش نصفه أو يزيد . ! ! لابد من العقيدة النقية ، ولابد من صفاء الروح ، ولابد من قطع رأس الأفعى - الصوفية - حتى نهنأ ونسعد ، ونحظى بطمأنينة النفس وسلامة العقيدة . ! إن كل إصلاح يحاول اليوم فى تلك الموالد لايجدى أبداً لأنه محاولة بناء عقيدة سليمة على أساس من الشرك والفساد .

فمن لم يشرب الخمر - فيها - سيقع فى خطيئة الانزلاق إلى النساء ، ومن لم يقترف من ذلك شيئاً ، فلا ريب أنه سيضل فى عقيدته لأنه لم يخرج من بيته إلا لذلك الشيخ . المقامة عليه القباب ، المرفوعة له الأعلام ، والمهيأة لزائريه الأماكن . ! !

وماذا يطلب المجتمع من شخص فقد كيانه ولبابه . ؟ ! !

ألا فليكن لنا فى هادى البشرية محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الأكرمين الأسوة الحسنة الطيبة فى تكوين الإنسان الصالح للحياة ، النافع لنفسه وأمته ، وذلك لا يخفى على أحد من أولى البصائر ! !

« قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، وما أنا عليكم بوكيل ١٠ - ٨ . ١ » .

هدانا الله - جميعاً - إلى الهدى ، وأنقذنا من الخبال والضلال .

السيد عبد الحليم محمد حسين هلالي

إلى مشتركى (الهدى النبوى)

— بالمغرب —

ترجوا إدارة الهدى النبوى من السادة الذين يريدون الاشتراك بها أن يتفضلوا بالاتصال بالسيد محمد بن محمد بن عبد القادر بمدينة مكناس . أو بالسيد الحاج أحمد هارون بمدرسة القاضى عياض بمدينة تطوان .

واجبنا نحو موتانا

ترى الناس إذا ما فجعوا فى أحد منهم ، تثور فى نفوسهم حمية المفاخرة ، فيكفنون الميت فيما دقت صناعته وغلا ثمنه من الحرير والديباج ، ولم يعلموا بأن هذا يؤذى الميت فى قبره ، ويعذب به إذا رضى به فى حياته ، ولم يوص أهله بتركه ، فها هو ذا رسول الله « صلى الله عليه وسلم ، الذى هو أكرم الخلق وأشرف الرسل ، قد كفن فى ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ، بل نهى عن المغالات فقال : « لا تغلوا فى الكفن فأنه يذهب سريعا » . وقال صلى الله عليه وسلم : « ألبسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم» . ورحم الله الصديق حيث أمر بأن يدفن فى ثيابه التى مات فيها ، لأنه يرى أن الحى أولى بالجديد . لم يقتصر الناس على هذا بل تجاوزوه إلى ما هو أكثر ضررا وأعظم خطرا ـ لا سيما إذا كان فى الورثه يتيم ـ من التوسع فى النفقات والتبذير فى ليالى المآتم والأربعين وغيرذلك مما هو محظور وغير مأذون فيه ولا يعود على الميت إلا بالضرر، والويل كل الويل لمن فعل ذلك وفى الورثة أيتام ، فهناك يحق عليه وعيد الله (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيراً) وليت هذه النفقات تصادف فقراء محتاجين فتكون صدقة على الميت ، ولكنها لا تقع إلا فى أيدى الأغنياء الذين ليسوا فى حاجة إليها . ومعروف أن الصدقه لايؤجرعليها إلا إذا كانت لبائس فقير ، ومما هو أدهى وأمر بناء الحجرات فى المقابر واتخاذ الأحواش وزخرفة المقابر وارتفاعها والكتابة عليها فقدر رد النهى عن كل هذا . إذ أن بناء الحجرات واتخاذ الأحواش اغتصاب لحقوق المسلمين وتضييق عليهم فإنها أرض مسبلة للدفن فحسب فمن أخذ زيادة عما يحتاجه للدفن فقد هضم حق غيره وظلم نفسه وآذى ميته .

ولو علم المسلمون أن موتاهم قد انتقلوا من باطل الدنيا إلى دار الحق وأن الميت أفضى إلى ما قدم، ويكفيه فى برزخه أربعة أذرع لحولوا هذه القصور إلى قبور لموتى المسلمين وقسموا هذه الأحواش بينهم و بين غيرهم ، فإنهم بذلك يكونون قد أحسنوا إلى أنفسهم وأرضوا الله عليهم ، ورفعوا التبعات الملقاة على الأموات الذين كانوا سببا فى هذه السنة السيئة فحولوا أماكن العبرة والادكار إلى موطن تيه وفخار وترفه للأحياء ، وربما كانت مباءة لفجور وعصيان . ومما يحزن كثيرا أن المسلمين قد اقتدوا بالنصارى واليهود فى تشييع جنائزهم فمن موسيقات تصدح ومن باقات من الورد والياسمين ، ومن جماعات اختلفت أشكالهم وتنوعت أزياؤهم يرتدون أردية خضراء و يلبسون قلنسوات قد عظم حجمها ، ومن جنود رجالا وركبانا وأناس يحملون مجامر ومن أطفال وشيوخ يرددون أصواتا منكرة وهكذا مما يذهب بروعة الموت وجلاله .

ولا تسل عما أحدثوه فى زيارة المقابر من المبيت والجلوس والقعود على القبور ، وأخذهم الأمتعة والطعام والشراب ، واختلاط النساء بالرجال ، مما كان له أثر سيء فى فساد الأخلاق وخدش الحياء وانتهاك الفضيلة ونشر الرذيلة ، ولقد ورد الوعيد الشديد والتحذير من الجلوس عند المقابر ففى حديث لمسلم : « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر » وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى ؟ فقال إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد » . قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه» رواه الترمذى عن هانىء مولى عثمان .

وإن كانوا يذهبون إلى المقابر بحجة تلاوة القرآن فإن الله قد أنزل القرآن للأحياء لا الموتى ، قال تعالى : (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين . لينذر من كان حيا و يحق القول على

الـكافرين) ـ وما عدا ذلك فأنه فضول لم يرد به أثر صحيح ولا حديث ضعيف ـ إذ أن القصد من الزيارة إنما هى عظة الموت أما حديث : « اقرؤا يس على موتاكم » . فهو ضعيف فى سنده مجهولان ، وأما البكاء على الميت ففيه تعذيب للميت إذا لم ينه عنه فى حياته . فعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : « أغمى على عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فجعلت أخته تبكى وتقول واجبلاه واكذا واكذا تندبه ، فقال حين أفاق : ما قلتِ شيئا إلا قيل لى أنت كذلك » رواه البخارى . وقد جاء فى الصحيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » . وفى مسلم : « اثنتان من الناس هما بهما كفر : الطعن فى النسب والنياحة على الميت » فاتقوا الله أيها المسلمون فى موتاكم فلا تؤذوهم وأكرموهم مما أكرمهم الله ، من تنفيذ وصاياهم وإكرام أصدقائهم وأقاربهم بالترحم والدعاء والصدقة والاستغفار ، وأما غير ذلك فزور وبهتان ، ومن إكرام الميت أن تكرمه بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال : « أحسنوا الكفن ولا تؤذوا الميت ببكاء ولا عويل ولا بتزكيه ولا بتأخير وصية ولا بقطيعة ، وعجلوا بقضاء الدين ، وأعدلوا عن جيران السوء ، وأعمقوا إذا حفرتم ووسعوا » .

وعن أبى سعيد مالك بن ربيعة الساعدى أن رجلا قال : يا رسول الله هل يبقى من بر أبوى شيء أبرهما بعد موتهما فقال : « نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما » .

ومن المنكرات الذبح تحت النعش أو عند القبر ، لأن الرسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ففى الحديث الذى رواه الأمام أحمد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا إسعاد فى الإسلام ولا عقر فى الإسلام » .

« قال الحسن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه إلى بقيع الفرقد فقال : السلام عليكم يا أهل القبور لو تعلمون ما نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم ، ثم أقبل عليه أصحابه فقال : هؤلاء خير منكم ، قالوا : يا رسول الله إخواننا أسلمنا كما أسلموا ، وهاجرنا كما هاجروا ، وجاهدنا كما جاهدوا ، وأتوا على آجالهم فمضوا فيها ، و بقينا فى آجالنا ، فما تجعلهم خيرا منا . فقال : إن هؤلاء خرجوا من الدنيا ولم يأكلوا من أجورهم شيئا ، وأنا شهيد عليهم ، وأنتم قد أكلتم أجوركم ولا أدرى ما تحدثون بعدى » . قال : فلما سمعها القوم عقلوها وانتفعوا بها فقالوا : وإنا لمحاسبون بما جمعنا من الدنيا بعدهم، إنه لمنتقص به من أجورنا ، فكلوا طيبا وقدموا فضلا وأنفقوا قصدا .

عبد المحسن الجندى

الاذاعة والبهائية

تحدثت الإذاعة بالقاهرة فى البرنامج الثانى عن كتاب (البهائية) وقد قام بالحديث عنه الأستاذ محمد عبد الله السمان فى يوم الاثنين ٣ من ديسمبر سنة ١٩٦٢ فى منتصف الساعة العاشرة مساء . ونحن نشكر الأستاذ المشرف على مجلة أخبار الأدب فى البرنامج الثانى من الإذاعة ونشكر الأستاذ الكريم محمد السمان ، وحين نحصل على نص حديثه سننشره كما هو بثنائه ونقده فى المجلة إن شاء الله .

« يباع الكتاب فى مكتبة أنصار السنة المحمدية بـ ٥٠ قرشاً » ٤٠٠ صفحة .

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم

— ٣ — غزوة بنى قريظة

تمهيد : وقفنا بالقارىء الكريم فى المقال الأول من غزوة بنى قريظة عند اختيار بنى قريظة لسعد بن معاذ (رضى الله عنه) ليكون حكما بينهم ، فيقرر مصيرهم الذى سيلاقونه جزاء ما قدمت أيديهم من خيانة وغدر وتحلل . ثم قبول الرسول (صلى الله عليه وسلم) لهذا الاختيار . وإذنه لسعد بالحكم.

وفى هذا الجزء من هذه الغزوة التى تأتى على نهايتها سنعرف مالاقته قريظة من جزاء عادل على خيانتهم وغدرهم .

الحق إن بنى قريظة قد خانهم الحظ باختيار سعد حكما لهم . كما أن القدر المحتوم أنساهم ما سيضعه سعد بن معاذ أمامه من أسباب عند الشروع فى الحكم . وأول هذه الأسباب : أن سعداً ذهب إلى بنى قريظة مع سعد بن عبادة - سيد الخزرج - يوم أن نقضوا ميثاق الخير والسلام مع رسول الله ، وطلب إليهم أن يرجعوا عن موقفهم العدائى فيظلوا على العهد والميثاق . وإلا حل بهم أشد مما حل ببنى النضير . ولكنهم لم يأبهوا للتحذير ، بل شتموا وسبوا رسول الله « صلى الله عليه وسلم » . ولا شك أن هذا الموقف العدائى منهم قد أثار غضب سعد بن معاذ عليهم . وثانى هذه الأسباب : أن سعداً قد أدخل فى حسابه أن الأحزاب لو كانت قد ظفرت بالنصر فى معركتهم لما ترددت لحظة واحدة عن الفتك بالمسلمين وبنسائهم وأولادهم ، والاستيلاء على أموالهم . وإذن فعلى سعد أن يحكم على بنى قريظة بما يذيقهم نفس المصير الأليم الذى كانوا سيرتضونه للمسلمين ، وهم أصحاب حق .

وثالثها : أنه كان من جرحى معركة الأحزاب . وهذا بلا شك قد ترك فى نفسه أثراً سيئاً تجاه بنى قريظة — حلفائه ، هذه الأسباب مجتمعة وضعها سعد أمامه ليضع بموجبها نهاية حلفائه الغادرين .

سعد يقبل الحكم على حلفائه : كان سعد بن معاذ قد جرح من سهم أصابه فى غزوة الأحزاب . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملوه إلى خيمة فى مسجده لامرأة من أسلم يقال لها « رفيدة » حتى يعوده من قريب ، فلما حكمه رسول الله فى بنى قريظة أتاه نفر من قومه وهو جريح ، فحملوه على حمار لهم ثم أقبلوا معه إلى رسول الله « صلوات الله وسلامه عليه » وهم يقولون له بلسان الرجاء والتوسل : يا أبا عمرو أحسن فى مواليك[1] فإن رسول الله « صلى الله عليه وسلم » إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم . فلما أكثروا عليه القول والإلحاح قال : لقد آن لسعد ألا تأخذه فى الله لومة لائم .

ويستطيع القارىء أن يستشف من مقالة سعد أن جزاء قريظة سيكون القتل . ولذا فإن بعض من كانوا مرافقين لسعد وهو فى طريقه إلى رسول الله صلى الله عليه رجع إلى بنى عبد الأشهل بعد سماعه مقالة سعد لينعى إليهم بنى قريظة .

فلما انتهى سعد إلى رسول الله « صلوات الله وسلامه عليه » والمسلمين ، قبل الحكم فى مواليه أمام الرسول . وأعلن حكمه فقال : فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء . وهنا قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » لسعد راضياً عن حكمه « لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[2] » .

تنفيذ حكم سعد فى قريظة : وبهت بنو قريظة لهذا الحكم القاصم ، وجمد الدم فى عروقهم ، ولم يستطيعوا الكلام . وأنى لهم ذلك وقد كانوا مقهورين أمام أمرين لاثالث لهما: الحصار ، أو حكم حليفهم الذى كانوا يأملون الخير على يديه ؟ . على أن الحظ لو كان فى فى جانبهم لقدر لموقفهم أن يأخذ صورة أخرى تفيدهم بعض الشىء . ولكن هذا الحصار الذى يحكم على كيانهم ويكاد يزهق أرواحهم لم يجعل فى وسعهم الامتناع عن النزول على حكم سعد . أو حتى مجرد التلميح بالاعتراض أو الاحتجاج .

---

(١) لأن بنى قريظة كانوا حلفاء الأوس . وسعد بن معاذ سيدهم .

(٢) جمع رقيع وهى السماء .

سيق بنو قريظة إلى المدينة تعلو وجوههم الذلة . وتبدو عليهم المسكنة حيث حبسهم رسول الله فى دار كيسة بنت الحارث .

ثم خرج رسول الله « عليه الصلاة والسلام » إلى سوق المدينة . فحفر بها خنادق . ثم بعث فى طلب بنى قريظة . فأتى له بهم أرسالا[1] — وكانوا ستمائة أو سبعمائة[2] — فضربت أعناقهم ودفنوا فى هذه الخنادق .

موقف حُيَىّ وكعب : ومما يجدر ذكره أن حيىّ بن أخطب حين جىء به لتضرب عنقه ـ وكان يلبس حلة شقها قليلا من كل جانب . ويداه مجموعة إلى عنقه بحبل ـ . . نظر إلى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » نظرة تترجم عن ندمه واعترافه بالخطأ فقال له الرسول « ألم يخزك الله يا حيى ؟ » فأجاب : أما والله ما لمت نفسى على عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل .. ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس . انه لا بأس بأمر كتاب وقدر وملحمة[3] كتبها الله على بنى إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه .

أما كعب بن أسد الذى غرر به حيى وجعله يتحلل من ميثاق رسول الله ، فإنه بدوره لم ينس التاريخ أن يسجل له -- مع قومه — موقفاً مفعما بالخزى والندم عندما دنت ساعة النهاية الأليمة ، قال له نفرمن قومه : يا كعب ماتراه يصنع بنا ؟ . قال أفى كل موطن لاتعقلون ؟ . ألا ترون الداعى لا ينزع . وأنه من ذهب منكم لا يرجع ؟ . هو والله القتل !

نساء وغلمان بنى قريظة : أما نساء بنى قريظة فقد أخذن سبايا . ولم يقتل منهن إلاامرأة واحدة كانت تستحق القتل . فقد طرحت هذه المرأة الرحى على رجل من المسلمين يدعى «خلادبن سويد» فقتلته . ويذكر أن هذه المرأة كانت عند عائشة[4] (رضى الله عنها)

---

(١) اى جماعات (٢) وقيل : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة

(٣) الملحمة : الوقعة العظيمة القتل .

(٤) ويروى أن عائشة (رضى الله عنها) كانت تقول عن هذه المرأة : فوالله ما أنسى عجباً منها « طيب نفسها . وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل : » راجع تهذيب سيرة ابن هشام ص ٣٠٨ جـ ٢ .

عندما كان رجال قومها يقتلون . وتقول عائشة فى الحديث عنها : والله إنها لعندى تحدث معى وتضحك ظهراً و بطناً ورسول الله « صلى الله عليه وسلم » يقتل رجالها فى السوق . إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قلت لها : ويلك ! . مالك ؟ . قالت : أقتل . قلت : ولم ؟ . لحدث أحدثته .. قالت عائشة : فانطلق بها فضربت عنقها .

واصطفى الرسول « صلى الله عليه وسلم » لنفسه من نساء بنى قريظة « ريحانة بنت عمرو بن خناقة » فعرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب . ولكنها تعصبت ليهوديتها وأبت أن تسلم وقالت للرسول : يا رسول الله : بل تتركنى فى ملكك فهو أخف علىّ وعليك . فتركها وعزلها . . وذات يوم كان الرسول « صلوات الله عليه » يجلس مع صحابته جاءه ثعلبة بن سعية يبشره بإسلام ريحانة . فسره ذلك . وبقيت ريحانة عند رسول الله حتى توفى . أما الغلمان فقد أمر رسول الله بعدم قتلهم إلا من وجد منهم قد أنبت فيه الشعر . أى قد بلغ الرشد .

وأسلم من بنى قريظة يومئذ أربعة فنجوا من القتل .. كما شفعت إحدى خالات رسول الله ـ وكانت قد بايعته مع النساء وصلت معه إلى القبلتين ـ فى رفاعة بن سموأل القرظى . وكان رجلا قد بلغ الرشد ، فلاذ بها ليخلى سبيله . فقالت : يانبى الله بأبى أنت وأمى هب لى رفاعة . فإنه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل فوهبه لها فاستحيته .

تقسيم الأموال : وقسم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد أن أخرج منها الخمس فكان للفارس سهمان . ولفرسه سهم . وللراجل سهم .

ثم بعث سعد بن زيد الانصارى أخا بنى عبد الاشهل بطائفة من سبايا قريظة إلى نجد فاتباع لهم بها خيلا وسلاحا ليزيد فى قوة المسلمين . ويدعم جانبهم الحربى .

ولماهم المسلمون بمغادرة الخندق بعد أن تم قتل ودفن رجال بنى قريظة. وقف رسول الله «عليه الصلاة والسلام» وقال للمسلمين « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا . ولكنكم تغزونهم . فلم تغزهم قريش بعد ذلك . وكان هوالذى يغزوهم حتى فتح الله عليه مكة[1] .

استشهاد سعد بن معاذ : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر الجرح الذى أصاب سعد بن معاذ فى معركة الاحزاب . فمات شهيدا . وقد روت كتب السيرة[٢] أنه كان رجلا بدينا . فلما توفى وحمله الناس إلى مثواه الأخير قال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادنا . وما حملنا من جنازة أخفَّ منه فبلغ ذلك رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فقال فقال « إن له حملة غيركم . والذى نفسى بيده لقد استبشرت الملائكة بروح سعد واهتز له العرش » . . رضى الله عن سعد وعن سائر إخوانه الصحابة المجاهدين .

كلمة لا بد منها : بهذا انتهت غزوة بنى قريظة الذين قدرلهم أن يسيروا فى الطريق الذى اختاروه لأنفسهم لحق عليهم التردى فى هاوية سحيقة جزاء ما فعلوا .

ويمكننا القول أن حيى بن أخطب هو الذى نسج أول خيوط الشرك الذى وقع فيه بنو قريظة . وتسبب فى القائهم فى أتون الهلاك . وإن كان هو أيضا قد هلك معهم .

ولقد كان فى استطاعة بنى قريظة العيش بجانب المسلمين فى سلام وأمان ولكن موقفهم العدائى الذى وقفوه من المسلمين بانحيازهم إلى جانب قريش وغطفان ليؤلفوا قوة كبيرة لا يستطيع المسلمون مجابهتها والوقوف أمامها ، وكان هذا الموقف أمراً لا يطاق مما جعل سعد بن معاذ نفسه ـ وهو حليفهم ـ يتبرأ من فعلهم ويلفظهم لفظ النواة بما أنزله عليهم من قصاص . إذ اعتبر أن الأمر يتصل بكرامة المسلمين وعزتهم ووجودهم ، وكونهم أصحاب دعوة حق يجب أن تبقى وتنتشر ويكثر اتباعها .

وليس من شك فى أن غزوتى الأحزاب وقريظة كان لهما صدى كبير فى أرجاء الجزيرة العربية حيث زادت من قوة المسلمين . وأكبرت من هيبتهم عند العرب واليهود وغيرهما . وجعلت بطولات المسلمين مضرب الأمثال بعد ذلك على مر السنين . . ولا غرو فقد كانوا أصحاب دعوة حق ، هى دعوة الله للناس أجمعين .

سعد صادق محمد

---

(١) راجع تهذيب سيرة ابن هشام ص ٣١٤ جـ ٢ .

(٢) راجع المصدر السابق ص ٣١٣ جـ ٢ .

أسئلة وأجوبتها :

الأســـــئلة

أرجو التفضل بالإجابة على الأسئلة الآتية على صفحات مجلة الهدى النبوى الغراء بإسهاب وشرح واف :

١ — ما الذى يلزم عمله للميت منذ احتضاره حتى يوضع فى قبره ؟ وما هو الكفن المجزىء ونوعه ومقداره ! وكيفية الغسل ؟ وما هو نص الدعاء الوارد فى صلاة الجنازة ؟ وهل من الجائز شرعاً دفن الميت فيما يسمى بالفسقية وهى مبنى بالطوب الأخضر تحت الأرض به حجرتان إحداهما للرجال والأخرى للنساء أم لابد من دفنه فى لحد ؟ وهل هنالك أصل لذلك التلقين الذى يلقن به الميت بعد دفنه ؟ وكيف يتم عـــزاء أهل الميت عقب الدفن مباشرة ؟ والذى يحدث أن تقف أسرة الميت الوارث منهم وغير الوارث يتقبلون العزاء عند القبر فى صف طويل .

٢ — ما حكم خفض البنات ؟ وهل هو لازم ؟ وما هو الدليل أو الأدلة الصريحة الصحيحة التى تنص على لزومه ؟ وما رأيكم فى هذه المشكلة الاجتماعية ؟ أرجو جواباً قاطعاً شافياً فى المسألة .

٣ — ما هى سنن الصلوات المفروضة الثابتة قبل كل فريضة و بعدها ؟

٤ — يقوم بعض الناس برهن قطعة أرض زراعية نظير مبلغ من المال ، ويتولى صاحب المال زراعة الأرض والاستفادة منها ودفع ما عليها من ضرائب ، حتى إذا قدر المدين على رد المبلغ استرد أرضه .

فهل تدخل المنفعة التى حصل عليها صاحب المال من زراعة الأرض فى عداد الربا .

٥ — ما حكم الشرع فى بوليصة التأمين ؟ وأظن تفاصيلها لاتخفى عليكم . ، إذ أنها أصبحت شائعة ومنتشرة بشكل واسع ظاهر .

صالح حسن درويش
بالقبابات مركز الصف جيزة

الأجـــــوبة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . و بعد : فقد سبق أن أجبنا على مثل هذه الأسئلة فى أعداد متفرقة من مجلتنا « الهدى النبوى » . ولكن لا بأس من الإعادة ففيها إفادة ، فنقول :

١ — يشمل السؤال الأول عدة مسائل ونجيب عن كل مسألة على حدة :

— ١ —

(ا) ما الذى يلزم عمله للميت منذ احتضاره حتى يوضع فى قبره ؟

روى فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعود من مرض من أصحابه ، و يمسح بيده اليمنى على المريض ويقول : « اللهم رب الناس ، اذهب الباس ، واشف أنت الشافى ، لاشفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما » وربما كان يقول : « كفارة وطهور » وكان إذا أيس من المريض قال : « إنا لله و إنا إليه راجعون » وكان يدعو له عند موته فيقول : « اللهم اغفر له ، وارفع درجته فى المهديين ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين . واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له فى قبره ، ونور له فيه » رواه مسلم. وكان من هديه الإسراع بتجهيز الميت وتطهيره وتنظيفه وتطييبه وتكفينه ، ثم الصلاة عليه ، وسؤال الله المغفرة والرحمة له ، والتجاوز عن سيئاته . ثم الدعاء له بالتثبيت عند السؤال بعد إنزاله فى القبر ووضعه فى اللحد . وكان رسول الله يأمر بالإسراع بالجنازة ،

فقد روى البخارى ومسلم أنه قال : « اسرعو بجنائزكم فإن تك صالحة فخير تقدمونها عليه ، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقاربكم » وكان يقول عند إنزال الميت فى القبر ووضعه فى اللحد « بسم الله ، وعلى سنة رسول الله » رواه أبو داود .

(ب) ما هو الكفن المجزىء ونوعه ومقداره ؟

أفضل الكفن البيض من الثياب أيا كان نوعه ، و بمقدار ما يكفى لف الجسد ثلاث مرات . وقد كفن رسول الله فى ثلاثة أثواب بيض . روى فى الصحيحين « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب بيض سَحُـــوليّة كُرسف ، ليس فيها قميص ولا عمامة » والسحولية نسبة إلى سحول قرية باليمن ، والكرسف القطن . ويلاحظ أن الحديث نص على عدم القميص والعمامة ، بخلاف ما يفعله الناس اليوم . وكان رسول الله ينهى عن المغالاة فى الأكفان .

(ح) كيفية الغسل ؟

يغسل الميت بالماء والسدر ــ و بدله الصابون الآن ــ ثلاثاً أوخمساً أو أكثر بحسب مايراه الغاسل كافياً ، ويبدأ بالغسل من الرأس إلى القدمين ، وبالميامن ومواضع الوضوء ، ثم يفاض على جسده الماء ثم يطيب ويكفن . روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الغاسلات حين توفيت ابنته فقال « اغسلنها ثلاثاً أو خمساً ، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك ، بماء وسدر ، واجعان فى الآخرة كافوراً ، وابدأن بميامنها ومواضع الوضوء » .

(ى) ما هو نص الدعاء الوارد فى صلاة الجنازة .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكبر على الميت أربعاً ، يقرأ بعد التكبيرة الأولى الفاتحة ، ويصلى على رسول الله بعد الثانية ، ويدعو الميت بعد الثالثة ، ويدعو لنفسه والمسلمين بعد الرابعة ثم يسلم .

ومما يؤثر من دعائه للميت ما رواه مسلم فى صحيحه قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وأهلا خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجه . وأدخله الجنة ، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار » . ومن دعائه لنفسه وللمسلمين : اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، وشاهدنا وغائبنا اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان . اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله » . وإن كان الميت رجلا وقف بإزاء رأسه ، وإذا كانت امرأة وقف بإزاء وسطها .

(هـ) هل من الجائز شرعاً دفن الميت فيما يسمى بالفسقية ، أم لا بد من دفنه فى لحد ؟

الطريقة الشرعية فى الدفن أن يحفر ويلحد لكل ميت ، ولكن تدعو الحاجة والضرورة أحياناً إلى دفن أكثر من واحد فى القبر الواحد ، كما روى البخارى أنهم كانوا يدفنون الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد يوم أُحُدُ . فإذا دعت الضرورة إلى تحديد أماكن الدفن مع اتساع العمران وازدياد الناس وخشى من التضييق على الأحياء فى مساكنهم ومزارعهم على مر السنين والقرون ، فإن مثل هذه الضرورة تبيح الدفن فى مثل القبور التى وصفتها والتى تسمى بالفساقى . وأما تخصيص حجرة للرجال وأخرى للنساء فهو خير ، حتى يعلم أن الإسلام لا يبيح الاختلاط حتى بعد الموت . وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور ثم أباحها للرجال دون النساء ، وشدد فى نهيهن حتى قال فيما رواه أبو داود والترمذى والنسائى : « لعن الله زائرات القبور » .

و — هل هناك أصل لذلك التلقين الذى يلقن به الميت بعد دفنه ؟

لم يرد شىء فى التلقين ولا يصح شىء مما يلقن به الميت بعد دفنه ، ولا فى قراءة شىء من القرآن عند قبره ، وروى مسلم فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » أى عند احتضاره حتى تكون هذه الشهادة آخر شىء من كلام الدنيا يقرع أذنيه ، كما قد

تكون آخر شيء ينطق بها لسانه اذا استطاع . أما ما ثبت عن رسول الله أنه كان يدعو للميت بعد دفنه بمثل قوله : « اللهم ثبته ، اللهم ألهمه حجته » فإنه دعاء وليس تلقينا .

أما الحديث الذى رواه أبو داود : « أقرأوا سورة يس على موتاكم » فقد ثبت عند المحدثين أنه موضوع .

ز — كيف عزاء أهل الميت ؟ .

من السنة تعزية أهل الميت وتسليتهم والتخفيف عنهم ، مع النهى عن الجزع ورفع الصوت بالبكاء ، ومع الوعظ بالصبر والتسليم لقضاء الله والرضا بحكمه وقضائه . ويقال لهم . أحسن الله عزاءكم ، أو ألهمكم الله الصبر فى مصابكم ، أو أعظم الله أجركم . وإذا كان الميت طفلا يقال : عوضكم الله خيراً مما أخذ منكم أو نحو ذلك . ولا بأس بأن يصنع لهم جيرانهم الطعام ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاما ، فقد أتاهم ما يشغلهم » وكان ينهى عن النياحة والنعى والاجتماع للتعزية بعد الدفن ، ويقول « هو من عمل الجاهلية » رواه الترمذى ، وقد كره حذيفة أن يُعْلِم به أهله الناس إذا مات ، وقال :

« أخاف أن يكون من النعى » . رواه الترمذى وصححه أحمد وابن ماجه ، ويدخل فى ذلك ما ينشر من النعى فى الجرائد : وروى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا — وأشار إلى لسانه — أو يرحم » وكان يقول . « تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب » رواه الشيخان أيضا فلا بأس بالتعزية مالم يجتمع لها بالدوار أو السرادق .

— ٢ —

لم يرد فى خفض البنات حديث صحيح صريح ، وقد حمل الفقهاء الألفاظ العامة التى وردت فى الختان فى الصحيحين وغيرهما ، وأنه من الفطرة ، على أنها فى ختان الرجال . وروى فى سنن أبى داود حديث لأم عطية الأنصارية قالت : « إن امرأة كانت تختن بالمدينة ، فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : لا تنهكى ، فإن ذلك أحظى للمرأة ، وأحب

إلى البعل » والنهك : المبالغة فى الخفض . وفى رواية أخرى « أشمى ولا تنهكى . أمرها بقطع جزء يسير من البظر ، والحديث على ضعفه الذى أشار إليه أبو داود نفسه يصلح للعمل به حيث لا يوجد غيره فى هذا الباب ، كما أثبتت التجارب على فائدة الخفض اليسير للبنات صحيا واجتماعياً ، وصيانة للعفة والحياء . وقد جرت العادة عليه منذ الصدر الأول ، ولم يثبت نهى عنه .

— ٣ —

سنن الصلوات المفروضة فى أصح الروايات اثنتى عشرة ركعة ، أربعاً قبل الظهر واثنتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل الفجر . وذلك لما روى مسلم عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى بيته قبل الظهر أربعا ، ثم يخرج فيصلى بالناس ، ثم يدخل فيصلى ركعتين وكان يصلى بالناس المغرب . ثم يدخل فيصلى ركعتين . ويصلى بالناس العشاء ، ويدخل بيتى فيصلى ركعتين . وكان يصلى من الليل تسع ركعات فيهن الوتر . وكان يصلى ليلا طويلا قائما ، وليلا طويلا قاعداً . وكان إذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم ، وإذا قرأ قاعداً ركع وسجد وهو قاعد . وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين » .

وروى مسلم أيضاً عن أم حبيبة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من صلى فى يوم وليلة اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتاً فى الجنة » . وتوجد غير رواتب المفروضات نوافل كثيرة ، وآكدها جميعاً ركعتى الفجر ووتر العشاء وتحية المسجد فقد ثبت أن رسول الله لم يكن يدعهما سفرا ولا حضراً ، أما تحية المسجد فأنه كان يأمر بها حتى من دخل المسجد وهو يخطب الجمعة .

— ٤ —

الرهن وثيقة فى يد المرتهن ، وليس له أن ينتفع منه بشىء ، بل تبقى عينه ومنفعته فى يد الراهن ، غير أنه لا يتصرف فيها ببيع ولا بخلافه إلا بعلم المرتهن واستيفائه حقه . وقد اختلف الفقهاء فيما إذا كان الرهن مما يركب ويحلب : هل للمرتهن أن ينتفع بالحلب والركوب بقدر النفقة ؟ أو المنفعة تكون للراهن وعليه النفقة ؟ أو تكون للعدل الأمين

الموضوع فى يده الرهن ؟ ذلك لأن الحديث الذى رواه البخارى ليس صريحاً فى تحديد المنتفع ، ولفظ الحديث . « يُركب الرهن بنفقته ، ويُشرب لبن الدرِّ إذا كان مرهونا ، وعلى الذى يشرب ويركب النفقة » . أما إذا كان الرهن مما لا يغل شيئاً فالأمر فيه واضح ، وقد روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشترى طعاما من يهودى إلى أجل ، ورهنه درعا له من حديد » . فليس للمرتهن إذن إلا الاستيثاق لضمان ماله بأصل عين الرهن وليس له أن ينتفع من الرهن بشىء ، وإلا كان آكلا للربا فإذا أصر أن تكون عين الرهن بيده فعليه أن يحط من أصل الدين قيمة كل ما يغله الأرض حتى يستهلك الدين أو يسدد له الباقى منه . وقد أفتى بذلك الإمام ابن القيم .

— ٥ —

التأمين أنواع : على الحياة ، وضد الحوادث وغيرهما . والمعروف أن المُؤَمَّن يؤمن على حياته — مثلا — بمبلغ معين لمدة معينة ، يدفع فيها قيمة البوليصة[1] على أقساط شهرية أو سنوية أو نصف سنوية أو على أى نظام يتفق عليه . ومعروف أيضاً أن لهذه الأقساط جداول يلاحظ فيها نسب معينة من الفوائد المركبة . والمؤمن إما أن يموت قبل انقضاء المدة المتفق عليها فتستحق قيمة البوليصة لورثته أو لمن يعينهم فيها مهما كانت قيمة الأقساط التى سددها ، فهو يقصد فى هذه الحالة أن يضمن لورثته مبلغاً من المال بعد موته وهذا هو عين الميسر : يدفع القليل للحصول على الكثير من غير وجه حق . وإما أن يبقى المؤمن حتى نهاية المدة فتصرف له قيمة البوليصة وجزء معين من الفوائد وهذا ربا صريح .

فانظر كيف اجتمع فى التأمين الذى ذاع وشاع بين المسلمين كبيرتان من كبائر الإثم ، الربا والميسر ؟ وكيف زين لهم الشيطان أعمالهم السيئة فرأوها حسنة ، فزعم لهم أن التأمين كفالة للأيتام ، وعون للأرامل . وأمان من غوائل الزمن ، وصروف الدهر . فأين إذن التوكل على الله ، والاعتماد عليه مع السعى فى مناكب الأرض للرزق ، إن فى الإسلام من التكافل الاجتماعى ، والتعاون على البر والتقوى ، مايطمئن كل مسلم لو أنهم اتبعوه واهتدوا به .

سليمان رشاد محمد

---

(١) (البوليصة) وهى وثيقة على التأمين بين المؤمن والمؤمن عليه .

س ١ — هناك رأى يقول ان عصاة المسلمين يدخلون النار يوم القيامة جزاء ما اقترفوا من الذنوب ثم يخرجون بعد ذلك ويدخلون الجنة ، ورأى آخر يقول ان من يدخل النار لا يخرج منها أبداً ويخلد فيها .

س ٢ — رجل استدان ديناً استغرق كل محصول زراعته فهل يخرج هذا المديون زكاة زرعه يوم حصاده أم لا زكاة لمديون كما يقولون .

أجيبونا مأجورين ولكم منا الشكر ومن الله الثواب والرضوان .

مصطفى أحمد عثمان

إمام مسجد بينى مجد منفلوط

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد عبد الله ورسوله وعلى آله وصحبه أجمعين .

الجواب عن السؤال الأول

أجمع أهل السنة على أن من مات وعليه ذنوب لم يتب منها فأمره يوم القيامة إلى الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بلا عذاب ، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يخرجه من النار واحتجوا لذلك بقوله تعالى فى الآية المحكمة من سورة النساء (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) ووردت أحاديث كثيرة فى خروج عصاة الموحدين من النار بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغيرها بحيث لا يبقى فيها إلا الكفار والمنافقون . روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته ، ويدخل أهل النار النار . ثم يقول انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون منها حمما قد امتُحِشوا فيلقون فى نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحِبَّة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية » .

وفى رواية أخرى عن أبى سعيد « أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجىء بهم ضبائر ضبائر على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل » .

وخالف فى ذلك الخوارج والمعتزلة والمرجئة أما الخوارج والمعتزلة فقالوا : إن مات على كبيرة لم يتب منها فهو مخلد فى النار مع الكفار ، وأنكروا أحاديث الشفاعة فى عصاة الموحدين وقالوا : إن من دخل النار لا يخرج منها بشفاعة ولا غيرها .

وأما المرجئة فقالوا ان كل من مات مؤمناً دخل الجنة مهما عمل من معصية فلا يضر عندهم مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة وأخروا الأعمال عن الإيمان ، وقالوا إن مناط التكليف هو تصديق القلب فقط فمن صدق بقلبه فهو ناج وإن ترك كل فريضة وارتكب كل موبقة . وهذه المذاهب كلها باطلة مخالفة لما دلت عليه الآيات والأحاديث ، ولما كان عليه سلف الأمة رضى الله عنهم .

الجواب عن السؤال الثانى

لا تجب الزكاة فى الزرع الا إذا بلغ النصاب وهو خمسة أوسق لقوله عليه السلام « ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة » وكان النصاب فاضلا عن أداء الدين فإن أداء الدين مقدم على سائر الحقوق قال تعالى (من بعد وصية توصون بها أو دين) والله تعالى أعلم .

محمد خليل هراس

صور من الحياة :

انحراف الشباب ... مرة أخرى

تحدثت الصحف فى الأيام الأخيرة عن مشكلة انحراف الشباب وأسبابه . وعن بحث وسائل علاجه . ومن الصحف التى تحدثت عن هذه المشكلة صحيفة « الجمهورية ومجلة الشبان المسلمين » وقد اهتمت المجلة بهذه المشكلة فعقدت ندوة بدار الشبان المسلمين ، خطب فيها بعض رجال الصحافة والفكر والاجتماع والمهتمين بشئون الدين . وكانت النتيجة التى أسفرت عنها تحقيق الجمهورية وندوة المجلة هى أن أسباب الانحراف ترجع أولا إلى مسئولية البيت تجاه النشء فى التربية والتوجيه والسلوك . وإلى تفكك الأسرة نفسها بما يحدث فى بيوتها من فساد ومنكر ، نتيجة لتحول حياتها إلى الفرنجة وتقليد الأوربيين .

ثم تعود ثانياً إلى الأسباب الخارجية الكامنة فى أفلام السينما التى تدور حول مواضيع تافهة ، وقصص حب رخيصة .

وإلى الكتب والصحف والمجلات التى اعتادت أن تخرج إلى الناس حاملة بين صفحاتها مبادىء هدامة ، واتجاهات خاطئة كافرة ، وغير ذلك من المستوردات التى علمت الشباب أصول الخلاعة والميوعة والهزل .

وإلى المناظر المؤلمة التى تبدو من السيقان العارية من النساء والفتيات ، وملابسهن الضيقة الخليعة .

وإلى ما فقده النشء من عنصرى الدين والايمان . لأن الحياة إذا خلت من الدين والايمان بالله تحكم فيها الفوضى والهوى والفساد .

وهذه ليست المرة الأولى التى تثار فيها هذه المشكلة الاجتماعية التى تتصل بحياة الجيل الجديد . بل سبق أن أثيرت عدة مرات على صفحات المجلات والصحف . وفى

الندوات وعلى موائد المهتمين بشئون الأسرة والنشء . وكانت النتيجة لا تخرج أيضا عما أسلفنا من الأسباب .

والواقع أن هذه المشكلة ستظل قائمة . وان تفلح أية محاولات للقضاء عليها مادامت الأسباب المباشرة للانحراف قائمة لم يتم القضاء عليها .

وفى اعتقادنا أن الدولة هى التى تملك حل هذه المشكلة . فما دام زمام الأمر قد أفلت من يد الأسرة حتى فقدت السيطرة الكاملة على أبنائها ، وما دامت الروح الإسلامية المقومة قد انعدمت من البيوت التى تنتسب إلى الاسلام ، فعلى الدولة أن تساهم فى القضاء على الشرور التى يأتى منها الانحراف بما تملك من وسائل فعالة مجدية . . فى إمكان الدولة أن تعمل على منع عرض الأفلام الأجنبية والمحلية التافهة التى لا تبحث إلا عن الحب والجنس والرذيلة .

وأن تمنع تداول الكتب التى تحمل المبادىء الهدامة والأفكار السامة لجمهور القراء . . وأن تمنع إذاعة الأغانى الخليعة الماجنة . مع فرض رقابة حازمة على الصحف والمجلات حتى تكف عن نشر الصور العارية المثيرة للغرائز البهيمية . .

وسبق أن كتبنا (١) فى هذه المشكلة وقلنا إن أية محاولة تخلو من اهتمام الدولة للقضاء على أسباب الانحراف التى ذكرناها سيجعل الكلام فى الموضوع « كالنفخ فى قربة مقطوعة » إذ لا جدوى من أن نلقن الشباب بعض مبادىء الاسلام وعقائده وأحكامه فى المدارس أو غير ذلك من محاولات الاصلاح ، ثم يخرج الشباب ليصطدم بفساد الصحافة والسينما والكتب والأغانى ، وكل مايجده أمامه من المعاول التى تعمل فى نشاط مخيف على الهدم والتدمير والتحطيم . فيتبدد النصح والارشاد والتوجيه ، ويذهب كل ذلك مع الريح .

* * *

---

(١) راجع المقال بالهدى النبوى عدد ذى القعدة ١٣٧٩ المجلد ٢٤ .

كلية البنات الإسلامية .. وملابس الطالبات

هذه الصورة التى نعرضها ضمن هذا الباب ما كنا نود أن نكتب عنها ناقدين . بل كنا نرجو - فى فخر وسرور - أن نعرضها لنمتدحها ، ونثنى عليها ، ونقدم الشكر والاعجاب لأصحابها . ذلك لأنها جاءت من قلب إحدى الكليات الإسلامية التابعة للأزهر الذى يدرس مبادىء الأدب والحياء والمثل العليا النابعة من شريعة الاسلام . وفضلا عن ذلك فإن لهذه الكلية مظهراً يختلف عن مظاهر الإباحية والفوضى والفساد التى نراها فى الكليات الأخرى وتبعاً لهذا ينبغى أن يكون طلابها عنواناً طيباً لهذه الكليات الأزهرية .

ففى مجلة المصور الصادرة فى ١٩٦٢/١٢/٦ رأينا صورة لفصل من فصول كلية البنات الاسلامية بالأزهر والطالبات يستمعن إلى الدرس من أستاذهن وهن عاريات الأذرع والسيقان . سافرات ليس فى مظهرهن ما يدل على أنهن ينتمين إلى كلية تحمل اسم الإسلام الطاهر . وتابعة أيضاً للازهر المعهد الإسلامى الكبير .

وتملكتنا دهشة ممزوجة بالألم والأسف حين رأينا هذه الصورة المزرية القبيحة ، إذ لو كانت الصورة فى كلية تابعة لجامعة أخرى لما دهشنا وتألمنا .. ولكن الطامة الكبرى أن تأتى الصورة من داخل كليـة إسلامية تابعة للأزهر . ومن الغريب المؤلم أن يسمح القائمون على شئون هذه الكلية التى تفتح لأول مرة بوجود هذا المنكر داخل فصول الكلية .

وقد نشرت (مجلة الشبان المسلمين) فى أول رجب ١٣٨٢ صورة لفتاة تلبس زياً مناسباً - مقترحا - وكتبت تعلق تحتها قائلة :

« ما زالت الجهات المسئولة تدرس مواصفات الزى المقترح للمعاهد الإسلامية الجديدة التى يجب أن تكون طالباتها قدوة فى كرامة المظهر . والحفاظ على تقاليدنا العريقة فى مجتمعنا الإسلامى الناهض » .

والحق إن مظهر الطالبات فى هذا المعهد الإسلامى كان ينبغى أن يضعه المسئولون فى المقام الأول من البحث والاهتمام ، للانتهاء منه قبل فتح المعهد . لتبدو الطالبات فى شكل يليق باسم الكلية .. ولكننا لا ندرى كيف ترك هذ الموضوع للآن دون تنفيذ ولا ندرى أيضاً كيف تركت الطالبات هكذا أمام الأساتذه بسيقان عارية وأذرع مكشوفة . وملابس ضيقة مؤذية للناظرين .. وخاصة إذا كانوا من الشيوخ أصحاب الفضيلة « المدرسين » الذين يدركون الإثم الذى يأتى من وراء النظر المتكرر إلى المنكر المتمثل فى ملابس الطالبات الكاسيات العاريات . . اللهم إلا إذا كان هؤلاء المدرسون سيدرسون لهن وهم مغمضو العيون ، تحقيقاً لقوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) .

وكان الأجدر أن يجعل المسئولون الأمر مستوراً فلا يظهروا الطالبات فى الصحف والمجلات بهذا المظهر المنافى للإسلام ليكون أمرهن بعيداً عن الانتقاد .

على أننا نرى أن بحث موضوع الزى المناسب لهؤلاء الطالبات لا يعتبر مشكلة تحتاج إلى وقت كبير وجهد مضن لدراسة الموضوعات . خاصة وأنه قد مضى على التدريس بالكلية أكثر من ثلاثة شهور كانت كافية لنهو موضوع زى الطالبات ليكن عنوانا طيباً لمعهد ينبثق منه شعاع الهدى والخير والعلم والنور .

* * *

منشورات الشيخ أحمد

بين حين وآخر نطالع فى أيدى بعض الناس منشورات موقعة باسم الشيخ أحمد خادم الحرمين يزعم فيها أنه يسدى النصائح الغالية المسلمين . ويدعوهم فيها إلى تلمس الخير والبركة والسعادة من وراء هذه المنشورات .

ويستهل الشيخ الناصح كلامه فى منشوره بذكر أسماء الله الحسنى ليكسو تضليله

برداء من الحق للخداع والتمويه ، شأنه فى ذلك شأن من درجوا على الخداع والتضليل من كتاب الاحجبة والتمائم حين يحشرون فى دجلهم بعض آيات من القرآن ليوهموا السذج من الناس بجدية وصحة ما يسطرون لهم من الخرافات والباطل .

ثم يمضى الناصح فى كلامه بعد أن يذكر أسماء الله الحسنى فيقول : « و بعد ـ فهذه سلسلة ربانية أتت بالخيرات والبركات على كاتبها ونرجو تداولها بين المسلمين . فيجب عليك أيها الأخ المسلم كتابة ٣٠ نسخة منها وارسالها لثلاثين شخصا من أصدقائك ومعارفك . وفى نهاية الثلاثين يوماً بمشيئة الله يأتيك الخير والبركات من كل جانب » .

و يستطرد الدجال فى الكلام محذراً القارىء من مغبة إهمال نصائحه . لأن فى إهمالها ـ كما يقول ـ نزول الكوارث به ، مستغلا فى ذلك سيطرة الروح الدينية على نفوس الناس فيقول : وأحذرك من الإهمال لئلا تصيبك المصائب فقد كتبها أحد الموظفين فنال درجة عظيمة . وأهملها آخر فحاقت به النكبات . وكتبها أحد التجار فربحت تجارته ، وأهملها آخر فشهر إفلاسه ، وقام أحد عمال اليومية بإرسالها بأمانة فنال ترقية سريعة فى الدرجة السابعة وصار فى عداد الموظفين ... وهكذا الخ ..

و بعد هذه السلسلة من الأوهام والمزاعم يعود الدجال فيكرر تحذيراته السخيفة للقارىء ثم يلوذ بعاطفة حب الأولياء والصالحين ، ، لينفذ بها إلى قلب القارىء ، لما لهذا الجانب من هيمنة على بعض النفوس الضعيفة ، ليحملها على تنفيذ مايأمره به . فيقول : فنصيحتى أيها الأخ عدم إهمال هذه السلسلة الربانية المباركة لتعمك البركات بفضل أسماء الله الحسنى . و ببركة أولياء الله الصالحين الطاهرين .. الخ .

ومن المؤسف حقا أننا نجد أن بعض الناس يصدق ما تحويه هذه النشرات من كلام سخيف ترفضه العقول المستنيرة وتأباه الفطر السليمة . فتسرع بطبع كمية كبيرة منها وتوزعها على كل المعارف والأصدقاء طمعا فى الترقيات والأرباح .

على أن بعض الناس يرفض هذا الهراء . بل ويهمله ويلقى بتلك المنشورات فى سلة المهملات . . فهل ربح وترقى من اعتنى بها ؟ أو هل نزلت المصائب بمن أهملها كما يزعم الدجال ؟ ! .

إننا نعرف قصة هذه المنشورات من زمن بعيد . فلم نر أى أثر حسن لمن احترمها أو سيىء لمن أهملها ممن لنا بهم صلة دائمة .

من كل ما تقدم نرى أنه يجدر بكل ذى لب ودين أن يعلم أن الشيخ الناصح يهذى ويخرف . إذ أن عمله هذا لا يعدو أن يكون كمزاعم الدجال الذى يسطر التعاويذ والتمائم لضعاف العقول انتظاراً لفائدة . . أو هو كالسراب الخادع الذى يجرى إليه الظمآن حتى إذا بلغه لم يجده شيئاً . .

سعد صادق محمد

من أخبار الجماعة

فرع اسوان

زار فضيلة الأستاذ الشيخ محمد على عبد الرحيم فرع الجماعة باسوان وكان من محاسن الصدف أنه تم افتتاح مسجد الجماعة بالحى الشرقى لمحطة اسوان فى اليوم الثانى من وصول فضيلته إلى اسوان وقد ألقى كلمة ضافية عن دعوة أنصار السنة المحمدية . وقد أنشأ هذا المسجد للجماعة الحاج بدر عامر خالصاً لوجه الله فنسأله سبحانه أن يجعله ممن يعمرون مساجده حيث قال (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بنى لله مسجداً بنى الله له به بيتاً فى الجنة » .

فجزاه الله خيراً وأخلف عليه أضعاف أضعاف ما أنفق فى سبيله ، وابتغاء مرضاته .

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

أركان الإسلام

١ — شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله: من قالها انتسب إلى الإسلام، وترشح للإيمان، إذا حقق ونفذ باقي الأركان.

٢ — إقامة الصلاة: أي القيام بحقوقها الروحية في صورتها العملية، والمحافظة على الخشوع والتوجه إلى الله تعالى ومناجاته، والانقطاع إليه عما عداه، وإشعار القلب عظمته وكبرياءه. فبذلك يزداد الإيمان، وتقوى الثقة بالله، وتنفر النفوس من الفواحش والمنكرات، وتكون أقوى نفاذا في الحق، وأشد بعداً عن الأهواء.

فما أشقى تاركها وما أتعسه، وما أكفره وما أبأسه. وما أبعده عن رحمة الله، وما أقربه إلى لعنته.

٣ — إيتاء الزكاة: في إقامة الصلاة صلاح الفرد، وفي إيتاء الزكاة صلاح الفرد والمجتمع، ولذلك يقرنهما الله دائما في كتابه الكريم. فمن أقام الصلاة ومنع الزكاة، كان مرائيا، منافقا، كاذبا.

٤ — صوم رمضان: ركن التطهير، وشعيرة الرباط، ومعلم الصبر، وملهم الثبات، ومحيي العزيمة. شهر القرآن، وموسم القربات، وعيد الفقراء والمساكين.

٥ — حج البيت: هجرة المؤمنين، وسياحة الصالحين، وأمل المذنبين، ورجاء التائبين. طوبى لمن استطاع فأطاع، وجد فوجد (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا).

العدد ٩ رمضان
المجلد ٢٧ سنة ١٣٨٢

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

رئيس التحرير

عبد الرحمن الوكيل

أصحاب الامتياز : ورثة

الشيخ محمد حامد الفقى

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

مدير الإدارة

محمد رشدى خليل

الاشتراك السنوى

٣٠ قرشاً فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان

٤٠ ـ فى الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ٩ رمضان سنة ١٣٨٢ المجلد ٢٧

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ جل شأنه . (وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا . قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا . لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ . مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا . وَاتْلُ مَا أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ١٨ : ٢٥ ـ ٢٧) .

« معانى المفردات »

لبثوا : « لبث بالمكان أقام به ملازماً له . وأصل المادة يدل على تمكث » .

غَيْب « قال ابن فارس عن أصل المادة إنه يدل على تستّر الشيء عن العيون . ثم يقاس من ذلك الغيب : ما غاب مما لا يعلمه إلا الله . ويقول الراغب أيضاً عن الغيب : واستعمل فى كل غائب عن الحاسّة ، وعما يغيب عن علم الإنسان . والغيب فى قوله سبحانه : (يؤمنون بالغيب) هو ما لا يقع تحت الحواس : وألا تقتضيه بدائه العقول وإنما يُعلَم بخبر الأنبياء » .

ملتحدا : « قال ابن فارس عن أصل المادة إنه يدل على مَيْل عن استقامة ، والملتحد : الملجأ سمى بذلك ؛ لأن اللاجىء يميل إليه . وقال الراغب : إلتحد إلى كذا مال إليه وقال عن الملتحد إنه يستعمل بمعنى نفس الالتجاء ، أو بمعنى : موضع الالتجاء .

« المعانى »

بين الله سبحانه الحكمة والعبرة الشافية الهادية من الإعثار على أهل الكهف و بعثهم من مرقدهم بقوله سبحانه : (وكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنا عليهم ليعلموا أن وَعْدَ الله حَقٌّ ، وأن الساعةَ لا رَيْبَ فيها) .

فحكمة الله سبحانه من إظهار هذه الآية العظيمة التى يجب أن تخر لها قدرة كل كائن ساجدة خاشعة — هى إقامة دليل يشهد به الحس ويُذْعِن له مع العقل على أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله سيبعث من فى القبور .

كما بينت الآيات السالفة أن من عثروا عليهم تنازعوا فى شأنهم . وقد تساءل الفتية أنفسهم عن مدة لبثهم فى الكهف ، فقالوا يوماً أو بعض يوم . ثم هَفَوْا سِرَاعاً إلى الأياذ بيقين الإيمان وطمأنينته . الإيمان الذى لا يميل أبداً إلى المنازعة فيما ليس فيه غناء ، أو فيما ليس له قيمة فى تقويم حَقٍّ أو خير . فقالوا مخبتين : « ربكم أعلم بما لبثتم » وبهذا وضعوا فى تاريخ الإيمان آية يمتاز بها الإيمان الصادق ، أو تكون من دلائله . تلك هى الحرص على وحدة تنازع الجماعة وآرائها وغاياتها والاستسلام الكامل الرَّضِىُّ لله سبحانه .

ولا ريب أن مدة لبثهم صارت مثار جدل ومنازعة بين أولئك الذين تأخذ بهم شهوة معرفة الغيب ، وشهوة التراثى بمعرفة الغيب . بين أولئك الذين تُصَرِّف أفكارَهم التفاهاتُ التى لا تزن غناء على مدرجة الطريق .

فراح فريق يزعم أنهم لبثوا مقداراً معيناً من السنين مُقدّرا بِحِقَبٍ أو أجيال وراح فريق آخر يزعم أنهم لبثوا أكثر أو أقل .

استنتج هذا من تجربة الفطرة البشرية . وواقع الإنسان فى شتى عصوره .

فقال قائل منهم : « ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا[١] » . فرد الله عليهم بقوله سبحانه : « قُلِ اللهُ أعلَم بما لبثوا » وهذا رأى قتادة ومطر الوراق : وقال أصحاب هذا القول : « لو كان ذلك خبراً من الله عن قدر لبثهم فى الكهف لم يكن لقوله : « قل الله أعلم بما لبثوا » وجه مفهوم . وقد أعلم الله خلقه مبلغ لبثهم فيه وقدره[٢] » .

يقول هؤلاء : « إن قوله تعالى : « ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا » إنما هو خبر من الله تعالى ذَكره عن أهل الكتاب أنهم يقولون فى ذلك . ثم استدلوا لقولهم : بأن تعقيب الآية بقول الله سبحانه : قل الله أعلم بما لبثوا » يؤكد هذا المعنى ويقوم دليلا قويا يؤيده ، إذ لو كان عدد السنين من تقدير الله وتحديده لم يبق ثَمَّتَ فائدةٌ ولا مَعْنًى مفهومٌ لقوله سبحانه : « قل الله أعلم بما لبثوا » ومرة أخرى يعلمنا الله سبحانه أن نجعل غايتنا من القصة هو الاعتبار ، ويبين لنا أن من صفات الإيمان الحق البعد عن الجدال فيما لا طائل تحته . فسواء كان الزمن هكذا أم غيره ، فالعبرة هى العبرة . ولكن بعض النفوس تختلج دائما بما لا يُغنى ! !

وقال آخرون : الأولَى أن يقال : ولبث أصحاب الكهف فى كهفهم رقوداً إلى أن بعثهم الله ؛ ليتساءلوا بينهم . وإلى أن أعثر عليهم من أعثر، ثلثمائة سنين وتسع سنين وذلك أن الله بذلك أخبر فى كتابه . ويكون معنى قوله سبحانه : « قل الله أعلم بما لبثوا » يعنى : إن نازعوك فى مدة لبثهم فى الكهف ، فقل أنت : الله أعلم بما لبثوا ، أى هو أعلم منكم ، وقد أخبر بمدة لبثهم[٣] » .

وليتدبر القارىء آيات الله سبحانه ، وتمت ـ بعون الله ـ يشرق فى قلبه نور الفهم

---

(١) التسع هى الفرق بين السنين الشمسية والسنين القمرية . فهى ثلثمائة سنة شمسية ولكنها تسع وثلثمائة قمرية .

(٢) انظر تفسير الطبرى فى الآية .

(٣) انظر تفسير الطبرى وابن كثير والبغوى والخازن .

الصحيح . والعبرة التى نستقيها أنه لا يجوز الجدل فى أمر لا يؤدى الجدال فى شأنه إلاّ إلى المنازعات والمشاحنات . سواء أدى الجدال فيه إلى معرفة حقيقة هذا الأمر أم إلى جهلها . فمعرفتها لا تزيد من قيمة الأمر شيئاً ، وكذلك الجهل بها . يكفى فى بيان قيمة الآية الإلهية أن تكون بحيث لا تستطيع الإتيان بمثلها قوى الكائنات جميعها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . وآية الله هنا أعظم من كل قوى البشر والجن والملائكة جميعاً . فالبعث لا يقدر عليه إلا الخالق ، ومخالفة ما نظنه من النواميس الحتمية لا يقدر عليه إلا من أبدع هذه النواميس[1] .

وإبقاء هؤلاء الفتية زمناً طويلا فى كهفهم نائمين تنبض أجسادهم بالحياة دون طعام أو شراب لا يحتاج فى بيان إعجازه . وتساميه عن قدرة البشر إلى تحديد السنين بقرون متطاولات . بل يكفى فى ذلك شهر واحد إن لم يكن أقل . فما بالك بجيل كامل أو أكثر[2] . ألم يُبق الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ميتاً مائة عام ثم بعثه الله ؟! وما كان بقاؤه مائة عام بمنقص من قيمة إعجاز القدرة الإلهية وجلالها ، فلو بقى مائتين أو لو بقى خمسين أو عشراً أو ثلاثاً أو واحدة لكانت العبرة فى سموها هى العبرة ، ولكانت جلالة القدرة وعظمتها هى الجلالة والعظمة .

غير أن النفس تذهب مع السنين الطوال بتصوراتها أكثر مما تذهب مع غيرها . أما النفس الزكية الإيمان ، فحسبها أن تجد الفيصل بين قدرة البشر وقدرة الله . ولا تحتاج إلى امتداد هذا الفيصل طولا وعرضاً وعمقاً وارتفاعا . فإذا وجدته لحاً آمنت وأذعنت ، ونسبت ما هو لله إلى الله . وما هو للبشر إلى البشر .

---

(١) من طبيعة النار الإحراق ولكنها لم تحرق ابراهيم عليه السلام فمن فصل بين العلة والمعلول ، أو بين السبب والمسبب ، أو من الذى فصل بين النار وبين طبيعتها ؟ إنه الخالق ، فلا تقولوا نواميس طبيعية ولكن قولوا سنن الله وقدرة الله ،

(٢) يستنتج هذا من قيامهم فى عصر غير عصرهم إذا فهمنا أن قوله سبحانه « ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين » هو إخبار عن قول المتنازعين من أهل الكتاب .

« له[٢] غيب السموات والأرض » تأتى هذه مؤكدة للحقيقة التى مرت وهى أن الله أعلم بما لبثوا . أو هى بيان لسببها . فكأن سائلا سأل : ولماذا ينسب هنا إلى الله وحده أنه أعلم بما لبثوا ؟ فقيل له : لأن مدة بقائهم من الغيب الذى لم يقع تحت تجربة البشر وحواسهم ومعارفهم المستمدة منها . والله وحده هو الذى له غيب السموات والأرض . وفى القرآن آيات كثيرات تؤكد لنا أن علم الغيب لله لا لأحد سواه ، فلا الجن ، ولا الملائكة ولا الرسل يعلمون شيئاً من غيب السموات والأرض بأنفسهم . فالملائكة لم يعرفوا الغيب حين علّم الله آدم الأسماء . ولهذا قال الله فى إرشاده القوى الجليل : (ألم أقل لكم إنى أعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوات والأرضِ ، وأعلم ما تبدون ، وما كنتم تكتمون ٢ : ٣٣) إذ كان قولهم : أتجعل فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها و يسفك الدماء ، شبيهاً بادعاء من يزعم أنه يعرف الغيب ، فامتحنهم الله فى غيب مستور عنهم ، فلم يعرفوا شيئا .

والجن — وكانوا يودون الانطلاق — لم يعرفوا شيئا يقع تحت حسهم هو موت سليمان عليه السلام ، فما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته . الدابة الضعيفة الصغيرة تعلم هؤلاء الأقوياء الجبابرة الذين كانوا يظنون أنهم يعرفون الغيب . ولهذا يقول الله سبحانه بعد هذا : (فلما خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجنُّ أنْ لوْ كانوا يعلمون الغيب مالَبِثُوا فى العذابِ المهين ٣٤ : ١٤) وسليمان النبى الملك العظيم لا يعرف الغيب ، حتى يدله عليه بأمر الله هدهد .

فإذا كان الجن والملائكة والأنبياء والرسل لا يعرفون عن الغيب شيئا ، فهل يعرفه الفسّاق العرابيد الذين يزعمون أنهم شيوخ طرق ، أو منجمون ؟ !

« أبصر به وأسمع » الفعلان مبنيان على صيغة التعجب ، أى ما أبصره ، وما أسمعه ، ولا يتعجب بهذه الصورة إلا من شىء لا تصل العقول إلى أسبابه ، فإن إدراكه

---

(١) جاء نظم الآية هكذا لبيان أن الله سبحانه مختص بذلك وحده ، يفيد هذا تقديم الجار والمجرور « له » على المبتدأ .

— سبحانه وتعالى — « خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين ؛ لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها ، كما يدرك أكبرها حجماً وأكشفها جرما ، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر[١] » .

والآية نفسها توكيد أيضا لما قبلها ، فهو الذى يعلم غيب السموات والأرض وحده ؛ لأن إدراكه خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين و المبصرين ، ما من شىء إلا و يبصره ، ويسمعه ، فهو الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ، ولا فى السماء . فما كبصره بصر ، وما كسمعه سمع، سبحانه ، فهل يطيق العقل البشرى السليم أن يعقد مقارنة بين سمع الخلق ، وسمع الخالق ؟ والخالق يحيط إدراكه بخلقه ، أما الخلق ، فلا . فالله سبحانه لا تدركه الأبصارُ ، وهو يدرك الأبصارَ وهو اللطيف الخبير ، فكيف ندعو سواه ، ونفعل ابتغاء وجه غيره ؟ !

و إذا كان العقل لا يطيق عقد مثل هذه المقارنة ، فما بالك بمن يترك السميع البصير ، ويدعو من لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يغنى عنه شيئا ؟ !

يدعو ظنًّا ، ويدعو رُفَاتَاً ! !

« مالهم من دونه من ولى ، ولا يشرك فى حكمه أحدا » ما لمن فى السماء ، وما لمن فى الأرض مَنْ يتولى أمورهم سوى الله سبحانه . وهو ولى قادر سميع بصير عفو غفور رحيم ، له ملك السموات والأرض . ومن كان هذا شأنه ، فمن الجحود بولايته والكفر الأصم بها أن يلوذ أحد بولاية من هو فى حاجة إلى ولاية ، أو من ليست له ولاية[٢] .

والولى الجليل الذى له الولاية الحق ، لا يرضى ولا يقبل أن يكون له شريك وهو

---

(١) الزمخشرى فى تفسير الآية .

(٢) لما جحد الشيطان بحكمة الله وعدله لم يجد مناصا من اللجوء إلى ربوبية الله سبحانه فيما يعلم أنه لا يقدر عليه سواه ، فقال : (رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون) .

سبحانه ليس له شريك . وقد ختمت سورة الإسراء ـ وهى السورة التى قبل سورة الكهف بهذه ، فقال سبحانه : (وقُلِ الحمدُ لِلهِ الذى لم يتخذْ وَلَداً ، ولم يَكُنْ له شريكٌ فى الملكِ ، ولم يَكُنْ له وليٌّ من الذّلِّ وكَبِّرْهُ تكبيرا ١٧ : ١١١) وبمثل هذا ختمت سورة الكهف : (قُلْ : إنما أنا بَشَرٌ مِثلُكم يُوحَى إلىَّ أنّما إلهُكُمْ إلهٌ واحدٌ ، فَمَنْ كان يَرْجُو لِقاءَ رَبِّه ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً ، وَلاَ يُشْرِكْ بعبادةِ رَبِّه أحدا ١٨ : ١١٠) .

إنه الأول سبحانه لا يُسْئَل عما يَفْعَل ، ولا يستشير أحدا فيما يحكم به على الأشياء ؛ لأنه خالقها ومبدعها . هو الذى أعطى كل شىء خَلْقَه ، ثم هدى . فإذا حكم على أمرٍ ما بأنه خير وحق فهو كما حكم ، وإذا حكم بشىء ، فلا بد وأن يقع ما حكم به ، وكل ما يدبره من أمر ، فلن يكون إلا ما دبره .

وكلمة « أحد » كلمة شاملة عامة تشمل كل ملك وولى و نبى ورسول . أقول هذا لمن يظنون أن الله جعل محمدا له شريكا ، وأنه لولا محمد صلى الله عليه وسلم ـ ما خلق الله كائنا ! ! .

« واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك » إذا جاءوك بما يحفظونه من تراثهم الدينى أو التاريخى ، فاتل ما أوحاه الله إليك فهو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وكل ما يتحدث به هؤلاء عن أهل الكهف وأخبارهم فلا تصدق منه سوى ما وافق ما أوحاه الله إليك ، وإذا قالوا لك كما قص الله : (إئت بقرآنٍ غير هذا أو بَدِّلْهُ) فاتل ما أوحى إليك من كتاب ربك ، ولا تسمع لقولهم . فهو ـ جل شأنه ـ لا مُبَدِّل لكلماته . يقول للشىء : كن فيكون . فهل يستطيع أحد أن يبدل كلمة : كن بغيرها ؟

ثم هو ـ جل شأنه ـ إذا حكم بشىء فلن يستطيع إنسان أن يغير من حكمه . وإذا وَعَد أو أوعد فلن يستطيع أحد أن يبدل من وعده أو وعيده . فكيف يزعم زاعم أن شفيعا يستطيع بغير إذن الله أن يغير شيئا ؟ !

وكما لا يستطيع أحد أن يغير أو يبدل من كلمات الله سبحانه ، كذلك لا يستطيع أحد أن يجد له ملجأ يلوذ به ، أو يحفظه مما قضى الله به سبحانه .

ليت الذين يلوذون بالموتى يتدبرون ! !

وليت عبيد العبيد يتذكرون ! !

وليت الذين يؤلهون أحبارهم ورهبانهم يتفكرون .

ليتهم يفكرون جميعا بقلب خاشع وعقل متدبر قول الله سبحانه : (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ، ولن تجد من دونه ملتحدا) .

إنه أمر موجَّه إلى خاتم النبيين ، لأنه فى حاجة دائما إلى أن يتلو ما أوحاه الله إليه ، فما بالكم بنا ؟ أتغنينا كتب الأرض كلها عن كتاب الله ، أتغنى هذه الكتب عنا من عذاب الله مِنْ شىء ؟ .

فما للمذهبيين يُسْحَرون عن الحق ؟

وما لعبيد العبيد ؟

ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة . إنك أنت الوهاب .

عبد الرحمن الوكيل

توحيد الله عز وجل

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (العَلِيُّ) وقد ورد هذا الاسم الكريم فى القرآن مقترنا باسمه (الكبير) مرة كما فى قوله تعالى من سورة النساء (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن ، فأن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيرا) .

وكما فى قوله من سورة سبأ (قل ادعو الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذِنَ له ، حتى اذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ، قالوا الحق وهو العلى الكبير) ومقترنا باسمه العظيم مرة كما فى قوله سبحانه فى آية الكرسى (ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم) وقوله فى أول سورة الشورى (حم عسق . كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم . له مافى السموات وما فى الأرض وهو العلى العظيم)

ولعل المناسبة بين اسمه سبحانه (العلى) و بين كل من هذين الاسمين فى غاية الظهور فإن من كان علياً فوق جميع خلقه فإن كل شىء يتضاءل دون كبريائه وعظمته بحيث يكون هو المخصوص بهما وحده . وهذا الاسم الكريم دال على أن جميع معانى العلو ثابتة لله تعالى من كل وجه . فله علو الذات فانه سبحانه مستو على عرشه فوق جميع خلقه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى) ولا معنى لاستوائه على العرش إلا علوه وارتفاعه عليه وأما تأويل ذلك باستولى وملك كما تزعمه النفاة الجاحدون لوصف العلو ، فهو تأويل باطل لغة وعقلا وفطرة .

وله كذلك علو القدر وهو علو صفاته وعظمتها فلا تماثلها صفات المخلوقين بل لا يقدر الخلق كلهم أن يحيطوا بمعنى صفة واحدة من صفاته قال تعالى (ولا يحيطون به علماً)

وله علو القهر فإنه الواحد القهار الذى قهر بعزته وعلوه الخلق كلهم ، فنواصيهم جميعاً بيده ، وهو الذى ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن . فلو اجتمع الخلق على إيجاد مالم يشأه الله لم يقدروا ، ولو اجتمعوا على منع ما حكمت به مشيئته لم يمنعوه وذلك لكمال اقتداره ونفوذ مشيئته وشدة افتقار المخلوقات كلها إليه من جميع الوجوه .

وخلاصة القول أن الثابت لله عز وجل من وصف العلو هو العلو المطلق الكامل الذى يتناول هذه الوجوه كلها فتخصيصه ببعضها كعلو القدر والرتبة أو علو القهر والغلبة هو تنقص من الصفة وتقييد لما دلت عليه من الاطلاق بلا دليل .

وينبغى أن يعلم أن هناك فرقا بين صفتى العلو والاستواء على العرش ، فإن علوه تعالى فوق جميع المخلوقات ومباينته لها أمر دل عليه العقل والفطرة مع النصوص الكثيرة المتواترة وقد أثبت ذلك العلامة ابن القيم فى قصيدته النونية التى وفقنى الله لشرحها ، من واحد وعشرين وجهاً . فمن أراد شفاء نفسه فى هذا الموضوع فليرجع إليها . وأما استواؤه تعالى على العرش فهو ثابت بالنقل الصريح من الكتاب والسنة فقد أخبر الله سبحانه أنه استوى على عرشه فى سبعة مواضع من كتابه ، كما صرحت بذلك أحاديث كثيرة ليس هنا موضع ذكرها ومن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى كتاب (العلو للعلى الغفار) للعلامة الذهبى .

كما ينبغى أن يعلم أيضاً أننا حين نثبت استواء حقيقياً لله على عرشه لا نخوض فى كيفية ذلك الاستواء ولا نشبهه باستواء المخلوق على المخلوق ، فإنه سبحانه ليس كمثله شىء ، لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله . بل نقول كما قال الامام مالك رحمه الله لمن سأله عن الاستواء (الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب) ونجعل قولة مالك هذه دستوراً لنا فى جميع ما أخبر الله به عن نفسه أو أخبر به عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمن به على الوجه الذى يليق بجلال الله وعظمته وننزهه عن مشابهة المخلوقين .

هذا و إن علماء أنصار السنة المحمدية لم يألوا جهداً فى بيان منهج السلف القويم فى هذا

الباب حتى تميزت بذلك دعوتهم ، وأما ما يشنع به خصومهم عليهم و يرمونهم به من ألقاب السوء كقولهم مشبهة مجسمة ، فإنها شنشنة قديمة يضاهئون بها قول إخوانهم الذين سبقوهم فى النفى والتعطيل حين كانوا يرمون كل من يثبت الصفات بالتجسيم والتمثيل . ونحن لا ننفى صفات الله عز وجل التى نطقت باثباتها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة لأجل شناعة يشنع بها علينا مارق كذاب لا يؤمن بالسنة والكتاب ، بل نقول كما قال الشاعر

إن كان تجسيما ثبوت صفاته فليشهد الثقلان أنى مثبت

وأحب قبل أن أنتقل من الكلام على هذا الاسم الكريم أن أنقل إلى إخوانى قراء (الهدى) كلام إمام من أئمة النفى والتعطيل فى شرح هذا الاسم الجليل حتى يدركوا الفرق بين ماقلناه فى معناه و بين ما يذهب إليه هؤلاء المعطلة النفاة ، وليعلم من لم يكن يعلم أى الفريقين منا ومنهم أهدى سبيلا وأقوم قيلا .

يقول أبو حامد الغزالى فى كتابه (المقصد الأسنى) ما نصه :

(العلى) هو الذى لا رتبة فوق رتبته وجميع المراتب منحطة عنه وذلك لأن العلى مشتق من العلو مأخوذ من العلو المقابل للسفل وذلك إما فى درجات محسوسة كالدرج والمراقى وجميع الأجسام الموضوع بعضها فوق بعض وأما فى الرتب المعقولة للموجودات المترتبة نوعا من الترتيب العقلى فكل ماله الفوقية فى المكان فله العلو المكانى وكل ماله الفوقية من الرتبة فلو العلو فى الدرجات العقلية .

إلى أن يقول (سامحه الله) .

« فهكذا ينبغى أن نفهم فوقيته وعلوه فإن هذا الأساس وضعت أولا بالإضافة إلى إدراك البصر وهو درجة العوام ثم لما تنبه الخواص لإدراكات البصائر ووجدوا بينها و بين الأبصار موازنات استعاروا منها الألفاظ المطلقة وفهمها الخواص وأنكرها العوام الذين لم يتجاوز إدراكهم من الحواس التى هى مرتبة البهائم فلم يفهموا عظمة إلا بالمساحة ولا علوا إلا بالمكان ولا فوقية إلا به فإذا فهمت هذا فهمت معنى كونه فوق العرش لأن العرش

أعظم الأجسام وهو فوق جميعها والموجود المنزه المقدس عن التحدد والتقدر بحدود الأجسام ومقاديرها فوق الأجسام كلها فى الرتبة ولكن خص العرش بالذكر لأنه فوق جميع الأجسام فما كان فوقه كان فوق جميعها وهو كقول القائل الخليفة فوق السلطان تنبيها به على أنه إذا كان فوقه كان فوق جميع الناس الذين هم دون السلطان) إلخ ما قال .

هذا هو كلام الغزالى فارس حلبة التعطيل الذى انتهت إليه رياسة مذاهب أهل التأويل . أنظر كيف نفى وجود الله من حيث لا يدرى حيث جعله وجوداً معقولا مدركا بالبصيرة لا بالبصر وجعل علوه وفوقيته بالرتبة والمكانة لا بالجهة والمكان فإلى الله المشتكى وهو المستعان .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

التقوى

التقوى من الوقاية وهى الصيانة . ووقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته : ورجل تقى معناه أنه موق نفسه من المعاصى والعذاب (لسان العرب) .

فالتقوى هى حرص شديد على رضا الله وحذر شديد من غضبه بالمسارعة إلى طاعة أوامره واجتناب نواهيه ، وإحسان عباداته وتحرى كل ما يرضيه .

والتقوى آية الإيمان الصحيح والعقل السليم الذى يدفع بالمرء إلى كل خلق كريم . ويدعوه إلى الجهاد فى سبيل الله والسعى لرضاه خوفا من عقابه وطمعا فى حسن ثوابه . وقد بين تعالى فى كتابه الكريم أن المتقين هم أولو الألباب الذين يهتدون ويتعظون بآياته فقال : [هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين] وقال : [ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات ومثلا من الذين خَلَوْا من قبلكم وموعظة للمتقين] وقال عن كتابه الكريم : [وإنه لتذكرة للمتقين] .

أى إن التقىّ هو الذى يرعوى ويهتدى بكتاب الله وآياته . وهو الذى يعتبر بعبره ويتعظ بعظاته . ولذلك أثنى الله تعالى على المتقين بأنهم أولو الألباب الذين يرون آيات الله فى السماوات والأرض فقال [إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون] .

فإن التقى لإيمانه ويقظة قلبه يتوق ويسعى لمعرفة ربه ، فيبحث ويتأمل إحسان خلقه ، وينعم بالتفكر فى بديع صنعه . ويرى فيما خلق الله فى السماوات والأرض آيات حكمته وقدرته ، وآثار رحمته ، فيزيد هدى وتقوى : [والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم] .

وقال تعالى : [الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أُنزل إليك ، وما أُنزل من قبلك

وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون] .

أكد الله تعالى فى هذه الآيات الكريمة أن التقوى آية الإيمان الصحيح ، وأن التقى هو الذى يهتدى ، بكتابه ويؤمن بما أخبر الله تعالى به ، ولوغاب عن سمعه وبصره ، وفاق قوة فهمه . فيدفعه إيمانه الصادق إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والبر والإحسان فى كل أعماله وأقواله . فاسمع لوصفه تعالى لصفات المتقين الذين صدقوا فى إيمانهم : [ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين . وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) يؤكد الله تعالى فى هذه الآية الكريمة أن البر هو الإيمان بكل ما أخبر به الله تعالى فى القرآن لا أن يولى المرء وجهه قبل المشرق والمغرب ليصلى ، فليس البر مجرد عبادة بلا تقوى ولا عمل .

إنما البرهو الإيمان الصحيح مع التقوى والعبادة وعمل الصالحات الباقيات . وإن الذين صدقوا فى إيمانهم هم المتقون الذين يؤتون المال بالرغم من حبه فى سبيل الله وابتغاء مرضاته . ويقدمون حب ربهم على حب مالهم . ويقيمون الصلاة كما ينبغى أن تقام ويؤتون الزكاة . ويصدقون فى وعدهم فيوفون بعهدهم إذا عاهدوا ويصبرون على ابتلاء الله وقضائه خوفا وطمعا . فأولئك هم الذين صدقوا فى إيمانهم ؛ لأنهم اتقوا ربهم فأحسنوا فى أعمالهم وأقوالهم وعبادتهم .

لقد فهمنا مما ذكر فى هذه الآيات الكريمة أن الإيمان الصحيح مصدر التقوى . وأن التقوى ثمرة الإيمان الصحيح وآية العقل السليم ، فلا إيمان بلا تقوى ، ولا تقوى بلا إيمان كما أكد تعالى فى قوله : (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) أى لا بد لمن عرف ربه حق المعرفة أن يتقيه حق تقاته ، وأن يسعى ما استطاع ويجاهد بوسعه ؛ ليحظى برضاه ، وألا يستخف بما يغضبه ، ويجسر على عصيانه فى سبيل هواه .

فإذا ما كبا كبوة أو هفا هفوة . ثاب إلى رشده ، وعاد إلى ربه فسارع إلى التوبة والاستغفار ، وذلك ماوصف الله تعالى به المتقين فقال : (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) وقال (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) .

نفهم من هذه الآيات الكريمة أن التقى قوى ، وأن التقوى حصن حصين يحفظ التقى من شياطين الجن والإنس . وأن التقى لا يغلبه إغراء ، ولا تقهره أهواء ، وأنه يندم إذا ما عصى أو أساء ، فيسارع إلى مغفرة ربه بالتوبة والإصلاح ، ويتصدق فى السراء والضراء ، أى لا يلهيه عن التصدق ماهو فيه من سرور وسعادة ورخاء .

كما لا يثنيه عن ماهو فيه من فقر وعناء وشقاء ، بل يتصدق بماله ونفسه ما استطاع لأنه يتقى الله ما استطاع ، وهو يكظم غيظه عند الغضب ويعفو عمن أساء إليه طمعاً فى رضا الله ، وهو إذا أذنب وهو غافل عن ربه ، ذكره تعالى فاستغفر لذنبه .

ولم يصبر على مافعل وهو يعلم خوفا من غضبه ، فكان أجره مغفرة من ربه وجنات تجرى من تحتها الأنهار (إن المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا كانوا قبل ذلك محسنين) .

وقد نصح تعالى الإنسان وأمره بأن يتزود بالتقوى وأنها خير زاد يتزود به فقال سبحانه : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الألباب) .

وذلك لأن التقوى قوة ، تقمع سيطرة الهوى فتنقذ المرء من كل مايغريه . وهى حكمة لأنها حرص على طاعة الله وسعى لكل مايرضيه .

وهى فطنة لأنها حذر من غضب الله يبعده عن كل مايشقيه .

وهي رحمة تدفعه إلى عمل الحسنات فتكفر عن سيئاته وتنجيه .

وهى نعمة تجمله بكل جميل وتبعده عن كل قبيح فتحميه وتعليه .

فيالتقوى [من (منار) يصون المؤمن من الزلل و يرشده و يهديه .

و بين تعالى للناس أن مقياس التفاضل عند الله هو التقوى . وأن قيمة المرء فى منزلته عند الله هى التقوى . قال تعالى : (إن أ كرمكم عند الله أتقا كم) .

وذلك لأن الأتقى هو الأقوى إيماناً وحباً لله ، وهو الأكثر جهاداً وتورعاً فى سبيل رضاه ، وهو الأحرى بمزيد فضله وعظيم أجره ، وقد أخبر تعالى بأنه يحب المتقين لأنهم يحبونه فيحذرون غضبه و يحرصون على رضاه . قال سبحانه : (بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين) . وقال (إنْ أولياؤه إلا المتقون ولكن أ كثرهم لا يعلمون) .

فانظر ياهذا إذا أحب الرحمٰن الرحيم كيف يكرم حبيبه وماذا يعطيه ؟ ؟ و كيف يرحمه و كيف ينجيه ، فطو بى لمن اتقى ربه وسعى لما يرضيه . ففاز بما أعده تعالى لمن يتقيه . (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) . (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً) .

وقد ألهم الله تعالى كل نفس خير التقوى وشر الفجور كما أخبر بقوله : (ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها) ولا يعمى البصيرة عن هذا الخير وهذا الشر إلا الهوى و إغراء شيطان اللذات و إلحاف سلطان الشهوات ، والبعد عن التقوى بعد عن الله تعالى وغفلة عن الخير ونسيان للنفس منشؤه نسيان الرب ، وصدق تعالى فى قوله : (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) وهل فوق نسيان الرب والغفلة عن الخير ضلال ؟ . إن الفجور ضلال وهلاك لأنه جرأة على الله تعالى وكفر بنعمته واستخفاف بعقابه ، والمولى سبحانه جل وعلا أهل لأن يتقى عقابه وأهل لأن يعمل بما يؤدى إلى مغفرته كما أخبرنا فى قوله : (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) نعم وصدق الله تعالى فإنه سبحانه حقيق بأن يتقى ؛ وأن يسعى العاقل لمغفرته ، إذ ليس فوق غضب الله شقاء وهلاك ، وليس فوق مغفرته فوز ونجاة ، ولذا ينصح سبحانه عباده بقوله (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . وفى قوله (فاتقوا الله مااستطعتم) .

لم يأمر الله تعالى عبده بأن يتقيه وحسب . بل أمره بأن يتقيه مااستطاع وما بوسعه أن يتقيه و بقدر مايمكنه ، و بأن يتقيه حق تقاته أى يتقيه بمقدار ماهو جدير به أن يتقى ، ولا يموت إلا وهو خاضع مستسلم لأمره ، فتأمل ياهذا قوة الله وشديد بطشه وأليم عذابه . ثم تأمل رحمة الله وعظيم نعيمه فى خالد جناته ، تعرف ماهو جدير به من طاعة وتقوى وجهاد فى سبيل رضاه ، فهل اتقينا الله مااستطعنا ، وهل احترمنا أوامره وأطعنا ، وهل نفذنا هذه الآية وخضعنا ، هل اتبعنا مايفضى بنا إلى حب الله ورحمته ، و يسوقنا إلى نعيم جنته ؟ هل حاولنا أن نكون من أكرم الناس عند الله وهل هذا شىء لا يستحق اهتمامنا واجتهادنا وجهادنا ؟ ؟ ألا يستحق التقرب من الله وعلو المنزلة عنده أن نتسابق إلى التقوى ونسارع إلى مرضاته لنفوز بهذا الفضل والتكريم (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) . فكيف لا نسعى لنكون من أكرم الناس وأتقاهم ، وكيف لا نتقى أن نكون من شر الناس وأشقاهم ، وهل من العقل أن نحرص على تقوى الله وهى ورع يخفف الوزر ويزيد الأجر ، إذ يردعنا عن كل شر وضر ، كما يدفعنا إلى كل نفع وخير ، وهل عذاب الجحيم شىء هين لا نخشاه ، وهل نعيم الجنة شىء تافه لا نتمناه ؟ ؟ حقاً لا عدو لنفسه كالجاهل ولا ظالم لنفسه كالغافل (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) .

فهؤلاء الغافلون المتغافلون الذين يصرون على المعاصى ليتبعوا أهواءهم و يرضى لهم إيمانهم المزعوم أن يغضبوا ربهم وهم آمنون سعداء ، ليس من تقوى فى قلوبهم الخالية من حب الله ، المليئة بحب زينة الدنيا ومتع الحياة ، والله تعالى يقول (واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) فهل من التقوى أن يقدم المرء هواه على رضا ربه ، وهل من التقوى أن يرتع فيما نهى عنه الله ولا يبالى بغضبه ، وهل من التقوى ألا يستحى العبد من مولاه ويصر على ذنبه ؟ (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) . (وللدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون) .

نعم وصدق الله العظيم ، إن الذين لا يتقون الله لا يعقلون ، فمن يجرؤ على عمل مايغضب الله ولا يفكر فى عواقب عمله فإنه غبى شقى شهوانى ، يقدم شهوته العاجلة على سعادته الآجلة ، ويفضل متاع الدنيا القليل على النعيم والملك الكبير[١] ، فيظلم نفسه بأن يعذبها فى نار السعير ، فهل فوق ذلك غباء وضلال وشقاء ؟؟ . إن الذى يقدم على عصيان ربه ، ولا يبالى بشر عواقب غضبه ، فيجرؤ على الإصرار على ذنبه ، ضعيف لا يستطيع قهر سيطرة هواه ، جرىء لا يحذر عواقب غضب الله ، سفيه لا يحرص على رضا مولاه ذاهل عن ربه فلا يخشاه ، وقح لا يستحى مما أتاه ، شره يرضخ صاغراً لما اشتهاه ، فما قوى هواه إلا بضعفه ولا سيطر عليه الهوى إلا برضوخه له ، فيا له من حقير يرضى أن يفقد كرامته ومنزلته عند الله ، وأن يبوء بغضبه ليحظى بشهوته ، ويقدم متاع الدنيا على رضا الله وجنته (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) (وللدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون) .

جرد الله تعالى الذى لا يتقيه من العقل لأن العاقل من سعى لرضا الله ونعيمه ، وليس أجهل وأغبى ممن سعى لغضبه وجحيمه ، ولذا كان الفاسق جاهلا غبياً . كما كان المتقي حكيما ذكياً . (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً) فما أشقى من عبد هواه الذى يسعى جاهداً لكل مايرضيه ، ويرضخ صاغراً لكل مايشتهيه ، فيسعى جاهداً لكل مايشقيه ، ولا يبالى بشر عواقب مايأتيه . فواعجباً ، كيف يقدم عاقل على هلاكه وشقوته ، ويعرض عن نجاته وسعادته ؟ . أين فطنة وحكمة الإنسان ، أين حب الله والإيمان ؟ .

تعصى الإله وأنت تزعم حبه   هذا لعمرك فى القياس بديع
لو كنت تضمر حبه لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فأطاره) .

فلا بد لمن عرف ربه ، أن يخشى غضبه ، فيستكبر ذنبه ، لأن الإيمان لابد أن يردع صاحبه عن الإصرار على العصيان ، أما الاستخفاف بالذنب فإنه استخفاف بأمر الرب ،

---

(١) إشارة إلى قول الله تعالى عن الجنة (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيراً).

ولا يستخف بأمر ربه إلا من لا يعرفه فلا يخشاه . ومن لا يعرف الله كافر أو منافق ، يقول بلسانه مالا يعتقده قلبه و يظهر غير ما يبطن . ولذا يرى ذنبه كالذباب وقع على وجهه فأطاره . و يعاود الذنب كما يعود الذباب إلى وجهه كلما أطاره ؛ فهو لا يعصى لهوله أمراً و يعصى فى سبيل طاعته آيات ربه و يزعم بعد ذلك أنه من المؤمنين . فاسمع لوصفه تعالى لمن أعرض عن طاعة آياته فكان مكذبا لها بعصيانه وكان كافراً منسلخاً من غريزة الإيمان التى فطره تعالى عليها . قال سبحانه :

(واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فَمَثَلُهُ كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) .

هذا مثل من آتاه الله تعالى آياته فكان عالماً بها ، ولكن كان عمله مخالفاً لعلمه تمام المخالفة ، فكان فى التباين بين علمه وعمله ، كالمنسلخ من العلم التارك له مختاراً كما يتجرد الثعبان من جلده ، فترتب على انسلاخه منها أن لحقه الشيطان فأدركه وتمكن من الوسوسة له إذ لم يبق لديه من نور العلم والإيمان ما يحول دون قبول وسوسته و إغرائه ، فصار من الفاسدين المفسدين . ولو شاء الله لرفع عبده بآياته إلى أعلى درجات التقوى ، ولكنه اختار لنفسه السفل بأن أخلد إلى الأرض وزينتها ، وجعل كل همه التمتع بما فيها من اللذات ، واتبع هواه فلم يراع الاهتداء بشىء مما آتاه الله من آيات ، وفى وصفه تعالى له بالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .تشبيه بليغ لإصرار من يتبع هواه على معصية الله ، مهما حملت عليه باللوم والتأنيب .أو حملت عليه بالنصح والإرشاد . أو حملت عليه بالسيف والتهديد ، فإنه يظل يلهث جشعاً ونهماً لانغماسه فى شهواته وتهالكه على مطامع الدنيا ولذاتها . وهو يجرى لاهثاً وراء هواه لا يلوى على شىء حتى يقع فى القبر

(ألهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر) وفى تشبيه الله تعالى الإعراض عن آياته بالانسلاخ منها تصوير دقيق للحقيقة . لأن آيات الله كانت تحميه وتقيه كما يقى فراء الحيوان بدنه .

فلما انسلخ مما كان يصونه وأصبح مجرداً مما كان يقيه من الزلل ، استطاع الشيطان أن يغريه فاتبع هواه وكان أمره فرطا . وقد وعد الله تعالى التقى بالمعونة فى الحياة الدنيا فقال (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) وقال (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

وكما وعد تعالى التقى بالمعونة فى الحياة الدنيا وعده بالهدى والاستبصار فى الدنيا والتفرقة مابين الخير والشر والنافع والضار ، أى يسدده إلى مافيه خيره ، ويبعده عما فيه ضرره ، ويخرجه من العسر إلى اليسر ومن الضلال إلى الرشد ، ووعده كذلك بالمغفرة وتكفير السيئات والأجر العظيم فى الآخرة ، فاسمع لوعده وكرمه وفضله تعالى فى هذه الآيات (يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويُعْظم له أجراً) .

ووعده كذلك بالرحمة فقال تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) وقال (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون)

ووعد تعالى أحبابه الأتقياء بالنجاة وأنهم لا خوف عليهم ما دام الله راضياً عنهم فى قوله (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقوله (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقوله (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) وقوله (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

وكما وعد تعالى المتقى بالمعونة والرحمة والنجاة والمغفرة . وعده كذلك بالفوز بالأجر العظيم على تقواه . وبين أن الصبر والإحسان ماهما إلا تقوى فقال سبحانه (إنه من يتق

ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) وقال (فاصبر إن العاقبة للمتقين) وقال (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) .

وأى فوز كالفوز بالآخرة . والنجاة من عذاب الجحيم . (إن المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ، كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) (إن المتقين فى مقام أمين . فى جنات وعيون . يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين ، كذلك وزوجناهم بحور عين . يدعون فيها بكل فاكهة آمنين . لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم . فضلا من ربنا ذلك هو الفوز العظيم)

حرم الدكتور محمد رضا

فضل الصيام

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به . والصيام جُنَّة . وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابّه أحد أو قاتله ، فليقل إنى امرؤ صائم . والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه » رواه البخارى

وعن أنس رضى الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكبر الكبائر الإشراك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور » رواه البخارى

« اللهم إنى صائم »

الصيام رباط المتقين ، وجُنَّة المحاربين ، ورياضة الأبرار والمقربين ، وهو لرب العالمين[(١)] من بين سائر الأعمال ، شرعه الله لعباده رحمة بهم ، وحمية وجُنَّة ، وإحسانا إليهم ، وتفضلا منه وكرماً .

ولعله من الخير ونحن نستقبل رمضان ، ونقضى فريضة صومه أن نعرف حقيقة هذا الصوم ، ونتعرف حكمته ، فأن كثيرا من الناس يؤدى هذه الفريضة فيصومون رمضان متابعين لمن حولهم ، مقلِّدين غيرهم ، آخذين بما جرى عليه آباؤهم وأجدادهم من قبل . وقَلَّ منا من يفكر فى حقيقة الصوم . وإن فكر فلا يمتد تفكيره إلى أبعد من أن الصوم هو جوع وعطش ، وإن بَعُدَ به تفكيره فالصوم عنده رياضة غايتها تهذيب النفس ، وأخذها بما يعودها الصبر ، واحتمال المشقة ، والإحساس بلذعة الحرمان . . . إلى غير ذلك مما يعرفه المتعملون بالدراسات الفقهية .

ولكن الصوم ؛ شيء أعظم من هذا كله ، . فليس الصوم جوعا وعطشا ، فما أكثر الجياع والعطش فى دنيا الناس ، ! ! ولكنهم ليسوا صائمين لا عند أنفسهم ولا فى حقيقة الأمر ، لأنهم لم يعقدوا العزم على الجوع والعطش ، ولم يجيئوا إليه مختارين طائعين . . . فقد يجوع الانسان ويعطش لأنه مريض محكوم عليه بأن يمسك عن الطعام والشراب . وقد يمتد به الجوع والعطش أياما وليالى ، ولكنه مع هذا ليس صائما ، وقد ينقطع المرء عن مواطن الطعام والشراب فى صحراء ، أو قَفْرٍ مَّا وقد يموت جوعا ، أو يهلك عطشا ، ومع هذا فليس بصائم ، لأنه لم يقصد الصوم ولم يجىء إليه عن رغبة واختيار .

ليس الصوم رياضة على احتمال الجوع والعطش ، والصبر عليها . فما أكثر المحترفين لمثل هذه الرياضات ! ! وما أكثر الذين يأخذون أنفسهم بأشق الرياضات وأقساها

---

(١) إشارة إلى الحديث القدسى « الصيام لى وأنا أجزى به » .

ليحصلوا من وراء ذلك على مناعة جسمية ، يقتدرون بها على خوارق الأعمال ، وركوب الأخطار التى يعجز عنها معظم الناس ! ومع ذلك فليس لهم من هذه الرياضات شىء تنتفع به النفس ، وينتعش به الروح ! ! .

فما الصوم إذن ؟ ؟

الصوم فى شريعة الأسلام نية وعقد بين العبد وربه ، وهو أمام هذه النية ، وذلك العقد مطالب بالوفاء الذى يحقق النية ، ويصحح العقد ، وأن أى تفريط فيما صممت عليه النية وانتظمه العقد ، غدر بعهد الله . ونقض لميثاقه ، الذى يقول فيه سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) ويقول : (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ١٦ ، ٩١) فأذا دخل شهر الصوم وعقد المسلم النية على صيامه ، فقد جعل بينه وبين الله عهدا ، ووطن نفسه على الوفاء به ، وأعدها لهذه الرياضة الروحية ، التى تنتظم شهرا كاملاً ، هى تلك الأيام المعدودات التى تشير إليها الآية الكريمة فى قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدودات ١ ، ١٨٣ ، ١٨٤) .

ومحصّل التقوى فى هذه الأيام المعدودات لا يكون بالجوع والعطش ، فإن الجوع والعطش المجردين من معنى الصوم ، من شأنهما أن يثيرا فى الإنسان كثيراً من دخائل الشر ويدفعانه دفعاً إلى الإجرام أو قد يحيلانه حيواناً ضاريا يستبد به سعارها ، فينهش اللحم ، ويلغ فى الدم .

وإنما تجىء التقوى من هذا الإحساس الذى يملأ نفس الصائم حين تتحرك فيها الشهوة إلى الطعام الطيب وهو عتيد لديه ، فيردها عنه ردّا ، ويهتف بها « إنى صائم » ثم يمتد هذا الإحساس فى نفس المسلم الصائم ، فيلقى به كل شهوة تدور فى محيطها ، وكل منكر يطوف بها . . فلا يكذب لأنه صائم ، ولا يغتاب لأنه صائم ولا يسعى بنميمة . . لأنه صائم ، ولا يسب ، ولا يلغو ، ولا يرفث ، ولا يفسق لأنه صائم . فهو دائماً مسلح

بهذه النية ، محصن بهذا الإحساس ، مجهز بتلك القذيفة ، يصرع بها كل شهوة ، ويردى بها كل منكر . . « إنى صائم » .

ماذا يكون الصوم فى شريعة الإسلام غير هذا ؟ وأين يذهب به غير هذا المذهب الذى يجعل للصائم سلطاناً على نفسه وسبيلا إلى بناء كيانه الخلق . ودعمه بالطيبات الصالحات من الأقوال والأفعال ؟ وأين موقع الحجة ودلالة الصدق فى قول الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم (الصوم جُنّة[1]) ؟

وأين هذه الجنة وما جدواها إن لم يجدها الصائم كلما هممت به داعى الشر ، وحاكت فى صدره دوافع الإثم .

نعم . « الصوم جُنّة » . فمن حقق معنى الصوم ، فقد ضمن لنفسه هذه الحصانة ، وأمسك منها بأوثق العرى ، ولن يتحقق معنى الصوم فى نفس الصائم ، إلا إذا صحبته نية خالصة .. فإن النية هى التى تربط العمل بنفس الإنسان ، وهى التى تجعل للعمل غاية يسعى المرء إليها ، ويعمل فى ظلها .

وفى قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « إنما الأعمال بالنيات » توجيه سديد إلى أكمل المقاصد لنجاح الأعمال العظيمة ، والغايات البعيدة . فالحديث إنما يؤكد ما للنيات من آثار بعيدة المدى فى تحقيق الأعمال ، وتعلق نتائجها على ما يصاحبها من نيات .

وكأنما يقول الحديث « إنما تصح الأعمال بالنيات » فالنية التى تصاحب الصوم شىء له خطره ، وليست لفظاً مردداً ، ولا خاطراً عابراً ، وإنما هى عزيمة صادقة ، واستعداد كامل للدخول فى هذه العبادة ؛ فهى أشبه بتكبيرة الإحرام فى الصلاة ، يُسْلِم المصلى بعدها نفسه خالصة لله ، وينقطع بها عن الحياة وشواغلها . حتى يفرغ من صلاته .

كذلك حين ينوى المسلم الصوم . ويعقد العزم عليه فإنما ذلك إيذان بالدخول

---

(١) وقاية .

فى تلك الفريضة . ومتى دخل الصائم فى الصوم . فقد وجب عليه أن يلتزم حدوده التى يشير إليها الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى قوله : « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل : إنى صائم . إنى صائم» . وإنى صائم هنا إنما هى إحياء لتلك العزيمة الكامنة فى النفس ، وإعلان للنية المستقرة فى القلب ، يطرحها الصائم بينه وبين من يدخل عليه فى صومه برَفَث أو فسوق ، لتكون وازعاً لهما معاً : الصائم لأنه صائم . وغير الصائم لأنه فى مواجهة صائم من شأنه ألا يرفث وألا يفسق .

هكذا يقطع الصائمون شهر الصوم يوماً يوما ، وليلة ليلة . فهو شهر كامل متصل الأيام والليالى ، وليست ساعات الفطر فيه إلا منازل يتزود فيها الصائم بما يعينه على قطع المرحلة ، ويقويه على متابعة الصوم .

فى ظل هذا الإحساس يمكن أن يطمئن الصائم على صيامه ، وأن يطمع فى أن يحقق منه بعض حكمته السامية ، وفى ظل هذا الإحساس يمكن أن يتمنع الصائم عن كثير من مظاهر الضعف النفسى التى كثيراً ما تفسد على الصائمين صومهم . ولا يكون حظهم من الصوم إلا الجوع والعطش .

يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام « من لم يَدَعْ قولَ الزور والعملَ به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

فلندع الطعام والشراب ، ولندع معهما قول الزور والعمل به ، ولنلاحظ دائماً حين نصوم هذا العقد الموثَّق بيننا وبين ربنا . فذلك هو صيام الإسلام ، وتلك هى سبيل المسلمين فيه .

جمع الله — فى هذا الشهر الكريم — شمل المسلمين . وأوقفهم على كتابه وسنة نبيه وأنقذهم من ردغات الشياطين ، وضلالات الغافلين .

السيد عبد الحليم محمد حسين ملافى

مجلة الأزهر وكتاب (البهائية)

نشرت مجلة الأزهر فى عدد رجب سنة ١٣٨٢ نقداً لكتاب (البهائية) ننشره هنا كما وردفى المجلة .

البهائية : للأستاذ عبد الرحمن الوكيل

نشرت مكتبة أنصار السنة بعابدين هذا الكتاب والمؤلف هو فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ، وكتابه دراسة واسعة عن البهائية ، تلك الطائفة المعروفة بخروجها عن دائرة الإسلام ، وبمزاعمهـا العقيدية التى تفضح نفسها بنفسها .

وبعد أن يمهد المؤلف لكتابه بتمهيد يقع فى أكثر من عشرين صفحة ، أوضح مظاهر الشرك فى هذه النحلة ، وجنايات التصوف ، وعلم الكلام والمذهبية فى قضيتها .

بعد هذا التمهيد المسهب ، قسم دراسته إلى فصول ستة : من السبئية إلى البابية : وهو الفصل الأول الذى حاول فيه أن يرد البهائية إلى السبئية التى تزعمها عبد الله بن سبأ ، الذى وضع الخطوط الأولى لفكرة الشيعة وحركتها ، والمؤلف يجول بنا جولة تاريخية ، يعرض فيها المجتمع الإسلامى الأول سليم البناء قوى الأساس ، ثم كيف استطاعت الأحقاد أن تتآمر عليه وكيف وجد كل من الشيعة والخوارج ، فتنة الحسين ، أسطورة المهدى المنتظر ، الدولة العباسية ، البرامكة .

وفى الفصل الثانى : « الباب والبابية » تناول نشأة الباب (ميرزا على محمد) وحركته فى أواسط القرن الثالث عشر الهجرى وادعاءه المهدية ، وشريعة حركته ، ونهايته المؤسفة والأساطير التى ابتدعها الخيال حولها بعد أن خر صريع الرصاص وألقيت جثته فى العراء ، وفى الفصل الثالث « البهاء والبهائية » يواصل المؤلف دراسته ، فيقدم لنا البهائية كوريث للبابية وامتداد لها . والبهاء هو (حسين على) ابن الميرزا عباس ، المولود بطهران ، تراجع

عام ١٣١٠[(١)] ويكشف عن أساطير هذه النحلة ، وحركتها ، واستنادها إلى المؤامرات والدسائس الدموية ، إلى أن هلك البهاء المذكور بجرثومة الحمى ، بعد أن صنع منه الاستعمار الروسى اليهودى إلها و بطلا .

وفى الفصل الرابع : « عبد البهاء والبهائية » حدثنا المؤلف عن ابن البهاء ، وكيف استطاع بدراسته للفلسفة اليونانية ، وكتب الباطنية والصوفية المنحرفة ، أن يسيطر على والده سيطرة واسعة ، ثم استمرأ هذه السلطة فى ظل الكفر والإلحاد ، فواصل نشاطه فى خدمة الاستعمار الإنجليزى والفرنسى ، وجمع المال والثروات بغير حساب ، إلى أن انتهت حياته عام ١٣٤٠ هـ وخسرت الأمبراطورية الإنجليزية أخلص عبيدها .

والفصل الرابع : « الحقيقة الإلهية فى رأى البهائية » مناقشة دقيقة لعقيدة البهائية — إن جاز أن تسمى عقيدة — ويرى المؤلف أنها على زندقتها مسبوقة بزندقة الفلسفة والصوفية والباطنية والإسماعيلية والدرزية ، وهى زندقة حيرى بين عبادة عدم وعبادة صنم فالمجرد الصرف والكلى البحث ، وجوده ذهنى لاعينى ، أى لا حقيقة له خارج الأذهان ، وللبهائية آراء على قمة الفساد ، وهم يرون الرسول - أى رسول - ربًا وعبداً ، ويؤمنون بوحدة الوجود ويفسرون « ختم النبوة » تفسيراً يحقق أن الوجود لا ولن يخلو من رسل ويكفرون بالمعجزات و بإعجاز القرآن ولا يرون معجزة إلا فى النسخ وحده .

والفصل الخامس : عقيدة البهائية فى البهاء ، تؤمن البهائية بربوبية البهاء ، وتطعن على أدلة الرسل ، و براهين الإسلام ، وتزعم أن نحلتها ناسخة للإسلام . أما الفصل السادس والأخير (دين البهائية) فهو عرض مسهب لهذا الدين المبتدع فالبهائية كفر جبان والتوحيد عندها هو : معرفة الأجساد البشرية التى حلت فيها « الحقيقة الإلهية » ولا بد من وسائط فى الدين هم شيوخه ، وللبهاء وحده يصلى البهائيون وإلى قبره وحده يحجون

---

(١) هى فى نقد المجلة ٣٢٣ هـ ولعله خطأ مطبعى

وقد قال لهم : (من توجه إلىَّ ، فقد توجه إلى المعبود) والصلاة تسع ركعات فقط .

والقبلة هى قصر البهاء ، والزكاة ١٩ ٪ ، وأشهر السنة ١٩ شهراً والشهر ١٩ يومًا ، والميراث تشريع جديد ، والربا مباح ، والجهاد محرم ، وعقوبة الزنادية مسلمة إلى بيت العدل . أى بيت ماله .

وبعد — فهذا عرض سريع لهذه الدراسة الجيدة ، ولا ريب فى أن الأستاذ عبد الرحمن الوكيل بذل جهداً يشكر عليه ، فقد جعلنا نلم إلماماً شاملا بالبهائية ومفترياتها فى أسلوب فيه روعة البيان وإن لم يخل من الحدة التى كنا نود أن يجنب أسلوبه منها فى هذه الدراسة العلمية الموضوعية — ولست أدرى لم أتعب نفسه ، وكتب الفصل الأول فى حدود أربعين صفحة ، استعرض الإسلام منذ نشأته إلى الخلافات التى نشبت فى أساليب دموية بين الشيعة والأمويين ، ليبرر مسلك الأمويين فى كثير من أحوالهم جنوح آل البيت إلى الفتنة والهوى ، كان من الممكن أن يركز لنا صفحات قليلة محدودة المنابع الأصلية للبهائية دون أن يحاول إلصاقها بالحركة السبئية والحركة اليهودية منذ ضحى الإسلام .

ولقد استعمل من أول دراسته — وهو يحدثنا عن الفتنة فى عهد عثمان — كلمة الصهيونية وهى كلمة مستحدثة معاصرة وكان الأحرى أن يستعمل مكانها « اليهودية » مثلا ، والمعروف أن مؤسس البابية التى كانت فيما بعد « البهائية » ولد عام ١٨١٩ م ، فكيف تربط حركته بالسبئية المنتمية إلى عبد الله بن سبأ المعاصر للخليفة الثالث ، رضى الله عنه ، إنى أرى بعداً عن المقاييس الصحيحة للدراسة العلمية المنهجية ، وإن كان من السهل مثلا أن نرد هذه النحلة إلى فكرة الشيعة الباطنية فى مسألة المهدى المنتظر .

وإنى لأحمد بعد ذلك للمؤلف اتجاهاً جديداً هو عدم المساس بأقدار على وبنيه وتأويله لكل ماحدث فى فتنة الحسين وغيرها ، بأن الخطأ فى اجتهاد الرأى ، وأحمد له أيضاً ، أن قلمه قد أمتعنا بدراسة قيمة عن هذه النحلة الحديثة التى لا زالت تستهوى بعض المأفونين من الشباب الذى يجد لذة فى التحلل والانحلال .

تعقيب : وشكراً لمجلة الأزهر الغراء ، وللكاتب الكريم الأستاذ محمد عبد الله السمان على هذا النقد الذى حرص فيه على التجرد للإنصاف . فعرض موضوع الكتاب عرضاً موجزاً ولكنه عرض دقيق يشهد للكاتب الكريم بأنه قرأ قبل أن يكتب ، وهذه ميزة قد لا تتوفر إلا لقلة قليلة ممن يتصدون لنقل الكتب . غير أن لى تعقيباً على ما أخذه على الناقد الفاضل . فقد ذكر أن فى أسلوب الكتاب روعة البيان غير أنه لم يخل من الحدة ..

ومسألة الحدة هذه مسألة نسبية ، فقد يراها البعض ليناً لا حدة ، وقد تكون فى مقاييس الحق كلمة حق يجب أن تقال فى صراحتها وقوتها .ولنتدبر قول الله سبحانه لموسى وأخيه هرون : (إذهبا إلى فرعون إنه طغى . فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى . قالا : ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا ، أو أن يطغى . قال : لا تخافا . إننى معكما أسمع وأرى . فأتياه ، فقولا : إنا رسولا ربك ، فأرسل معنا بنى إسرائيل ، ولا تعذبهم . قد جئناك بآية من ربك . والسلام على من اتبع الهدى . إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) . ثم يقول الله : (قال لهم موسى . ويلكم لا تفتروا على الله كذبا ، فيسحتكم بعذاب ، وقد خاب من افترى)

هذا الذى قاله موسى لفرعون من القول اللين رغم مافيه من شرح لكفر فرعون ورمى له بما يقترفه من ظلم وتكذيب وقول عن دين الله ، وتعريض به .

وإنى لواثق من أن الكاتب الكريم لو عاش مع كتب هؤلاء البهائيين تلك السنوات التى عشتها معها لأتى بأسلوب فيه كل مالاحق من حدة وحول وطول .ولقد قرأت له هو بعض ما نقد به التصوف ، و بعض ما نشر هو من نقد للتصوف وللتعصب المذهبى فرأيت الحق فى حميته وغضبته الملتهبة .كما أقول للكاتب الكريم :

ماذا نقول لفئة تعتقد أن أقذر وأخس جاسوس كان هو الله رب العالمين ؟!

إننى ياأخى أكتب ، وأنا مسلم ، فلن أزعم أننى كنت متجرداً من دينى وأنا

أكتب : فذلك ليس فى ملـكى ، ولا يمكن أن يكون ، ولا يصح أن يكون !!

من إسلاميتى اندفعت كلماتى تجابه الـكفر القذر الوضيع ، ومن إسلاميتى إنبثقت تعبيراتى تدمع الباطل بما يجب أن يدمغ به . والله يقول :

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الـكفار رحماء بينهم) ويقول (ياأيها النبى جاهد الـكفار والمنافقين ، واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم و بئس المصير) .

إن ما أضرع به إلى لله ألا أكون افتريت على هؤلاء الناس مالم يقولوه ولقد بذلت ـ بعون الله ـ كل ما يمكن أن يبذله كاتب فى سبيل الـكشف عن حقيقته ، ومن الله التوفيق

أما الفصل الأول ، فـكان لبيان أثر الإسلام العظيم فى بناء هذه الأمة ، ثم لبيان مؤامرة الأحقاد الطاغية ضده ، ليتبين لنا بجلاء أن البابية والبهائية امتداد لهذه المؤامرات وأن ما كاد به الشيطان قديماً لدين الإسلام هو عين ما يكيد به حديثاً . ولم أكتب للدفاع عن الأمويين ، بل للدفاع عن تاريخ هذه الأمة الذى حاولت الأهواء تزييفه ، ولم أرم آل البيت الأوفياء بالجنوح إلى الفتنة والهوى ، والأستاذ الـكاتب نفسه قال فى مكان آخر : أنه يحمد لى عدم المساس بأقدار على و بنيه !! . إنما رميت بالحق من يستحق الرمى .

ثم يقول الـكاتب أننى استعملت كلمة « الصهيونية » ، وهى كلمة مستحدثة معاصرة ـ وأنا أتحدث عن الفتنة فى عهـد عثمان ، ويكفى أن أذكر الـكاتب الفاضل بما يقوله الأستاذ العقاد : « الواقع أن الصهيونية الحديثة كأختها القديمة كلتاهما وليدة السياسة والسياسيين أياً كان السبب الذى تستند إليه » .

و بقوله : « فالصهيونية فى الزمن القـديم لم تـكن عقيدة دينية ، بل كانت نزعة سياسية » فهو يؤكد ـ والواقع يؤكد ـ أن الصهيونية حركة سياسية قديمة ولقد كتب الأستاذ العقاد فصلا كاملا بعنوان « الصهيونية قبيل الميلاد » ثم فصلا آخر بعنوان « الصهيونية

من الميلاد إلى القرن التاسع عشر » ثم فصلا آخر بعنوان « الصهيونية منذ وعد بلفور » لعل الجديد المستحدث هو كثرة دورانها على الألسنة ، وتسمى جماعة يهودية بعينها باسم « أبناء صهيون » أما هى كحركة سياسية نشأت بين اليهود . فهى قديمة . ولها أهدافها وغاياتها الدينية منذ نشأت . ومن هذا يرى الكاتب الفاضل أننى لست بدعا فى هذا الاستعمال ولقد كتبت فى الكتاب فصلا كاملا عن الصهيونية عبر التاريخ ، وأشرت إلى شىء من هذا

ثم أخذ علىّ الأستاذ أننى ربطت معركة البهاء بالسبئية ولست أدرى ماذا فى ذلك من بعد عن المقاييس الصحيحة للدراسة العلمية المنهجية ؟ ! إننا كما يجوز لنا أن نربط أصول الإيمان الصحيحة فى عصر متأخر بأصول الإيمان فى عصر متقدم ونبين أن هذه هى تلك أو امتداد لها . كذلك يجوز لنا أن نربط الكفر بأصوله الأولى . والبهائية كما نرى ما هى إلا امتداد للسبئية . وإذا لم نفهم السبئية ، فلن نفهم الباطنية . وبالتالى لن نفهم البهائية ، بل ربما ظننا أن ما جاءت به من الكفر جديد مستحدث وقد قرر الأستاذ الكاتب نفسه أنه من السهل رد هذه النحلة إلى فكرة الشيعة الباطنية فى مسألة المهدى المنتظر !!

وأين زمن البهائية من زمن الباطنية ؟

لقد بينت أصول السبئية، ثم بينت تسرب أساطير السبئية وتطورها وظهورها بأسماء أخرى تخادع بها المسلمين عن حقيقتها ، ليتبين لنا بجلاء أن البهائية نحلة تنتسب إلى السبئية الأولى عقيدة وهدفا وغاية .

ونحن فى بحثنا فى أمور التصوف والفلسفة نرد كثيراً من الأفكار الفلسفية والصوفية الحديثة إلى أصولها اليونانية أو الشرقية . وفى بحثنا عن البدع نرد كثيراً مما ينتشر بيننا من بدع الجنائز إلى أصولها الفرعونية الأولى ولا نرى فى شىء من هذا مخالفة للمقاييس المنهجية الصحيحة . بل نراه واجباً لا يعذر من يهمله .

والمشابهات بين ألوان الكفر وأنواعه واضحة كل الوضوح ، وقد نجد أصول الكفر التى كانت فى قوم نوح هى عين أصول الكفر التى نحاربها اليوم .

والبهائية يا أخى لم تأت بكفر جديد ، ولا بتصوير جديد له ، ولا ببيان مستحدث عنه ، وإنما هى سارقة للكفر بأصوله وفروعه وشروحه وأسلوبه ومعانيه وألفاظه . وقد بينت بجلاء أن تحريفها لكلام الله هو بعينه تحريف السبئية الأولى وتحريف ما نشأ عنها من فرق فكيف نلام حين نربط بين ردغات الكفر ، أو حين نؤكد عن بيِّنة أن البهائية ما هى إلا امتداد للسبئية ؟

وأخيراً أكرر شكرى الجزيل للأستاذ الكاتب الفاضل محمد عبد الله السمان على موقفه الطيب من كتابى « البهائية — تاريخها وعقيدتها » وعلى حفاوته البالغة به فى الإذاعة وفى مجلة الأزهر . وأضرع إلى الله أن يجعل الكاتب الكريم من جنود الحق البررة الأوفياء لكلمة الله سبحانه .

عبد الرحمن الوكيل

أى الإسلام أفضل ؟

عن عمرو بن عبسة قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله ، ما الإسلام ؟ قال : أن تسلم قلبك لله ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك » قال فأى الإسلام أفضل ؟ قال « الإيمان » قال : وما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت » قال : فأى الأعمال أفضل ؟ قال : الهجرة . قال فى الهجرة ؟ قال : أن تهجر السوء » قال : فأى الهجرة أفضل ؟ قال : « الجهاد » .

رواه الإمام أحمد

حواء !! مالها والقضاء ؟ !

أقامت إحدى الهيئات العلمية بمدينة طنطا مناظرة حول ولاية المرأة للقضاء ، وتحدث فيمن تحدثوا شيخ أزهرى ، فناصر المرأة و بدل دين الله (ز يغاً وهوى) ، وكان قد دعى لشهود هذه الندوة العامة الأخ الأستاذ عبد الفتاح إبراهيم سلامة وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية بطنطا ، ولما لم يمكن من كشف النقاب عن وجه الحقيقة فى الموضوع واجه الشيخ الأزهرى ببعده عن الحق أيما بعد ، وقد كان صديقاً له من قبل .

ولم يؤيد الشيخ فى رأيه المناصر للمرأة غير خمسة أفراد من قرابة خمسمائة شهدوا المناظرة ، ومن أغرب ماسمع فى المناظرة ماقاله حَكَمها وهو موظف كبير ، بعد ذكر الحديث الموضوع « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » قال : والحميراء تصغير حمارة !! مع أن من وضعوا الحديث قالوا إنها تصغير حمراء .

ثم تأهب فرع الأنصار لإحقاق الحق ، فعقد محاضرة للرد عنوانها « حواء ، مالها والقضاء » احتشد لسماعها فى دار الجماعة المئات من أبنائها ، وغص السرادق المقام أمام الدار بصفوة من المثقفين والمتعلمين ورهط عظيم من طلاب الأزهر وخريجيه ، ولم يحضر الشيخ المناصر للمرأة مع دعوته للحضور .

وألقى المحاضرة الأستاذ عبد الفتاح سلامة وعلق عليها الأستاذ الدكتور محمد خليل هراس فتوعد الغاوين ، و بين لهم أن فى السويداء رجالا آمنوا بربهم وأخلصوا له ، وأكد ثبات الأنصار ومثابرتهم على جهاد الباطل و إعلاء كلمة الله .

وقد تكلم الأخ المحاضر عن شهادة المرأة وساق آيات الشهادة من كتاب الله على الدَّين والوصية والطلاق والرجعة والقذف والزنا والملاعنة ، و بين مافى السنة من ذلك وتفصيله و بين متى تكون شهادة المرأة على النصف شهادة من الرجل ، ومتى لا تقبل ، ومواضع ذلك ، ومتى تكون كشهادة الرجل سواء ، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة ، وناقش رأى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى شهادة المرأة الذى ذكره عنه تلميذه

الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار ص ٣ ، وناقش تأييد الأستاذ الشيخ شلتوت لهذا الرأى فى كتاب « الإسلام عقيدة وشريعة ص ٢١٢ » بيد أن الدليل من محكم الذكر ليس معهما على وفاق ، وأنه مع تقديره للشيخين فلا يعرف الحق بالرجال ، إنما يعرف الرجال بالحق .

ثم بين أن القضاء ولاية و بين ما يتطلبه الإسلام فيها من صفات .

ثم بين ضعف المرأة عن هذه الولاية و بين تصديق التجاريب والواقع المشهود والعلم المنظور لما ذكره الله تبارك وتعالى عن لسان امرأة عمران (وليس الذكر كالأنثى) .
— آل عمران — وأن ذلك محسوس ملموس ، ووقف عند قوله تعالى (الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض . . .) من سورة النساء .

وأسهب فى معنى القوامة والتفضيل وأسبابه ، وكذلك فعل عند قوله تعالى (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة) و بين هذه الدرجة وتكلم عن فصل القضية فى قوله تعالى (ولا تتمنَّوا مافضَّل الله به بعضكم على بعض . . .) النساء .

ثم تكلم كيف تصح إمامة العبد للرجال ولا تصح إمامة المرأة لهم ، وأن عائشة رضى الله عنها ، وعلمها وفضلها يعطران وجه التاريخ ، كان يؤمها عبدها ذكوان . وتحدث عن الطلاق وأن الله لم يجعله بيد المرأة قط و بين علة ذلك .

ومن ينابيع السنة الغدقة العذاب فتح منها فراتاً طاهراً يطهر القلوب من رجس عبادة المرأة ، فذكر قول الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم : « كيف يفلح قوم وَلَّوا أمرهم امرأة » .

« استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع . . . » « . . . مارأيت من ناقصات عقل ودين . أغلب لذى لب منكن . . . » .

و بين أن سند هذه الأحاديث يقسم قمة سامقة تنقطع دونها ألسنة الخراصين وأقلام المرجفين (و بشرحها) بدد ضياء النبوة تلبيس الأبالسة .

ثم تكلم عن بيعة النساء للرسول صلوات الله عليه وأنها بيعة خاصة على غير مابايع عليه الرجال . وذكر قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) و بين معنى الولاية وأركانها ،

ثم ناقش مايعزى إلى الأحناف من قول بولاية المرأة للقضاء فى غير حد ولا قود .

وتبرأ الإمام الجليل ابن حزم من الافتراء عليه بزعمهم أنه قال بولاية المرأة للقضاء ، ونقل عن (المحلى) عكس ماتخرصوا عليه .

و بين أن دين الله لا يؤخذ عن غير الكتاب والسنة ، وذكر العبرة من وصايا القرآن لنساء النبي وأمهات المؤمنين رضى الله عنهن فى قوله تعالى (يانساء النبي لستن كأحد من النساء . . .)

وتكلم عن حجتهم فى ولاية شجرة الدر وما لقيته من مصير بشع .

هذا إلى عديد من الفصول الأخرى ، قطع الله بها ألسنة السوء ، ثم وعد سامعيه بكتابة هذه المحاضرة وتقديمها للمطبعة .

كل هذا مما دعا المبطلين بعد أن فقدوا سلاح العلم ونور الهدى ، أن يلجأوا لمحاولة الاعتداء على جنود الله ، ولكن الله يدافع عن الذين آمنوا ، وهو المستعان ، وعليه التكلان .

عبد الفتاح ابراهيم سلامة

الزوجة الصالحة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » رواه ابن ماجه والطبرانى عن أبى أمامة .

تعليقات على الصحف :

بنت الشاطىء . . والفرية الفاطمية

نشرت مجلة تصدر عن هيئة أجنبية بالقاهرة باللغة العربية . مقالا عن دور السيدة زينب (رضى الله عنها) فى معركة كربلاء بمناسبة الاحتفال بمولدها ملخصاً من كتاب « بطلة كربلاء » بقلم الدكتورة بنت الشاطىء . . وجاء فى المقال أن والى المدينة كتب إلى يزيد بن معاوية أن وجود « زينب » (رضى الله عنها) بالمدينة يؤلب الناس على حكم يزيد بن معاوية بسبب سخطهم على مقتل الحسين (رضى الله عنه) ، وأن يزيد أمر الوالى بتفريق البقية الباقية من آل البيت إلى الأمصار والأقطار . فخرجت زينب إلى مصر . . وأنها أقامت هناك حيث اختارت أن تكون ضجعتها الأخيرة .

المجلة صدرت فى ٢٠ - ١٢ - ١٩٦٢

هذا ما ترويه الدكتورة بنت الشاطىء فى كتابها « بطلة كربلاء » ص ١٣٧ ، وقد علقت بنت الشاطىء بهامش الصفحة على كلمة « حيث اختارت أن تكون ضجعتها الأخيرة » بقولها (من شاء فليرجع إلى أخبار الزينبات ، وتحفة الأخبار . وطبقات الشعرانى ، والخطط لعلى مبارك باشا) .

هذه هى المصادر التى اعتمدت عليها الكاتبة فى إثبات خرافة رحيل السيدة زينب (رضى الله عنها) إلى مصر ووفاتها ودفنها بها .

وكنا نحسب أن بنت الشاطىء قد أنضجتها التجارب فلا تسمح لأنهارها أن تجرى فيها هذه الترهات التى يؤمن بها من يجهلون حقائق التاريخ . ويجهلون أيضا مصادرها الصحيحة .

ولا ندرى كيف اعتمدت الكاتبة على هذه المصادر الواهية . والتى لا سند لها من الحقيقة والتاريخ .

ولنرجع إلى المصادر التى استشهدت بها بنت الشاطىء لإثبات دعواها لنرى ماذا قالت تلك المصادر !!

قال الشعرانى فى طبقاته ص ٢٩ فى معرض الكلام عن مقتل الحسين (رضى الله عنه) « وأنشدت أخته المدفونة بقناطر السباع من مصر المحروسة برفع صوت ورأسها خارج من الخباء .. الخ » هذا كل ما ذكره الشعرانى فى طبقاته عن وجود قبر السيدة زينب بمصر . وفضلا عن ذلك فإنه لا ينبغى الاعتماد على كتاب الشعرانى لاستخراج حقائق تاريخية مفيدة إذ لم يسجل هـذا الذى يسمى نفسه مؤرخا فى طبقاته غير الأباطيل والمنكرات والتفاهات . . . فهو الذى جعل من الزنادقة والعشاق أولياء وأتقياء ، بل مجدهم وترضى عنهم [١] .

وصاحب أخبار الزينبات ذكر فى كتابه بصفحتى ٥٨ و ٥٩ قصة خروج السيدة زينب إلى مصر دون ذكر أسانيد صحيحة يعول عليها .

أما ذكر صاحب (الخطط التوفيقية) فى كتابه ص ٦ ج ٥ فى هذا الموضوع فهو عبارة عن ترجمة للمسجد الزينبى ، كما نقل أخباراً عن إصلاحات قام بها بعض الحكام للمسجد . ثم أورد أنه لم يقف على أول من أنشأ هذا المسجد [٢] .

---

(١) فى استطاعة القارىء الكريم أن يراجع هذا بالطبقات الكبرى للشعرانى الصفحات ٩١ ، ٩٢ ، ١٨٣ ، ٢٠٢ ج ١ ، والصفحات ٩٤ ، ١٢٩ ، ١٦٠ ج ٢ .

(٢) عند الكلام على كذب وجود رأس الحسين بالقاهرة يعلق أستاذنا الإمام الشيخ محمد حامد الفقى ـ طيب الله ثراه ـ على القبر المنسوب إلى زينب (رضى الله عنها) بحى السيدة فيقول « وكذا القبر المنسوب إلى زينب بنت على رضى الله عنهما بالقاهرة كذب لا أصل له ، ويقال أن موضعه كان ساقية ، فلما رأى صاحبها أنها لا تغل له مع التعب إلا اليسير زعم للناس أنه رأى السيدة زينب فى المنام تأمره أن يقيم لها قبة فى هذا المكان . فأقامها وأعانه العوام . ثم كان سادننا لها لجاءته الأموال الكثيرة .. الخ » راجع هامش ص ٩ من كتاب « مجموعة رسائل ابن تيمية » المتضمن مناقشة موضوع رأس الحسين (رضى الله عنه)

هذه هى المصادر [1] التى حاولت أن تثبت بها بنت الشاطىء دعواها ، وهى مصادر واهية - كما يبدو للقارىء الفطن - ولا يصح أن يعتمد عليها من يتصدى للكتابة عن حياة السلف الصالح الذين نتخذهم قدوة لنا ، ذلك لأن هذه المصادر لم تستمد أخبارها من مراجع تاريخية موثوق بها .

ومن العجب العجاب أن تقول بنت الشاطىء فى مقدمة كتابها : هذا الكتاب ليس تاريخياً بحتاً ، وإن أخذ مادته من مراجع تاريخية أصيلة .. الخ .

وقد نسأل الكاتبة : أين أصالة مراجعها إذا كانت ما ترويه هذه المصادر يخالف الواقع والتاريخ الثابت المعروف فى الموضوع ؟!

إن الواضح الذى نقله إلينا التاريخ الصحيح أن السيدة زينب (رضى الله عنها) لم تخرج إلى مصر بعد أن وصلت إلى المدينة فى صحبة رسول يزيد بن معاوية ، وهذا ثابت من المراجع التاريخية التى بين أيدينا والمعروفة بثقتها عند أهل العلم والتحقيق ، كالبداية والنهاية ، وتاريخ الأمم والملوك ، وغيرها من أمهات كتب التاريخ التى يعول عليها فى مثل هذه الأخبار .

وبعد : فإنه ينبغى لمن يريد أن يكتب عن السلف الصالح أن يتحرى الحقائق فيأخذها من مصادرها الأصيلة ، ومنابعها الصافية ، لا أن يجرى وراء كتب غاية أصحابها إثبات خرافة بالية انكشف أمرها ، وعرف باطلها .

***

---

(١) معذرة للقارىء فان الوقت لم يسمح لنا بالاطلاع على كتاب «تحفة الأخبار» لنرى ماذا قال مؤلفه أيضاً عن هذه الفرية الفاطمية التى جازت على المسلمين على مر السنين فصدقوا أن زينبا (رضى الله عنها) مدفونة بالقاهرة .

تحريم الخمر والميسر

أعدت وزارة الشئون الإجتماعية مشروع قانون لتنظيم الجمعيات والهيئات العاملة فى ميادين الخدمة والرعاية الاجتماعية ومن أهداف هذا القانون تحريم لعب الميسر ومنع تقديم المشروبات الروحية داخل الجمعيات والهيئات .

الاهرام يوم ٢٧ - ١٢ - ١٩٦٢

وهذا القانون يعتبر خطوة مشكورة فى سبيل القضاء على آفة الخمر والميسر التى تدمر حياة المصابين بها من السفهاء ، ثم تتسبب فى فقر الأسر وخراب بيوتها .

إننا نرجو أن يهتم مجلس محافظة القاهرة أيضاً بهذا الأمر فيحذو حذو وزارة الشئون بإصدار تشريع يحرم شرب الخمر ولعب الميسر فى المحال العامة . فإن الذى دفع وزارة الشئون إلى إصدار هذا التشريع هو ولا شك إدراكها مدى خطورة هذين الداءين المهلكين فى مجتمعنا . ولا يخفى أن آفة الخمر والميسر لا تقل فى شرورها وضررها عن الحشيش الذى تحرم الدولة تعاطيه . وتحاربه بكل الوسائل ، وتعاقب متعاطيه بشدة متناهية ، فإذا لم يكن السبب الاجتماعى دافعاً لنا على تحريم الخمر والميسر فى كل مكان ، فليكن الدافع إلى التحريم دين الإسلام الذى ندين به ، فهو يحرم علينا هاتين الآفتين لما فيهما من أضرار جسيمة على المجتمع لقوله تعالى فى محكم كتابه (ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الآية) ٩٠ المائدة .

* * *

الناس بين الحق والباطل

نشرت مجلة «لواء الإسلام» بعدد شعبان مقالا قيما للأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة بعنوان « المجتمع الفاضل » تحدث فيه عن موقف الاستهزاء والسخرية والعداوة الذى يقفه

أكثر الناس من كتاب الصحف اليومية وغيرهم تجاه الحق ، وموقفهم من أصحابه بالأذى والقالة الموجعة . ثم إلى موقفهم من الباطل حين يجتمعون لنصرته . و إعلاء شأنه . وضرب لذلك مثلا ، منها : موقف بعض الناس من ذلك .الصوت الجرىء الذى ارتفع منذ شهور يستنكر ثياب النساء المثيرة ، فتلقفت الأقلام اللاهية شخصيته بالهزء والسخرية ورمته بالتأخر والتعصب . ومنها الجوائز التقديرية التى تنالها الراقصات والفنانون أكثر مما يناله العاملون فى ميادين العلم والثقافة والفكر وغير ذلك من تفضيل الغث على السمين فى المعاملة والتقدير .

لواء الإسلام بتاريخ غرة شعبان سنة ١٣٨٢ — ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٦٢

• كلمة حق قالها هذا اللسان الصريح الجرىء فى وقت ضاع فيه الحق فى متاهات الباطل ، وتلاشى فى تيارات الفساد ، و إن الإنسان ليعجب كل العجب من موقف الناس من قضية الحق حتى ليخشى المرء على البقية الباقية من مظاهره من أن تزول هى الأخرى ! .

ففى مجال البذل والعطاء نجد صوت الحق لا يجد من يلبيه إذا ما نادى بالمساعدة لبناء مسجد أو المساهمة فى مشروع خيرى من ورائه ثواب الله ، بينما نجد الأيدى إذا نادى صوت الباطل فى حفلة رقص ومجون وغناء من أجل فنان أو فنانة قد أخرجت المال فى سخاء ورضى ، لشراء وردة بمئات الجنيهات ، أو لوحة بألوف الجنيهات من يد غانية أو مطربة أو فاجرة ، أو بغير ذلك من وسائل جمع المال عن طريق مجتمعات الشيطان ، ومن أجل من لا يقيم فرائض الله تعالى ولا يؤدى حقه ، وفى مجال هذه القضية أيضاً نجد أكثر الناس وقد تهافت على تأييد الباطل . ومناصرة الغث التافه من الأمور . بينما نفر من الحق وحارب السمين النافع . وسخر منه وتناول أصحابه بكل قبيحة عوراء .

وهنا يجدر بنا أن نتذكر قول الله تعالى حين ذم الأكثرية ونعتها بالضلال . فقال تعالى (و إن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله . . الآية ١١٦ : الأنعام) وقال جل شأنه (لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون . الآية ٧٨ : الزخرف) وقال : (ولا تجد أكثرهم شاكرين) . . . الآية ١٧ : الأعراف .

أما القلة المؤمنة أصحاب الحق فقد مدحهم القرآن ووصفهم بالصلاح فى قوله تعالى : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم) الآية ٢٤ : ص وقال (وقليل من عبادى الشكور) . . . الآية ١٣ : سبأ .

ولكن مهما يكن من أمر الباطل وأنصاره فحسب أهل الحق إيمان بالله ، واعتصام بالصبر وجهاد فى سبيل الله .

* * *

الذين يتاجرون بالدين

كتب واعظ من نجع حمادى إلى الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى بابه الذى يكتبه بعنوان « نحو النور » من جريدة (الأخبار) . . كتب إليه عن حادث وقع له مع أحد الصوفية . قال : « كنت فى القاهرة وزرت سيدنا الحسين (رضى الله عنه) وسولت لى نفسى أن أزور شخصية صوفية كبيرة يشار إليها بالبنان لأننى أحب رجال التصوف المخلصين ، وحين طرقت بابه سمح لى درويش بالدخول ، فدخلت حجرة طويلة عريضة تتوسطها كراسى مرصوصة ، وفى ركن منها وجدت سيدى الشيخ جالساً فى عزة ومنعة ، وقد وضع رجلا على الأخرى ، وفى فمه الشيشة يسحب منها أنفاساً كثيفة ، وعمامته الخضراء على المكتب بجوار التليفون تشير إلى فروعه الطاهرة ! ! ألقيت عليه السلام فلم يتحرك ، أردت أن أصافحه فأبى وأشار إلىّ من بعيد بالجلوس ، قدمت إليه نفسى فهز رأسه غير مكترث كأننى نملة فى ملكوته الكبير ، فاستأذنت أبكى بالدموع .

صدقنى لعنت نفسى[1] التى كانت سبباً فى انزلاق وإهانتى[2] وصدقنى تذكرت قول الرسول « عليه السلام » لزائر دخل عليه يرتعش « هون على نفسك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » « صحيفة الأخبار شهر ديسمبر سنة ١٩٦٢ » .

---

(١) جهل من الواعظ أن يلعن نفسه ، وكان عليه أن يقول (لمت نفسى) إذ لا يجوز لعن المسلم أو النفس المؤمنة . (٢) لعل الأستاذ الواعظ يقتنع بهذا القدر من الإهانة فيلفظ هذه الفئة الضالة من قلبه ونفسه ، ولا يحسن الظن بها ولا بإخلاصها المزعوم .

هذا هو خِطاب واعظ نجع حمادى . . وهذا هو موقف الشيخ الصوفى ممن جاءه ملهوفاً شغوفاً ليزوره ويتبرك به ، ولو كان الشيخ الصوفى يتمتع حقاً بخلق إسلامى طيب ، لأكرم ضيفه وأحسن استقباله كما يقول الرسول « صلوات الله وسلامه عليه » « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » ولكن شيوخ الصوفية يعتبرون أنفسهم فوق مستوى الناس ، ولا يسمحون لأحد أن ينتقدهم ولو كانوا يأتون أعمالا تخالف مايجب أن يتحلى به المسلم من الخلق الطيب والتواضع والكرم والتقوى ، فمنهم من يقترف المنكر من شرب خمر وإتيان فاحشة وترك صلاة ، فإذا ماانتقده ناقد أو اعترض على تصرفه معترض ردوا عليه بأنه من طبقة الواصلين الذين سقطت عنهم التكاليف الشرعية .

وبهذا المظهر الكاذب الذى بدا به ذلك الصوفى يعيش شيوخ الصوفية وأقطابها على حساب المريدين عيشة ترف ونعومة وترفع ، دون أن يبذلوا جهداً كبقية عباد الله العاملين ، ثم يدعون أنهم أهل تقوى وصلاح ، ومع ذلك فهم يحظون بالتبجيل والاحترام من المريدين والمخدوعين من أمثال واعظ نجع حمادى .

ومما يلفت النظر فى الأمر أن يلوم الواعظ نفسه — وقد أخطأ فى ذلك — ويعبر عن سخطه على الزيارة المشئومة للشيخ الذى أهان وفادته ، وكأنه شعر بوقوعه فى إثم كبير فيقول « وسولت لى نفسى أن أزور شخصية . . » ولو بقى فى نفسه شىء من الحب لرجال التصوف المخلصين لقال : « وتاقت نفسى لزيارة شخصية . . . » .

وبينما نجد الصوفية على هذا الحال من البعد عن الأدب الإسلامى نقرأ للأستاذ محمد زكى عبد القادر وهو يعلق على رسالة الواعظ بقوله : « إن الصوفية سمو وارتفاع ، وأخوة ومساواة » ويبدو أن الأستاذ الكاتب يجهل أن الصوفية لا تؤمن بالمساواة والسمو أو أية فضيلة من الفضائل . فإن إدعاءهم بوجود أهل حقيقة — وهم شيوخهم ومجاذيبهم — وأهل شريعة — وهم الأنبياء والعلماء والأئمة ، وسائر الناس من غير الصوفية . . واستباحتهم للمنكر والفساد . . وركونهم إلى التواكل والعيش عالة على الناس « ليس فى هذا كله

ما يمكن أن يسمى بالإخاء والمساواة والسمو . ومن يقرأ كتب الصوفية يتبين له كل ذلك بوضوح وجلاء[١] .

* * *

كلب السيدة المصون

عقر كلب السيدة أم كلثوم طالباً أثناء مروره أمام منزلها . وقد أدانت النيابة أم كلثوم بتهمة الإهمال لأنها تركت كلبها بدون كمامة ، ولكن النيابة أمرت بحفظ القضية نظراً لأن أم كلثوم أدت وما زالت تؤدى للدولة خدمات جليلة .

الجمهورية يوم ٣/١/١٩٦٣

• • وهذه إحدى المضحكات « وشر البلية مايضحك » فلو كان الطالب المجنى عليه هو المخطىء فى الحادث وصدر قرار ضده لما كان هناك وجه للنقد ولكن المجنى عليه ليس مخطئاً . وتهمة الإهمال ثابتة على صاحبة الكلب ، ومع ذلك فقد أهدر حق الطالب . . ونحن نفهم أن القانون يجب أن يطبق على جميع المواطنين بلا استثناء — لأنهم كلهم لآدم وآدم من تراب ، ويجب أن يكونوا سواء أمام القانون كما نص الدستور المؤقت والسابق له ، فلا ينبغى أن يفلت من العقاب كبير ، ولا يكون لتوابعه من الكلاب قداسة .

ولا شك لو أن الطالب هو الذى أساء إلى « البوبى العزيز » لوقع تحت طائلة القانون ولعوقب على جريمته .. فهل هبطت قيمة الطالب — وهو من بنى آدم الذين أكرمهم الله وفضلهم على كثير ممن خلق — إلى هذه الدرجة من المهانة ؟ ! . . ثم ماهى الخدمات المتسمة بالجلالة والتى قدمتها أم كلثوم لبلادها ؟ هل قدمت شيئاً أفاد البلاد فى تطورها الفكرى أو العلمى ؟ . هل ساهمت بشىء فى تدعيم القيم الإنسانية وإشاعة المثل العليا فى المجتمع ؟ كلا لم تقدم المطربة شيئاً من ذلك ، ولكنها واحدة من المطربين والمطربات الذين يستنزفون أموال الناس ويشغلون نهارهم ولياليهم فى سماع الأغانى الماجنة . .

سعيد صادق محمد

---

(١) اقرا إن شئت كتاب « الطبقات الكبرى » للشعرانى .

شهر الصيام والعبادات

بدا عليه من الأنوار إكليل شهر تحاياه تكبير وتهليل
شهر عليه من الإجلال روعته له بكل بقاع الأرض تبجيل
شهر التقى والهدى والصوم حين بدت أنواره زهقت منه الأباطيل
شهر تفتح أبواب النعيم به والتوب فيه من العاصين مقبول
ألله عظمه قدراً وفضله وليس بعد كلام الله تفضيل
فأنزل الوحي بالقرآن فيه هدى أتى به لرسول الله جبريل
فيه شفاء نفوس من غوايتها أعمى بصيرتها زيغ وتضليل
يهدى إلى الرشد والإيمان أفئدة صميمها بالعمى والغى مأهول
آياته بينات كلها عبر يروق سامعها فى النفس ترتيل
تقوِّم المذنب العاصى براعتها إن لم تقوِّمه توراة وإنجيل
ويستزيد هدى منها وموعظة من قلبه بالتقى والدين مشغول
شرائع الدين قد جاء النبي بها وليس يقبل فيها قط تأويل

* * *

شهر الصيام لقد زادتك تكرمة ورفعة ، ليلة مامثلها جيل
تنزل الروح فيها رحمة ورضا وزانها من حكيم الذكر تنزيل
ألله فضلها فى الذكر فاحتسبت عند الإله وفيها يقبل السول

* * *

شهر السعادة فيه النسك منطبع على القلوب وفيه العفو مكفول
أشرق على الكون وضاء يعود له عهد السلام فعهد الشر مرذول
تبكى الحنيفية الغراء نادبة عهداً مضى لم تفل منه الأباطيل

وتشتكى من بنيها اليوم صارخة	من زمرة دأبها إفك وتدجيل
فحاربوا الإفك والبهتان واعتصموا	بالله ، ما لكلام الله تبديل
كونوا يداً فى سبيل الله واحدة	وكل من رام خُلْفاً فهو مخذول
ولا تضنوا على العافين مرحمة	إن الغنى عن العافين مسئول
يمسى الفقير على جوع ومسغبة	ويقطع العمر كداً وهو مهزول
أما الغنى فضخم الجسم من شبع	كالفيل فى شكله أو دونه الفيل

* * *

شهر العبادة والإسلام قاطبة	كل له فيك عند الله مأمول
صفت قلوبهموا لله خالصة	فما لها من دعاء الله تحويل
قد هذبت أنفس للصوم فانقطعت	للنسك والزهد ، لا قال ولا قيل
وجاء بالخير للعافين عن سعة	من ربه فقيود البخل مفلول
وحكمة الصوم ضبط النفس طائعة	كبح وصون وإشفاق وتذليل
من علل النفس بالغفران وانغمست	يداه فى الإثم لايجديه تعليل
لا بد من توبة لله أو عمل	للخير والخير للغفران موصول

« الجيزة »	نجاتى عبد الرحمن

مفاتيح الخير

عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن من الناس مفاتيح للخير ، مغاليق للشر ، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير . فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه . وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه » . رواه ابن ماجه

أسئلة وأجوبتها :

الاســـئلة

١ — إذا فاتت الرجل فريضة الجمعة ، فهـل يصليها ركعتين على أساس الجمعة أم يصليها أربعاً على أساس الظهر ؟ .

٢ — هل رؤية رمضان فى أى قطر من الأقطار الإسلامية ملزمة للمسلمين فى الأقطار الأخرى ؟ بمعنى أنه إذا أذيعت رؤية الهلال فى بلد من البلاد الإسلامية فى الراديو ، فهل يجب على المسلمين فى البـلاد الأخرى أن يصوموا رمضان اعتماداً على تلك الرؤية المذاعة ولو لم تثبت رؤية الهلال فى هذا القطر الآخر ؟

صالح الأمين بانقا

الخرطوم — سودان

الأجوبة

١ — من فاتته الجمعة فعليه صلاة الظهر أربع ركعات ، ولا تسمى جمعة إلا إذا اجتمع طائفة من المسلمين — تصح بهم الجماعة — فى يوم معين ووقت معين ومكان معين ، وأديت على هيئة معينة ، من خطبة وقراءة جهرية وغير ذلك .

وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الظهر والعصر بمسجد نمرة يوم عرفة فى حجة الوداع وسميت تلك الصلاة ظهراً ولم تسم جمعة مع أنها كانت يوم جمعة كما هو معروف .

وقد كان أصحاب الأعذار وأكثر النساء يصلون حيثما كانوا ، فليس من المعقول أنهم كانوا يصلون ركعتين ثم لا ينقل ذلك عن أحد من عصر الرسالة والصحابة والتابعين مع أنهم لم يتركوا شاردة ولا واردة مما دق أو جل من مسائل الدين والعبادة إلا نقلوه تفصيلا ، والله أعلم .

٢ — رؤية الهلال فى أى قطر إسلامى وإذاعتها فى الراديو ملزمة لكل من يسمعها من أى قطر أو بلد آخر ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « صوموا لرؤيته » . بصيغة الجمع ، ومن المقطوع به عقلا ونقلا أنهم لم يكونوا جميعاً يرونه ، بل كانوا يعتمدون على رؤية البعض ، بل على رؤية الواحد منهم أحياناً . وذلك لأن « المسلمون عدول بعضهم على بعض » . كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد اشترطوا فيمن تقبل شهادتهم فى الرؤية : الإسلام بالإجماع ، واختلفوا فى الشروط الأخرى وهى : البلوغ والحرية والاستقامة والصدق والأمانة وغير ذلك .

والغرض من كل ذلك الاطمئنان إلى صدق الشاهد .

فمتى ثبت عندك صدق الشاهد واطمأننت إلى صدق المخبر برؤية الهلال . وجب عليك الصوم .

أما إذا شككت فقد نهينا عن صوم يوم الشك ، والله أعلم .

سليمان رشاد محمد

أكذب الحديث

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إياكم والظن . فإن الظن أكذب الحديث » رواه البخارى ومسلم

العيد وصدقة الفطر

شرع الله سبحانه وتعالى لنا أن نفرح ونبتهج ونعلن السرور فى يوم العيد لتوفيق الله سبحانه وتعالى لنا بصوم شهر رمضان وقيامه إيمانا واحتسابا .

امتحن الله منا فى رمضان الصبر وقوة الإيمان . والارادة وكظم الغيظ ، ويقظة الضمير ، وكف الجوارح ، وضبط النفس وحبسها عن شهواتها وإلزامها حدود الله ، وقهرها عن رعونتها وشحها وطيشها . فكان حقا على المؤمن أن يفرح لانتصاره على الهوى والشيطان .

لقد تزودنا من رمضان بطاقات من الإيمان والتقوى بتلاوة كتاب الله وتدبره والعمل بأوامره واجتناب نواهيه . فكان حقا على المؤمن أن يبتهج يوم عيده بهذا الخير الذى ملأ منه كلتى يديه ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « للصائم فرحتان ، فرحة فى يوم فطره ، وفرحه عند لقاء ربه » .

وليدال المؤمن عمليا على سروره وفرحه فرض الله عليه زكاة الفطر ، حتى يشاركه فى سروره وفرحه إخوانه من الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل ، ودليل العمل أصدق وخير وأبقى .

فلنحرص على أن نكون مع الصادقين .

قال على بن أبى طالب رضى الله عنه :

عليك ببر الوالدين كليهما ... وبر ذوى القربى وبر الأباعد

ولا تصحبن إلا تقيا مهذبا ... عفيفا زكيا منجزا للمواعد

وكف الأذى واحفظ لسانك واتق ... فديتك ، فى ود الخليل المساعد

وكن واثقا بالله فى كل حادث ... يصنك مدى الأيام من شر حاسد

وبالله فاستعصم ولا ترج غيره ... ولا تك فى النعماء عنه بجاحد

ولا تبن فى الدنيا بناء مؤمل ... خلودا ، فما حى عليها بخالد

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

صوم رمضان

هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، بنية خالصة لله تعالى . وهو من أحب العبادات إلى الله ، وفى الحديث القدسى : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به ، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى » . واتق الله فى صومك ، فلا ترفث ، ولا تجهل ، وغض بصرك ، وكف لسانك عن الغيبة والنميمة وقول الزور ، ونزه سمعك عن اللغو وفاحش الغناء ، وكف يدك عن الأذى .

تذكر أن شهر رمضان يقترن بأعظم الأمجاد والذكريات ففيه بدأ نزول القرآن ، وفيه انتصر الإسلام على الشرك فى بدر . وفيه كان الفتح الأكبر : فتح مكة ، فأكثر فيه من ذكر الله وتلاوة القرآن وإخراج الصدقات وقيام الليل ، وفيه ليلة القدر التى من أحياها غفر له ماتقدم من ذنبه .

وهى ليلة « خير من من ألف شهر » كما يقول الله تعالى فى كتابه الكريم وينزل الله فيها ملائكته بالرحمات والبركات . فهى ليلة أمن وسلام « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

فاغتنم مواسم البر تكن من عباد الله المؤمنين الصالحين .

العدد ١٠ شوال
المجلد ٢٧ سنة ١٣٨٢

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقي

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل
الاشتراك السنوي
٣٠ ـ في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١٠ شوال سنة ١٣٨٢ المجلد ٢٧

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ جلّ ذكره : (واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الذين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالْغَدَاةِ والْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا ، وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا ، واتَّبَعَ هَوَاهُ ، وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا . وَقُل : الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ . فَمَنْ شَاء فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ . إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً أحاطَ بهم سُرَادِقُها ، وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِماء كالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ . بِئْسَ الشَّرَابُ ، وَساءَتْ مُرْتَفَقًا . إن الذينَ آمَنُوا ، وعَمِلُوا الصالحاتِ . إِنَّا لانُضِيعُ أَجْرَ مِنْ أَحْسَنَ عَمَلاً . أُولئكَ لَهُمْ جنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي من تَحْتِهِمُ الأنهارُ يُحَلَّوْنَ فيها من أساوِرَ مَنْ ذَهَبٍ ، وَيَلْبَسُون ثياباً خُضْراً من سُنْدُسٍ وإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فيها على الأَرَائِكِ . نعم الثَّوَابُ ، وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا . الكهف . ٢٨ — ٣١) .

« معانى المفردات »

الغداة : قال ابن فارس عن أصل الكلمة إنه يدل على زمان . وقال الراغب : الغدوة والغداة من أول النهار . وقوبل فى القرآن الغدوُّ بالآصال . وقوبل الغداة بالعشىِّ . وجاء فى اللسان أن الغدوة هى البُكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس .

العشىُّ : قال ابن فارس عن أصل الكلمة إنه يدل على ظلام وقلة وضوح فى الشىء ، يفرع منه ما يقاربه من ذلك العشاء ، وهو أول ظلام الليل . . والعشى : آخر النهار . . وقد قيل : كل ما كان بعد الزوال ، فهو عشِى . وقال الراغب : العشى من زوال الشمس إلى الصباح وفى اللسان عن العشى أنه من زوال الشمس وتحول الظل شرقيا ، وتحول الشمس غربية وحدده الأزهرى بما بين زوال الشمس وغروبها .

لا تعد : قال ابن فارس عن أصل الكلمة وهو « عدو » إنه يدل على تجاوزٍ فى شىء وتَقَدُّم لما ينبغى أن يقتصر عليه .

فرطا : قال ابن فارس عن أصل المادة إنه يدل على إزالة شىء عن مكانه وتنحية عنه . وجاء فى اللسان عن أبى الهيثم : أمر فُرُط : أى متهاوَن به مُضَيَّع . وعن الزجاج : وكان أمره فرطا : أى كان أمره التفريط ، وهو تقديم العجز . وعن غيره فى : كان أمره فرطا : أى ندما وسرفا . أو متروكا أى تركَ فيه الطاعةَ وغفل عنها ، أو مُجاوَز فيه الحد . وكلها متقاربة .

أعتدنا : قال ابن فارس عن أصل الكلمة وهو « عدد » إنه أصل صحيح واحد لا يخلو من العد الذى هو الإحصاء ، ومن الإعداد الذى هو تهيئة الشىء ، وقد تكون الكلمة من « عتد » وأصلها يدل على حضور وقرب . وقد أعتدناه وهيأناه لأمر إن حزب. وجاء فى اللسان : أَعْتَدَ الشىء أعدَّه .

سرادقها : جاء فى اللسان : السرادق : ما أحاط بالبناء والجمع سرادقات ، وفى النهاية لابن الأثير : هو كل ما أحاط بشىء من حائط أو مضرب أو خِباء :

الْمُهل : عن ابن فارس هو خُثَارة[1] الزيت ، وقيل : هو النحاس الذائب . وعن الراغب هو دُرْدِى[2] الزيت . وعن ابن الأثير فى النهاية أنه القيح والصديد الذى يذوب فيسيل من الجسد ومنه قيل للنحاس الذائب : مَهلَ وهى بضم الميم وفتحها وكسرها . وعن عكرمة . هو الشىء الذى انتهى حره . وقد عقب ابن كثير على ما ورد من أقوال فى المهل بقوله : وهذه الأقوال ليس شىء منها ينفى الآخر ، فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها فهو أسود منتن غليظ حار ، ولهذا قال : يشوى الوجوه .

مُرْتفقا : موضع للارتفاق . يقال : ترفّق على كذا وارتفق : توكّأ وبات فلان مرتفِقا أى متكئا على مرفق يده .

عدن : العَدْنُ أن تلزم الإبلُ المكان ، فتألفه ، ولا تبرحه ، وعَدَن فلان بالمكان يعدِن ، ويعدُن عَدْنا وعُدونا أقام . وجنات عدنٍ أى جنات إقامة لمكان الخلد واستقرار وثبات .

يُحَلَّوْن : يُلبسون الحُلِىّ . أى يلبسون فيها من الحُلِىّ أساور من ذهب .

أساور : قال فى اللسان : « السُّوار والسِّوار القُلْب « القلب سوار غير ملوى » : سوار المرأة والجمع أسورة وأساور . الأخيرة جمع الجمع والإِسْوَار كالسِّوار والجمع أساورة . والسِّوار من الحُلِىّ معروف »

سندس : الرقيق الرفيع من الديباج « وهو الحرير » والله يقول عن لباس أهل الجنة « ولباسُهم فيها حرير » وقيل عن السندس إنه هو الديباج المنسوج بالذهب » .

إستبرق :ما غَلُظَ من الديباج وثخُن .

(١) بقيته الغليظة .

(٢) ما يبقى أسفله .

أرائك : جمع أريكة ، وهى سرير فى حَجَلة « الحجلة بَيْتٌ يُزَيَّن بالثياب والأسرَّة والستور للعروس » وقيل عن الأرائك إنها الفرش فى الحجال ، وقيل هى الأسرة فقط . واختار صاحب اللسان أنها الفراش كانت فى الحجال أو فى غير الحجال . وقيل : الأريكة سرير مُنَجَّد مُزَيَّن فى قبة أو بيت . فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة . وتستطيع أن تقول إنها كل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش .

« المعنى »

أسباب النزول كما تروى فى كتب التفسير[1] : يقولون إن الآية نزلت فى عيينة ابن حصن الفزارى فقد أتى النبيّ ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل أن يسلم ، وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان ، وعليه شملة قد عرق فيها ، و بيده خوصة يشقها ، ثم ينسجها ، فقال عيينة للنبى صلى الله عليه وسلم : أما يؤذيك ريح هؤلاء ، ونحن سادات مُضَر وأشرافها ، فإن أسلمنا أسلم الناسُ ، وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء ، فنحِّهم حتى نتبعك ، أو اجعل لنا مجلسا ، ولهم مجلسا ، فنزل قوله سبحانه : (واصبر نفسك . .)

وذكر آخرون أنها نزلت فى الأقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن ، وأن الذين كانوا مع الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هم بلال وصهيب وعمار وخبَّاب ، وأناس آخرون من ضعفاء المسلمين . فقال الأقرع ومن معه للرسول صلى الله عليه وسلم : إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا ؛ فإن وفود العرب مع هؤلاء الأعبد ، فإذا نحن جئناك ، فأقمهم عنا ، فإذا نحن فرغنا ، فاقعد معهم إن شئت ، قال : نعم ، قالوا : فاكتب لنا عليك بذلك كتابا ، قال : فدعا بالصحيفة ، ودعا عليا ؛ ليكتب ، فنزل

---

(١) لست ممن ينزعون إلى البحث عن أسباب نزول الآيات لأمرين : أولهما : أن أكثر ما يروى لا يعرفه الحق ، ولا يطمئن إليه صدق . والآخر هو أن ربط الآيات بأسباب نزولها جعل كثيرا من الناس يحمل الآيات على أسبابها الخاصة فقط ولا ينظر إلى ما فى الآيات من شمول وعموم .

جبريل بقوله : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) وذكر الطبرى أن سبب نزول هذه هو سبب نزول « واصبر نفسك . . » .

وذكروا ما يقاربه[1] .

وقد روى مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص قال : كنا مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ستة نفر ، فقال المشركون للنبى صلى الله عليه وسلم : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا . وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل و بلال ورجلان نسيت اسميهما ، فوقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع ، فحدث نفسه ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) انفرد بإخراجه مسلم دون البخارى .

ومفهوم الآية الكريمة يؤيد مُجْمَل ما روى ، وكذلك ما ذكره الله سبحانه من مواقف لأقوام بعض النبيين ، فقد روى فى القرآن أن قوم نوح قالوا له : (أَنُؤْمِنُ لَكَ ، واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ـ الشعراء : ١١١) وفى سورة هود تفصيل لقولهم هذا فى هذه الآية : (وما نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلا الذين هُمْ أراذِلنا بادِىَ الرَّأْى ، وما نرى لكم علينا من فَضْلٍ . بل نظنكم كاذبين ـ هود : ٢٧) . وفى هذه الآية عظة شافية لخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ـ ولمن دانوا بدينه ، واهتدوا بهديه ، فليس الأمر موجهاً إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحده ، وإنما هو موجَّه أيضاً إلى كل مسلم يبتليه الله بهذه الحال التى ابتلى الله بها خاتم أنبيائه . هناك فريق من الناس لا يستطيع ضَرْباً فى الأرض ، والحياة حولهم جِدٌّ وكَدٌّ وكفاح ، والأمة فى حاجة إلى يد مؤمنة تعمل ، وإلى كل قدم صادقة تسعى ، وإلى كل لسان طيب القول يصدع بالكلمة الطيبة ، لتستطيع هذه الأمة المؤمنة العاملة بلوغ غايتها التى هى فوق كل غاية ، وهى إعلاء كلمة الله سبحانه . وقد يرى قائد هذه

---

(١) الطبرى ، ابن كثير ، البغوى ، الخازن ، الكشاف ، البيضاوى ، الجلالين .

الأمة أن قعود هؤلاء الضعفاء عن الكفاح معه يقعد به قليلا عن الغاية التي يريدها ، فتضيق بهم نفسه بعض الضيق وربما ظهر أثر هذا الضيق على وجهه ، فينال من صفو بشاشته ، ونضرة ابتسامته وربما ظهر في كلامه ، فلا تفيض في كلماته تلك الروح الحلوة التي تسكب في نفوس الآخرين الرجاء الحلو ، والأمل الرقيق ، وربما ظهر أثره في يده ، فلا تمتد إليهم بما يقيم حياتهم على سكينة وقرار ، وربما ظن أنهم أصحاب أثَرَة ؛ إذ تمضي حياتهم في غداياها وعشاياها مع الدعاء الخاشع الضارع بين يدي الله سبحانه ، دون أن يقوموا بما يقوم به سواهم وبما يقوم به هو من جد وكفاح وجهاد في سبيل الله لبناء الأمة التي تعبد الله وحده . في مثل هذه الحال التي يتلمّس فيها القائد لنفسه العذر حين يضيق بأمثال هؤلاء يقول ربنا سبحانه : (واصْبِرْ نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ) .

ألا وإن صاحب الدعوة المؤمن بما يدعو إليه ، المطمئن له قلباً وروحاً اطمئناناً يظهر أثره على سلوكه في الحياة لا يفكر إلا في الوسائل تعينه على البلوغ بدعوته إلى غايتها ، وخير الدعاة الهداة أنبياء الله ورسله . ولقد كاد محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يبخع نفسه — كما جاء في السورة أسفاً على قومه ، لأنهم لا يؤمنون بما نزِّل إليه من ربه . ولا ريب في أن رسل الله وأنبياءه — صلوات الله وسلامه عليهم — هم أول الناس إسلاماً وجهاداً في سبيل إعلاء كلمة الله ، وأولهم بحثاً عن الوسائل التي يستطيعون بها نشر دعوتهم التي كلفوا من قبل بها . وقد لا تجد في بعض الوسائل التي — في مقاييس البشرية شائبة ، ولكنها في مقاييس النبوات تشوبه بما لا يحبه الله سبحانه . هؤلاء السادة من قريش يعرضون على الرسول صلى الله عليه وسلم ما يعرضون ، ويؤكد واقعهم أن لهم كثيراً من الأتباع والأنصار يميلون حيث يميل أولئك السادة . وتؤكد منزلتهم أنهم إن آمنوا ، فسيؤمن معهم الكثيرون .

والرسول — صلى الله عليه وسلم — لا يحب شيئاً كما يحب انتشار دعوته وبسط سلطانها على القلوب بسطاً يأخذ بمشاعرها وعواطفها ، فيحبس حبها على الله رب العالمين وحده .

وقد يجدُ في عرض هؤلاء السادة عليه ما يوحى إليه بأنهم حين يُسلِمون ، فسيسلم

العشرات ، وربما خطر له ألاَّ عابَ في أن يُرفد هؤلاء السادة بما يطلبون إلى أن يستقر الإيمان في قلوبهم ، وثمت لن يجدوا حرجاً في أن يجمعهم ومواليهم مجلس واحد .

ولكن الله لا يحب الإيمان الذي يشترط أن يُعْفَى من بعض ما يوجبه صدق الإيمان، لا يحب الإيمان الذي يقوم على أساس من مهانة الغير ، والنيل من كرامته . لا يحب الإيمان الأعمى ، إن كان يصح هذا التعبير . لا يحبّ أن يؤمن سادة قريش ، على أن يعطوا في سبيل هذا الإيمان ثمناً هو إذلال كرامة المسلمين الذين كانوا أمس موالىَ لهم . ولا يحب إيمان أولئك الاتباع الذين سيؤمنون بإيمان هؤلاء السادة ؛ لأنه إيمان التقليد الأعمى ، لا إيمان اليقين المطمئن . والإيمان المقلِّد لا يسيطر على قلب ، ولا يمسك بزمام لبّ . ولهذا لا يصمد أمام فتنةٍ أو أثارةٍ من شبهة .

ولهذا لم يرض الله سبحانه لنبيه العظيم أن يشاغف قلبه الرضا بما عرضه السادة من قريش . وإنما دعاه إلى أن يصبر نفسه مع أولئك العباد الذين أوخذوا أنفسهم بعبادة الله وحده في الغداة والعشى ، الذين لا يرضون من وراء عبادتهم هذه إلا رضوان الله سبحانه . والغداة تعبير عن أول صلاة وهى الصبح ، والعشى تعبير عن آخر صلاة وهى العشاء ، فأول يومهم لله وآخره لله سبحانه . أوهما تعبير عن اليوم كله بذكر أهم وقتين للعبادة فيه ، فكل يومهم لله سبحانه لا يفترون فيه عن عبادته جل شأنه . و « يريدون وجهه » هى الفيصل بين نية الإيمان الصادق الخالص ، وبين نية النفاق . إن مظهر النفاق فى زينته وطلاوته قد يأخذ بإعجاب النفس وثنائها أكثر مما يأخذ مظهر الإيمان الصادق ولكن باطن النفاق سوء ودنس وظلمة ، وباطن الإيمان حسن وطهارة ونور . وإنما يجزى الله بالباطن الذي يكون وراء العمل الصحيح . يجزى بالمخبر لا بالمظهر ولهذا لم يطلب منا أن نصبر أنفسنا إلا مع هؤلاء الذين يدعون الله وحده ، ويريدون من وراء ذلك وجه الله وحده . أما أولئك الذين يتراءون بأنهم يحبسون أنفسهم على العبادة ، ويرضون لأنفسهم هوان السؤال وذله وهم قادرون على العمل . أو الذين يحبسون أنفسهم على

عبادة المقاصير والقباب و « الدروشة » و « الانجذاب » فى حب فلان أو فلانة فهم الذين يلعنهم الله ، ويلعن من يعينهم . « ولا تعد عيناك عنهم[1] » ولا تصرف نفسك عنهم ، ولا تتطلع بعينيك بما فيهما من نظر الحب والاحترام إلى أولئك الذين لا قيمة لهم سوى أنهم زينة فى الحياة الدنيا . لقد أمره بأن يصبر نفسه مع المؤمنين الصادقين ، وأكد - سبحانه - الأمر بالنهى عن التطلع إلى مصادقة أولئك الذين لا تخشع لهم قلوب ولا تُذْعن عقول . أولئك الذين لا يمتازون إلا بما هو جليل المقاييس البشرية الزائفة كجاه عظيم ، أو صيتٍ مُدَوٍّ أو مالٍ فارهٍ كثير .

« ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطا » . هذا النهى أيضاً فيه توكيد للأمر ، وللنهى السابقين . والله ينهاه فى الأمر الأول عن شهوة الارادة التى تستزل صاحبها إلى ما يغضب الله ، أو ينهاه عن الارادة التى تتوجه تلقاء ما يكره الله ، تلك هى الارادة التى تتوجه تلقاء زينة الحياة الدنيا بوصفها زينة فحسب ! ! وهنا ينهاه عن الانقياد لارادة أولئك الذين يريدون أن يستزلوا إرادته إلى ما يشتهون وقد وصفهم الله بصفات :

أولا : أن الله أغفل قلبهم عن ذكره ، يدعونه ، ولا يتدبرون كتابه أو آياته فى الكائنات . وما أغفل الله قلوبهم عن ذكره ظلماً أو عدواناً . وإنما جعل قلوبهم كذلك ؛ لأنهم هم الذين أرادوا هذا ، وما ربك بظلام للعبيد . واحذر أن تجعل القرآن

---

(١) الفعل « عدا » متعدبنفسه ، فلا يأتى بعده حرف الجر « عن » ويجوز فى لغة العرب تضمين فعل معنى فعل بينهما مناسبة . وقد ضمن « عدا » فى الآية معنى الفعل « علا » ولرب قائل يقول : ولماذا لم يقل : ولا تعدهم عيناك . أو : ولا تعل عيناك عنهم . والجواب أن الغرض هو جعل الفعل « عدا » يعطى مجموع معنى فعلين ، وهذا أقوى من إعطاء معنى واحد .

عضين ، فتأخذ منه ما تظن أن يؤيد شبهتك ، وتترك منه مايد حض باطلك . أقول هذا لمن يتملق بمثل هذا ، فيزعم أنه مجبور على ما يأتى ويفعل ويترك !! تاركا عشرات الآيات التى توضح مراد الله من هذه الآية ، وليتدبر الْجَبْرِيُّون ، الذين يزعمون أن الله أرغمهم على ما يفعلون ، أوليتدبر الماجنون قول الله سبحانه عن ثمود (وأما ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ، فاسْتَحَبُّوا الْعَمَى على الْهُدى : فُصِّلت) . وقول الله (وما اللهُ يُرِيد ظُلْماً للعبادِ . غافر : ٣١)

ثانيا : أن هذا الفريق ممن يجعل للهوى أو الشهوة على نفسه سلطانا ، فلا يدين إلا بما يزينه له هذه ، ولا يذعن إلاَّ لشهوته ، أو هو بتعبير صريح يكفر بربه ، ويعبد هواه . والله تعالى يقول : (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخذَ إلٰهَهُ هواه ، وأَضَلَّهُ الله على عِلْمٍ ، وختم على سمعِه وقلبه ، وجَعَلَ على بصيرة غِشاوة ، فمن يَهْدِيه من بعدِ الله ، أفلاَ تَذَكَّرُون . الجاثية : ٢٣) فسمة الذين يعبدون الهوى تَرْكُ آياتِ الله إلى ما لايعلمون ، أو إلى مايعلمون أنه صنع الهوى والشهوات . تدبر حال الذين يأخذون دينهم عن كتب المذاهب لا عن كتاب الله ، ثم تدبر الآية تجدها تتحدث عنهم وعن أمثالهم . والله تعالى يقول : (ثم جَعَلْنَاكَ على شَرِيعةٍ من الأمرِ فاتَّبِعْها ، ولا تَتَّبِعْ أهواء الذين لا يعلمون . إنهم لن يُغْنُوا عنكَ من اللهِ شَيْئاً ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعضٍ ، واللهُ وليُّ المتقين . الجاثية : ١٨ ، ١٩) .

ثانيا : وهى النتيجة والمصير . إذ يقول الله عن هذا الفريق إن أمره فرط ، إن ما يأمر به خسار وندم ليس لها من نتيجة سوى الهلاك . وإن حاله هو نفسه خسار وضياع ليس لها من نتيجة سوى الهلاك . إن ما هم فيه لايأخذ إلا بالإرادة التى تسحرها فتنة الدنيا وزينتها . أما الإرادة التى تنزع دائما إلى الجمال الحق والخير الجليل ، فلا يستميلها ما عليه هؤلاء من جاه ، وما هم فيه من متاع (ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما مَتَّعْنَا به أزواجاً منهم زَهْرَةَ الحياةِ الدنيا ؛ لِنَفْتِنَهُمْ فيه ، ورِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وأَبْقَى . طه : ١٣١) . وتدبر ما وعظ به المؤمنون من قوم موسى أولئك الذين فتنتهم زينة قارون : (وقال الذين أوتوا الْعِلْمَ :

وَيْلَكُمْ ثوابُ اللهِ خَيْرٌ لمن آمَنَ وعَمِلَ صالحاً ، ولا يُلقَّاها إلاّ الصابرون . القصص : ٨٠) .

فليحذر كل مسلم كل امرئ فيه سِمَةٌ من هذه السمات أو صفة منها ، فإن الواحدة تستتبع الأُخريات .

(وقُلِ : الحقُّ من رَبِّكم .) يأمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يصدع بالحق فى غير مواربة ولا مداهنة بقوله : الحق من ربكم . ما جاء من عند الله هو الحق ، والحق الخالص لا يأتى إلا عن الله . أما ما جاء من عند غيره ، فقد يكون باطلا كله ، و إن امتاز فباطل يخالطه حق . وخلط الباطل بالحق لا يجعله حقا ، و إنما يجعل منه باطلا لئيما كما يفعل الصدفية وأشياعهم ، والمذهبيون وأحلامسهم ، والكتاب الذين ينتسبون إلى المسلمين ، فهم يأتون بكلمة حق يمزجونها بباطلهم الخبيث ، فلا تجد من باطلهم — حين تتدبره — سوى باطل يريد أن يزعم أنه حَقٌّ ! !

فهل يسمع الكتاب ؟

هل يسمع المفتون بالضلالة ؟

هل يسمع من يرتقون منابر السوء ؟ هل يسمع أولئك جميعا قول ربنا سبحانه : « الحق من ربكم » ؟ !

لا تطلبوا الحق إلا هُنا . إلا فى القرآن :

« فمن شاء فَلْيُؤْمِنْ ، ومن شاء ، فَلْيَكْفُرْ » مجيء الفعل المضارع مقترنا بلام الأمر فى الفعلين « يؤمن ، ويكفر » فيه وعيد وتهديد . وفى أساليب العربية كثير من هذا . ولا يقوله إلا من بيده الأمر ، ومن بيده الحساب والجزاء عليه .

وقد يكون المعنى : إن شئتم فآمنوا ، فللإيمان جزاؤه و إن شئتم فاكفروا . فللكفر جزاؤه ، فالله سبحانه لا يرغم أحدا على سلوك طريق معيّن[١] .

---

(١) يجيء المفسرون بتعبير آخر ينسبونه إلى ابن عباس وهو : « من شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر » ولكن أسلوب الآية لايعطى هذا المعنى .

« إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها » يخبر سبحانه عما أعده لأولئك الذين ظلموا أنفسهم . وهم الذين أغفل الله قلوبهم عن ذكره ، واتبعوا هواهم . والذى أعده الله هو « نار » هكذا جاءت نكرة غير مُعرَّفة بكلمة « ال » : ليعلم المسلم أنها نار رهيبة مخيفة لم تر مثلها عين من قبل ، وليست معروفة لأحد غير أن لهذه النار صفة هى أن سرادقها يحيط بمن فيها ، فلا يجدون لها مهربا ، ولا يستطيعونه . وفى التعبير بإحاطة السرادق ما فيه من خوف وهَوْلٍ وفزع وتيئيسٍ من الفرار من النار . (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه) لا غَوْثَ لهؤلاء إن نزعوا إلى استغاثة وهم فى النار سوى ما وصفه الله سبحانه وهو ماء وقد ورد نكرة أيضا لأنه ليس كهذا الماء الذى نعرفه ، وإنما هو يجمع بين صفتين أنه قذر غليظ غير مستساغ وأنه يشوى الوجوه . فتدبر رجلا يوجعه الظمأ الشديد ، ويدفع به إلى أن يستغيث ، فلا يجد إلا ذلك الشراب الموصوف بما ذكر ! ! .

وقد ورد فى شراب أهل النار آيات نَذْكُر بعضها .

(واسْتَفْتَحُوا ، وخابَ كل جبَّارٍ عنيد من ورائه جَهَنَّمُ ، ويُسْقَى من ماء صديدٍ . يتَجَرَّعُه ، ولا يكاد يُسيغه ، ويأتيهِ الموتُ من كلِّ مَكانٍ ، وما هُوَ بميِّتٍ ، ومِنْ ورائِه عذابٌ غليظٌ . إبراهيم : ١٥ ـ ١٧) .

(هذا ، وإن لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مآبٍ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها فبئس المِهادُ ، هذا فَلْيَذُوقُوهُ حميم وغَسَّاقٌ [1] ص : ٥٥ ـ ٥٧) .

(وسُقُوا ماءً حميماً ، فقَطَّعَ أمْعاءَهم . محمد : ١٥) .

« بئس الشراب وساءت مرتفقا » وبئس فعل وضع للذم مقابلا لنعم الذى وضع للمدح وحسبنا أن يذم الله شراب أهل النار بقوله : « بئس الشراب » وهل يذم العلى

---

(١) ما يسيل من صديد أهل النار .

الـكبير إلا مايستحق أن يُذَمّ ، و إلا ما كان ذميا من كل وجه ؟! .

« وساءت مرتفقا » لقد وُصِفت النار فى سورة الفرقان بقوله سبحانه (إنها ساءت مُسْتَقَرًا ومقاماً) أما هنا فيزيدها الوصف رهبة بما فيه من استهزاء وسخرية بأصحاب النار . فالمرتَفَق مايتـكىء الإنسان عليه بمرفقه ، وما ينتفع به . والنار لا ارتفاق فيها للـكفار ، و إنما هو استهزاء بهم و بيان بالغ القوة لمدى تماستهم وشقائهم ، وهل يوجد تعس أشد تماسة من ذلك الذى لا يجد له مرتفقاً سوى هذه النار ؟

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا [1] » .

بين لنا الله من قبل صفات قوم يكرههم ، وذكر لنا مصيرهم ، وجزاءهم يوم القيامة ، أما فى هاتين الآيتين ، فيذكر الله قوماً يحبهم و يحبونه ، وجزاءهم العظيم عنده يوم القيامة .

وقد ذكر الله لهؤلاء صفتين هما جماع الصفات الحسنى والأخلاق العاليات ، ومصدر السلوك القويم فى الحياة ، أما أولاهما فالإيمان. الإيمان الذى يسيطر هداه فى رضاً وحب على مشاعر صاحبه و إرادته ومشيئته ، يسيطر على عقيدته ، وفـكره وكلامه وسلوكه ، فلا يعتقد إلا حقاً ، ولا يقول إلا مايحب الله ، ولا يعمل إلا مايرضيه ، وَمُتَعَلِّق الإيمان مبسوط مذكور فى القرآن الحـكيم ، ليس من الإيمان أن تؤمن بوجود الله ، ثم تـكفر بما ورد له من صفات ، و بما سمى به نفسه من أسماء ، أن تؤمن بأنه حَيٌّ ، ثم تلوذ بالموتى تستمد منهم الحياة ، أن تؤمن بأنه القادر ثم تلوذ بالعاجزين تستغيث بهم ، أن تؤمن بوجوده ، ثم تسلك سلوكا يوحى بأنك تـكفر بوجوده سبحانه ، أيؤمن بوجود الله من يستغيث بالمقبورين وقبورهم ؟ ومجال القول هنا مديد مديد ، ولـكن حسبى الإشارة المغنية عن

---

(١) خبر إن هو أولئك . ويكون قوله سبحانه (إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) اعتراضية فائدتها التعجيل بذكر مايطمئن ويؤكد أن كل عمل صالح له أجره . وقد يكون الخبر إنا لا نضيع ، وأولئك معاً . أو تـكون « أولئك » كلاماً مستأنفاً الغرض منه بيان للأجر المهم .

طول العبارة ، ولتتدبر دائماً قول الله سبحانه (وما يُؤْمِنُ أكثرُهُمْ باللهِ إلاّ وهُمْ مشركون . يوسف : ١٠٦) تدبر هذا لتعمل على أن يكون إيمانك خليًّا من شوائب الشرك ، ولكيلا يخدعنك عن الحق أولئك الذين يزعمون أنه لا يجوز الحكم على من عنده إيمان بأنه مشرك .

أما الصفة الأخرى : فالقيام بالعمل الصالح ، ولا توجد صفة تقوِّم العمل تقويماً عظيماً كصفة أنه صالح لأنها تؤكد أنه عمل يستحق أن يُحترم ، وأن يُجزى عنه صاحبه خيراً ، لأنه صالح لما عُمِل من أجله ، والصلاح ضد الفساد ، فكل عمل لا يترتب عليه فساد ، فهو عمل صالح وأعمال العبادة لا تكون صالحة إلا بشرطين ، أما أولهما فأَنْ يكون صادراً عن نية طيبة طهور تعطيه روحه وقوامه وملاكه ، نية تقصد وجه الله ، وأما الشرط الآخر ، فأن يكون موافقاً لما بين الله ورسوله . وبهذين يمتاز العمل الذى يحبه الله من العمل الذى يبغضه ويرده على صاحبه .

وقد أكد ختام الآية أن الله سبحانه يعطى لكل ذى عمل حسن أجره ، والأجرُ هو مايعود من ثواب العمل ، وقد ذكر الأجر مُبْهَماً ، ليثير فى النفس التشوق والتطلع إلى صفاته وحقيقته ، وقد فُصِّل بعض أنواع الأجر فى آيات أخرى . وذكر كلمة « حسن » دعوة إلى الإحسان فى العمل : وتنكير كلمة « عملا » تطمئن كل صاحب عمل إلى أن لعمله ثوابه مهما قل أو كثر .

« أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار » بيان لبعض ماأعده الله سبحانه للذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، ومنه « جنات عدن » جنات إقامة وخلود ، كما ورد فى سورة فاطر قاصًّا قول أصحاب الجنة : « إن ربَّنَا لَغفورٌ شكورٌ . الذى أحلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ من فَضْلِهِ . لاَيَمَسُّنَا فيها نَصَبٌ ، ولا يَمَسُّنَا فيها لُغُوبٌ . فاطر : ٣٤ ، ٣٥) .

وقد وصِفَت هذه الجنات بأن الأنهار تجرى من تحتها ، أى دونها بحيث يشرف عليها من فى الجنة مِن عَلُ .

« يُحَلَّوْنَ فيها من أساورَ من ذهب » والأساور هذه كانت من سمات الغنى الوسيم

ويبدو لنا هذا من قول قوم فرعون عن موسى ، وقد قصه الله فى قوله : « فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عليه أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، أَوْجَاء معه الملائكةُ مُقْتَرِنِينَ » وستكون الأساور التى يحلى بها المؤمنون أنواع مختلفة ، فبعضها من ذهب كما ورد هنا وبعضها من فضة كما يقول الله سبحانه : « وحُلّوا أساورَ من فِضّةٍ ، وسقاهم رَبُّهم شرابًا طَهُوراً الإنسان : ٢١) . وسيكون معهما لؤلؤ أيضاً كما يقول سبحانه (يُحَلّوْن فيها من أساور من ذهب ولُؤْلُؤًا ، ولبَاسُهُمْ فيها حرير[1]) .

« ويلبسون ثِيَابًا خُضْراً من سندس وإستبرق » هذا بيان لما يلبسه أهل الجنة فيها ولعلها تكون ثيابًا بعضها فوق بعض ، فمنها ماهو رقيق ومنها ما ليس كذلك . أو لعل أهل الجنة يلبسون مرة سندسًا ، ومرة استبرقًا : (يَلْبَسُون من سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ متقابلين . الدخان : ٥٣) .

(متكئين فيها على الأرائك » إنه النعيم الوفير ، والسكينة الوارفة ، والراحة وهدوء البال الناعم السعيد ، وإنها العزة بجلال وسعادة .

« نعم الثواب وحسنت مرتفقا » قارن هذا بقوله سبحانه « بئس الشراب ، وساءت مرتفقا » وتدبر كيف ورد الذم وكيف ورد المدح ليتبين لنا مدى القبح والسوء فى الذميم ، وعظمة الجمال والحسن فى الممدوح ، فمن ذم الأولى هو الذى مدح الأخرى جل شأنه . والله لا يقول إلا حقًا وصدقًا .

كلمة خاتمة : يميل بعض الملحدين وهم من أحلاس ابن عربى ، ويميل الغزالى فى

---

(١) للزمخشرى رأى وهو : « وأراد بإلقاء الأسورة عليه ، إلقاء مقاليد الملك إليه لأنهم كانوا إذا ارادوا تسويد الرجل سوروه بسوار ، وطوقوه بطوق من ذهب » فيكون التحلية بالأساور من سمات الملوك .

(٢) وردت فى سورة الحج رقم ٢٣ وفى سورة فاطر رقم ٣٣ .

بعض كتبه إلى تحريف الكلم عن مواضعه ، إذ يزعمون أنه لا أساور من ذهب وفضة ولؤلؤ ، ولا ثياب من سندس وإستبرق ولا أرائك ، ولا شيء من ذلك كله ، إنما هي رموز عن نعيم روحاني فحسب .

ومن يزعم هذا فإنما يكذب الله سبحانه ، فنعيم الجنة معنوي ومادي ، أو روحي وجثماني : والمتدبر لآيات الله يؤمن بهذا .

اللهم يا فاطر السموات والأرض ، يا عالم الغيب والشهادة ، إنا نضرع إليك بقلوب يملؤها الخوف من عقابك والرجاء في ثوابك أن تغفر لنا ما فرط منا ، وأن تهيىء لنا من أمرنا رشداً ، وأن تحسن متابنا إليك .

توفني مسلماً وألحقني بالصالحين .

عبد الرحمن الوكيل

---

١٨ - نظرات فى التصوف

تعقيب : عرضنا رأى التصوف فى بعض الأحوال مأخوذاً من أوثق مصادره ، وقد عنينـا بالنقل كثيراً عن القشيرى ، لأن الطائفة تقدسه على اختلاف[1] منازعها ، ولأثبات أن التصوف العملى ، أو مايفهم فيه أنه تصوف معتدل ، ما هو إلا قرين النظرى هدفا وغاية . وإن كان يتراءى فى شف رقيق من دعوى التمسك بالـكتاب والسنة ، فالقشيرى قد حمل فى رسالته ـ كما بينت من قبل ـ حمـلة شعواء على الذين ادعوا أنهم استُهلِكوا بالحق عن الخلق ، وأن الله هو الذى يتصرف لهم ، وأن التـكاليف الشرعية قد سقطت عنهم . وقد رأيت فيما عرضت عليك أن القشيرى نفسه فيما ذكر عن المحور والفناء يدين بدين أولئك الذين وصفهم بأنهم منسوبون إلى التصوف زوراً وبهتاناً ، بل يأتى بشناعات يطل عليك من وجهها القميت دين الحلاج وابن عربى[2] .

كذلك أكثرنا من النقل عن الهروى ، وقد أطلق عليه فى غفلة من التاريخ لقب شيخ الإسلام ، والهروى بما كتب يمثل الخدعة الـكبرى للتصوف ـ يمثل الرجل القُلَّب الذى يغير ويبدل كثيراً فيما يضع على وجهه من أقنعة ، فهو سلفى محض حين يكتب عن الصفات وهو عدو السلفية الألدود فيما يهرف به من شطحات . هو خالص السلفية بين السلفيين . وهو أرقم الصوفية بين الصوفيين ، ويستطيع السلفيون أن يحتجوا لسلفيته بما ألف من كتب فى إثبات الصفات . ويحتج الصوفيون لصوفيته بما خرف به فى منازل السائرين ، حتى لتـكاد نشعر أنه يكتب بقلم ابن عربى وزندقته ، وهو يتـكلم فى باب التوحيد ! .

---

(١) ص ٣٧ الرسالة

(٢) هال القشيرى ما كان يمور به المجتمع ويضطرب من ثورة عارمة على الصوفية . فألف رسالته هذه . ليخدع به هذه الثورة . وليخمد من جذوتها . وليؤكد فى مكر ـ أن دينه الصوفى هو عين ما برىء منه فى أول رسالته !!

والهروى ومن هم على شاكلته أشد خطراً على المسلمين من كل عدو لأنهم ، يفتكون وعلى شفاههم بسمات الصديق !

وما نقلته عن الهروى ، وعن القشيرى يؤكد لنا أن التراث الصوفى كله من ردغة واحدة ، وأنه حين يزعم أن منه تصوفا معتدلا ، ومنه مافيه شطحات أو سكرات ، إنما يريد من وراء هذا الزعم أن يضع على عيوننا عصابة سميكة من سندس ، فى لونها جمال يفتن ، وهى حجاب كثيف يستر عنا الحقيقة ، يريد خداعنا عن مرارة علقمه ، أو عن زعافه الفتاك ، لتظنه الشهد المذاب . ماثم فى التصوف اعتدال ، فهو منذ وجد جنوح إلى مشاقة الإسلام ، وجموح عن سواء السبيل ، إنه منذ وجد مصمم على أن يحارب دين الله الحق ، ويبغى على كتاب الله الحق ، غير أنه كان يخنس حين يلمح النظرة اليقظى ، والسيف المسلول فى سبيل الله ، فيلوذ بصور زائفة تشاكل فى مظاهرها بعض الشعائر الإسلامية .

أما حين كان يرى العين ناعمة ، والسيف غامداً فى قرابه لا توقظه يد مؤمنة ، فإنه كان يستعلن فى بغى ، ويسفر فى شماتة وحقد !! ومن يطالع التاريخ تطالعه هذه الحقيقة وهى أن التصوف ينتشر ويقوى سلطانه فى الحقب التى تضعف فيها الدولة ، وتتخاذل . وتأخذ بأسباب الوهن فى دينها ودنياها وتذعن للمستعمر الغاصب وأنه ينحسر ، وتخمد صولته حتى يكاد يلفظ أنفاسه حينما تقوى الدولة ، وتأخذ فى دينها ودنياها بأسباب القوة والعزة والكرامة .

لماذا لم يكن تصوف فى القرن الأول ؟

<u>الاستعمار والمستشرقون والتصوف</u> : لماذا يحنو الاستعمار على التصوف ويطارد اللمحة من نور الإسلام ؟

لماذا كنا نرى المفوضين السامين لدول الاستعمار يهفون إلى الموالد ، ويفترشون الأرض فى رياء دنىء ، ويشهدون حلقات الذكر ، ويشربون «القرفة» ويأكلون ثريد الشيوخ ؟!

لماذا تراهم يسبغون كل ما يعرف النفاق اللئيم من عطف على شيوخ الصوفية ؟

لماذا يبذل المستشرقون ـ وجلهم مستشارون للاستعمار فى دولهم ـ كل هذا الجهد فى سبيل نشر كتب التصوف ، ولا سيما كتب صوفية الحلول ووحدة الوجود ، كالحلاج وابن عربى والسهروردى المقتول[1] ؟! .

لماذا يكدون هذا الكد المضنى فى سبيل البحث الجاد المنصب والتنقيب المجهد عن الكتب المخطوطة للتصوف والقيام بجد بتحقيقها فى صبر رحيب ، وانفاق للأموال الوفيرة فى سبيل طبعها فى صورة أنيقة جميلة ، وتدبيج طوال المقدمات التى يتجلى لك منها مدى العطف السابغ والتقدير البالغ لشأن التصوف ، ويروعك هذا الكدح الشاق فى سبيل إثبات انتساب التصوف إلى الإسلام ، وأنه نشأ فى بيئة عربية إسلامية خالصة حتى فيما يقرره من وحدة وحلول ، بل فى سبيل إثبات أن التصوف هو التعبير الحقيقى عن روح الإسلام[2] ؟

ترى هل أصبح المستشرقون ثعالب الاستعمار مسلمين ؟

ترى هل يخدعنا الوهم ، فنظن أن فى قلوب هؤلاء المستشرقين نفحة عطف على الإسلام ، أو رغبة فى أن ينتشر نوره ؟ ! .

لقد فهم هؤلاء الماكرون الداعون من المستشرقين فهما جيداً أن التصوف هو السم

---

(١) شرح ابن القيم كتاب الهروى هذا ، وسمى شرحه له « مدارج السالكين » وقد حاول ـ للمحة السلفية فى الهروى ـ أن يعتذر فى بعض الأماكن عن الهروى . ولكنه كان يشعر بمرارة الفشل . وهو يحاول الاعتذار عنه مما جعله فى النهاية يقبل على التصريح بمجانبة الهروى الدين الحق . وقد كان ابن تيمية شيخ ابن القيم أصرح من تلميذه . إذ دمغ الهروى فى صراحة بالالحاد والكفر المقيت .

(٢) ومن أساتذة الجامعات تلاميذ أوفياء لهؤلاء المستشرقين ويغرسون نيابة عنهم خناجر الصليبية فى صدر الاسلام

الناقع الذى استطاع أن يخدع تاريخ المسلمين ، وزمرا عديدة منهم . فظنوه منهلا من رحيق الجنة . وحسبوه حبا سماويا يتألق بروح الخلود ، فهم المستشرقون تماما أنهما حورب الإسلام بتراث كما حورب بهذا التراث الصوفى الملعون ، الذى استطاع سدنته بدهائهم المخاتل أن يقدموه للناس على أنه الحقيقة التى تعلو مقاما عن الشريعة . وعلى أن مافى كتبه هو روحانية القرآن ، ونور الحقيقة .

لهذا عنى المستشرقون بهذا التراث . وأجهدوا أنفسهم فى سبيل بعث تراثه ونشره فى ربوع العالم الإسلامى ، ليناهض هدى القرآن . وليقضى على الرمق الواهن من نور الإسلام فى النفوس .

يقول الأستاذ عمر فروخ : تكثر التآليف الصوفية فى أمم أوربة على نسبة اهتمامها بالاستعمار ، ولذلك عندهم هدفان .

أولهما : تثقيف قومهم بأسلوب من أساليب الاستعمار .

وثانيهما : إغراق المثقفين من سكان الشرق بكتب الصوفية ، لصرفهم عن عمود القومية وعرين العزة وميادين الكفاح الوطنى .

فكلما بحثت عن أحد المؤلفين فى الصوفية رأيته ينتمى إلى دوائر فى بلاده تهتم بالاستعمار مباشرة أو غير مباشرة .[1] »

على حين نرى هؤلاء المستشرقين يبذلون الجهد كل الجهد فى سبيل النيل من القرآن والتجديف عليه بالبهتان ، وقذفه بأنه من وضع محمد صلى الله عليه وسلم وبأن مافيه من قيم وشرائع مسروق من المذاهب الفكرية العتيقة والشرائع الرومانية وسواها ! !

يقترفون هذا الحقد الطاغى الباغى ضد كتاب الله ، ويقترفون تلك الحفاوة الرائعة بالصوفية ، وما أقرره حقيقة مشهودة من كل مشاهد ، ولنقرأ كل ما كتب المستشرقون

---

(١) كتاب التصوف فى الاسلام

لنعلم أى حرب مستلئمة دنيئة يشعل أوارها هؤلاء ضد القرآن ، وأية فيوض من إعجاب وحنو رءوم يفيضونها على التصوف ! !

لقد وقف الاستعمارى الخبيث (غلادستون) الذى كان رئيساً للوزارة الانجليزية ، والذى كان معروفا بعدائه الأسود الحقود للإسلام ، وقف يخطب فى إحدى الجمعيات الماسونية ، فأخرج من تحت إبطه القرآن الكريم ، وأشار إليه قائلا : « مادام هذا الكتاب بين المسلمين ، فلا يمكن استئصالهم بوجه من الوجوه . فعلينا أن نعمل لإفساد مافى هذا الكتاب ؛ لنفسد العالم الإسلامى بأجمعه » ويعقب عارف بك الماردينى على هذا بقوله : (وقد كان لكلامه هذا تأثير قوى عند المتعصبين من الإنكليز ، فنرى الأوربيين يهاجمون القرآن من كل ناحية وجهة[1] » .

وما كان الأمر بحاجة إلى استشهاد ، لأنه صوب الحس واضح المعالم ، غير أن بعض النفوس يلذ لها أن تكون عمياء : حتى لا تبصر ولا تشعر ، فأردت أن أبين لها ما تراه العيون المبصرات !.

وأعجب مافى الأمر أن كهنة هذا التراث يتخذون من اهتمام المستشرقين[2] بدراسة التصوف وبعث مخطوطاته ونشرها بهذه العناية الممتازة حجة لهم ودليلا على عظم شأن التصوف ! ! ولن يسلم لهم مثل هذا الدليل الضليل إلا حين نعتقد أن الصليبية الصهيونية ـ وهما من سدنة هذا التراث والعاملين على نشره ـ لهما بالإسلام رحم ماسة . ووشائج قربى من عطف وحنان ومحبة .

---

(١) ص ٢٤٦ (ألف حديث وحديث) ، تأليف عارف بك الماردينى .

(٢) نذكر على سبيل المثال المستشرقين « لويس ماسينيون . وجولد زيهر » فقد عكف الأول طول حياته ـ وهو صليبى يدين بحلول اللاهوت فى الناسوت ـ على نشر كتب الصوفى الحلاج الذى ينزع منزع الصليبية فيدين بأن روح الله تحل فى الكائنات .

ونعتقد أن حقد الباطل والكفر يعرف نفحة من الحب للحق والإيمان ، ونعتقد أن الشر والرذيلة يبشان بالمودة للخير والفضيلة .

قد يقال إن فيما يكتب المستشرقون بعض النقد للمذاهب الصوفية . وأقول :

يكاد المستشرقون يجمعون فى بحوثهم على أن أصول التصوف الكبرى مستمدة من روح الإسلام ، بل إنها هى التى تمثل حقيقة الإسلام ، وأن أوهام الصوفية هى حقائق إسلامية . ولكن بعض هؤلاء تحت الحق فى قهره وغلبه ، وفى دهاء المكر اللئيم وحذره يضطر إلى القول بأن بعض أمور سلطان التصوف تعارض بعض أصول الإسلام !! ثم يزعم أنها معارضة ظاهرة فحسب ! !

وأحيانا تأخذ بعضهم نزعة من احترام العقل ، فيعترف بأن مافسر به التصوف بعض نصوص الإسلام تفسيراً نظريا وعملياً لا يعرفه الصدر الأول .

وأحيانا ـ وهو الأغلب ـ يتخذون من هذا النقد ستاراً لإخفاء ما هو أشد ضرراً ، والأم كيداً ، وهو أن أصول الصوفية من أصول المسيحية ، أو بتعبير أصرح : هو الزعم بأن الإسلام فى أسمى مراتبه ـ والتصوف يزعم أنه كذلك ـ مستمد من المسيحية .

ثم إنك ترى هذا النقد المهين مغلفا بالثناء والتمجيد العظيم للتصوف ورجاله الذين أشرقت لهم الحقيقة من قدسها المحجب !

بل ترى هذا النقد كأنما هو رقة العتاب من خلص الأحبة ، لأن الحبيب غالى فى إفشاء السر ! !

« للنظرات بقايا »

عبد الرحمن الوكيل

« من استعان بغير الله فى طلب فإن ناصره خزى وخذلان »

أحسن ما قرأت

• نشر الصور العارية فى المجلات والصحف جهر بالسوء
• من تجاهر بالمعصية وعبث بالحرمات ، لا تناله رحمة الله

من سلسلة المقالات التى يكتبها الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت بجريدة الجمهورية اخترنا هذا المقال الرائع الذى نشر بعدد الجمهورية الصادر يوم ١٩٦٣/١/٤ تحت هذه العناوين ، لما له من صلة تامة بما نراه حولنا من فساد فى الصحافة ودور اللهو ، والفرد والجماعة، نتيجة لخلو الحياة من مبادىء الدين وعقيدته وأخلاقه ، وحتى يقرأه من فاته الاطلاع على ذلك العدد من الصحيفة اليومية .

ونحن إذ ننشر هذا المقال القيم نأمل أن ينظر إليه القارىء الكريم نظرة تأمل وفهم عسى أن يلهمه الله الانتفاع بما فيه من الخير والهدى والبيان . قال الأستاذ الأكبر :

قال الله تعالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلِم وكان الله سميعاً عليما . إن تبدو خيراً أو تخفوه أو تعفو عن سوء فإن الله كان عفواً قديرا) .

سعادة الناس فى حياتهم الفردية أو الاجتماعية معقودة بسد منافذ السوء ، وفتح منافذ الخير .

وهاتان الآيتان قد تكفلتا بالأمرين معا فالآية الأولى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول) إذ تقرر أن الله سبحانه لا يحب من عباده أن يجهروا بالسوء من القول فيما بينهم ، بل يمقته ولا يرضاه ـ تسد أهم النوافذ التى يتسرب الشر منها إلى الأمة . والثانية (إن تبدو خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً) تغرى الناس بوسائل المحبة ، والاطمئنان فيما بينهم .

ومثل القول ما فى معناه من كل طرق الشر يغضب الله منه ويعاقب عليه (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

(لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ، ثم لايجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا ، أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

وللجهر بالسوء صور وألوان ، ولكل من صوره وألوانه أثره السيء فى الناس ، فى أخلاقهم ، وفى علاقاتهم بعضهم ببعض . وفى حياتهم كلها ، فذكر عيوب الناس والتحدث بها جهر بالسوء ، وإشاعة الفاحشة ونسبتها إلى أفراد معينين أو أسر معروفة ، جهر بالسوء ، والتحدث بما يقبح من المنكرات ، كالزنا وشرب الخمر ، والسرقة وطرق الاحتيال ، جهر بالسوء . ونشر الصور العارية أو شبه العارية فى المجلات والصحف ، جهر بالسوء . ومناظر القبل والمعانقة التى تظهر فى دور التمثيل والسينما وتلصق إعلاناتها على الجدران فى الشوارع جهر بالسوء .

هذه نماذج من صور الجهر بالسوء من القول وما فى معناه ، وله على اختلاف صوره أنواع عدة من العواقب السيئة التى تنزل بالأمة وتحيق بها وتحول بينها وبين سعادتها . فهو يفرق الكلمة ، ويغرس العداوة والبغضاء ، ويغرى باقتحام الشرور والمفاسد . ويخلق عند من لم يألفها عاطفة التجرؤ عليها ، وما أشد تأثيره فى الأحداث الذين تنطبع فى نفوسهم صور ما يسمعون أو يقرأون . وكثيراً ما نشأت عنه الجرائم ، وكثيراً ما نشأ عنه التحلل من معانى الوطنية الفاضلة والارتماء فى أحضان الأمم الأخرى ، والتعلق بنظمها وإن كانت فاسدة ضارة .

فعلى الآباء وعلى رجال التربية والتعليم ، وعلى القادة ، وعلى عقلاء الجماهير إذا أرادوا السلامة والخير لبلادهم . وأرادوا السلامة من خروج بعض الأبناء عليها .. عليهم جميعاً أن يراقبوا أنفسهم ، ويكبحوا جماحها عن الأراجيف والسوء . وأن يتتبعوا منافذ هذا السوء فيضعوا عليها سداً منيعاً ، يعصم منه الأسماع والقلوب ، وبذلك تحفظ الروابط ، وتصان الأخلاق ، وتقدس الحرمات . وتسود الفضيلة .

حدود الرخصة

وقد أباح الله الجهر بالسوء فى حالة واحدة ، وهى حالة الظلم يقع على الإنسان ، ولا يجد منفذاً من هذا الظلم سوى الجهر به لحاكم أو لمن يرجو النجدة لديه .

وهذا ترخيص يجب الوقوف به عند حد الضرورة دون زيادة أو استرسال ، وهو قوله تعالى (إلا من ظُلِم وكان الله سميعاً عليما) .

أما الآية الثانية : (إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفوا عن سوء) فقد فتحت باب إيصال النفع بقوله (إن تبدوا خيراً أو تخفوه) .

وفوضت الأمر فى اختيار الإظهار ، أو الإخفاء إلى ما يقدره فاعل الخير ويراه ، فمن الناس من يرى إظهار الخير ليقتدى به غيره ، ولينال ثواب « من سن سنة حسنة » ومن الناس من يرى إخفاء الخير اتقاء للرياء والسمعة .

ثم لفتت الآية الكريمة بعد ذلك الأنظار إلى أن العفو عن السوء ممن أوذى به فى فى خاصة نفسه ، وعدم المحاسبة عليه بمثابة فعل الخير فى ربط القلوب وصفاء النفوس .

أما السوء الذى يؤذى الجماعة ، ويزلزل الأمن ويفسد النظام والأخلاق ، فلا يملك أحد حق العفو فيه ، فهو حق لله وحده ، حق النظام العام ، والله يقول (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) ويقول : (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ، والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا . سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

المجاهرون بالمعاصى

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل أمتى معافى إلا المجاهرون . وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول . يا فلان عملت البارحة كذا وكذا . وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه » .

من الناس من يكون قوى الإيمان بالله يتمثل عظمته ويخشى غيرته ، فيرقبه فى السر والعلن ويتجه إليه فى السراء والضراء ـ هؤلاء هم الذين زكت أرواحهم وصفت قلوبهم فأشرق عليهم نور الحق فأضاء لهم سبل الخير والهداية ، هؤلاء فى حفظ الله ورعايته ومحل عطفه ورحمته . سالموا الناس فسالموهم وأحسنوا إليهم فاحترموهم وأحبوهم ، وسالموا الله فسالمهم وأبعد عنهم البلايا والمحن ، وادخر لهم مكانة الصديقين والشهداء .

ومن الناس من تغلب عليه شهوته ويطغى عليه غضبه ، وينسيه ذلك جانب الله وجانب الناس ، ولا يجد فى نفسه عزمًا يقاوم به الشهوة ، أو يدفع به الغضب ، فتحلو الخطيئة فيقع فى الزلل فيقتحم حرمات الله ، ويمد يده إلى الناس بالايذاء . فيخدش العرض المختوم أو يستلب المال المعصوم . أو يقتل النفس البريئة : ولكن مع هذا يخشى أن يطلع عليه الناس فيشتهر مرة وتسقط منزلته وتهون كرامته . فيدفعه ذلك إلى التستر فيرتكب مايرتكب فى جنح من الليل أو فى غفلة من الناس . ولا يزال ـ من خشية أن يعلم الناس به ـ فى ضطراب ووجل يدفعان به إلى التستر والإخفاء .

مثل هذا . تناله فى حكم الرسول المعافاة والسلامة من البلايا والمصائب التى يجرها إليه علم الناس به . وقد يفتتح له أيضًا باب الخوف من الله فيخشاه كما يخشى الناس فيطرق باب التوبة والندم . فيمد الله إليه يد القبول . ويفتح له باب الرحمة ويمنحه عفوه ومعافاته (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم . ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) .

هذان صنفان من الناس : صنف نؤمن له بحسن العاقبة عند الله . وصنف نرجو له التوبة والعفو والمعافاة .

وهناك صنف ثالث غلبت عليه شهوته وحرم الحياء من الله فارتكب ماحرمه الله وحرمه الحياء من الناس فجاهر بالمعصية ـ تراه وقد أريق ماء الحياة من وجهه . يعبث بالحرمات لا يؤنبه ضميره . ولا يزوعه خوف . لا يخشى الله . ولا يخشى الناس . تراه

وقد انطلق كالأفعى ينفث سمومه فى الطرقات والنوادى والبيوت . فإذا مارأى سيدة أو فتاة اقتفى أثرها يمشى خلفها إذا مشت ويقف إذا وقفت ويركب الترام إذا ركبت ويدخل المتجر إذا دخلت . وهكذا يتبعها . ويشدد الخناق عليها . وهو يخنق الفضيلة على ملأ من الناس غير مكترث بغيرة الله ولا عابىء بكرامة الناس . هذا الصنف فى حكم الرسول لا تناله رحمة الله ولا معافاته لا فى جسده ولا فى كرامته ولا يحظى بالسلامة . فهو عند الناس دائماً فى موضع السخط والازدراء وهو عند الله فى موضع الطرد والحرمان .

هذا هو المجاهر الذى يعده الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « كل أمتى معافى إلا المجاهرون » وقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى لون رابع هو فى واقعه أشد خطراً من المجاهرين إذا لم يكن منهم . ذلك اللون هم الذين يرتكبون مايرتكبون من فسوق وعصيان فى بيوت تأويهم ، أو فى ظلام يسترهم ، ثم يصبحون فيتحدثون بما فعلوا ويفاخرون بما ارتكبوا ويتآمرون على المعاودة والاستمرار فيميلون معهم ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب .

هؤلاء يفضحون أنفسهم وقد سترهم الله وهم دعاة شر بأقوالهم وتحريضهم كالمجاهرين سواء بسواء ، وفى حكم هؤلاء الذين خصهم الرسول بوصف المجون وكانوا دعاة شر بأفواههم كالمجاهرين : هؤلاء الذين يعملون على إذاعة اجتماعاتهم الساخرة ولياليهم الساهرة بما فيها من عبث للسيدات وشرب للخمور عن طريق التصوير والنشر فى المجلات والصحف التى تملأ الشوارع وتدخل البيوت وتنطبع فى نفوس الفتيات والفتيان فتمدهم المصير السيىء وتسلبهم معانى الفضيلة والكرامة والشرف بل هم أشد ضرراً وأقبح أثرا .

فإلى هؤلاء وهؤلاء جميعاً نوجه قول الرسول الحكيم والمربى العظيم « كل أمتى معافى إلا المجاهرون » .

جزى الله الأستاذ الأكبر خيراً ، كفاء ما أسدى لأمته من نصح وتبليغ ؟

سعد صادق محمد

الاســـلام

دين الحرية والإنسانية

لقد جاء الإسلام والعالم قد انقطع عن الحق ، وضل عن سواء السبيل ، فاليهود والنصارى ، إلا القلة القليلة التى بقيت على دين إبراهيم ، قد (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) وفى فارس ، رأينا الأكاسرة ، وقد رأوا أنه لا أمر فوق أمرهم ، صاروا يعدون أنفسهم أشبه بالآلهة فى السلطان والجبروت ؛ كما رأينا ثنوية « مانى » التى كانت تقول بإله للخير ، وآخر للشر ، وإباحية « مزدك » الشيوعى التى ما كان يمكن أن يقوم على أساسها مجتمع صالح ، وفى الروم كان الأمر شبيها بما كان عند فارس من جبروت السادة ، وعسف الأقوياء بالضعفاء حتى ليتخذونهم خولا وأنعاماً وعبيداً لهم . هذا إلى جدل فارغ عنيف فى مسائل الدين وسفسطة مذهبية جلبتها الروح الإغريقية إلى اللاهوت المسيحى ، وكان من ذلك أن تزعزعت أصول العقيدة الدينية ذاتها .. هكذا كان الحال فى فارس والروم وفى الأقاليم التى كانت اليهودية والمسيحية منتشرة فيها ، ولم يكن الحال بأفضل من ذلك فى بلاد العرب ، سواء فى الناحية الدينية أو الاجتماعية . ففى المجتمع ، كانت الفرقة الشاملة نتيجة للروح القبلية التى كانت تسودهم ، وامتهان الإنسانية الذى يتمثل فى وأد البنات ، واسترقاق الأسير .

وفى ناحية الدين . كان حمق الرأى وضلال العقل والفكر ، حتى كانوا يعبدون ما ينحتون من تماثيل . ويتخذون أربابا مما يصنعون من أوثان وأصنام . وقد وصل بهم الأمر فى هذه الناحية إلى مايقول ابن إسحاق فى سيرته : « واتخذ أهل كل دار صنما يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفراً تمسح به حين يركب ، فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفر تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله [1] » ولقد كان الرجل كما يقول الكلبى فى كتاب « الأصنام » : « إذا سافر

---

(١) سيرة ابن هشام . ج ١ ص ٨٦ .

فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار . فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً ، وجعل الثلاثة الباقية أثافى لقدره ، وإذا ارتحل تركه ، فاذا نزل منزلا آخر فعل مثل ذلك . أى سخرية بالعقل ، وضلالة فى الفكر ، أكبر من هذا الصنيع ! !

كان العالم إذاً ، شرقيه وغربيه ، بحاجة إلى دين جديد ، ولولا هذه الحاجة الملحة ما اتصلت السماء بالأرض لتوحى إليها بهذا الدين الجديد ورسالته ، وهو دين الإسلام فإن هذا الاتصال ـ إتصال الأرض بالسماء ـ [1] لا يكون إلا حين تدعو الحاجة العاجلة ، والضرورة المطلقة .

كذلك كان الأمر حين ظهور الإسلام . وجاء وحى السماء بدين جديد ـ بعد أن استنفدت كل من اليهودية والمسيحية أغراضها ـ ، يوائم الإنسانية حتى تبلغ رشدها ويوائم فى كل ما يمر به العالم من مراحل ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

والآن بعد هذه الإلماعة إلى حال العالم قبيل الإسلام ، والأسباب التى اقتضت ظهوره فإنه مما لا شك فيه أن الإسلام هو دين الحرية ، واحترام مافى الإنسان من إنسانية ، وهذا مالا يبعد بحال ما عما اعتدنا تقريره من أن الإسلام هو دين التوحيد الخالص .

جاء فى لسان العرب : الحر من الناس . أخيارهم وأفاضلهم . ويقال : هو من حَرِيَّة قومه أى من خالصهم . ويقول : « أوجست كونت » : « أحسن ما يكون لنا من حرية هو أن نعمل بقدر استطاعتنا على سيادة الميول الطيبة على السيئة » ويرى « هيمون » أن الحرية هى سيطرة المرء على نفسه ، وذلك بعمل العقل المفكر والإرادة ضد الشهوة والهوى » ويقول « ابيكتيت » إن على من يريد أن يكون حراً ألا يرجو أو يخاف شيئاً يملكه غيره ، وإلا فلن يكون حتما إلا رقيقاً . »

ونعلم ، بجانب هذا كله أن الحرية تشمل فيما تشمل أيضاً تحرر العقل من الضلالات والتقاليد الباطلة ، كما تشمل حرية العقيدة والفكر والإرادة والعمل . مادام ذلك لا يضر

(١) كناية عن وحى الله إلى أنبيائه .

بالغير ولا بالصالح العام . تلك هى المعانى الجديرة بالذكر لكلمة « حرية » فى التفكير الشرقى والغربى ، والإسلام قد جاء بتقرير هذه الحرية ، على كافة ضروبها وألوانها ، إنه أقام الحرب العوان على عبادة الأوثان والأصنام ، حتى تكون العبادة لله وحده ، دعا بقوة إلى نبذ ما كان عليه الآباء والأسلاف من ضلالات وتقاليد ليست من الحق فى شىء . نراه بعد هذا يلفتنا بقوة إلى أنه ليس من العقل أن يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله ، أو أن يستذل القوى منا الضعيف ، وفى هذا نرى الفاروق رضوان الله عليه يقول قولته التى لاتزال تجلجل أبدا الدهر : « لم استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

ثم نجد بعد هذا أن الإسلام ينص بشدة على من اتخذ إلهه هواه ، وجعل شهواته تسيطر على أكبر جزء منه وهو العقل ، ذلك بأن الحرية الحقة ، هى حرية المرء . لا يستعبده هواه وغرائزه وشهواته ، فلا ينزل فيما يأتى ويقرر إلا على حكم عقله الرشيد .

ومن احتفال الإسلام بالحرية ، نراه لا يجعل بين الله وعباده وسطاء من خلقه ، يحللون له ويحرمون ، كما كان الأمر فى المسيحية ، بل جعل لكل مخلوق من البشر أن يتصل بالخالق — جل وعلا — بنفسه ، ويناجيه ويدعوه دون وسيط أو شفيع .

رباه . ما أشبه الليلة بالبارحة ، وما أحوجنا اليوم إلى العودة إلى الاسلام الحق من جديد فالإيمان بالله وحده لا نكاد نجده فى كثير منا ، مادمنا نشرك معه السادة والكبراء ، فنرجوهم ونخشاهم كخشية الله ، أو أشد خشية ! ! بهذا قامت بيننا بدل عبادة الأصنام من حجر وغيره ، عبادة أصنام محدثة من لحم ودم ، ثم حرية المرء فى نفسه ، بسيطرة العقل على الهوى ، فقدناها إلى حد كبير ، إذ تركنا القياد إلى الشهوات ، وصار الهوى هو الإله المعبود . ! !

متى يارب نتحرر من هذه الأدواء ؟ ومتى نعود أحراراً فلا نعبد إلا الله وحده ، ولا نرجو سواه ولا نخشى غيره ؟ ومتى نتحرر من أهوائنا وشهواتنا الجامحة ، فلا نخضع لغير حكم العقل السديد ؟ نرجو أن نأخذ فى الأسباب ، وأن يكون هذا قريباً ، حتى نعود إلى ما كان عليه السلف الصالح ، والله المستعان وعليه التكلان وهو نعم المولى ونعم النصير

السيد عبد الحليم محمد حسين

باب الكتب

كتاب « قصة العقائد بين السماء والارض »

تأليف الأستاذ الأديب سليمان مظهر

أهدى إلينا الأديب النابه الأستاذ سليمان مظهر مدير تحرير صحيفة (المساء) كتابه « قصة العقائد بين السماء والأرض » . والكتاب مؤلف ضخم تناول فيه الأستاذ المؤلف تاريخ العقائد وتعاليمها التى عرفتها الشعوب المختلفة قبل مجىء الإسلام و بعده . ويقع الكتاب فى ٥٤٣ صفحة من القطع الكبير . وقد طبع فى دار النهضة العربية فى طبعة جيدة وغلاف أنيق .

وفى تقديم الكتاب استعرض المؤلف اختلاف الأمم حول تحديد زمن بدء الخلق ، وعن علامات الاستفهام التى ارتسمت فى ذهن الرجل البدائى حول مظاهر الحياة التى يعيشها منذ الصباح حتى الليل من شمس وقمر وحيوانات وجمادات : وكيف كان الرجل البدائى يجد الأجوبة التى كانت تحيره حول معرفة هذه المخلوقات ، وعند ما اهتدى إلى هذه الأجوبة بدأ اتجاهه إلى عبادة الشمس و القمر والكواكب وغيرها من المخلوقات التى صنعها البدائى من التماثيل وغيرها واعتقد أنها مصدر الخير ، فراح يرجو منها جلب النفع ودفع الضر .

ثم تحدث عن اعتقاد الناس فى السحر والتعاويذ والتمائم واستخدامهم لها فى الخير والشر . وعن ظهور العقائد الجديدة التى بشر بها الأنبياء والمرسلون بالكتب السماوية ، وكان من أهم أهدافها الكف عن عبادة الأوثان ونبذ العقائد الشركية . والاقرار بتوحيد الله تعالى .

و بعد هذه المقدمة بدأ فى الكلام عن العقائد التى كانت تسيطر على حياة بعض الناس . فاستعرض بالشرح قصة آلاف الآلهة التى عبدت ، ومكانتها فى النفوس ، وتأثيرها

على حياة الناس .. وعن الكهان ، وكيف كانوا يغرسون العقائد الخاطئة فى النفوس . وفى هذا يحكى ما كان يقوله كهنة الهندوس للهنود من أن حياة الانسان تتجسد بعد موته فى مخلوقين آخرين . فإن كانت روح الانسان الميت صالحة تدخل فى طائفة أعلى . ويظل الإنسان الصالح يعلو حتى يصبح برهمياً . وهذا لا يولد مرة أخرى بعد موته . بل تتحد روحه مع روح العالم التى جاءت من (برهما) صاحب العقيدة . وتلك أعظم سعادة يمكن أن تتمناها روح .

أما اذا كان هذا الإنسان ممن يحيون حياة مليئة بالفساد والشر ، فإنها تدخل فى طائفة أقل . فتظل منحدرة فى الولادة ــ طالما هى فاسدة ــ حتى تكون فيلا . ثم كلباً ، ثم برغوثا ، ثم بعوضة . ومن هنا نشأت عقيدة تناسخ الأرواح . وانطبقت على البشر والحيوانات والنبات .

ويمضى الأستاذ المؤلف فى الكلام عن الحفلات الدينية التى كانت تقام لإرضاء الآلهة عند الهنود . ومن هذه الحفلات ما كان يقام للقردة والأفاعى التى كانت عندهم مصدراً للرعب . لذلك كانوا يقدمون لها القرابين من اللبن والموز عند مداخل جحورها لتكف عن أذاهم .

وعلى هذا النحو من العرض الرائع يمضى المؤلف فيوضح لنا كل عقيدة من العقائد التى اعتنقتها الطوائف المختلفة . ويذكر لنا كيف دانوا بها وربطوا بها حياتهم . وقد قسم كتابه إلى قسمين . فذكر فى القسم الأول ألواناً مختلفة من عقائد الهنود وإيمانهم . وفى القسم الثانى قدم لنا تاريخ عقائد الصين واليابان وتعاليم وعاة عقائدهم التى دانت بها تلك الطوائف . أما القسم الثالث فقد واصل فيه الكلام عن عقيدة الإله الواحد . وتناول فى هذا القسم الزرادشتية ثم اليهودية ، ثم المسيحية ، ثم المصلحين الدينيين فى عصر النهضة ، ثم الاسلام ، ثم تاريخ بعض الطوائف المنحرفة المنتسبة إلى الاسلام .

ويقرر الأستاذ المؤلف الكلام عن كل عقيدة بصور مختلفة للتماثيل التى كانت ترمز

إلى الآلهة المعبودة . وصور زعماء العقائد . وصور الـكهنة ومواكبهم ، وصور العبادات والرقصات التى كانت تقام للآلهة ، وصور المعابد وحفلات الطقوس الدينية وتقديم القرابين وغير ذلك من المناظر المختلفة التى عرضها المؤلف فى مجال ذكر تاريخ هذه النحل والعقائد.

والحق إن الأستاذ سليمان مظهر كاتب وأديب متمكن . أمتعنا فى كتابه ذلك بجمال الأسلوب وطلاوة العبارة ، كما عرض محتويات الـكتاب بصورة مشوقة تشد فكر القارىء إلى تصفح الـكتاب للوقوف على حقيقة العقائد والملل التى وجـدت فى فترات مختلفة من الزمن .

ولقد أجاد الأستاذ المؤلف الـكلام ـ بوجه خاص ـ فى عقيدة الإسلام ، فأبرز أهدافها وحقيقتها ، وبين فى تسلسل جميل نشأة ملة الإسلام وعقيدة التوحيد منذ دعوة إبراهيم الخليل إلى خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . .

فشكراً للأستاذ سليمان مظهر على مابذل من مجهود مضن فى سبيل إخراج هذا السفر الـكبير القيم . وتحية له من الأعماق .

* * *

كتاب « الإسلام والمستشرقون »

للأستاذ محمد الدسوقى

على الرغم من صغر حجم هذا الـكتاب إلا أنه يعتبر ذا قيمة كبيرة . إذ يتضمن بحثاً قيماً لموضوع يتصل بكيان الإسلام ووجوده ، كما أنه يعرض صوراً لأمجاد العرب الأوائل الذين وضعوا اللبنات الأولى لعلوم كثيرة مختلفة كانت مناراً لعلماء ومفكرى عصر النهضة فى أوروبا .

والـكتاب صادر ضمن سلسلة « كتب إسلامية » التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ويقع فى ٦٣ صفحة ، وقد قدم له الأستاذ المؤلف بكلمة أبان فيها موقف

المستشرقين العدائى تجاه دين الإسلام ، ثم موقف غيرهم من الذين هاجموا الإسلام محاولين إطفاء نوره ، وأولهم مشركو العرب فى مكة الذين تعصبوا للشرك مناهضة لدعوة التوحيد فى فجرها ، ثم عداوة اليهود فى المدينة وتأليبهم العرب ضد المسلمين . ثم فِرَق الزنادقة والملاحدة التى ظهرت فى البلدان الاسلامية متأثرة باتجاهات المستشرقين .

ثم تكلم بعد ذلك عن مجيء الاسلام للناس بالهداية والنور بعد أن كان يسود حياتهم الجور والظلام . وعن عمومية رسالة الاسلام وملاءمتها لكل عصر ولغة على عكس الرسالات السابقة لها .

ثم تطرق إلى الحديث عن معجزات الأنبياء وكونها انتهت بإنتهاء حياتهم ، ماعدا معجزة محمد « صلى الله عليه وسلم » المتمثلة فى القرآن فقد حفظها الله على مر الأجيال . كما بين أن الاسلام جاء يخاطب الفطر الانسانية ويحترم العقل . ويؤكد المساواة والعدل والسعادة للناس جميعاً فى الدارين .

ثم تحدث عن أثر الاسلام فى العصور الوسطى . فبين كيف كانت أوروبا تغط فى سبات الجهالة والطبقية . وترزح تحت سيطرة الكنيسة ورجالها . وما نتج عن هذا من التخلف فى الوقت الذى نشر فيه الاسلام النور والحضارة فى الأندلس وغيرها من البلاد بالبحوث التى توصلوا إليها فى علوم الطب والكيمياء والطبيعة حتى إن كتب علماء العرب كانت تدرس فى جامعات أوربا حتى القرن السادس عشر الميلادى .

ثم عرج على الحروب الصليبية فبين أنها كانت من أطوار بداية تاريخ الاستشراق الذى كان يهدف أولا إلى تشويه مبادىء الاسلام . ثم يهدف ثانياً إلى تحقيق نواح علمية وتجارية .

وفى النهاية امتدح التصوف . وعرفه بأنه فهم دقيق لرسالة الانسان ، كما أشاد بموقف بعض المستشرقين من شريعة الاسلام ووصفه بالانصاف والعدل .

هذه إشارة موجزة لمحتويات هذا البحث ، ويجدر بنا أن نسجل هنا ما للمؤلف وما عليه عملا بقواعد النقد النزيه .

فالكتاب يظهر بحق ماجاء به التشريع الاسلامى من العدل والسعادة للناس عامة . ويحسر الغطاء عن موقف أعداء الاسلام من المستشرقين وغيرهم . كما بين ما كان للعرب من أمجاد شامخة ذات فضل لا يزال أثره باقياً على مر الزمن .

وإن من حق أسلافنا علينا أن نذكر هنا بعض أمجادهم على سبيل المثال .

فمن أشهر أعلام العرب فى العلوم والطب ابن النفيس الذى اكتشف الدورة الدموية ، وأبو القاسم الزهراوى الذى ألف كتابا وصف فيه كثيراً من الآلات الجراحية المبتكرة اليوم ، وابن زُهْر الذى وصف عملية استخراج حصى الكلية وترجمت كتبه إلى العبرية واللاتينية ، وابن سينا الذى ألف كتباً فى العلوم بلغت مائة كتاب وسبعة ، أشهرها «القانون» فى الطب وقد طبع ستة عشر مرة باللاتينية فى القرن الخامس عشر الميلادى ، والحسن ابن الهيثم الذى صحح نظرية رؤية العين للأشياء . بأن أثبت علمياً أن الضوء يقع على المرئيات فينعكس منها على العين ، ثم ينتقل إلى المخ الذى يقوم بعد ذلك بتمييز الأشياء .

وكان العلماء قبله يرون أن العين هى التى ترسل الضوء على المرئيات وتبصرها ، كما بحث انكسار الضوء وفسر ظاهرة السراب .

هذه هى بعض أمجاد العرب وشأنهم التليد حيث ظهرت فى وقت كانت فيه أوروبا غارقةفى حياةمظلمة مغلقة .

أما الذى نأخذه على المؤلف فهما أمران : مدحه للتصوف . . ويبدو أن المؤلف أقل حظاً فى دراسة التصوف ومبادئه من المستشرقين الذين قال عنهم المؤلف أنهم ذهبوامذاهب شتى فى بحث التصوف . إذ قالوا عنه : أنه دخيل على الاسلام ، لأنه إما مأخوذ من رهبانية الشام ، وإما من أفلاطونية اليونان ، وإما من التعاليم الهندوكية .

والذى يتعمق فى دراسة التصوف ونشأته يجد أن رأى المستشرقين فيه هو عين الحق حين قالوا إنه دخيل على الاسلام .

أما الأمر الثانى فهو حسن الظن الذى أسبغه على المستشرقين ، والذى ينبغى أن نلفت النظر إليه أنه إذا وجد من بين المستشرقين من آمن بالإسلام فليس هذا الإيمان سوى قناع خداع يلبسه ليخفى وراءه نواياه السيئة تجاه الإسلام وأهله .

* * *

كتاب « الطبرى »

للدكتور أحمد محمد الحوفى

إذا كانت المكتبة الإسلامية تزخر — ضمن ماتحويه — بنفائس الكتب والمؤلفات التى تناولت تفاسير القرآن الكريم ، وشرح كتب السنة ، وفقه الأحكام والشرائع ، وسير الأمم والشعوب . و إذا كانت هذه المؤلفات تقدم أجل الخدمات لجمهور المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بما تحويه من مثل عليا ومعارف طيبة . . إذا كان الأمر كذلك فمن حق الناس أن يقفوا على تواريخ العلماء الذين قدموا لنا فى هذه المؤلفات عصارة أفكارهم وجليل كفاحهم ، ليعرفوا شيئاً عن عصور هؤلاء العلماء وثقافاتهم وصفاتهم ومناهجهم .

والطبرى — وهو موضوع الدراسة التى تناولها الدكتور الحوفى فى كتابه — وهو واحد من أولئك الجهابذة الذين ازدانت المكتبة الإسلامية بعديد من ذخائرهم التى تعتبر المراجع الأصلية لجمهور الدارسين وطلاب العلم والمعرفة فى العالم الإسلامى لمعرفة أحكام الشريعة وسير الأمم ، والسلف الصالح . فهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المولود بآمل عاصمة الطبرستان فى آخر عام (٢٢٤ هـ — ٨٣٩ م) والمتوفى فى بغداد عام ٣١٠ هـ .

والكتاب صادر ضمن سلسلة « أعلام العرب » التى درجت وزارة الثقافة والإرشاد على إصدارها فى تراجم رواد الفكر الإسلامى ، وفى المقدمة لهذا الكتاب « الطبرى » كتب المؤلف يؤكد وجوب بعث ماضى المسلمين المشرق ، والتأسى بما كان لهم فى ميادين الحضارة والبطولة ، من آثار سباقة ، وأعمال مجيدة على الرغم من تكرار الكتابة فى هذا

الموضوع ، وإلا لكانت أمجاد المسلمين قائمة على أساس واهن لا يلبث أن ينهار .. ولهذا ساهم المؤلف فى هذه السلسلة بالكتابة عن حياة الطبرى لبيان ماغرس فى حقل المعرفة من شجرات مثمرات .

ثم تحدث المؤلف عن حياة الطبرى فى عشرة فصول ، ففى الفصل الأول تناول الكلام عن العصر الذى عاش فيه الطبرى ووصفه بأنه « أعظم الفترات ثراء بالعلم والعلماء » حيث وجدت المذاهب الأربعة ، ووضعت الكتب الصحاح ، وانطلقت روايات التفسير بالمأثور هنا وهناك ، كما أن العلوم اللغوية بدأت فى النضج والاستقرار وكثرت كتب السير والمغازى ، وبدأ تنشيط العلم وتشجيع رجاله ، وغير ذلك مما اهتم به العباسيون فى ميادين الفكر والأدب والفنون مما أهّلَ عصرهم بأن يطلق عليه « العصر الذهبى » .

ثم تحدث عن الحياة العلمية والفكرية التى كانت تعيش فى أقاليم فارس والعراق والشام ومصر ، وعن علماء هذه الأقاليم الذين استقى الطبرى من علومهم ، ونهل من منابعهم .

وفى الفصل الثانى ذكر موطنه وتاريخ مولده ووفاته . وفى الفصل الثالث تناول الكلام عن ثقافة الطبرى ومصادرها فبين رحلاته إلى مدن طبرستان وفارس وبغداد وواسط والكوفة وتردده بين هذه المدن ليسمع من علمائها ويتزود بالعلوم والمعارف حتى ظهر فضله وعلمه بالقرآن والحديث والفقه والنحو والشعر . وفى الفصل الرابع استمر فى إظهار الصفات الخلقية والعقلية للطبرى ، فذكر أنه كان ورعاً شجاعًا شغوفاً بالمعرفة والاطلاع والبحث . وفى الفصل السادس عرف بمؤلفاته التى ذكر أنها بلغت ٢٥ كتابًا خلاف المفقود منها .

ثم ابتدأ فى الكلام عن كتبه الثلاثة « جامع البيان فى تفسير القرآن » و « تاريخ الأمم والملوك » و « اختلاف الفقهاء » ففى الفصل السابع تحدث عن كتابه « تفسير القرآن » وذكر أنه اعتمد فى التفسير على المأثور عن النبى « صلى الله عليه وسلم » وعن

آراء الصحابة والتابعين . وفى الفصل الثامن تكلم عن كتابه « تاريخ الأمم والملوك » الذى دون فيه « التاريخ » منذ بدء الخليقة إلى عهد الدولة العباسية وفرغ من تأليفه عام ٣٠٣ هـ . وفى هذا الفصل أيضا يأخذ المؤلف على الطبرى حرصه على تدوين الروايات متأثراً بعاطفة خاصة تزين له وجهة ما دون أن يقرنها بتعديل الرواة أو تجريحهم كما يصنع علماء الحديث . وفى الفصل التاسع عن كتابه « اختلاف الفقهاء » الذى تناول فيه الكلام فى عدة أحكام فقهية مختلفة مع إيراد آراء غيره من الفقهاء .

وأخيراً ختم الكتاب بالفصل العاشر حيث أورد فيه ألواناً من آراء الطبرى المتصلة بالفقه والعقيدة ونماذج من تفسيره لبعض الآيات المتعلقة بالأعمال والإيمان والكفر ، لينفى عنه تهمة الجبرية التى ألصقها به خصومه .

وبعد ، فهذا هو الطبرى كما درسه الدكتور الحوفى ، ويلاحظ أنه لم ينس أن يسجل فيه على الطبرى بعض الأخطاء كما بين محاسنه ومكانته العلمية .

أما نحن فمع احترامنا لهذا العالم الجليل واعترافنا بمكانته العلمية فإننا نسجل عليه أيضاً مأخذاً حول ماذكره الدكتور فى الكتاب ص ٢٥٦ من رأى الطبرى الذى أجاز فيه تولى المرأة منصب القضاء مطلقاً خلافاً لما يراه بعض الفقهاء من أن المرأة يجوز لها أن تقضى فى كل شىء فى ماعدا الحدود والقصاص ، أى يصح لها القضاء فى المال قياساً على شهادتها فيه ، والصواب — الذى نراه — هو ماذهب إليه الفقهاء ، من أن المرأة لم تخلق إلا لتربية النشء ورعاية شئون البيت ، لا لتزج بنفسها فيما يشق عليها ويتعارض مع أنوثتها .

أما الدكتور المؤلف فله حقه من الشكر والتقدير على ماقام به فى هذا الكتاب من دراسة تجلت فيها روعة البيان وغزارة العلم ، والجهد الكبير .

سعد صادق محمد

من استعان بغير الله فى طلب ... فإن ناصره عجز وخذلان

(توحيد الله عز وجل)

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (الجليل والجميل)، ولم يرد ذكرهما فى القرآن بهذه الصيغة بل ورد (ذو الجلال) وصفاً للوجه مرة كما فى قوله تعالى من سورة الرحمن (كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) ووصفا للذات مرة كما فى قوله تعالى فى آخر هذه السورة نفسها (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام).

وأما اسمه (الجميل) فقد ورد به الحديث الصحيح وهو قوله عليه السلام «إن الله جميل يحب الجمال» وكثيراً ما يقرن بين هذين الاسمين الكريمين، لأنهما متضمنان لسائر نعوت الجلال والجمال.

وإنما يكون تمام التعبد لله عز وجل بهما جميعا. فالتعبد (بالجليل) يقتضى تعظيمه وخوفه وهيبته وإجلاله، والتعبد باسمه (الجميل) يقتضى محبته والتأله له، وإن يبذل العبد له خالص المحبة وصفو المودة بحيث يسبح قلبه فى رياض معرفته وميادين جماله.

فالجليل هو الذى له أوصاف الجلال كلها من العظمة والكبرياء والغنى والملك والتقدس والعلم والقدرة ونحوها، فهو يرجع إلى كمال الصفات كما أن اسمه (الكبير) يرجع إلى كمال الذات. وهو سبحانه الجليل على الإطلاق، لا يستحق هذا الوصف غيره. لأنه هو وحده الجامع لكل أوصاف الجلال، وهو بالغ فى كل صفة منها غاية الكمال. قال العلامة (ابن قيم الجوزية) فى قصيدته النونية.

وهو الجليل فكل أوصاف الجلا ل له محققة بلا بطلان

وأما الجميل فهو اسم له سبحانه من الجمال وهو الحسن الكثير فهو الجميل بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

أما جمال الذات فلا يمكن لمخلوق أن يعبر عن بعض جمال ذاته ، حتى إن أهل الجنة مع ماهم فيه من النعيم المقيم واللذائذ العظيمة والسرور والبهجة التى لا يقادر قدرها ، إذا رأوا ربهم ، وتمتعوا بجماله نسوا ماهم فيه من ذلك النعيم وتلاشى فى أعينهم ، حتى لا يكادون يحسون به ، وودوا أن لوتدوم هذه الحال واكتسبوا من جماله ونوره سبحانه جمالا إلى جمالهم ، وكانت قلوبهم فى شوق دائم وحنين إلى رؤية ربهم ، ويفرحون بيوم المزيد فرحا تطير له قلوبهم .

وأما جمال الأسماء فإن أسماءه سبحانه كلها حسنى ، بل هى أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها .

قال تعالى (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وقال (هل تعلم له سميا) أى مساميا يساميه ، ونظيراً يستحق مثل اسمه ، فأسماؤه كلها دالة على غاية الحمد والمجد والكمال ليس فيها ما ينقسم إلى كمال وغيره .

وأما جمال الصفات فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد ، فهى أوسع الصفات وأعمها وأكثرها تعلقا ، خصوصا أوصاف الرحمة والبر والكرم والجود .

وأما جمال الأفعال فإن أفعاله سبحانه فى غاية الجمال إذ هى دائرة بين أفعال البر والإحسان التى يحمد عليها ويثنى عليه بها ويشكر . وبين أفعال العدل التى يحمد كذلك لموافقتها للحكمة . فليس فى افعاله عبث ولا سفه ولا جور ولا ظلم ، بل كلها خير وهدى ورحمة ورشد وعدل ، قال تعالى (إن ربى على صراط مستقيم) .

وإن جميع أنواع الجمال المبثوثة فى صور الموجودات وأصناف المخلوقات ، هى من آثار جماله سبحانه فهو الذى أعطاها هذا الجمال وكساها ثياب الحسن . فهو أولى منها به لأن معطى الشىء لا يصح أن يكون فاقداً له ، فمعطى الجمال أحق بالجمال . قال الشيخ ابن ناصر السعدى رحمه الله :

« فكل ما وجد فى المخلوقات من كمال لا يستلزم نقصاً فإن معطيه وهو الله أحق به من المُعطَى بما لا نسبة بينه وبينهم ، كما لا نسبة لذواتهم إلى ذاته وصفاتهم إلى صفاته » .

فالذى أعطاهم السمع والبصر والحياة والعلم والقدرة والجمال ، أحق منهم بذلك وكيف يعبر أحد عن جمال الله تعالى وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أعلم الخلق بالله : « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » وقال « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » .

فسبحان الله وتقدس عما يقول الظالمون النافون لكماله علوا كبيراً ؟

محمد خليل هراس
المدرس بكلية أصول الدين

حكمة

من حكم الزمخشرى ، قوله :

« أطلب وجه الله فى كل ما أنت صانع ، وإلا فعملك ضائع . . . » .

الدين الإسلامي لايعوق المدنية

شيدَ المجد فهو نعم البناء إنه الخلد والمنى والرجاء

واعشق المكرمات فهى سلاح زانه الطهر والتقى والمضاء

وخذ الفضل عن ثقات كرام فهمو قدوة الهدى الأمناء

فإذا ضل فى المسير دليل فعلى القوم رحمة وعفاء

* * *

ديننا الحق نوره مستبين شرعة الحق مالها إخفاء

ظله وارف ورحب النواحى تتسامى بروحه النبلاء

لم يحظِّر عليك شيئا مفيداً سنة الله حكمة وعلاء

* * *

طف خلال الديار شرقاً وغرباً فلقد طاف قبلك العظماء

واصنع المركب الهوائى واصعد دونك الأرض ذللت والسماء

واركب الفلك تمخر اليم نهباً بسلام وحيث أنت تشاء

واملك الجو كله وتربع فوق عرش من دونه الجوزاء

وابتدع ما استطعت مركباً وسفيناً عَلَّ أفق الرجاء منك يضاء

ترفع الدين منزلا ومقاماً يتباهى بمجدك الأبناء

* * *

أيها المسلم الأبى تنبه لحياة تحوطها الأرزاء

آية اللهو زخرف وشراب وفسوق توده الأدنياء

لو تمسكت بالشريعة ماشئـ ـتَ أذى أو تطايرت أشلاء

فلقد صارت الحياة جهادا ... كر فيه الكماة والجبناء
وهى حرب بها الجميع جيوش . وهى فى عرفهم جميعاً هناء

* * *

خطة الغرب لا توافق شرعاً ... ومن الجهل طاعة عمياء
فأنأ عن نصحهم ولاتع شيئا ... إنما نصحهم إليك رياء
تخذوا زخرف الثياب كمالا ... ومن الحق ملبس ورداء
ومن الناس من يجاهد نفساً ... شغلتها الحسان والأهواء
ومن الناس من أطاع هواه ... فتولى وراحتاه هواء
قلدوا فاسقاً فباءوا بسخط ... ودنىء الخصال داء عياء
فتراهم إذا النوادى استقامت ... غشيتهم فى المشية الخيلاء
وإذاهم تبادلوا بحديث ... فماد الحديث منهم هراء
شغلونا عن العناية فيما ... منه للدين والصلاح ارتقاء

* * *

ها هو الحق واضح ولدينا ... ديننا فيه للنفوس شفاء
فاسلكوا نهجه القويم تفوزوا ... فهو بحر يفيض منه العطاء
وعسى الله أن ينير سرانا ... نحن لله كلنا فقراء

« الجيزه » نجاتى عبد الرحمن

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعاً ، وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فُرِجت وكنت أظنها لا تُفرَج

جولة فى مولد السيدة زينب

إن أنكى ما أصابت بها الدولة الفاطمية اليهودية الاسلام والمسلمين ، هى هذه الموالد التى ابتدعتها لإحياء ذكرى آل البيت ، ولم تكن فى نيتها وطويتها أن تعمل لإحياء ذكراهم ، ولكنها كانت تعمل لصرف المسلمين عن كتاب ربهم وسنة نبيهم وهدى خلفائهم وأئمتهم . وتلك صفة وجبلة تلازم اليهود ، وهى العداوة المستحكمة فى عقولهم وقلوبهم ونفوسهم ، وتسيطر عليهم فى كل تصرفاتهم ضد المؤمنين بالله ورسله . فقد أفسدوا أولا دينهم و بدلوا كتابهم ، ثم أضلوا النصارى عن حقيقة دينهم وكتاب ربهم ، ولبسوا عليهم دينهم حتى قالوا بألوهية المسيح ، و بالتثليث ، و باللاهوت الذى حل فى الناسوت ، وغيرها من العقائد الضالة .

وأخيرا بدأوا يحيكون خيوط الدسائس حول الإسلام ، فلم يجدوا منفذا إلى تغيير حرف واحد من القرآن ، لأن الله الذى أنزله تكفل بحفظه ، فقد أمر الله المسلمين بحفظه فى صدورهم ـ بخلاف شأن الكتب السابقة ـ فتواتر حفظه بين المسلمين من لدن نزوله إلى اليوم ، ولم يكن المسلمون يعولون على المصاحف المخطوطة أو المطبوعة ، بل كان عمدتهم دائما الحفظ . فلما لم يجد اليهود ثغرة ينفذون منها إلى القرآن كما فعلوا بالتوراة والإنجيل ، راحوا يفسرونه للمسلمين و يؤولونه على غير مافهمه السلف منه ، وخصوصا مايتعلق منه بالعقائد فى التوحيد والأسماء والصفات ، فامتلأت كتب التفسير بالاسرائيليات التى لم يفطن إليها الاذووا الفطنة والبصيرة النافذة من المفسرين ثم اتجه اليهود إلى ميدان الأحاديث النبوية فدسوا عليها كثيراً من الأحاديث المكذوبة الموضوعة ، وفى هذا الميدان أيضا قيض الله لدينه من يتصدى لهؤلاء ، فيضع للأحاديث المصطلحات والقواعد التى يميز بها بين الطيب والخبيث والصحيح والسقيم . ثم صنفوا فى الأحاديث كتب الصحاح والسنن ونفوا عنها الأحاديث الموضوعة التى وضعتها الزنادقة ومسلمة اليهود والمجوس . ورغم

جهود العلماء والأئمة استطاع هؤلاء أن يُلقوا فى روع العامة وأشباههم من مدعى العلم ومحترفى المشياخة كثيراً من ضلالاتهم وأحقادهم اللئيمة فى صورة حب آل البيت - رضوان الله عليهم - وإمامة الأضرحـــة والقباب واحياء الموالد لهم ، حتى صرفوهم عن اخلاص الحب والدعاء والخوف والرجاء والسؤال والاستعانة والعبادة لرب العالمين إلى هؤلاء الموتى .

كان يجول بخاطرى كل هذا وقد يممت صوب ميدان السيدة زينب ، لأسجل بعض المشاهدات والمفارقات فى الاحتفالات الضخمة التى تقام لذكرى مولدها . فماذا رأيت فى ميدان السيدة وفى جميع الشوارع والأزقة المجاورة حول مسجدها فى دائرة لايقل قطرها عن كيلو متر واحد ؟؟ رأيت أمواجا متلاطمة من الحشو بين على الإسلام لايقل عددهم عن المليون نسمة ، وفدوا إلى هذا الحى من جميع انحاء القطر ، رأيتهم وقد افترشوا الأرصفة واحتلوها بأمتعتهم ونسائهم وأبنائهم ، رأيتهم خليطا عجيبا من الناس . ورأيت رجال الطرق الصوفية ، وقد وفدوا من كل صوب وحدب ، وتجمعوا فى هذا المكان ، واشتد بينهم التنافس على لفت كل طائفة منهم أنظار الناس إليه . وقد نصبوا الرايات ، ورفعوا الأعلام ونشروا اللافتات ولبسوا المرقعات ، ولونوا العمامات بكل زاه من اللون ، أما ثبج الميدان والشوارع فقد احتلتها فرق الحواة والألعاب البهلوانية والشطار والباعة ، واندس بين هؤلاء جميعا اللصوص والنشالون ، وتجار المحظورات والمحرمات ، والنساء الخليعات ، وذوو الأغراض السيئات .

وقفت أرقب كل ذلك وقد ذهبت بى الظنون كل مذهب ، أهذا هو الإسلام الذى جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

أهذا هو الدين الذى لاقى مالاقى فيه من العنت والرهق والعذاب فى الدعوة إليه ؟ . أهذا هو الإسلام الذى أريق فى سبيله أطهر الدماء وأزكاها وأغلاها من أصحاب رسول الله أنوار الهدى ومصابيح الفرقان ؟ لا يمكن أن تكون هذه الشعبذة وهذه الخرافات وهذا

اللهو وهذا اللعب ، وهذا الضلال وهذا البهتان هو ذلك الإسلام ، لا يمكن أن يكون ذلك ، بل إنها كما أشرت إليها فى أول هذه الكلمة مما دستها اليهودية والمجوسية باسم الدولة الفاطمية فى عقائد الناس ، وسودت بها كتبهم التى لايزالون يتدارسونها فى أزهرهم الذى أنشأته تلك الدولة .

وأضل هؤلاء جميعًا فى نظرى — ونظر الحقيقة أيضًا — هم أولئك الذين يزينون للناس سوء عملهم ليروه حسنًا ، أولئك هم رجال الصوفية الذين يلقون فى روع الناس أن صاحب المولد يشفع لهم فى غفران كل مايقترفونه فى ساحته احتفالاً بمولده ، أولئك الذين يقيمون حلقات الرقص الخليع بين خليط من الرجال والنساء باسم الذكر وباسم الإسلام ، والإسلام من إفكهم وزورهم برىء .

وطفقت أخوض بين هـذا الخضم من الكتل البشرية حتى ساقتنى قدماى على غير إرادة منى إلى (درب شمس) وهنالك ألفيت طائفة من هؤلاء الصوفية يجلسون فى فوضى وإباحية كاملة ، وتجلس معهم خمس نسوة ، ثلاثة متعممات بلفائف خضراء او بيضاء ، والاثنتان الأخريان التفتا حول (شيخ) شاب أمرد جميل ، وهما مثله فى ميعة الصبا ونضارة الشباب ، تغازلانه ويغازلها فى صفاقة ووقاحة ، لا يبالى بالأنظار المصوبة إليه من المارة ، أما المريدون والدراويش والأتباع فإنه آمن من نظراتهم ، لأنهم يرون أن ما يفعله شيخهم هو عين الطاعة والعبادة . ثم لفت نظرى بالقرب من مجلس هؤلاء جماعة من الفلاحين يصلون المغرب ، وتمدد آخر بجوارهم وهو يهذى بكلام سخيف مستهزأ بأولئك المصلين ، ويسبهم بأقذع السباب ، بل ويسب الصلاة ومن شرع الصلاة ـ عياذاً بالله ـ ثم يردف ذلك بقوله « سيبك ياعم اللى يبجى خمارتى يكسب السعادة » فلما رآنى أحدهم وأنا أنظر إلى ذلك الدرويش دهشًا قال لى : « ابعد عنه أصله واصل ، ودخل فى حضرة يحبونه » فسألته وماحضرة يحبونه ؟ أجاب . المحبة أولها يحبهم وآخرها يحبونه ، ولعله يشير بذلك إلى قوله تعالى :(ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم

ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) وأين هذا من ذلك المعتوه المخبول أو شيخه الاباحى الفاسق .

وفجأة ارتفع صوت منكر ينشد كلاما سمجا كله زندقه ومروق ، ومن العجيب أن هؤلاء الدراويش بدأوا يظهرون طربا وسرورا بهذا النشيد السخيف ، وأنقله إلى القارىء الكريم بدون تعليق ليحكم بنفسه إلى أى درك هوى هؤلاء الفجرة . قال : « أمانة ياراهب الدير مافاتتش عليك هيَّه ، لها وجه مثل القمر والإسم شلبيه ، تسرى ليلاتى تمر على السهرجية ، فاتحه لها دير بتسكر فيه الخرجيه ، فاتحه لها دار تتاوى فيه الحرامية ، بكر ويدخل عليها فى الليله ميه ، وعايشه بلاجوز ولها ملايين ذريه ، فاتحه لها كشك تبيع فيه عيش وطعميه ، مرت عَلَيَّه قبل الفجر بشويه ، جيت أصلى وراها وأعقد النيه ، صحت صلاتى وصارت قبلتى هيه » .

نسأل الله العفو والعافية ، فى الدين والدنيا والآخرة ، من هذا الكفر والضلال والانحراف والإلحاد ؟

عرفه محمد محمد شمس
كلية الشريعة ـ جامعة الأزهر

عيـــد سعيد

تتقدم جماعة أنصار السنة المحمدية ومجلة (الهدى النبوى) بأصدق التهانى بعيد الفطر المبارك إلى المسلمين جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأن يجعله الله عيداً سعيداً ميموناً مباركا على أمة الإسلام أجمعين .

الصوفية وضلالها

صوفية فى ضلال الشرك داعيها ... ومحنة من حضيض الإثم ناميها
هذى الطواغيت فى الأرجاء ترفعها ... قبابها لبقاء الكفر تبنيها
ودعوة الحق والتوحيد تنبذها ... ودعوة الجهل والتضليل تبغيها
وصفحة الكفر والإلحاد تنشرها ... وصفحة الحق والإيمان تطويها
سلاحها الغدر، والتكذيب حجتها ... وقولها الإفك ، والدجال ساعيها
قرآنها اللغو ، والأوهام سنتها ... ودينها اللهو ، والآثام تأتيها
عبادة (اللات) و (العزى) عبادتها ... وشرعة الله والاسلام تقصيها
وذكرها الرقص ، والأسواق ساحتها ... وموطن الفسق والفحشاء ناديها
ونفسها عن ضياء الحق نافرة ... وعيشها فى ظلام البغى يرضيها
ذل التسول والتدجيل حرفتها ... أموالها السحت ، والشيطان هاديها
ترى الموالد بالأوشاب قائمة ... وبالدفوف ورقص الإثم تحييها
وصوتهم فى ظلام الليل منطلق ... مثل الذئاب إذا ما ضل عاويها

يا أمة الحق ! والرحمن غايتها ... وسنة الصادق الداعى تناديها !
(إياك نعبد) فى القرآن أولها ... و (نستعين) برب العرش ثانيها
وكيف للنفس غير الله تسأله ؟ ! ... وهو المهيمن – جل الله باريها
مفاتح الغيب والأرزاق صاحبها ... ويخلق الخلق . يحييها ويفنيها
يدبر الأمر ، والأقدار قدرها . ... ومرسل الرحمة العظمى ومسديها
وليس للعبد غير الله يقصده ، ... ومن سوى الله للحاجات يقضيها ؟ !
يفرج الكرب ، والارزاء يدفعها ... وينصر الأمة العزلاء يحميها
ولن نذل لغير الله نرهبه ، ... فذلة النفس للرحمن تعليها
وشرعة الحق والرحمن بينها ... وسنة المصطفى الهادى تجليها

تدعو العباد لنبذ الشرك تلفظه   وتصرع الكفر ، والأنصاب ترميها
وقد تسامت بشرع الله أمتنا   فساد فى الأرض خير من تساميها
وكيف ينتصر من للقبر مستلم ؟ !   يمزق الشمل ، والاحقاد يخفيها

لقد أصاب سهام الكفر أمتنا   وشوه الملحد الإسلام تشويها
وقد سمعنا دعاة الكفر صائحة   حتى أضر بنا عما تناديها
تحارب الحق والاسلام جاهدة   وتسلك الخطة الدنيا تحليها
وتحسب الدين هذا الشر منحدرا   من التصوف ، دين الله ينفيها
لقد تلاقى مع الالحاد مشركها   ولن ينال سوى خزى تلاقيها
كم ملحد لمقال الحقد سطره   على الصحائف سما فى معانيها
يناوئ الدعوة الكبرى ليخذ لها   وقد أطاع حقودا من أعاديها
ومذ تعامى عن الاسلام أفئدة   حتى أطاح بها شراً تعاميها

يارب طال ظلام الليل معتكرا   لينكأ الجرح والأوصاب يدميها
يارب طال مسير الظاعنين به   على الظلام وسير الليل يضنيها
يارب إنا لصبح الحق نرقبه   فرد للأمة العلياء ماضيها
يارب واجمع شتات المسلمين هدى   على الصراط ونور منك يهديها

عمرو محمد حسن النشرى
امام وخطيب — المسجد المجيدى بعلوى

(الهدى النبوى) جاءتنا هذه القصيدة العامرة الأبيات
من فضيلة الأستاذ صاحب التوقيع فى قرابة خمسين بيتا إخترنا
منها هذه الأبيات لضيق المقام .

العدد ١١ — ذى القعدة
المجلد ٢٧ — سنة ١٣٨٢

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٧٩٠١٧

٣٠ مليما

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

مجلة شهرية دينية

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل
أصحاب الامتياز : ورثة
الشيخ محمد حامد الفقى

مدير الإدارة
محمد رشدى خليل
الاشتراك السنوى
٣٠ ـ في الجمهورية العربية المتحدة والسودان
٤٠ ـ في الخارج

المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١١ ذو القعدة سنة ١٣٨٢ المجلد ٢٧

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ جل ذكره ـ : (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ[1] ، وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ[2] ، وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً[3] الكهف : ٣٢) .

---

(١) مفرده عنبة ، فإن أردت جمعه فى أدنى العدد قلت : عنبات ، وفى الكثير : عنب وأعناب .

(٢) يستعمل فى الواحد والجمع . وجمع النخل : نخيل وقيل : النخل والنخيل والنخلات، جمع لنخلة وأهل الحجاز يؤنثون النخل ، وأهل نجد يذكرون .

(٣) الزرع فى الأصل مصدر ومعناه الإنبات ، وقد عبر بالزرع عن النبات نفسه . ويقول الراغب إن حقيقة الإنبات تكون بالأمور الإلهية دون البشرية قال سبحانه : « أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » ، فنسب الحرث إليهم ، ونفى عنهم الزرع .

الفهرس

« معانى المفردات »

« اضرب لهم مثلا » عن لسان العرب : الضَّرْبُ : المِثْل والشبيه . وقوله عز وجل : (يضرب الله الحق والباطل) أى : يمثل الله الحق والباطل : ومعنى قوله عز وجل : (واضرِبْ لهم مثلا) أى : اذكر لهم ، ومثل لهم . أما الراغب ، فيقول فى مفرداته : ضرب المثل هو من ضَرْب الدراهم ، وهو ذكر شىء أثره يظهر فى غيره .

مثلا : عن لسان العرب : الشىء الذى يضرب لشىء مثلا ، فيجعل مثله . . ومثل الشىء أيضا صفته . . . وقد يكون المثل بمعنى العبرة . . و بمعنى الآية .

وقال المبرد : المثل مأخوذ من المثال وهو : قول سائر يُشَبَّه به حال الثانى بالأول والأصل فيه التشبيه . وقال ابن السِّكِّيت : المثل : لفظ يخالف لفظ المضروب له ، و يوافق معناه معنى ذلك اللفظ ، شبهوه بالمثال الذى يعمل عليه غيره . وقال آخر : سميت الحِكَمَ القائم صدقها فى العقول : أمثالا ؛ لانتصاب صُوَرِها فى العقول مشتقة من المُثول الذى هو الانتصاب . وقال الميدانى فى مجمع الأمثال : مثل الشىء ومثله وشَبَهه وشِبْهه ما يماثله و يشابهه قدرا وصفة ، فالمَثَل ما يمثَّل به الشىء أى يُشَبَّه .

حَفَفْنا : يحف الشىء بالشىء أى يُطيف بحفافيه أى جانبيه .

« المعانى »

رأيت ـ قبل تفسير هذا المثل العظيم من سورة الكهف ـ أن أكتب كلمة عن الأمثال فى القرآن ، وما هى بالكلمة التى تستوعب الحديث كله عنها ، ولكنها كإشارة أضعها على الطريق ، وأسأل الله أن يكون طريق هداية ورشاد .

القرآن والأمثال : المثل أثر كبير فى توضيح المعانى ، فهو أشبه ما يكون بالصورة المرئية المتجسدة للمعنى المجرد ، و به يشترك الحس مع العقل فى فهم المعنى وتدبره ، وإذا اجتمع على الإيمان بالحقيقة حسُّ الإنسان وعقلُه اكتسب المرء يقين الإيمان الذى لا تمسه

شبهة ، ولا ينال منه تلبيس ؛ ولهذا ضرب الله الأمثالَ للناس فى القرآن ؛ ليعينهم بهذه الأمثال على تدبر المعانى تدبرا يشترك فى الإيمان بنتائجه العقل والحس . تدبرا يؤدى إلى اليقين الثابت ورسوخ دلائله فى النفس . فالله جل شأنه يقول : (وتلكَ الأمثالُ نَضْرِبُها للناس لعلهم يَتَفَكَّرُون ٢١ : ٥٩) ويقول : (ويضربُ اللهُ الأمثالَ للناسِ ؛ لعلّهم يتذكرون ١٤ : ٢٥) إنها تحمله على التفكير ، حتى يصلَ إلى نتائج يقينية ، ثم هى تدفعه دائما إلى أن يتذكر هذه النتائج ، ويجعل له منها هاديا ومرشدا كلما مرت به أحداث تهدى إلى الصواب فيها تلك الأمثال التى تفكر فيها من قبل ؛ فهى - إذن - تفكير وتذكير ، أو هى حقائق وعظات .

وضوح الأمثال : والله لا يضربُ أمثالا غامضة مبهمة تحتاج إلى إجهاد الفكر المضنى ، فليس هذا مما يناسب عدله ورحمته ، وإعجاز كلامه فى سمو البيان وإشراقه وبلاغته وفصاحته ، إنما يضرب الله الأمثال ؛ ليتفكر خلقه ؛ ويعتبروا ، فهل يظن مسلم أن الله يجعل المثل غير بين ؟! وتدبر قول الله - سبحانه - :(ولقد ضَرَبْنَا للناسِ فى هذا القرآنِ من كلِّ مَثَلٍ لعلهم يتذكرون* قُرْآنًا عَرَبِيًّا غيرَ ذِى عِوَجٍ لعلهم يتقون ٣٩ : ٢٧ ، ٢٨) ومن يتدبر هذه الكلمات « قرآنا عربيا غير ذى عوج » يتجلى له جيدا أن أمثال القرآن لا يمكن أن تكون إلا واضحة بينة جلية . ومن يتدبر أيضا ختام الآية تتجلى له حكمة أخرى من ضرب الأمثال تلك هى الوصول بالناس إلى تقوى الله سبحانه . فهى - إذن - تعين على الوصول إلى الحقيقة ، وإلى الاعتبار وإلى التقوى . تلك هى أمثال القرآن فى حكمتها ، وما أجلها من حكمة !! إنها لاتثير هوى عصوفا ، ولا عاطفة حمقاء ، وإنما تضىء قلب المؤمن وعقله .

فى القرآن من كل مثل : ولم يترك القرآن حقيقة دينية إلا وضرب لها مثلا يوضحها ، ويعين على رسوخ الإيمان بها ، وتلحظ أنها أمثلة من واقع الإنسان المشهود الذى لايمارى فيه حس كائن حى يعقل . فالله يقول سبحانه . (ولقد ضَرَبْنَا للناس فى هذا القرآن

من كل مثل : الروم : ٥٨ ، الزمر : ٢٧) وإضافة كلمة « كل » إلى كلمة « مثل » تبين لك أن الله ما ترك من حقيقة دينية أوحى بها إلا ضرب لها مثلا يفتح لها الطريق المعبد إلى القلب والعقل .

المثل ورب المثل : فى أذهان الناس فهم لقيم الأشياء قد يكون حقا ، وقد يكون باطلا ، وفى قلوبهم حب قد يتعلق بما يجب أن يكره وفى قلوبهم كره قد يتعلق بما يجب أن يحب . وقد لج سخف الكفر وعمهه من بعض الناس ، فبهتوا الله سبحانه بأن ضرب الأمثال يشينه ويعيبه ، وقد رد الله سبحانه على هؤلاء بقوله (إن الله لا يَسْتَحْيِي أَنْ يضربَ مَثَلاً مَّا بَعوضةً فما فَوْقَها ، فأمَّا الذينَ آمَنوا فَيَعْلَمُون أنه الحقُّ من رَبِّهِمْ ، وأما الذين كَفَرُوا ، فيقولون : ماذا أرادَ اللهُ بهذا مثلا ، يُضِلُّ به كثيرا ، ويَهْدِي به كثيرا ، وما يُضِلُّ به إلاَّ الفاسقين ٢ : ٢٦) وختام الآية يهدينا إلى حكمة أخرى من ضرب الأمثال ، تلك هى الفصل بين المؤمنين والفاسقين ، فمن المثل يتخذ المؤمن له عبرة تهديه ، ومن المثل يتخذ الفاسق ضلالة تُرْديه . والله لا يظلم أحدا ، فما يَضِلُّ بأمثاله إلا الذين استحبوا العمى على الهدى .

الناس والأمثال : بين لنا الله سبحانه أنه بأمثاله يهدى كثيراً وأنه بها يضل كثيراً ، وأنه لا يضل بها إلا الفاسقين . و بين لنا طرفاً من موقف بعض الناس من أمثاله ، هو النزوع إلى تحقير شأنها . ثم يذكر لنا الله فى آيات أخرى ما يزيدنا فهماً لمواقف أولئك الذين لا يحبون أن يهتدوا إلى شىء ينفع : (ولقد صَرَّفْنَا فى هذا القرآنِ للناسِ من كُلِّ مَثَلٍ ، وكان الإنسانُ أكثرَ شىء جَدَلاً ١٨ : ٥٤) (ولقد صَرَّفْنَا للناسِ فى هذا القرآنِ من كُلِّ مَثَلٍ ، ولَئِنْ جِئْتَهُمْ بآيةٍ ، لَيَقُولَنَّ الذين كَفَرُوا إنْ أَنْتُمْ إلاَّ مُبْطِلون ٣٠ : ٥٨) (ولقد صَرَّفنا للناس فى هذا القرآنِ من كُلِّ مَثَلٍ ، فأبى أكثرُ الناسِ إلاَّ كُفُوراً ١٧ : ٨٩) .

وصدق كل الصدق قول الله سبحانه : (وتِلْكَ الأمثالُ نَضْرِبُها للناسِ ، وما يَعْقِلُها

إلا العالمون ٢٩ : ٤٣) ما يفهمها، ويفهم الغاية منها، ويدفعه الفهم الصحيح إلى الإيمان بما تهدى إليه إلا طائفة خاصة هم العالمون، والعلم الصحيح هو الإيمان الصحيح، فالإيمان الصحيح أساسه العلم الصحيح عن الله بما هو له، وبما هو لرسله، وبما يحب سبحانه أو بما يكره، أما أولئك الذين يتمزعون بما لديهم من معرفة وهم يتنكبون سبيل الإيمان؛ فهم المترددون فى هاوية الجهالة السحيقة، وكيف يوصف أحدهم بالعلم، وهو الجاهل بأعظم الحقائق وأزكاها وأسماها ؟ ! .

والجاحد الحقود يعمه حقده عن الحقيقة؛ فيرى النور ظلاماً، والحق باطلاً، والهدى ضلالاً، فهو رجل قد استبد به حقده وحسده، فلجّ به فى العماية والغواية، فلا يهديه مثل، ولا تأخذ به عبرة، ألا ترى عبدة القبور، يرون بأعينهم القبر، ويلمسونه بأيديهم، وقد يرون الرفات يعبث بها الريح، ومع هذه الأدلة القوية تراهم يظنون أن القبر هو قيّوم السموات، وأن الرفات ربُّ الوجود الذى بيده ملكوت السموات والأرض ؟ ! .

تدبر ما يقول الله سبحانه : (وَنُنَزِّلُ من القُرآنِ ماهو شِفَاء ورحمةٌ للمؤمنين، ولا يزيدُ الظالمين إلا خَسَاراً ١٧ : ٨٢) وتدبر ما يقوله ـ جل شأنه ـ عن القرآن أيضاً : (قُلْ : هُو للذين آمنوا هُدًى وشفاء، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عَمًى ٤٢ : ٤٤) والمتدبر لهذه الآيات المحكمة التى تتكلم عن موقف الفاسقين من الناس من الأمثال التى ضربها الله للناس فى القرآن، يتجلّى له أن لهذه الطائفة أعواناً وأمثالاً. ولعل الذين نذروا نفوسهم للدعوة إلى الله لا يثيرهم العجب حين يرون من بعض الناس جحوداً بالبَدَهِيَّات، وكفراً بالحقيقة الجلية المشرقة كالشمس وصَرَفاً لقلوبهم فى عناد غليظ أصم عن فهم مثل قوله سبحانه : (إن الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالُكم، فادعوهُمْ، فَلْيَستَجِيبوا لكم إن كُنتُمْ صادقين) ثم يقيم الله عليهم الحجة بما يشهد به حسُّهم، فيقول بعد هذه الآية. (أَلَهُمْ أرجُلٌ يمشون بها، أم لهم أيْدٍ يَبْطِشُونَ بها، أم لهم أعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بها، أمْ لهم آذانٌ يَسْمَعُون بها ؟ ! قُلِ : ادعوا

شُرَكاءكم ، ثم كيدون ، فلا تنظِرُون) ثم يعقب الله بذكر من يجب على الإنسان أن يتخذه وليا ، ومن له الولاية المطلقة ، وأسباب ذلك فى قوله سبحانه : (إنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الذى نَزَّلَ الكتابَ ، وهو يَتَوَلَّى الصالحين) « الاعراف من ١٩٤ إلى ١٩٦ »

إن البشرية لا تستطيع أن تعمل بما مَنَّ الله عليها به من آلات تعينهاعلى القيام بعملها ، بالأرجل التى تمشى ، وبالأيدى التى تبطش ، وبالأعين التى تبصر ، وبالآذان التى تسمع ، والمشرك يرى البدوى أو الدسوقى وليس لأحدهما رجل يمشى بها ، ولا يد يبطش بها ، ولا عين يبصر بها ، ولا أذن يسمع بها ، ومع هذا يصر على أن يناديه ، وهو لا يسمع ، ويشكو له ما به من ضر ، وهو لا يرى ، ويسأله أن يعطيه ، وماله من يد يعطى بها ، ويطلب منه قضاء حاجة ، وماله من قدم يسعى بها ؟ ! .

أمور يشهدها الحس دون أن يخدعه عن يقين الشهود خادعٌ . فلو أنه كشف عن رفات هؤلاء الذين يتخذهم من دون الله أولياء لراعه الْعَدَمُ ، ولاستبد به الفزع من رهبة الفناء ، ومع ذلك يصر إصراراً كاملاً على أن هذا الرفات يستطيع أن يمده هو بالحياة وبالخلود . إن بصره يرى ، ويشهد ما يؤكد له أن مَن يدعوه ليس إلا رفاتاً . (إنها لا تَعْمَى الأبصارُ ، ولكن تعمى القلوبُ التى فى الصُّدور) .

هكذا تجد فى جميع أمثلة القرآن . لا تجد إلا الكشف عن حقيقة لا يتنكر لها أبداً حِسٌّ عاقل أو عقله .

بعض من أمثلة القرآن : وفى القرآن أمثلة كثيرة شافية هادية تشرق بالجمال والجلال والحكمة ، وحسبى هنا ذكر بعضها .

مثل اتخاذ الأولياء : يقول الله سبحانه : (مَثَلُ الذين اتَّخَذُوا من دون الله أولياء كَمَثَلِ العنكبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وإنَّ أَوْهَنَ البيوتِ لَبَيْتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون ٢٩ : ٤١) .

مثل لعجز الأنداد : يقول الله : (يأيها الناسُ ضُربَ مَثَلٌ ، فاستمعوا له ، إن الذين تدعُون من دون الله لن يخلقوا ذُبابًا ، ولو اجتمعوا له ، وإن يَسلُبْهُمُ الذبابُ شيئًا لا يستنقذوه منه ، ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ ٢٢ : ٧٣) إنها حقيقة يشهد لها الحس ، كما يشهد الشمس أن الله يأتى بها من المشرق ! .

مثل الذين كذبوا بآيات الله : (مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحملُ أسفارا بئسَ مَثَلُ القومِ الذين كذبوا بآيات اللهِ ، والله لا يهدِى القوم الظالمين ٦٢ : ٥) .

مثل أعمال الكافرين : (مَثَلُ الذين كفروا بربهم أعمالُهم كرمادٍ اشتدَّتْ به الريحُ فى يومٍ عاصفٍ لا يقدِرُون مما كسبُوا على شىءٍ ذلك هو الضلالُ البعيد ١٤ : ١٨) فهل يعقل الذين يأخذ بعاطفتهم ما ينفق الكافرون ؟ ! .

مثل الحياة الدنيا : (إنما مَثَلُ الحياة الدنيا كماء أنزلنا من السماءِ فاختلط به نبات والأرض مما يأكل الناسُ والأنعامُ حتى إذا أخذتِ الأرضُ زُخرُفَها وازَّيَّنَتْ ، وظن أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلا أو نهاراً ، فجعلناها حصيدًا كأن لم تَغْنَ بالأمسِ ، كذلك نُفَصِّلُ الآيات لقومٍ يتفكَّرُون ١٠ : ٢٤) .

مثل الكلمة الخبيثة والكلمة الطيبة : (ألَمْ ترَ كيفَ ضربَ اللهُ مَثَلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها فى السماءِ ، تؤتِى أُكُلَها كُلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها ، ويضربُ الله الأمثالَ للناسِ لعلهم يتذكَّرُون . ومَثَلُ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثَّتْ من فوقِ الأرضِ مالها من قرارٍ ١٤ : ٢٤ ـ ٢٦) .

مَثَلُ الإنفاق فى سبيل الله : (مَثَلُ الذين يُنفِقُون أموالَهم فى سبيلِ الله كمثلِ حَبَّةٍ أنبتتْ سَبْعَ سنابِلَ فى كُلِّ سُنبُلَةٍ مائة حَبَّةٍ ، واللهُ يُضاعِفُ لمن يشاء ، واللهُ واسعٌ عليمٌ ٢ : ٢٦١) .

هذه بعض أمثلة القرآن ، وإننا لنضرع إلى الله سبحانه أن نعقلها ، وأن يهدينا إلى أن نهتدى بها .

مثل هذه الآيات : وفى هذه الآيات يضرب الله لنا مثلاً برجل غنى مترف اتخذ من الغنى سبيلاً إلى الضلالة الساحقة ، وبرجل آخر حسن إيمانه بالله سبحانه ، ونضرع إلى الله أن يوفقنا إلى بيان ذلك فيما يأتى .

رَبَّنا آتنا من لدنك رحمةً ، وهيء لنا من أمرنا رشداً .

عبد الرحمن الوكيل

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف فى النار »
رواه البخارى ومسلم

« توحيد الله عز وجل »

ومن أسمائه الحسنى سبحانه « الحسيب » وله معنيان : أحدهما أن يكون من الحسب بمعنى الكفاية ، وهى إما كفاية عامة تشمل جميع الخلق فهو سبحانه كافى الخلق كلهم لايحتاجون معه إلى شىء آخر يدبر مصالحهم ويوصل إليهم أقواتهم وينيلهم مقاصدهم وحاجاتهم ، فهو الذى ابتدأ خلقهم دون معونة أحد أو مشورته ، وهو الذى يمدهم بأسباب البقاء إلى الأجل الذى قدره لهم ، وهو الذى يسوق كل موجود إلى غايته التى بها تمامه وكماله .

وليست حاجة العبد إلى الطعام والشراب واللباس والمأوى وغير ذلك من ضرورات عيشه حاجة إلى غير الله عز وجل ، فإنه هو الذى تفضل عليه فأعطاه من ذلك كفايته وأزال ضرورته ، بل أعطاه من ألوان الترف وصنوف اللذات ما هو فوق حاجته كما قال تعالى من سورة إبراهيم « وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفّار » .

فكل ما يملكه العباد من منافع وأرزاق إنما هو فيض جوده ورحمته ، ولو شاء لقطعه عنهم ، فكيف إذاً تكون حاجتهم إلى غيره ؟ بل هو وحده سبحانه حسْب كل أحد . وليس فى الوجود شىء هو وحده يكون حسب شىء آخر إلا الله عز وجل ، فإن الأشياء مهما يتعلق بعضها ببعض وتظهر حاجة كل منها إلى غيره فمرجعها كلها إليه إذ هو مُوليها وواهبها ورابط نتائجها بمباديها لارب لها غيره ولا مالك لها سواه .

وأما الكفاية الخاصة فهى التى تكون لأوليائه وأهل طاعته الذين قاموا له بحق العبودية محبة وذلا ، وتعظيما وخوفا ورجاء واستكانة ، وتوكلا واستعانة ، وتوبة وإنابة ، وسؤالا ودعاء ، إلى غير ذلك من أنواع العبادة التى تعبدهم بها فى أقوال اللسان وأعمال

الجوارح وإنفاق الأموال . فهؤلاء يكون لهم من كفاية الله وكلاءته وحفظه وحمايته بقدر ماحققوا من معانى عبوديته كما قال تعالى « أليس الله بكاف عبده » فأتى بوصف العبد للإشعار بأن تلك الكفاية منوطة بأهل عبادته فإنها كفاية خاصة بهم فوق مالسائر الخلق من سابغ كفايته .

وأكثر ماجاء وصف الحسب فى القرآن الكريم إنما هو بمعنى تلك الكفاية الخاصة فمن ذلك قوله تعالى من سورة آل عمران (الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) .

وقوله من سورة الأنفال « يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » ومَنْ هنا ، معطوفة على الضمير المضاف إلى حسب وليست معطوفة على لفظ الجلالة فإن الحسب مختص بالله عز وجل وحده لاتجوز الندية فيه ، فيكون المعنى : كافيك وكافى من اتبعك من المؤمنين : الله .

ولهذا قال سبحانه من سورة (التوبة) (ولو أنهم رضُوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ، إنا إلى الله راغبون) فجعل الإيتاء لله ورسوله لأنه أمر تجوز الشركة فيه ولكنه جعل الحسب لله عز وجل وحده وجعل الرغبة كذلك إليه وحده ومن ذلك أيضا قوله تعالى من آخر سورة التوبة (فإن تولوا فقل حسبى الله ، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) .

وأما المعنى الثانى لاسمه تعالى (الحسيب) فهو الذى يحفظ أعمال عباده من خير وشر، ثم يحاسبهم عليها كذلك ، فيجزيهم بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا ، فهو حسيب بمعنى محاسب كقوله تعالى من سورة النساء (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ، ولاتأكلوها إسرافا وبداراً أن يكبروا ، ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم

وكفى بالله حسيبا) وكقوله سبحانه من نفس السورة (وإذا حُيِّيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا) .

ومن أسمائه الحسنى كذلك « الرقيب والشهيد » ومعناهما متقاربان ، بل لا يبعد أن يقال أنهما مترادفان فإن مراقبة الشيء مراقبة تامة وملاحظته لازمة دائمة لا يمكن إلا مع المعية والحضور . وضد المراقبة الغفلة ، وضد الشهود الغيبة ، وهما أيضا متلازمتان وكلا الاسمين الكريمين مذكور فى القرآن . أما الرقيب فيذكر غالبا فى معرض التحذير من ارتكاب شيء ممنوع منه كما فى قوله تعالى من سورة النساء (واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) فإنه بعد أن أمرهم بالتقوى التى هى اجتناب المحرمات ، ذيل الآية باسمه الرقيب ، تحذيراً لهم من الوقوع فى شيء منها .

وكما فى قوله سبحانه من سورة الأحزاب خطاباً لنبيه صلى الله عليه وسلم (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا) وفى معنى الرقيب الآيات التى تنفى عنه الغفلة سبحانه ، فإن الغفلة كما قلنا تنافى المراقبة ، فنفيها يستلزم لإثبات ما يضادها من كمال المراقبة كقوله تعالى (وما ربك بغافل عما يعملون) وقوله من سورة إبراهيم عليه السلام (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) .

وأما اسمه تعالى (الشهيد) فالأظهر أنه من الشهود بمعنى الحضور والاطلاع ، وهو راجع إلى معيته العامة الشاملة لجميع المخلوقات . فهو مع كل شيء بعلمه وقدرته وسمعه ورؤيته ، وهو محيط بهم إحاطة من لا يغيب عنه شيء من أقوالهم وأفعالهم وسرائر قلوبهم . قال تعالى من سورة يونس عليه السلام (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) وقال سبحانه من سورة المجادلة (يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا ، أحصاه الله ونسوه ، والله

على كل شىء شهيد . ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم » .

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله عند شرحه لهذين الاسمين الكريمين :

(الرقيب) ، (الشهيد) مترادفان وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات ، و بصره بالمبصرات ، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية ، وهو الرقيب على مادار فى الخواطر وما تحركت به اللواحظ . ومن باب أولى : الأفعال الظاهرة بالأركان قال تعالى (إن الله كان عليكم رقيبا) (والله على كل شىء شهيد) ولهذا كانت المراقبة التى هى من أعلى أعمال القلوب هى التعبد لله باسمه الرقيب الشهيد فمتى علم العبد أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها واستحضر هذا العلم فى كل أحواله أوجب ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله ، وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله وتعبد بمقام الإحسان فعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فأنه يراه) اهـ

ومما جاء من السنة فى هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم « صريح الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت » وقوله عليه السلام « استحى من الله استحياءك من رجلين من صالحى عشيرتك لا يفارقانك » والله تعالى أعلم .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

عن أبو موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم .

الحـــج

(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا . ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) .

الحج حق لله على الناس وفريضة فرضها على كل من استطاع إليه سبيلا . فكل من كان فى صحة عقلية و بدنية وتوفر لديه المال الكافى وتيسر له الطريق وجب عليه الحج . وكل من تخلف، وسوف حتى حضره الموت مات كافراً بنعمة الصحة والمال والعقل إذ لم يؤدبها ما فرضه الله تعالى عليه وأمره به (ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) .

والحج عبادة وجهاد بالمال والنفس . ومؤتمر إسلامى يجمع المتقين وخيرة المؤمنين ليشهدوا منافع لهم كما قال تعالى (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم) .

ومن أعظم منافع الحج الروحية . الإحرام . فهو تفرغ لعبادة الله وذكره وتسبيحه وشكره . وتجرد من مظاهر الدنيا وزينتها ولهوها وأعمالها ، وحبس اللسان وكل الجوارح عن الرفث والفسوق والجدال . ففى وقت الإحرام يلتقى الإنسان بنفسه و يعرف حقيقته عارية من كل زخرف كاذب وكل وهم خادع . ويفهم أنه لا قيمة ولا كرامة للمرء إلا بالتقوى . فلا أناقة ولا هندام . ولا شارة ولا وسام . بل الصعلوك كالأمير . والثرى كالفقير الكل سواسية ، والنفوس متساوية ، والرؤوس عارية والأقدام حافية . والوجوه عانية . يتجرد الرجل من ملابسه و يأتزر بقماش غير مخيط ، يذكر المرء بأنه ولد عريانا وسيدفن كذلك عريانا وسيبعث عريانا لا يميزه عن غيره مال ولا جاه ولا قوة ولا عزة . إذ يريه صورة لخروجه من بطن أمه وصورة لخروجه من الدنيا وصورة لخروجه من قبره يوم الحشر (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) .

فى هذا الوقت يتجرد المرء من مشاغله ومنافعه الدنيوية ليتفرغ لمنافعه الأخروية .

ويتخلى عن متعته الجسدية . ليتفرغ لمتعته الروحية . فلا يكف قلبه عن ذكر الله كما لا يكف ولا يفتر لسانه عن حمده وتلبيته .

لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك . ها أنا ذا يا ربى أسارع إليك . ها أنا ذا يا ربى أنفذ أمرك وأترك كل شيء فى سبيل عبادتك ، وأحتمل كل شيء فى سبيل طاعتك .

الكل يردد لبيك اللهم لبيك . فتؤوب الجبال لبيك . وترجع الآفاق لبيك . فتدوى السماء والأرض بصدى لبيك اللهم لبيك . فياله من منظر مهيب ويالها من نفوس تقية تهتف ضارعة بقلوب خاشعة وعيون دامعة . ها أنا ذى يارب جئت مسرعة . ها أنا ذى جئت تائبة طائعة . تركت أولادى وأموالى . تركت أهوائى وأعمالى . وتجردت من كل أحوالى . ووجهت إليك كل آمالى . وأسلمت أمرى للكبير المتعال . لبيك اللهم لبيك .

ومنافع الحج الروحية أعظم من منافعه المادية التجارية . وذلك لأن فى الحج استمراضاً لدرجات الخشوع والإحسان . ودرسا فى التقوى والصبر فى سبيل الله . وعبرة وموعظة ترى المرء كيف يجب أن يكون المؤمن . فتنزع النفوس إلى التقوى والعبادة ويسرى إليها الخشوع والورع بتأثير القدوة الحسنة : وأى منافع أعظم من أن يرى المسلم كيف يعطف المؤمن على أخيه الضعيف ويعضده . وكيف ينصح لأخيه الجاهل ويرشده . وكيف يحسن إلى أخيه الفقير ويساعده . فيتعلم الأنانى المروءة والإيثار ويخجل من أثرته . ويتعلم الغيّاب السكوت ويخجل من بذاءته . فكم من غافل استيقظ هناك من غفلته . وكم من جاهل نجا هناك من جهالته . وكم من ظالم ندم هناك على قسوته . وكم من بخيل تعلم من غيره بذل المال . وكم من مترف مدلل تعلم من غيره الاحتمال .

فإن المترف الذى يتبرم بمشقة الطريق ويتأفف من شدة الحر صيفاً وشدة البرد شتاء يتلقى هناك درساً فى الجلد والصبر عند ما يرى الفقير يمشى حافى القدمين عارى الرأس حاملا زاده وحوائجه ، وهو تقله سيارة وثيرة المقاعد تظلل رأسه من حرارة الشمس . وعندما يرى

الفقير يجلس على الأرض تلذعه أشعة الشمس المحرقة وتهطل عليه الأمطار . وهو يجلس على الأرائك اللينة متكئاً على الوسائد تظلله الخيام الفاخرة و ينبسط تحت قدميه السجاد العجمى . وعندما يرى الفقير ينقض فى لهفة ليتناول من الأرض ما يلقى عليها من قشور الفواكه وفضلات الطعام وهو يأكل ما لذ وطاب . حينئذ يقدر نعمة الله عليه ويشكر فضله ويشعر بتقصيره وضعفه ويخجل من نقصه ، ويعتب على نفسه . فيحنو على الفقراء ويجزل لهم العطاء .

ومن منافع الحج كذلك أن يلتقى الجاهل بعلماء لم يكن ليلتقى بهم لولا الحج . فتسنح له فرصة الاقتباس من نور علمهم . كما يلتقى العالم بجهلاء فتسنح له فرصة الإرشاد والانتفاع بأجر وعظهم .

وهكذا يفوز الجاهل بالعلم ويفوز العالم بالأجر . وإذا قال قائل إن العلماء والجهلاء موجودون فى كل مكان وكل زمان ..

قلنا : إن العالم فى وقت الحج قد تفرغ للنصح والإرشاد لأنه تجرد من مشاغل الحياة الدنيا وزينتها وكرس كل وقته لنفع نفسه وغيره . أما الجاهل فى وقت الحج فإنه جاهل أراد التقرب إلى الله وتمنى معرفة دينه ليحظى برضاه . فهو على استعداد كبير للانتصاح والإصلاح ، بل هو يسعى لهما ، فيستفهم ويستفسر لينجو من الخطأ والمعاصى ويقبل نصح الناصحين شاكراً مسروراً .

ومن أعظم منافع الحج الروحية التى تمتع قلب المؤمن وينشرح لها صدره وتقر بها عينه هى طوافه حول الكعبة وهو يدعو الله ويناجيه ويضرع إليه فى ذل وخشوع . فالطواف حول الكعبة نوع من الصلاة يثيب عليها الغنى الكريم بأجر عظيم . والطواف رمز لحركة الكون العامة وصورة لطواف كل الوجود الذى يطوف بلا توقف ولا انقطاع ويسبح بحمد ربه (وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) فما من شىء فى الكون كبيراً كان أو صغيراً إلا ويطوف أبداً . فأرضنا ومجموعتنا الشمسية تطوف

حول الشمس باستمرار ، وكل الكواكب والنجوم تطوف حول بعضها باستمرار . وكل ذرة من ذرات الكون يطوف ما بها من الكترونات حول نواتها فى سرعة هائلة منذ خلقها الله . وكذلك أراد تعالى أن يطوف المسلم حول بيته العتيق كما تفعل كل ذرة فى الأرض وكل جرم فى السماوات . إن الطواف صورة للمسارعة إلى طاعة الله والسعى فى سبيل رضاه . إنه حركة الخضوع والاستسلام . وهبوب الخشوع والاحترام . وصلاة قلب بلا ركوع وسجود وقيام .

وفى الطواف والسعى بين الصفا والمروة صورة للقلق والجزع ودليل على الحيرة والندم ، إذ ينطلق المسلم هائماً على وجهه ضارعاً مستغفراً ، كأنه يبحث محاولا الخلاص مما جنت يداه ويسعى جاهداً ليفوز برحمة الله . فإن القلق النادم الجازع لا يستقر ولا يستكين . فترى المرء إذا حار فى أمره وشعر بعظيم خطئه طاف فى حجرته وذرعها ذهابا وإيابا . فطواف المرء ضراعة وابتهال لربه . وتعبير عن ندمه وحيرة قلبه ، والشعور بتقصيره وفداحة ذنبه .

ومن منافع الحج العظيمة السعى بين الصفا والمروة والنحر فى منى الذى يذكر الحاج بأعظم إيمان وطاعة لله . وأكبر تضحية فى سبيل رضاه . يذكر بإبراهيم عليه السلام كيف شرع فى ذبح ابنه الوحيد طاعة لله تعالى وكيف استسلم ابنه اسماعيل عليه السلام للذبح رضوخاً لأمر الله قائلا : (يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) . ففداه الله بذبح عظيم ، إن هذه الطاعة المثالية من الأب والابن تدفع المسلم إلى الخجل من نفسه عندما لا يستطيع أن يضحى فى سبيل الله بشىء من لذاته أو بشىء من عاداته وشهواته ، بل إن هناك من يضن على مولاه خالقه ورازقه بشىء من وقته فلا يقيم الصلاة . أو بشىء من ماله فلا يؤتى الزكاة . فتصور كيف يكون شعوره إذا كان له قلب . عندما يذكر من لم يضن بولده ومن لم يضن بروحه فى طاعة الله؟ إنها لذكرى وأى ذكرى وموعظة توقظ القلب وتدعو المرء إلى الاستهانة بكل صعب ، وتدفعه إلى الجهاد فى سبيل الله وتقوى صبره . وتعلمه كيف يحتمل ابتغاء وجهه وكيف يحترم أمره .

أما وقفة عرفات فإنها صورة مصغرة ليوم الحشر . فنى هذا المكان يجتمع فيه كل الحجيج فترى هذا السهل المترامى الأطراف يموج بمئات الألوف من شتى البلدان والألوان والأوطان . وقد ائتزر بقماش أبيض كالأكفان . فيذكر هذا المنظر المسلم بقوله تعالى فى القرآن (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً . وعرضوا على ربك صفا . لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) .

الكل يدعو ربه ويناجيه ، ويضرع إليه ويلبيه ، ويكرر هذا النشيد ويواليه : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك .

والكل سواء يقف جنباً إلى جنب فى عرفات لا تفاوت بينهم ولا درجات . ولا فارق بينهم ولا امتيازات . إلا بالتقوى وعمل الصالحات الباقيات (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

أما رمى الجمار أو رجم الشيطان فإنه رمز قوة العزيمة على محاربة الشر ومقاومة إغراء هوى النفس الأمارة . فنى هذا الموقف يعاهد المرء نفسه ألا يتبع هواه . وأن يجتنب ويتقى كل ما يغضب الله . وأن يقاطع الشيطان لينجو من أذاه . فهو عقد نية صادقة على الصلاح والإصلاح . ومعاهدة بين المرء ونفسه على الصبر والكفاح . وفى اشتراك كل الحجاج فى رجم الشيطان معنى التعاون على محاربة الفسوق والعصيان .

ولمزيد الأسف أن بعض المسلمين لجهلهم يغضبون الله بعملهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ويحبطون عملهم وهم لا يشعرون إذ يشركون الكعبة مع الله فى العبادة . تراهم يتزاحمون ويتسابقون ويتضاربون ليقبلوا الحجر الأسود ويلمسون على وجوههم وصدورهم تبركا بعد لمسه ولمس الكعبة . ويشترون بثمن باهظ مكنسة كنس بها داخل الكعبة وبعضا من ماء الورد الذى غسل به أرضها أو قطعة من قماش كسوتها ليتبركوا بها يعتقدون أنها تمنع عنهم الشر وتجلب لهم الخير ما دامت موجودة فى بيوتهم . وهناك من

يقسم بالكعبة ويتغزل فيها ويستمتع بالنظر إليها ويستحلف الناس بها فيا حسرتى على العباد . إننا أيها المسلمون لا نعبد الكعبة بل نعبد رب الكعبة ولا نطلب الخير إلا منه .

إن الكعبة من حجر لا يضر ولا ينفع ولا يعصم من أمر الله . فكيف نطلب شيئاً من حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يعى ولا يعقل . كيف نطلب بركة من حجر أصم لا يمتاز بشىء عن حجارة الجبال إلا بوضعه فى هذا المكان صدفة . فننسب إليه قدرة الله تعالى ورحمته ونتخذه لله نداً . إن الله تعالى هو الذى يبارك وهو الذى يجزل العطاء بغير مساعدة حجر ولا بشر . فلو انتقلت كل حجارة الكعبة فى بيوتنا ما منعت عنا شراً أراده الله ولا جلبت لنا خيراً لم يرده الله . فليست البركة والثواب فى المكان نفسه ولا فى الكعبة نفسها . وإنما البركة والثواب العظيم فى عبادة الله تعالى كما أمرنا فى هذا المكان وحول هذه الكعبة . أفنعبد المكان ونطلب البركة من أرضه وجدرانه وحجره لأن الله تعالى أمرنا بأن نعبده فيه ؟ أإذا أمرنا تعالى بالصلاة على بساط معين هل نعبد معه هذا البساط ؟ أإذا أمرنا تعالى بأن نعبده وندعوه فى جبل معين كعرفات . فهل نعبد معه هذا الجبل ؟ .

وهؤلاء الذين يهجمون على الحجر الأسود متزاحمين ويتسابقون إليه متضاربين ويقبلونه خاشعين ويمرغون وجوههم عليه باكين ثم يلمقونه متبركين ويستميتون فوقه مبتهلين متبتلين حتى لا يشعروا بعصى الشرطة وهى تتوالى على رؤوسهم العارية وظهورهم فى قسوة وشدة . لأنهم فى غمرة الخشوع للحجر الأسود وفى نشوة نعيم احتضانه وتقبيله . هؤلاء قد نسبوا إلى دين التوحيد الوثنية بعملهم فوصموا الإسلام بجهلهم وشركهم وابتعدوا عن الله تعالى وأغضبوه بعبادتهم لحجر لا يمتاز عن أى حجر إلا بلونه الأسود ولذلك اختاره إبراهيم صلى الله عليه وسلم ليكون علامة لبدء الطواف . نعم لقد انتشر فى أنحاء العالم أن المسلمين يعبدون الحجر الأسود ويدعون أنه سقط من الجنة وأنه كان أبيض ثم أسود فى خطايا الناس . فياللفضيحة . إن هذه الخرافات قد افتراها على الإسلام أعداؤه الكاذبون وصدقها وأذاعها الجاهلون من المسلمين أنفسهم . لقد قبل الرسول صلى الله

عليه وسلم هذا الحجر الأسود فى حجة الوداع بعد ما عاد إلى مكة ظافراً منتصراً وقد دانت العرب لكلمة الله التى عاش يضحى فى سبيلها سنوات عديدة . فجاشت نفسه بكل ما يعرف الشوق من لهفة وحنين لما رأى الكعبة وهفت شفتاه إلى الحجر فى قبلة أودعها صدق التعبير عن شكره العميق لخالقه وناصره وقد انهملت دموعه تبلل الحجر . إنها قبلة الحب لخالقه ودموع الشكر لناصره .

إن القبلة ضرب من التعبير العميق عما يفيض به القلب من شعور يعجز اللسان عن الإفصاح عنه . وهى خاصة من خواص الإنسان لم يعرفها ولم يتشرف بها الحيوان .

والقبلة تختلف باختلاف الدوافع إليها . فهناك قبلة بدنية . وهناك قبلة روحية قلبية . قبلة يدفع إليها الحب والحنان كقبلة الأم لوليدها . وقبلة يدفع إليها الشوق كقبلة الوداع أو اللقاء . وقبلة يدفع إليها القلب المفعم بالشكر والاحترام . كقبلة الشاكر ليد من أحسن إليه . أو قبلة الولد لوالديه . وقبلة يدفع إليها القلب الجازع النادم تضرعاً وابتهالاً لمن يرجو عفوه وغفرانه . فإذا كان الشعور بالشكر والحب أو الاحترام والإجلال . أو التضرع والإبتهال شديداً يعجز عن وصفه وحصره اللسان لجأ الانسان إلى القبلة ليتمم مالم يؤده لسانه كما ينبغى . فترى الشاكر لله يقبل يده وكفه وهو يقول الحمد لله . وترى الشاكر لا يكتفى بالثناء على من أجزل له الإحسان بل يهجم على يده يقبلها وترى المحتاج الذى يتضرع لينال ما يريد لا يكتفى بالتضرع بل يهجم على الرأس واليد ليقبلهما . فالإنسان إذن فى حاجة إلى القبلة عند ما يشعر بالشكر والإجلال أو التضرع والإبتهال وهذا الذى دفع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تقبيل الحجر الأسود ليعبر عما يفيض به قلبه من شكر وحب وإجلال . وعما يعجز عنه لسانه من تضرع وابتهال . وهذا الشعور أيضاً هو الذى دفع بعض الناس إلى تقبيل يدهم شكراً لله كما دفع البعض الآخر إلى تقبيل الأرض تضرعاً أو شكراً لله فهل من قبل يده عبدها أو تبرك بها ؟ وهل من قبل الأرض عبدها وتضرع إليها أم عبد وتضرع إلى خالق السماوات والأرض ؟ .

ومهما بحثنا عن سر هذه القبلة لحجر لا يضر ولا ينفع فإن نجد حلاً إلا هذا الحل . ولا يفهم سر هذه القبلة إلا من شعر بالدافع إليها .

ومما يدل على ضعف الإيمان والجهل بالإسلام أن كثيراً ممن يدعون الإيمان يقولون : لم يحن بعد وقت الحج . سوف أقضى هذه الفريضة عندما أتقدم فى السن . كأنه قد أخذ عهداً على الله أن يؤخره إلى سن الشيخوخة وأن يحفظ صحته وقوته حتى يقضى فريضة الحج وقتما يشاء . وكأن الحج فرض على العجوز الضعيف لا على الشاب القوى الصحيح .

وهناك من لا يعزم على الحج ولا يعد له عدته ولا يفكر فيه وهو يستطيع إليه سبيلاً . وإذا سأله سائل لماذا يؤخر هذه الفريضة زعم أن الله تعالى لم يرد له ذلك . كأنه ينتظر أن يرسل الله تعالى إليه براقاً يحمله رغم أنفه ويضعه فوق الكعبة . وكأنه تعالى لم يتفضل عليه بنعمة الصحة والعقل والمال .

وهناك من يؤخر فريضة الحج ليزوج ابنته ويشترى لها الجواهر والحرير . والسجاد الثمين والفراش الوثير والأثاث الكثير .

وهناك من يؤخر الحج لأسباب مالية أو جلسات قضية . أو يقدم بناء عمارة لمتاع الدنيا على فريضة الله حتى تأتيه المنية .

فسارع أيها العاقل إلى طاعة الله واغتنم السلامة والإمهال . قبل مجىء المرض والشيخوخة وانتهاء الآجال . ولا تعرض نفسك للندامة وخيبة الآمال . ففرائض الله أهم موضع يجب أن تنفق فيه المال . وفرائض الله يجب أن تقدم على جميع الأعمال .

إنك يا هذا إذا دعاك ملك أو أمير تسارع إلى تلبية دعوته وتفخر بشرف الحضور فى بيته . فكيف لا تلبى ملك الملوك وتفخر بشرف الحضور فى بيته وهو يدعوك لتتزود بزاد التقوى وتدخر الثواب (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب) .

حرم المرحوم

الدكتور محمد رضا

١٩ – نظرات فى التصوف

نظرة فى الأحوال : يقول أكثر الصوفية بدوام الحال . والقول بهذا يقف بالسالك مُصَمِّدًا دون الغاية وهذه النتيجة الحتمية التى تلزم من القول بدوام الحال تهدم كل ما شيدوا من أطم ، وتقطع كل ما شيدوا من طُنب . سيظل – مثلاً – صاحب المحو فى محوه دون أن يظفر بصحوه ، فأين الفناء وفناء الفناء والبقاء والجمع وجمع الجمع ؟ ؟ .

أما القائلون بتحولها ، فإنى أسائلهم : ماالفيصل بين حال وحال ؟ . و بم يعرف السالك أنه انتقل من حال القبض إلى حال البسط مثلا ؟ . يقولون بمشاهدة الذات ! ! . وفى هذا ما فيه من تناقض فهذه المشاهدة لا يحظى بها عندهم إلا من هو فى مرتبة الصحو الحقيقى .

ثم أسائل مرة أخرى : ألا يتيح القول بهذا الكثير من الفرص للمشعبذين وسدنة الأساطير والدجل ؛ لكى يزعمون للناس مثلا أنهم فى منزلة الفناء ، أو البقاء ، فليسجد الناس لهم خُشَّعًا . وليكتم الناس فى خواطرهم همسات النقد لما يقترف هؤلاء ، فهم إنما يقترفونها عن كشف وشهود ، وعن فناء فى الذات الإلٰهية ؟ ! .

إن الفيصل الصوفى هو الذوق الفردى ، والأذواق متباينة ، فكل نقد عندهم مردود ، وكل تناقض عندهم مقبول . وكل ضلالة لها سند من ذوق ، وما يهدى إليه الذوق عندهم فوق ما يهدى إليه القرآن ؛ فالذوق الفردى[1] هو المهيمن على كل المقاييس ! ! .

---

(١) لم يلجأ إلى القول بأسطورة الذوق فى تاريخ الفكر البشرى إلا كل فئة تريد الفرار من الحقيقة التى يقررها الدين الصحيح والعقل الصحيح . ولعلنا نعرف بعد هذا سر قول الصوفية :« من ذاق عرف » أى من جعل الذوق مصدرا لمعارفه فهو العارف الحقيقى الذى لا يتقيد بحقيقة دينية ، أو عقلية يرفضها ذوقه . ولعلنا بعد هذا نعرف أيضاً لماذا نزعت الصوفية إلى الإباحية والمجانة .

ما للصوفية من ميزان إلهى تزن به هذه الأحوال ، وما لها من هدى تتخذه لها دليلاً يهديها فى الفصل بين هذه الأحوال المتشابكة المتداخلة ! ! . أين من كتاب الله هذه الصوفيات المتزندقات : أين المحو الصوفى ؟ أين الصحو وفناء الفناء والفرق . والجمع ؟ .

أين السكر فى كتاب الله ؟ إننا نجد فى كتاب الله لعنة الخمر ، ونهى الله عن قرب الصلاة فى حال السكر ووصف الخمر بأنها رجس من عمل الشيطان ، ونجد لعن السكارى ، وأن الشيطان يوقع بينهم العداوة والبغضاء ؟ .

ترى هل يجوز هؤلاء على القول بأن خاتم النبيين مر بحال السكر ؟ وهل يستثنى من التعبير بكلمة السكر إلا رائحة الحان ، ونتن أو شاب السفلة وهم يتصايحون ، ويحطمون مقاعد الحان وزجاجه وكؤسه ؟ .

يقول بعض الذائدين عن التصوف : إنها مصطلحات ، ولا مشاحة فى الاصطلاح ولا يسلم لناقد بعد هذا نقده ما دام مفهوم المصطلح موافقاً للكتاب والسنة ، وأقول لهؤلاء الذين يفترون دائماً الدفاع عن الشر ، ويبهتون الخير بالزور ، ويتلمسون الأعذار لكلمة الكفر أو كلمة الباطل : لقد نقلنا لكم مفهومات بعض هذا المصطلحات ، فهل رأيتم حقاً ، وهل شممتم إيماناً ، وهل شاغف العاطفة الهوجاء منها إلا ما فيها من سحر البيان يصور الضلالة صبحاً وضيئاً من الهدى ، وإلا ما فيها من تصوير لشهوة عارمة ، أو دعوة إلى هوى عصوف ؟ .

أى آية فى كتاب الله تدل على أن السالك يبلغ مقاماً فيه يشهد الذات ثم يصبح هو عينَ الذات ؟ .

على أننا ـ إن انحدرنا ، فلوينا العنق مهطعين لهذا الزعم ـ فإننا نقول : إن أصحاب هذا التراث يزعمون أنه المثل الأعلى الذى يجب أن تتسامى إليه الإنسانية فى تدينها ، فهل يجوز للمثل الأعلى أن يضع لنا مصطلحات لم ترد فى الكتاب ولا فى السنة. مصطلحات ينافر بعضها بعضاً ، ويناقض أولها آخرها ، مصطلحات موغلة فى الإبهام والغموض ،

حتى لترى أربابها أنفسهم يختلفون حولها ، ولا يثبتون أمامها على قرار ؟ مصطلحات تدمى ألفاظُها قداسة الفضيلة ، وتجرح طهرَ الحياء ، وتثير فى الفكر المؤمن صوراً تقص عن غواية الدنس والرذيلة .

هل يجوز للمثل الأعلى أن يشرح لنا حقائقه ، ويفسر أصوله بألفاظ يناقض ما يريده بها معانيها التى وضعت لها ؟ .

هل يجوز أن نعبر عن حقيقة الإيمان وروحانيته بألفاظ الكفر وماديته ؟ .

هل يجوز أن نضع على معالم الأمان فى الطريق آيات تحذر من الهلاك الرهيب ؟ أو أن نضع دلائل الأمان والسلامة على شفا الهاوية السحيقة العميقة ؟ ! .

إن المثل الأعلى يجب أن يكون مثلاً أعلى فى كل مقوماته وسماته حتى فى ألفاظه التى يعبر بها عن معانيه وحقائقه .

وداهية كبيرة تحطم ذراه ، وتدك قاعدته ، وتهوى به إلى الحضيض الدون أن يخالف بين دليله ومدلوله ، ويفصم بالتناقض الحاد ، الصلة الوثيقة بين ألفاظه ومعانيه . ثم ما بالنا نرضى فى ديننا بما لا نرضاه حتى فى سلوكنا العادى ، أيضمنى إلى الإنسانية الواعية أو الجد فى السلوك فى أن أقول لرجل : أعطنى حنظلة ، حتى إذا فعل ، قلت له :يا أبله إن الحنظلة اصطلاح عن التفاحة ! ! ثم إن استعمال هذه المصطلحات فى الدين ، يجعل من هذا الدين أخلاطاً من الظلام والسوء تزعم أنها أضواء الجنة وحسن الخلود ويقضى على الثقة بهذا الدين ، وعلى لغته ، وعلى قيمه ومثله وهذا هو الهدف ! ! .

ثم بماذا يميز السالك بين الحال و بين المقام ؟ وما هذه الثنائية ، وهم يزعمون أنهم أرباب وحدة ؟ ؟ .

المؤمن والعارف : (٣ : ١٩٣ ربَّنا إنَّنا سَمِعْنا مُنادياً ينادى للإيمان أنْ آمنوا بربِّكم ، فآمَنّا ربنا فاغْفِر لنا ذُنُوبَنا ، وكَفِّر عنا سيئاتنا ، وتَوَفَّنا مع الأبرار) هذا هذا هو الدعاء الخالص الذى يدعو به قوم وصفهم الله بأنهم أولو الألباب الذين يذكرون

الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض . وغير هذا من الصفات التى وصفهم الله سبحانه بها . هؤلاء يقولون : (سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا) . إيمان صادقٌ برسالة الرسول . إيمان بأنه ما جاء إلا ليهديهم سبيل الإيمان الحق بالله ، فآمنوا ، فكانوا أسعد الناس دنيا وآخرة . فالمثل الأعلى - إذن - هو الإيمان الصدوق ؛ لأنه يدفع صاحبه إلى الطاعة المطلقة لمن آمن به والقيام عن إخلاص كريم بما آمن به غير أن التصوف منذ نشأته وهو يعمل فى سبيل القضاء على هذا المثل الأعلى الذى يطهر القلبَ من أدران الشرك ، والنفسَ من سوء الخلق والغرائز من نزعات الشر ، والعواطفَ من نزوات الهوى ، ويسمو بالخلق إلى أرفع الآفاق من الخير والبر ، ويوجه السلوك إلى أنبل الغايات وأسماها ، ويجعل من صاحبه عبداً خالصاً لله وحده . وكهنة هذا التراث الصوفى لا يحبون أبداً يكون الإنسان عبداً لله ! ! . فإنه حين يكون كذلك يستعلى على العبودية لغير الله ، ويبذل روحه وولده وماله فى سبيل إعلاء كلمة الله ، وتدمير قوى البغى والعدوان التى تحاول أن تحوم حول حمى دين الله ! ! .

وتحقيقا لتلك الرغبة الصوفية الآثمة قرر أئمته أنه لابد من ارتباط المريد بالشيخ ارتباطا يجعل منه عبدا ذلولا له . وحولوا المثل الأعلى من الإيمان إلى المعرفة . وقالوا : إن العارف خير من المؤمن . والمعرفة عندهم لا تستمد أول الأمر إلا من الشيخ ، فإذا سيطرت على المريد الثقة بهذه المعرفة الأسطورية - ويالها من معرفة - زعموا له بعد هذا أنه يستطيع أن يستمد معرفته عن الله مباشرة لا عن القرآن ؛ لأنه سيشهد الله ، ويكاشفه .

المقارنة بين المعرفة والإيمان : يقول الطوسى : « المعرفة موهبة والمعرفة نار ، والإيمان نور ، والمعرفة وجد والإيمان عطاء . والفرق بين المؤمن العارف : المؤمن ينظر بنور الله ، والعارف ينظر بالله عز وجل ، والمؤمن قلب ، وليس للعارف قلب ، وقلب المؤمن يطمئن بالذكر ، ولا يطمئن العارف بسواه أى بسوى الله ! !

درجات المعرفة : ويتابع الطوسى الحديث ، فيقول : « والمعرفة على ثلاثة أوجه : معرفة إقرار ، ومعرفة حقيقة ، ومعرفة مشاهدة . وفى معرفة المشاهده يندرج الفهم والعلم

والعبارة والكلام والإشاراتُ فى المعرفة ، ووصفها كثير ، وفى القليل كفاية وغنية للمستدل»

ويعنى بمعرفة المشاهدة : المعرفة الصادرة عن شهود الصوفى للحقيقة الإلهية : وسئل الشبلى : متى يكون العارف بمشهد من الحق ؟ قال : « إذا بدا الشاهد ، وفنى الشواهد ، وذهب الحواس ، واضمحل الإحساس » فالمعرفة الكاملة - إذن - هى الفناء فى الحق عن الخلق ، وشهود فى كل شىء . وسئل آخر عن كال المعرفة ، فقال : « إذا اجتمعت المتفرقات ، واستوت الأحوال والأماكن ، وسقطت رؤية التمييز[1] » إنها الوحدة التى يهرف بها خبال الصوفية وخيالهم فلا يرى الصوفى إلا وجودا واحدا هو وجود الله سبحانه ، دون أن يميز بين الوجود الحادث الوجود الأزلى ! !

ومن الإنصاف هنا للطوسى أن نذكر أنه نقل عن أبى بكر الزاهر أباذى أنه سئل عن المعرفة فقال : « المعرفة اسم ، ومعناه وجود تعظيم فى القلب يمنعك عن التشبيه والتعطيل» ونقل عن آخر قوله : « المعرفة تحقيق القلب بإثبات وحدانية الله بكمال صفاته وأسمائه ؛ فإنه المتفرد بالعز والقدرة والسلطان والعظمة ، الحىُّ الدائم الذى ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير ، بلا كيف ، ولاشبه ، ولا مثل ، ينفى الأضداد والأنداد والأسباب عن القلوب » .

وفيما نقله الطوسى شعاع نور توحيد الله فى ربوبية ، غير أن تسمية هذا الحق معرفة ، يحسب تجديف عليه ، ونيل من جلاله ؛ فالمعرفة لا تستلزم وجود الإيمان عند العارف بما عرف ، أو بمن عرف ، أما الإيمان ، فيستلزم وجود يقين المعرفة عند المؤمن بما آمن ، أو بمن آمن به . على أن المسلم الحق لا يقف عند ذلك الذى ذكره الطوسى ؛ إذ لا بد له من القيام بحق توحيد الله فى ألوهيته ، فيعبد الله وحده ، بما أمر أن يُعْبَد به .

إن المشركين أنفسهم كانوا على علم بما ذكره الطوسى ، بل كانوا يؤمنون بما ذكره ، وقد أثبت لهم القرآن هذا فى آيات كثيرة ، ولا سيا فيما وُجِّه إليهم من أسئلة فى أواخر

---

(١) انظر باب المعرفة فى اللمع للطوسى .

سورة « المؤمنون » . ومع هذا لم ينفعهم عند الله هذا العلم ، أو تلك المعرفة ، ولا ذلك الإيمان .

ثم كيف يسمى الطوسى هذا الحق وجدا ؟ وهو من العلم المقطوع به من آيات الكتاب ونصوص السنة . إن تسميته وجدا يدفع إلى الاعتقاد بأنه من المعارف الكشفية التى يزعم هؤلاء الصوفية أنهم يستمدونها من الباطن ! !

كما يوحى بأن كتاب الله ليس فيه هذا الهدى .

على أن فى قوله : « نفى الأسباب » رائحة جبرية عفنة .

ولقد قلت مرارا ـ عن بينة من كتب الصوفية ـ إن الصوفية تجعل من اعترافها ببعض الحق قناعا تحاول به إخفاء وجه زندقتها المتقيح البغيض ! !

ويقول الشرقاوى فى شرح حكم ابن عطاء عن العارف « إنه هو الذى غاب عن الإشارة والمشير والمشار به فإذا وقعت منه إشارة لايشهدها ، ولا يشعر بها لكون المشير والمشار إليه هو الله تعالى ؛ لأن العارف فى مقام الجمع » وهو الذى إذا تكلم كان الحق هو الذى يتكلم على لسانه ، وهو الذى يرى وجود الله فى الأشياء ، أى قيامه بها وظهوره فيها[1] فهل ترى لهذا الكفر وشيجة تصله بإيمان ؟ .

المعرفة والقرآن : يقول الله سبحانه : (فاعلم أنه لا إله إلا الله ٤٧ : ١٩) وقال : (رَبِّ زِدْنى علما ٢٠ : ١١٤) (وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون ٢٩ : ٤٣) (إنما يخشى الله من عباده العلماء ٣٥ : ٢٨) لا نرى فى هذه الآيات وكثير غيرها ذكرا للمعرفة . فلم يقل : رب زدنى معرفة ، ولم يقل : إنما يخشى الله من عباده العارفون . أو : وما يعقلها إلا العارفون ! !

كما أن الله سبحانه وصف نفسه بالعلم لا بالمعرفة ، وأخبرنا بأن له علما لا معرفة .

---

(١) ص ٤٦ ، ٤٣ الشرح المذكور ـ ط ١٢٧٧ هـ .

ولقد رفضت الصوفية ـ رغم هذا المدى المشرق ـ إلا أن تفضل المعرفة على الإيمان والعلم ، هذا لأن المعرفة تتعلق بذات الشيء ، أو هي حضور صورة الشيء في النفس ، كما أنها تفيد تمييز الذات عن غيرها من الذوات ، أما العلم ، فيتعلق بأحوال الذات ، أو هو عبارة عن حضور أحواله وصفاته ، ونسبتها إليه . وكهان الصوفية يزعمون أن غاية السالك شهود الذات ، لا شهود آثار الأسماء والصفات . والإيمان هو : علم بصفات الله وأسمائه ، وتصديق بها ، وعبادة خالصة لله وحده لاشريك له بما علمنا . أما المعرفة ، فإنها ـ كما سبق بيانه ـ تتعلق بذات الشيء لا بصفاته ، ثم هي لا تفرض تكاليفا ، ولا توجب عبادة . والتكاليف الشرعية ، والعبادات الإسلامية ليست إلا رسوما لا تستحق من العارف الصوفي لحظة يقف عندها فكره ، أو طمأنينة قلبه ، أو سلوك جوارحه ، أو سكينة مشاعره !!

وإذا شهد العارف الصوفي الذات عرف سر القدر ، وثمت تتجلى له الحقيقة على منصة اليقين تلك هي أن الخليقة كلها أسارى القدر ، يرسفون في قهر قبضته القاهرة ، وبهذا لا ينكر العارف منكرا ، ولا يثني على معروف، ولا يعتب على معصية أو رذيلة ، ولا يحنو بالشكر على طاعة أو فضيلة ، فطاعة أولياء الرحمن قدر غالب ، ومعصية أولياء الشيطان قدر غالب ، ولابد للفريقين فيما اكتسبا من طاعة أو معصية ؛ لأن الله هو الذى يفعل لهؤلاء ومعاذ الله .

« للنظرات بقايا »

عبد الرحمن الوكيل

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم

غزوة بنى لحيان : عرفنا فى الجزء الذى تناولنا فيه الكلام عن غزوة الرجيع[1] أن وفداً من قبيلتى « عضل والقارة » جاء إلى رسول الله « صلوات الله عليه » وسألوه أن يبعث معهم أحداً يعلمهم أمور الدين ويقرئهم القرآن . فاستجاب الرسول إلى طلب الوفد وأرسل معهم نفراً من المسلمين وفيهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى . وخبيب ابن عدى . . كما عرفنا أن طلب ذلك الوفد كان حيلة للإضرار بالمسلمين . إذ لم يكد مبعوثوا الرسول يصلون إلى ماء الرجيع حتى استصرخ الوفد عليهم أناساً من هذيل . فجاءوا وأحاطوا بأصحاب الرسول وقتلوا عامتهم . ونجا خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة .

لهذا فكر الرسول « صلى الله عليه وسلم » أن ينتقم لأصحابه من بنى لحيان . فخرج إليهم فى مائة رجل بعد ستة شهور من غزوة بنى قريظة فى جمادى الأولى من سنة خمس . وأعلن أنه يريد الخروج إلى الشام ليصيب القوم على غرة . فاتجه إلى ناحية الشمال . وظل فى طريقه حتى إذا اطمأن إلى أن أحداً لم يفطن إلى ماخرج من أجله عاد فاتجه إلى مكة . وأغذ السير مسرعاً حتى نزل على غران — وهى واد لبنى لحيان بين أمج وعسفان — حيث قتل أصحاب الرجيع فترحم عليهم ودعا لهم . ولكن بنى لحيان شعروا بتقدم الرسول « صلى الله عليه وسلم » لقتالهم . فهربوا إلى رؤوس الجبال ولاذوا بها . فأقام هناك يومين . ثم سار إلى عسفان ليسمع به أهل مكة . فلما بلغها بعث بعشرة فوارس إلى كراع الغميم . فلم يجرؤ أحد على الخروج إليه . فرجع عائداً إلى المدينة بعد غيبة عنها بلغت أربع عشرة ليلة . وفى رجوعه سمع وهو يقول : آيبون تائبون إن شاء الله لربنا

---

(١) راجع الغزوة المنوه عنها بالهدى النبوى عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ المجلد ٢٦ .

حامدون . أعوذ بالله من وعثاء السفر . وكآبة المنقلب . وسوء المنظر فى الأهل والمال » .

غزوة ذى قرد : عند ماقدم رسول الله « صلوات الله عليه » المدينة من غزوة بنى لحيان لم يكد يقيم بها إلا ليالى قلائل حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة الفزارى فى خيل من غطفان على إبل رسول الله بناحية الغابة . فقتل راعيها — وكان من عسفان — واحتمل امرأته فى الإبل وانطلق عائداً من حيث أتى لينجو بما غنم .

وكان سلمة بن عمرو بن الأكوع قد غدا إلى الغابة متوشحًا قوسه ونبله ومعه غلامه طلحة بن عبد الله فعلم بأمر المعتدين فصرخ قائلا : واصباحاه . وخرج يجد فى السير فى آثار القوم حتى إذا لحق بهم رماهم بالنبل وهو لا يبرح يصيح و يصرخ .

خذها وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع

وما زال يرميهم بنبله حتى بلغ ذى قرد واستنقذ منهم جميع الإبل .

و بلغ رسول الله صياح ابن الأكوع فنادى فى أهل المدينة (الفزع ، الفزع) فجرى إليه الفرسان من مختلف النواحى ، فأمرهم أن ينطلقوا فى إثر القوم حتى يلحق بهم ، وأمّر عليهم سعد بن زيد ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم .

ثم تجهز رسول الله وسار بقواته يتبع الفرسان حتى نزل بالجبل من ذى قرد ، وتلاحق به الناس فأقام هناك يومًا وليلة ، وأراد سلمة بن الأكوع أن يظهر شجاعة و بطولة أكثر فقال لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » : يارسول الله لوسرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح وأخذت بأعناق القوم ، فقال له الرسول «إنهم الآن ليغبقون فى غطفان[1] » .

ثم رجع رسول الله إلى المدينة بعد أن استرجع الإبل ونجت امرأة الراعى المؤمنة التى خطفها عيينة ، ويذكر أن هذه المرأة قالت للنبى صلى الله عليه وسلم عند ماقدمت عليه وهى على ناقة من إبل الرسول ، يارسول الله : إنى قد نذرت لله أن أنحرها إن نجانى الله عليها فتبسم رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وقال لها « بئس ماجزيتها أن حملك الله عليها

---

(١) يغبقون : يستقون الغبوق وهو اللبن عند مايشرب فى العشى .

ونجاك بها ثم تنحرينها ، إنه لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، فارجعى إلى أهلك على بركة الله » .

وفى هذه الغزوة قتل رجل بيد فرسان رسول الله هو حبيب بن عيينة بن حصن .

غزوة بني المصطلق[1] : مكث رسول الله مايقرب من شهر بالمدينة ثم خرج إلى غزوة بنى المصطلق بالمريسيع ، ومما يجدر الإشارة إليه أن هذه الغزوة تقترن بعدة أمور حدثت فيها خارج نطاق ميدان الحرب أولاها : أن أمراً عظيما كاد أن يحدث بين المسلمين و يوقع العداوة بينهم و يفرق صفوفهم .

ثانيها : اقتران الرسول « صلوات الله عليه » بجويرية بنت الحارث بن ضرار سيد قومه .

ثالثها : حديث الإفك الذى تناول عائشة رضى الله عنها بالسوء وهى فى السادسة عشر من عمرها ، وما نتج عن هـذا الأمر الخطير من أمور كانت لها آثار سيئة فى حياة بعض السلف الصالح حيث ظلت متأججة فى الصدور لتعمل عملها المدمر ، وتساعد فى زيادة لهيب الفتن التى ظهرت بين المسلمين .

مع بنى المصطلق : بلغ رسول الله أن بنى المصطلق — وهم خزاعة — يجمعون الجموع لقتاله ، وأن زعيمهم الحارث بن ضرار يقوم بتحريض حيه لهذا الغرض العدوانى .

وما أن سمع الرسول « عليه الصلاة والسلام » بهذا الخبر حتى أسرع يستجمع قواته للخروج إليهم ليباغتهم قبل أن يأتوا هم إليه ، فعقد لواء المهاجرين لأبى بكر الصديق ، ولواء الأنصار لسعد بن عبادة .

وخرج جيش المسلمين ميمماً وجهه شطر بنى المصطلق ، فنزل عند ماء قريب منهم يقال له « المريسيع » وفى ذلك المكان التقى جيش المسلمين بجموع الحارث بن ضرار ،

---

(١) وتسمى أيضاً بغزوة المريسيع نسبة إلى الماء الذى نزل عنده المسلمون بحى بنى المصطلق .

واقتتل الفريقان وتراشقا بالنبل . وجاء نصر الله لعباده المؤمنين فأحكموا الضغط والقتال على جيش بنى المصطلق ففر منهم من فر ، وقتل منهم من قتل ، وأسر الباقون . . أما المسلمون فلم يستشهد منهم سوى واحد هو « هشام بن صبابة » أصابه رجل من الأنصار إذ ظنه من العدو فقتله خطأ .

مع عبد الله بن أبى : وتبدأ مع هذا المنافق قصة فتنة أثارها الرجل ليوقع بها بين المسلمين -والأنصار والمهاجرين - وأن يفرق كلمتهم لتقر عينه بذلك . و يرضى نزعته اليهودية المعادية للإسلام ، فقد كان لعمر بن الخطاب أجير من بنى غفار يدعى « جهجاه بن مسعود » ازدحم على الماء مع رجل من الخزرج يدعى « سنان الجهنى » فاقتتل الرجلان وتصايحا فصرخ الجهنى ونادى : يامعشر الأنصار .. وصرخ جهجاه منادا : يامعشر المهاجرين وسمع عبد الله بن أبى بن السلول الصياح . وكان قد خرج مع المنافقين فى هذه الغزوة : فتحركت فى نفسه كوامن الحقد على المهاجرين . وقال لرهط من قومه كانوا يجالسونه : أو فعلوها ؟ : قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ! والله ما عدنا وجلابيب[1] قريش إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

وفى شأن ابن أبى نزل قوله تعالى (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون الآية ٨ : المنافقون)

ثم أقبل على من حضره من قومه وقال لهم . هذا مافعلتم بأنفسكم . أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم . أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير دياركم[2] .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ومشى إلى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » بعد من فراغه عدوه . فنقل إليه مقالة ابن أبى وفى حضرته عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى ثار وغضب

---

(١) لقب كان المشركون يلقبون به من أسلم يلمزونهم بها .
(٢) راجع الآية ٧ : المنافقون .

لموقف ابن أبى وقال للرسول : مر به عباد بن بشر فليقتله . فقال له الرسول « عليه السلام » « فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه . لا ، ولكن أذن بالرحيل » ، وكان ذلك فى ساعة لم يكن يرتحل فيها . لكن رسول الله « صلوات الله عليه » أدرك الأمر بحكمة وحزم قبل أن يمضى ابن أبى فى القدح والسب . وينفث مزيداً من سمومه وحقده ليوسع من هوة الفتنة بين المهاجرين والأنصار .

وسمع ابن أبى مابلغ النبى عنه : ودب الخوف فى نفسه ، وأسرع إلى النبى ينفى عن نفسه ما نسب إليه وأخذ يحلف بالله إنه ما قاله ولا تكلم به .

وأراد رجل من الأنصار تبرئة بن أبى مدفوعاً بحسن الظن وقال يا رسول الله . عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل . ولكن ذلك لم يجعل الرسول يعدل عن رأيه فى الرحيل .

وسار الرسول عليه السلام والمسلمون فى طريقهم إلى المدينة فظلوا فى الطريق طيلة نهارهم حتى أمسوا وطيلة ليلتهم حتى أصبحوا وصدر اليوم الثانى حتى آذتهم الشمس . ثم نزل الناس فلم يلبثوا حين مست جنوبهم الأرض أن وقعوا نياما من جهد الطريق ومشقته . وكان التعب قد أخذ منهم كل مأخذ فأنساهم حديث ابن أبىّ الذى قاله فى حق المهاجرين .

جويرية بنت الحارث : ثم بلغ الرسول والمسلمون المدينة فدخلوها حاملين معهم ما أفاء الله عليهم به من بنى المصطلق من المال والأسرى والسبايا وفيهم جويرية بنت الحارث بن ضرار كبير بنى المصطلق .

وكانت جويرية امرأة ذات جمال . وعندما قسّم المسلمون غنائم بنى المصطلق وقعت جويرية فى سهم أحد الأنصار فرغبت فى افتداء نفسها منه ، فطلب منها فداءاً غاليا لعلمه بثراء أبيها الحارث بن ضرار وحسبه .

ولجأت جويرية إلى النبى ليساعدها على نيل طلبها ، وقالت له : يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد قومه . وقد أصابنى من البلاء مالم يخف عليك . فوقعت

فى السهم لثابت بن قيس بن شماس — أو لابن عم له — فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى . قال : « فهل لك فى خير من ذلك ؟ » قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « اقض عنك كتابتك وأتزوجك » قالت : نعم يا رسول الله . قال : « قد فعلت » .

فلما علم الناس بالخبر أطلقوا ما بأيديهم من أسرى بنى المصطلق إكراماً لمصاهرة رسول الله لهم حتى لكانت عائشة رضى الله عنها تقول عن جويرية : ما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

عفو النبى عن ابن أبىّ : وبينما المسلمون فى المدينة نزل قول الله تعالى : (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون . يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون . الآيتان ٧ ، ٨ : المنافقون) .

وهنا شعر بن أبىّ بحرج موقفه المخزى على الرغم من تظاهره بالإيمان . ومحاولته نفى ما نسب إليه يوم المريسيع . وكأنما شعر قومه أيضا بأن هذه الآيات نزلت للقضاء على ابن أبى .

وعلم عبد الله بن عبد الله بن أبى بمصير أبيه — وكان مسلماً صادق الإسلام — فذهب إلى رسول الله وقال يارسول الله . إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن بن أبى فيما بلغك عنه . فإن كنت لابد فاعلا فمرنى به . فأنا أحمل إليك رأسه . فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى ، وإنى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله . فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله . فأقتل رجلا مؤمناً بكافر فأدخل النار . . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا » .

الحق أن موقف عبد الله من أبيه كان يترجم عما يدور فى نفسه من صراع عنيف تدفعه إليه عاطفة الأبوة والانتصار لكلمة الحق ، وصدق الإيمان . كان يستشعر إسلامه ويحس بوجوب المحافظة على وحدة المسلمين ونصرتهم . ثم تتراءى له عاطفة الأبوة فلا يطيق أن

يرى قاتل أبيه يمشى بين الناس فيدعه يعيش دون أن يثأر منه ، وهو إن فعل ذلك يخشى أن يقتل مسلماً بكافر فيكون من أهل النار ، ثم يجد الروح الإسلامية المتأصلة فيه تجعله يقرر قتل أبيه بنفسه تفادياً لما قد يترتب على قتل غيره له ، وإن كان فيما قرره مساس بعاطفة الأبوة فذلك أهون عليه من أن يخسر دينه وآخرته .

ثم ننتقل إلى مقابلة الرسول « صلوات الله عليه » لموقف عبد الله من أبيه فنجد أنها قد تجلى فيها مظهر الخلق الإسلامى العظيم ، وروعة العفو ، وجلال التسامح ، وذلك فى قوله له « إنا لا نقتله . بل نترفق به .. » وكان رسول الله قادراً على الفتك بهذا الذى يثير الفتنة بين أهل المدينة والمهاجرين .

ولقد ظل العفو الذى منحه الرسول لابن أبى ماثلا فى أذهان الخزرج حتى إنه كان إذا أتى فعلا مشينا عاتبه قومه وعنفوه وذكّروه بفضل محمد عليه .

وكان أمر ابن أبى وموقف قومه منه ضمن حديث رسول الله « صلوات الله عليه » ذات يوم مع عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فقال له الرسول « كيف ترى يا عمر ؟ . أما والله لو قتلته يوم قلت لى أن أقتله لأرْعِدَت له آنُفٌ لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته » قال عمر : « قد والله علمتُ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى » .

مع بنى المصطلق بعد إسلامهم : و بعث الرسول « صلى الله عليه وسلم » إلى بنى المصطلق بعد إسلامهم (الوليد بن عطية بن أبى مُعَيط) فلما علموا بقدومه إليهم ركبوا إليه لمقابلته . وظن الوليد أنهم قادمون إليه ليقتلوه فهابهم وعاد من فوره إلى رسول الله وأخبره أن القوم قد همّوا بقتله ومنعوه ما قِبَلهم من صدقاتهم .

وثار المسلمون ورأوا وجوب غزو بنى المصطلق مرة أخرى . فأكثروا القول فى هذا حتى همَّ الرسول لغزوهم .

و بينا المسلمون على هذا قدم وفد بنى المصطلق وقالوا لرسول الله : يارسول الله : سمعنا برسولك حين بعثته إلينا . فخرجنا إليه لنكرمه ونؤدى إليه ما قِبَلنا من الصدقة . فانشمر

راجعاً. فبلغنا أنه زعم لرسول الله « صلى الله عليه وسلم » أنا خرجنا إليه لنقتله. والله ما جئنا لذلك.

وبهذا تبين لرسول الله سوء ظن مبعوثه الوليد فى نوايا بنى المصطلق ونزل قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين الآية ٦ : الحجرات).

وإلى عدد قادم إن شاء الله لنواصل الكلام عن عائشة (رضى الله عنها) فى حديث « الإفك ».

سعد صادق محمد

---

٢ ــ قضية المرأة

وإن تعجب ــ أيها القارىء ــ فعجب قول أولئك : حقوق المرأة ، حرية المرأة ، أن لكهم هذه الألفاظ بألسنتهم ، يقولون بأفواههم ما ليس لهم به علم . وأعجب من هذا ولو يستمع الناس إلى هذه الأقوال وأن تقع من قلوبهم موضع الرضا !! والذى يقف بنجوة من أولئك لا يرى إلا أن الله سبحانه قد عناهم بقوله (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء ، صُمٌّ بُكْمٌ عمى فهم لا يعقلون).

أى حق للمرأة أخذ منها ــ ياأعداء المرأة ؟ وأى حرية سلبتها حتى تتباكوا بدموع التماسيح ؟؟

كانت المرأة بالأمس سيدة بيتها ، أمينة زوجها وأم أولادها . يخرج الرجل من بيته إلى عمله فى الصباح فيسألها عن مستلزمات بيتها ، ثم يعود آخر النهار محملا بما طلبته فرحاً مسروراً ، لا يرى لنفسه عليها حقاً إلا بقدر ما يؤدى لها من واجب . يبذل النفس والنفيس فى سبيلها ، لأجل صيانتها وتكريمها ، يستحى أن يذكر اسمها ضناً بها من أن تلوكه ألسنة الناس ، ويود لو وضعها بين أضلاعه ، حرصاً عليها وحباً لها ، كانت معززة مكرمة بين زوجها وأولادها ، وبين أبويها وإخوتها يرى الجميع أن حقها واجب ، وأن حرمتها كبيرة . إذا غضبت غضب لغضبها أبوها وأخوها . وجاء زوجها وأهله يسترضونها ويسترضون ذويها . كل ذلك مما يشعر بقدرها وكرامتها .

كان كل ذلك من أثر التربية الإسلامية والروح الدينية التى تربت تلك المجتمعات الأولى على موائدها ، فلقد حدثهم كتاب الإسلام : إن المرأة من آيات الله تدل على رحمته وبره بالإنسان ، فقال تعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

وقد أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من المعاملة الكريمة للمرأة ، وإحاطتها بكل رعاية وعناية ، ومن ترفقه بها ، وعطفه عليها ، والوصية بها ـ الشيء الكثير ـ ومن ذلك ماروى عنه صلى الله عليه وسلم ـ أنه لما سبيت صفية بنت حُيَيّ بن أخطب فى غزوة خيبر أمر بلالا أن يذهب بها إلى رحله ـ أى رحل النبي صلى الله عليه وسلم ـ فمر بها بلال وسط القتلى ، فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « أنزعت الرحمة منك يابلال ؟؟ »

يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المرأة ضعيفة القلب ، ولذا فهو يخاف من أن يصيبها الخوف والهلع إذا ما رأت القتلى تحت أقدامها ، فينهر بلالا لهذا السبب . أما أولئك الذين يزعمون أنهم أنصار المرأة فى هذه الأيام ، فهم يريدونها أن تكون جنديا شاكى السلاح : خلافا لطبيعة المرأة فى ضعفها ووهنها .

كانت المرأة فى مجتمعنا الإسلامى الأول خيراً مما هى عليه اليوم ، ودليل ذلك أنهن أخرجن رجالا كانوا قادة لأمتهم ، ونحن نتحدى من يدلنا على امرأة واحدة من نساء هذا العصر اللائى سلكن سبيل المدنية ـ بزعمهم وبزعمهن ـ خرج على يديها رجل مثل أولئك القادة الأفذاذ ، ولو أنك فتشت عن أمهات زعماء هذا الجيل وعظمائه ، لوجدت أنهن ممن بقين متمسكات بالدين والتقاليد الإسلامية ، والعادات الشرقية .

كان إلى عهد قريب ، بل يوجد إلى الآن من إذا مرضت زوجته أحضر لها الطبيب فى البيت تكريما لها ، أما أولئك الأدعياء ، أدعياء المدنية ، فقد لا يذهب أحد منهم إلى الطبيب مع زوجته ، بل يتركها تذهب وحدها ، إما لهوانها فى نفسه ، وإما لاعتيادها لمثل ذلك من قبل أن تتزوجه .

نخرج من كل هذا بأن المرأة بالأمس لم تكن مظلومة ولا مهضومة الحق ، ولا أسيرة عند زوجها ، حتى جاء هؤلاء المكذبة فرفعوا عنها الظلم ، وأعادوا لها الحق ، وخلصوها من الأسر - كما يزعمون .

وإنما الذى صنعه هؤلاء ، هو أنهم كانوا أولا أعداء المرأة والرجل على السواء ، وأنهم كانوا ثانيا أعداء لأنفسهم ودينهم ، لاتباعهم لخطوات الأوروبيين الملحدين الذين استطاعوا أن يستميلوهم ، ويزيفوا لهم الباطل ، ويغروهم بتحقيق مطالب الجسد من الشهوات والرغبات الحيوانية ، فاتخذوهم مطايا لهم ووضعوا لهم القواعد والمناهج التى يسيرون عليها . ولم تكن هذه المناهج على هيئة أو صورة واحدة ، ولكنها تتلون باللون المناسب ، فإذا كانت البيئة دينية محافظة ، تحدثوا بآيات من القرآن يؤدونها حسب أهوائهم ، أو فقرات من الأحاديث النبوية يفسرونها منها حسب شهواتهم ، فينطلى ذلك على من لم تكن له قدم راسخة فى الدين وأحكامه وحكمه . وإذا كانت البيئة ممن يزعمون أنهم مثقفون ثقافة مدنية حديثة ، قدموا لها ما أنتجته عقولهم الملحدة ، وأمعنوا بهم فى طريق الضلال حتى يقطعوا كل صلة بينهم وبين دينهم ، وبين ما لهم من عادات وتقاليد .

إلى عدد قادم إن شاء الله .

عبد الحافظ فرغلى

أسئلة وأجوبة :

(١)

جاءنا من الأخ الفاضل الأستاذ محمد محمد متولى عضو بعثة كلية الزراعة بجامعة وسكونسن بالولايات المتحدة الأسئلة الآتية :

١ - اللحوم للذبوحة هنا لا يذكر اسم الله عليها ، إنها تخدر ثم يفصل رأسها ، طبعا يخرج منها الدم . هل يجوز للمسلم أن يأكل من هذا اللحم ؟ .

٢ - هل يجوز للمسلم أن يشارك غير المسلمين فى أعيادهم وخصوصا الدينية منها ؟ وهل

ومن المعلوم أن البدع تحبط الأعمال وخصوصا عند الإصرار عليها لقوله صلى الله عليه وسلم . « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » أى أن كل عمل لا يؤدى على الوجه الذى أمر به رسول الله ، يرد على صاحبه ، ولا يقبل منه . ولقوله « كل محدثة بدعة ، وكل ضلالة فى النار » بل إن الإصرار على البدع رغم العلم بأنها بدع يجر إلى الشرك ، لأن المبتدع يترك شرع الله ورسوله ويتبع شرع الهوى والشيطان ، كما يقول الله تعالى : (أم لهم شركاء شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله) .

ونسأله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ، ويهدينا صراطه المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين .. آمين .

(د)

سؤال

فتاة ترغب الزواج من ابن عمها وابن خالتها وقد ولدت معه فى بيت واحد وتخشى أن تكون قد رضعت من أمه (أى خالتها وقد توفيت) أو يكون هو قد رضع من أمها (أى خالته وقد توفيت أيضا) فهل تدع هذا الشك وتتزوجه أو ترفض الزواج منه وتدع ما يريبها إلى ما لا يريبها .

ف . م . ع . قارئة من البحيرة

جواب

تقول إن والدته ووالدتها قد توفيتا ، إذن فلا سبيل إلى التحقق من ظنها وشكها ، لا سيما إن كانتا لم تذكرا شيئاً من ذلك فى حياتهما لا تصريحاً ولا تلميحا ولا ندرى سبباً لهذا الشك أو تلك الريبة ، وقد فطن الشارع الحكيم إلى أن الشك إذا تسلط على أعمال الناس فلن يسلم لهم منها شىء ، لذلك أمر أن نقطع الشك باليقين ، فلا نقيم للشك وزنا . فلا داعى لرفض الزواج لمجرد الشك فى احتمال الرضاع . كما إنه لا يحل لها الزواج إذا تيقنت من الاشتراك فى الرضاع . والله أعلم .

سليمان رشاد محمد

الشيخ عبد الله حمد

رحمه الله

(كل من عليها فان . ويبقى وجه ربك ذى الجلال والإكرام) .

« لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

فى يوم السبت ٨ رمضان سنة ١٣٨٢ الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٦٣ مات الشيخ عبد الله حمد بمدينة أم درمان ، ولقد كان المصاب أليماً ، والفراق عصيباً ، والخطب فادحاً محزناً ، ولكننا صبرنا واحتسبنا ، ولم نقل إلا مايرضى الرب . نعم : الموت حق ، والحياة زائلة ، والآخرة خير وأبقى ، فاللهم ارحم عبد الله وأكرم نزله ومثواه ، واجزه عنا خير الجزاء ياأرحم الراحمين .

لقد كان فى حياته سباقاً إلى الخير ، يفيض قلبه بالرحمة والإيمان ، لا يدخر وقتاً ، ولا مالاً ولا طاقة فى سبيل رفعة الإسلام وإعلاء كلمة التوحيد ، ونشر فضائل الدين ، والدفاع عن الحق بالحجة الواضحة ، والكلمة الطيبة ، والدعوة الخالصة ، والعمل الرشيد ، يذود فى حماس المؤمن عن حياض الدين الحنيف ، ويرد فى قوة حكيمة أوضار الجهل التى علقت بالعقيدة والعبادة ، ويناضل مستميتاً فى سبيل كرامة المسلم وحقه فى الحياة الإسلامية الفاضلة ، لم يتردد لحظة واحدة فى التضحية بوقته — العامر بمهامه الجسام — للأعمال فى سبيل الآخرين ، ولم يتقاعس ساعة واحدة عن العمل على الرغم من تفاقم العلة واشتداد المرض ونصائح الأطباء له بالراحة والإخلاد إلى الهدوء والسكون .

كان رحمه الله من أول المؤسسين لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان ، وكان من أبرز العاملين نشاطاً وإخلاصاً وتفانياً ، ثم أجمع الجميع فى مؤتمر عام وبثقة كاملة أن يكون رئيساً للجماعة ، وذلك من سنة ١٩٥٠ م إلى سنة ١٩٥٨ م ، فقاد السفينة بمهارة فائقة وسط الأعاصير والزوابع المرجفة .

وتميز عهده بالنشاط الدافق والأعمال الكبار ، وبذل للدعوة أغلى إمكانيات حياته ، وقد دبجت يراعته المؤمنة « أهداف الجماعة وقانونها » ومحاضرات كثيرة قيمة ومواعظ

رائمة مؤثرة ، لم يأل جهداً فى كفاحه حتى أقعده المرض ، فاللهم ارحم عبد الله رحمة واسعة واجزه عنا جزاء الأخيار الأبرار ، وتقبله ياربنا قبول المجاهدين ، واجعل مثواه مع المؤمنين المرضيين ، وارزقنا الصبر والسلوان فى فقده العظيم ، إنك سميع الدعاء قريب مجيب .

المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية — بالسودان — أم درمان

سكرتير الجماعة يوسف عمر أغا

(الهدى النبوى) ونحن إذ نشارك إخواننا أنصار السنة المحمدية بالسودان الشقيق فى هذا المصاب ، فإننا نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمد فقيدنا (عبد الله حمد) بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جنته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فقد كان علماً من أعلام دعوة التوحيد ونصر السنة النبوية ، لم يأل جهداً فى الدعوة إليهما والقيام بهما والذود عنهما حتى آخر حياته .

أجزل الله مثوبته ، وتجاوز عن سيئاته ، ورحمه الله رحمة واسعة ، وآجرنا فى مصيبته خيرا .

هذا بلاغ للناس

دأب السيد / السيد على قنديل على إصدار نشرات مذيلة بتوقيعه ، واصفاً نفسه فيها بأنه رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بباب سدرة بالاسكندرية ، والعجيب فى أمره أنه فى الوقت الذى يصف نفسه بأنه من أنصار السنة المحمدية ، ينكر كل سنة نبوية ، ويجحد كل مالم يرد به نص فى القرآن الكريم ، وهذا الموقف — وإن كان مقلداً فيه لأسلاف له فى الضلالة — لا يليق بمن يزعم أنه ينصر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلولا مانقل إلينا من أحاديثه صلى الله عليه وسلم و بيانه مااهتدينا إلى صلاة ولا صوم ولا زكاة ولاحج ولا غير ذلك من حلال ولا حرام فى مانأتى وماندع من الأعمال .

والأخطر من ذلك كله أننا لو ذهبنا الآن نحاول أن نصحح أو نكذب أحاديث رسول الله بمقاييس غير التى ارتضاها واتفق عليها السلف الصالح والأئمة المهتدون وتلقتها

الأمة من بعدهم بالقبول جيلا بعد جيل ، إننا لو ذهبنا نحاول ذلك لضللنا أبعد ضلال ولتفرقنا أشنع تفرق ، ولن يتفق مسلم مع آخر فى كيف يصلى ولا كيف يصوم ، بل سيذهب كل واحد منا إلى حيث يشاء ، ويشاء له الهوى والشيطان ، ثم هذا القرآن الذى يزعمون أنهم يعتصمون به دون السنة ويتبعونه ، ألم ينقله إلينا نفس نقلة الأحاديث هؤلاء ، فكيف نكذبهم فى نقل الحديث ونصدقهم فى نقل القرآن ، أليست الخطوة التالية للشيطان أن يشككنا فى كتاب ربنا ؟ كيف نرضى لأنفسنا أن نتبع خطوات شياطين الجن وشياطين الإنس من اليهود والمستشرقين ونترك سبيل أئمة الهدى من سلفنا ؟ إن هذا لهو البلاء العظيم .

وإن آخر نشرة أصدرها المذكور كانت فى شهر رمضان بعنوان « أحكام رمضان » . نفى فيها أن ليلة القدر تتكرر ، وقال إنها كانت خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نفى فيها فرضية زكاة الفطر ، وقال إنها نفل — من شاء أداها ومن لم يشأ لم يؤدها ، وليس عليه شيء — ونفى أن يكون لها مقدار أو نوع أو أن تخرج عن الأولاد . وقد أراد أن يجعل لباطله سنداً ، فأخذ يورد كثيراً من عقائد العامة وبدعهم وخرافاتهم التى تحاربها أنصار السنة .

أما ليلة القدر — وهى الليلة التى بدأ فيها نزول الوحى بالقرآن على رسول الله — فقد أمرنا الله بإحياء الشهر الذى فيه تلك الليلة كله بصيامه وقيامه ، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بالتماسها فى العشر الأواخر من رمضان من كل عام ، فكيف يمكن بعد ذلك أن ننفى تكرارها . أما زكاة الفطر فإنه يكفى فيها أن يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى البخارى هذا الحديث : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر : صاعاً من تمر ، أو صاعاً من شعير ، على الحر والعبد ، والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين ، وأن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة » وسبحان الله وبحمده فإن هذا الحديث يهدم كل ماذهبت إليه النشرة ، ونسأل الله أن يقينا الفتن ماظهر منها وما بطن .

ونحن نعلم من إخواننا أنصار السنة بالاسكندرية أن هذا الرجل قد انحرف عن دعوة

الجماعة منذ أكثر من عشرين سنة ، وأن كثيراً من علماء أنصار السنة حاولوا معه فى اجتماعات كثيرة أن يردوه بالحجة والبرهان إلى الحق فكان يظهر الاقتناع ، ثم يرتد إلى خطئه فى التنكر للأحاديث النبوية . والله يهدينا إلى سواء السبيل .

رحلتى إلى اسوان

السفر شاق إلى أسوان وهو أشد مشقة إذا كان فى رمضان ، بيد أن لقاء الإخوة يزيل كل تعب ويبدد كل مشقة ، ومن ثم سافرت إلى أسوان والفرحة تملأ نفسى والسرور يغمر قلبى ، لقد أمدنى أخى الأستاذ سليمان رشاد سكرتير عام الجماعة بأسماء إخوانى بفرع أنصار السنة بها ، وعلمت أن منهم زملاء لى فى التلمذة على أستاذنا الجليل الشيخ أبو الوفاء محمد درويش رئيس أنصار السنة بسوهاج ، ذلكم الرجل القوى فى حجته البليغ فى عبارته ، المبين فى أسلوبه ، المخلص فى دعوته ، فلا يكاد أى تلميذ من تلامذته يظهر هنا أو يستقر هناك حتى تراه مدفوعاً بقوة إيمانه وعلمه الغزير الذى تلقفه من أستاذه إلى الدعوة للخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والحض على الفضيلة والتعاون على البر وهو يرى أن كل ذلك منوط بالتوحيد يستعلن ، والإيمان بالله ورسوله يتبدى ، والتمسك بالكتاب والسنة يشتد ويقوى .

وهكذا كان الزميل الكريم الشيخ يوسف محمد سليمان رئيس أنصار السنة بأسوان الذى استطاع بإخلاصه أن يقيم الدعوة هناك وأن يجند لها إخوة كرماء وزملاء أوفياء وأن يبنى لها مسجداً .

وكان لقاء حاراً وتعرفنا على إخوة كرام أسرونى بكرمهم وغمرونى بفضلهم الذى أشكره لهم « ولا يشكر الله من لا يشكر الناس » كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وإن أنس لا أنسى كرم الأساتذة صالح جمال ، أحمد الهلالى ، عيسى عباس ، الحاج حافظ وهاشم عاشور ، شريف . . . الخ .

والحق أنه كان لقاء على خير ، واجتماعاً على تقوى وتعاوناً على بر .

و بعدها سافرت إلى إدفو ، وبالصدفة وعند الإفطار ، وفى فندق الطعام الوحيد بها جلست لطلب الإفطار ، وما كدت أجلس حتى فاجأنى شاب أسمر اللون باسم الثغر متهلل الوجه وسألنى أنت الأخ رشاد الشافعى ، وقبل الرد كان العناق وكان اللقاء ، لقاء الإخوة الكرماء ، لقاء الصحب الأوفياء ، لقاء تسوده المحبة فى الله تفرع منه المؤانسة والمجالسة والكرم ، أى كرم : كرم من يؤمن بقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » .

والحق أن الأخ حامد حسنين بكرمه العظيم و بإخلاصه الشديد علمنى كيف تكون المحبة فى الله وكيف يكون الإخلاص والكرم فيه ، ومن فضل الله انه على قدر إخلاصه لدينه على قدر نجاحه فى عمله وفى حياته ، وهو فوق ذلك محبوب فى بلده ، معروف بأمانته مشهور بأدبه وذوقه ، وهو ينسب كل ذلك إلى صلته بدعوة أنصار السنة المحمدية التى زكت فيه هذا الخلق الكريم ونمت فيه هذا الذوق السليم وأحيت فيه هذا الطبع الكريم .

والعجب أن الله تولانى برحمته من أول هذه الرحلة إلى آخرها ، فقد ركبت القطار وأنا أشد ما أكون غيظاً ، إذ لم أجد مكاناً بعربات النوم — وقال لى الشيخ يوسف محمد سليمان (عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) وتحرك القطار ودخل موعد الإفطار وبادرت رجلا تبدو عليه سيما الوقار وتتجلى عليه علامات الأبرار بالدعوة إلى مشاركتى فى الطعام وفعلا شاركنى وشاركته هو وولده وحادثنى وحادثته فإذا به الشيخ محمود عبد الواحد رئيس قسم التعليم بالمراغة وعضو جماعة أنصار السنة المحمدية بسوهاج فتبدل الغيظ فرحاً والألم سروراً والوحشة أنساً ومرت الساعات الطويلة وكأنها لحظات قصيرة كلها أمل ورحمة وكلها خير و بركة .

و إلى اللقاء بعد رحلة إلى سوهاج إن شاء الله .

رشاد الشافعى

تعليقات على الصحف :

دجال جديد

أعلن نبى جديد فى دمشق أن القيامة ستقوم يوم ١٥ مارس من العام الحالى . . والغريب أن أتباع هـذا النبى المزعوم صدقوا كلامه ، وسارعوا إلى بيع أراضيهم وممتلكاتهم ، وسددوا ديونهم حتى يقابلوا ربهم بضمير حى . «أخبار اليوم فى ٢/٣/ ٩٦٣»

• • كم من مرة قرأنا عن أمثال هذا الدجال الكاذب ، وعما يذيعونه على الناس من السخف والباطل ، وكان آخرهم « الهنود الفلكيون » الذين نشروا فى العام الماضى أن قيام الساعة وفناء العالم سيكون يوم الاثنين فبراير عام ١٩٦٢ وجاء ذلك اليوم على العالم ولم يحدث مازعموه .

على أن المؤمن الحق يدرك أن هذا الأمر هو سر لم يطلع الله عليه أحد من البشر . حتى أنبيائه ورسله ، وفى موعد قيام الساعة يقول الخبير بها جل شأنه (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو الآية ١٨٧ الأعراف) ويقول وقوله الحق (هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون الآية ٦٦ : الزخرف)

* * *

السيد البدوى . . . والإذاعة

طلبت مراقبة التمثيليات بالإذاعة من أحد المؤلفين كتابة برنامج عن حياة السيد البدوى.
« المساء يوم ١٢/٣/١٩٦٣ »

• • لا ندرى ماهو النافع المفيد فى حياة البدوى الجدير بأن يثير اهتمام الإذاعة فتكلف أحد المؤلفين ليكتب عنه برنامجاً يذاع على المستمعين ؟ ! .

ولعل المؤلف سيكتب عن جانب حياته الذى وقفه لخدمة العلويين بمصر خلفاً لأبى الفتوح الواسطى عند ما تقلص حكم العلويين بمصر فأرادوا أن يستعيدوا مجدهم الضائع واستغلوا دعوة الصوفية لهذا الغرض الشخصى ، ولكن البدوى أخفق وخاب كداعية للعلويين[1] .

(١) راجع كتاب « السيد البدوى ، أو دولة الدراويش فى مصر » للأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف ص ٢٤ وما بعدها .

ولعله سيكتب عن جانب حياته الذى قضاه معزولا عن عباد الله العاملين فى سطح أبى شحيط بطنطا يرسل الأتباع إلى البلاد لبث دعوة التصوف ، ويقف طوال النهار يحملق فى قرص الشمس حتى تحمر عيناه ، وقضى أيامه دون أن يتزوج ، ولم يكن يستبدل ملابسه المتسخة بأخرى نظيفة ، ويخاطب الناس بالإشارة ، وغير ذلك من غريب التصرفات وشواذ الأفعال التى لا يتسع المجال لذكرها[1] ، لعل المؤلف سيكتب عن هذه الجوانب التى لا يرى فيها عاقل نفعاً للمسلمين ؟ ! .

وإذا أبى المؤلف أن يكتب فى هذا فلعله سيضع له تاريخاً مزيفاً خلاف ماوعته كتب التاريخ الصحيحة ليجعل منه صاحب تاريخ مجيد ليزداد عاشقوه وعباده تعلقاً به ! . .

ولماذا تهتم الإذاعة بالبدوى وحده دون غيره ؟ . . إن لدينا عديداً من علماء المسلمين الأجلاء الراحلين الذين نهلوا من منابع الدين الصحيحة ، ووقفوا حياتهم كلها لخدمة الإسلام ، فاستفادوا وأفادوا بما تركوا من معارف إسلامية نافعة جديرة بأن تهتم بها الإذاعة لتقدمها للمستمعين .

* * *

نتائج اختلاط الجنسين

قتلت أم طفلها بعد ولادته بربع ساعة ، ألقته من فوق سطح منزلها ففارق الحياة ، وحاولت إخفاء جريمتها ولكن جارة لها شاهدتها . . وقد قررت الأم أمام وكيل النيابة أنها تعرفت بشاب واتفقا على الزواج ، غير أنه تنكر لها فأرادت الانتقام منه بقتل المولود ، وأحيلت الأم إلى المحاكمة . «الأهرام يوم ١٣ مارس سنة ١٩٦٣ »

• • هذه نتائج اختلاط الجنسين ، وخير دليل على فساده . . وهذه هى ثمرات الحرية التى يريدها الأباحيون والمقلدون لغيرهم من الأوروبيين ، ويروجون لها بكل مايملكون .

ولعل هذه الحادثة المؤلمة وغيرها من حوادث الاختلاط الشائنة تقنع دعاة الاختلاط من كتاب الصحف والذين يتصدون للكلام فى مشاكل الأسرة والشباب للكف عن دعوتهم حين يزعمون أن اختلاط الجنسين ضرورى للتخفيف من حدة الكبت الذى يعانيه الشباب . . ولعل هذه الحوادث تقنع أيضاً من يهمهم الأمر بأن لا يسمحوا لأنفسهم أو لبناتهم بهذا الاختلاط .

سمير صادق محمد

---

(١) راجع كتاب « السيد البدوى » للأستاذ محمد أبو [illegible] ص ١٠٥ [illegible]

من مبادىء

جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

التوحيد : سلامة العقيدة من كل شائبة ووهم وخرافة والتواء ، مع إخلاص الإيمان والدعاء والخوف والرجاء والسؤال والعبادة لله وحده ، فهو مالك الملك ، السميع المجيب ، البر الرحيم .

إذا سألت فاسأل الله ، و إذا استعنت فاستعن بالله ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك .

لاتدعُ من دون الله أحدا من خلقه ، فالمدعو عبد فقير إلى الله لا يملك لك ولا لنفسه نفعا ولاضرا ، لأن الأمر كله بيد الله تعالى .

إحذر أن تجعل لله ندا تحبه وترجوه وتشركه مع الله فى النداء ، والحب والرجاء ، والخوف والدعاء، فإنه سبحانه وحده الذى خلقك فسواك وأسبغ عليك نعمه ظاهرة و باطنة .

إحذر أن تتوسل إلى الله بغير صالح عملك وطاعتك لربك ، واستقامتك على صراطه ، وابتغائك لمرضاته ورجائك لمغفرته ورحمته .

إحذر أن تتخذ حجابا أو تميمة أو تطلب البركة من غير الله .

إحذر أن ، تنذر أو تذبح لغير الله .

إحذر من البدع والخرافات والخزعبلات .

كل ذلك ينافى التوحيد و يضاده ، و يوقع فى الشرك الذى لايغفره الله (إن الله لايغفر أن يشرك به ، و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .

العدد ١٢ ذو الحجة
المجلد ٢٧ سنة ١٣٨٢

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
عبد الرحمن الوكيل

مدير الإدارة
محمد رشدي خليل

مطبعة السنة المحمدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير
ت ٩٠٦٠١٧

٣٠ مليما

الفهرس

صفحة

تنبيه للسادة المشتركين

ترجو إدارة مجلة الهدى النبوى من السادة المشتركين أن يتفضلوا بتجديد إشتراكاتهم لعام ١٣٨٣

كما ترجو السادة المتعهدين أن يتكرموا بإرسال مالديهم من أثمان المجلة .

هذا وفى حالة عدم التسديد سنضطر آسفين لقطع المجلة حسب قرار مجلس الإدارة وقيمة الإشتراك السنوى ٣٠ ص ثلاثون قرشاً بالجمهورية العربية المتحدة والسودان و ٤٠ ص أربعون قرشاً فى الأقطار الأخرى .

وترسل قيم الإشتراكات باسم مدير المجلة السيد / محمد رشدى خليل

وشكراً ؟

الإدارة



المركز العام : ٨ شارع قوله — عابدين القاهرة — تليفون ٧٦٥٧٦

العدد ١٢ ذو الحجة سنة ١٣٨٢ المجلد ٢٧

نور من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ جلّ ذكرُه ـ : (كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ، وَلَمْ تَظْلِمْ منه شَيْئاً ، وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً ، وكان له ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ : أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً ، وَأَعَزُّ نَفَراً . وَدَخَلَ جَنَّتَهُ . وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ . قال : مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ، وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً منها مُنْقَلَباً . قال له صاحِبُه ـ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ـ : أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ، ثم مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّى ، وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَداً : الكهف : ٣٣-٣٨) .

« معانى المفردات »

« أكل » أكل الشجرة ثمرها .

« تظلم » قال الراغب : الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء : وضع الشىء فى غير موضعه المختص به إمّا بنقصان أو بزيادة ، وإما بعدول عن وقته أو مكانه .

فجّرنا : الْفَجْر : شق الشىء شقا واسعا ، وفجر الماء فتح له طريقا فانفجر .

خلالهما : الخلَلُ : فُرْجَة بين الشيئين ، وجمعه خِلال .

نهرا : أنهرتُ الماء أسلته ، وأنهر الماء : جرى ، والنَّهْر : مجرى الماء الفائض المتسع . والنهَر لغة فيه . وجاء فى المصباح : النهر الماء الجارى المتسع ، ثم أطلق النهر على الأخدود مجازا .

يحاوره : المحاورة والحِوار المُرادَّة فى الكلام . تقول : حار الماء فى مجراه : تردد فيه .

ثمر : الثَّمَر حَمْل الشجر ، وأنواع المال . والولد ثمرة القلب ، وجمع الثَّمر ثِمار . وثُمُرٌ جمعُ الجمع ثم يجمع على أثمار مثل عُنق ، وأعناق ، والثمر مذكر ، أما الثمرة فمؤنثة ، وجمعها ثمرات . ويقال الثمر على كل ما تحمله الشجرة سواء أُكِل أم لا ، فيقال ثمر العوسج وثمر النخل والعنب ، ويقال الثمر أيضا عن النسل .

نَفَرا : قيل إنهم جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة ، وقيل إلى سبعة . ولا يقال نفر فيما زاد على العشرة ، ولا مفرد لكلمة نفر . وقيل النفر : الناس كلهم ، وقيل : هم رهط الإنسان وعشيرته . وأحسن ما قيل : إنهم عدة رجال يمكنهم النفر « النفر الانزعاج عن الشىء وإلى الشىء » . أى يمكنهم أن ينفروا مع صاحبهم عند الشدائد ، فيكونوا له عَوْنا ونخرا . والمنافرة المفاخرة والمحاكمة . ومن النفر أولاد الرجل الذكور وخَدَمه وحشمه ؛ فالذكورهم الذين يستطيعون أن ينفروا معه .

تَبيد : باد الشىء يبيد بيادا إذا تفرق وتوزّع فى الْبَيْداء « الصحراء المهلكة » ولهذا يقال عن الشىء الذى باد إنه هَلَك .

منقلبا : قلب الشىء تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه كقلب الثوب ، والمنقلب المكان الذى ينقلب إليه الإنسان ، أو هو الانقلاب فالمنقلَب كالمنصرَف يكون اسم مكان ، ويكون مصدرا .

نطفة : نَطَف الماء ينطُف : سال ، ونَطَفت القِرْبة تنطُف ، وتنطِف نَطَفَانًا إذا قَطَرَتْ قليلا قليلا والنطفة أيضا الماء الصافى قَلّ أو كثُر ، وهى بالقليل أخص ، وبها سمى المَنِىّ والجمع نِطاف ونطف.

سَوَّاك : تسوية الشىء جعله سواء إما فى الرِّفعة أو فى الضعة ، وسواك فى الآية معناها . جعل خلقتك على ما اقتضت الحكمة .

(المعنى)

قلت فى العدد السابق « المثل أثر كبير فى توضيح المعانى ؛ فهو اشبه ما يكون بالصورة المرئية المتجسدة للمعنى المجرد ، وبه يشترك الحس مع العقل فى فهم المعنى وتدبره ، وإذا اجتمع على الإيمان بالحقيقة حسُّ الإنسان وعقله اكتسب المرء يقين الإيمان الذى لا تمسه شبهة ، ولا ينال منه تلبيس ؛ ولهذا ضرب الله الأمثال للناس فى القرآن ؛ ليعينهم بهذه الأمثال على تدبر المعانى تدبرا يشترك فى الإيمان بنتائجه ، العقل والحس » .

وفى هذه الآيات الجليلة مثل وقصة . ومن القصة كان المثل ، فالمتدبر للآيات يبدو له جلياً أن ما تخبر به الآيات ليس إلا قصة حقيقية شهد لها واقع البشرية وتاريخها بأنها قد وقعت ، وجاء القرآن فى إعجاز بلاغته وفصاحته يقص ماحدث ؛ ليكون لنا من هذه القصة عظة هادية ، وعبرة شافية . فهى إذن قصة تفيض بقوة الحق واليقين بوقوعها ، وهى أيضا مثل يضرب بعد ذلك حين تمر بنا أحوال تشبه أحوال هذه القصة .

ولقد بينت لنا الآيات من قبل أن بعض الكفار الذين يعتزون بأحسابهم وأنسابهم قد طلبوا إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يطرد بعض أتباعه الذين ذكر الله عنهم أنهم « يدعون ربهم بالغداة والعشى » . وأن الله سبحانه نهاه أن يسمع لما طلبوا ، ثم بينت الآيات بعد ذلك مصير الكفار ، ومصير الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات . وتأتى هذه الآيات تقص لنا قصة غنى أترفه الغنى بفتونه ، ومسه بجنونه ، ففسق به عن أمر الله حتى ظن أنه نِدٌّ للخالق ، أو أنه هو الخالق ! ! .

وقصة رجل مؤمن نَدِىّ الرضا ، قوى الإيمان يرى السعادة كلها فى صفاء الإيمان ،

وقوة اليقين بالله سبحانه ، فليعتبر بها أولئك الذين طلبوا من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ، وليعتبر بها أيضا كل من تضطرم نفوسهم بمثل هذه الأحقاد الموتورة الحمقى . وليعتبر بها المؤمنون الصادقون وأمثالهم ، فيحمدوا الله سبحانه على أنه رزقهم الإيمان الذى هو جنة الدنيا والآخرة ، وإن كانوا قد حرموا زينة الدنيا ، ولم تسر فى دمائهم ولا أيامهم نشوة لذتها الساحرة .

وطرفا القصة - رجل كافر له شهواته ونزواته وضلالاته ورجل مؤمن له قيمه العظمى ، ومثله العليا ، ومقوماته النبيلة ، وهداياته التى يستلهمها من خالق الهدى ورب الهدى جل جلاله ، ولا يزيدنا إيمانا بحقيقة القصة أن نعرف أسمى الرجلين وعصرهما ومكانهما ، إذ العبرة فى موضوع القصة نفسه[1] فلنكبح جماح هوانا الدافع إلى معرفة الغيب التاريخى الذى لا تتحدث عنه سوى أساطير ، أو أهواء صورت أقوالا تزعم أنها حقيقة ، وهى باطل ، هدفه أن يصرف عن الحقيقة ! !

أما الأول ، فقد جعل الله له جنتين عظيمتين . وقد وصفت هاتان الجنتان بصفات أولا : أنهما من أعناب ، وهو من خير ما تنتج الأرض من ثمر له قيمته الكبرى فى حياة الإنسان .

ثانياً : أن النخل يحيط بجوانب هاتين الجنتين ، فعلى حفافى كلتيهما نخل فارع سامق يثير منظره فى النفس البهجة والإعجاب ، ويصوِّر بظلاله على الأرض ما يأخذ باللب من روعته ، وينشر فى النسمات من حفيفه ما تنشره همسات الأمل فى النفس البائسة .

ثالثاً : بأن الله قد جعل بين الجنتين ، أو بين النخل والعنب زرعا يرفُّ نضرة وخضرة . وإنى لأتركك بين يدى هذه الصورة الرائعة ذات النسق البديع البهيج ، فما ثم

---

(١) أفاض كثير من المفسرين فى الحديث عن هذين الرجلين ، فبعضهم يجعلهما من معاصرى النبى صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يجعلهما من بنى إسرائيل ، وبمثل هذه الأقوال التى تنتسب إلى بنى إسرائيل دائما نستطيع أن نحكم بما كان لأساطير أهل الكتاب ، ولا سيما أساطير اليهود ، من سيطرة وسلطان خدع كثيراً من المسلمين عن بعض حقائق دينهم المشرقة .

إلا جَمالٌ وروعة على مد بصرك . تنقله من النخيل إلى العنب ، ومن العنب إلى النخيل ، ثم ترمق مابين النخيل والعنب ، ومدى ما بين الجنتين من أرض ، فلا ترى إلا ما يقف ببصرك عنده مسبحاً بحمد الله خالق الخير والنعم وفاطر الجمال ، تصور أنت ، أو أغمض عينيك قليلا لترى صورة الجنتين فى بهجتهما وروعتهما فى ذهنك مستمداً معالم الصورة من الآية القرآنية وثمت تدرك أية نعمة جليلة منّ الله بها ، فكفر بها المتمرد الطاغية ! ! هكذا ترى الجنتين جامعتين للأقوات من زرعها ، وللفواكه من نخيلها وعنبها . فماذا بعد ؟ « كلتا الجنتين آتت أكلها » كل واحدة من الجنتين جعلها الله تعطى ثمارها التى يتخذ منها الناس لهم طعاما ، أو من ثمنها : فهى لا تعطى ثمراً عديم القيمة ، كلا وإنما تعطى ثمراً يمكن أن يؤكل هو ويستفاد من أكله أو يؤكل بثمنه ، فهو - إذن - ثمر ذو قيمة عظيمة ، وفائدة جليلة .

« ولم تُظلم منه شيئاً » الظلم عدوان ، أما هاتان الجنتان ، فلم تبغيا ، ولم تعتد واحدة منهما ، فأخرجت كل منهما ثمرها المرجو منها - كجنة مرموقة مشهود لها بالكمال دون أن تنقص منه شيئاً [1] ودون أن تأتى بثمرة مريضة ، أو مصابة بآفة تفرض الحرمان منها .

« وفجرنا خلالهما نهراً » ومن نعم الله العظيمة التى تزيد الجنتين جمالا وخصبا وتمد صاحب الجنتين بما يزيد من ثروته وبهجته أن الله أجرى خلال الجنتين نهراً يتدفق ماؤه بقوة [2] ، فيعطى الجنتين ماءها ، ويعطى الزرع ماءه ، ويسقى مايريد أو من يريد السقى ، وماؤه الغَمْر فى جريانه لا يمسه ركود ، فيفسده ، ويغير من طعمه وريحه ، وينال من روعة صفائه وجماله ، ولقد ذكر ابن كثير معنى جيداً لقوله تعالى : « وفجرنا خلالهما نهراً »

---

(١) لا أرى الظلم هنا نقصا فى الثمر فحسب ، وإنما أراه أيضاً شاملا لما قلت . وهو مجىء الثمر مصابا بآفات أو عطب ، وكل ما وقع فى يدى من كتب التفسير يحمله على المعنى الأول فحسب .

(٢) تدبر كلمة « فجرنا » .

إذ قال : « أي والأنهار متفرقة فيهما هٰهُنا ، وهٰهُنا [١] » . فما فى جنتيه نهر واحد ، وإنما فى جنتيه عدة أنهار ، نهر هنا ، ونهر هناك . وواقع الأمر يؤيد ما فهم ابن كثير من الآية ، فصاحب الجنتين لا يجعل فيهما مجرى واحداً للماء وإنما يشق فيهما عدة أنهار طولا وعرضا ؛ ليصل الماء إلى كل مكان فيهما [٢] .

« وكان له ثمر » ولم يكن الرجل مالكا للجنتين فحسب ، وإنما كان له فوق هذا أنواع شتى من المال الذى أدخره من ثمر الجنتين وزرعه ، فهو إذن صاحب مال وفير يتمكن به من تعمير الأرض كيف يشاء ، ويحقق به لنفسه ما يشتهى .

« فقال لصاحبه ، وهو يحاوره » لقد سطا الغنى بنفسه ، فجعلها أجيرة . السوء عنده ، يسخرها الشيطان لما تشاء طغواه وضلالته وأعماه ترفه عن القيم الكريمة بل عن بَدَهيَّات الذوق الإنسانى العام التى تفرض على صاحبها ألا يُدل بجاهه وغناه على صاحب فقير له ، فيجرحه ، ويدمى كرامته وصداقته ، ولا سيما والصاحبُ رجل طيب القلب ، طهور النفس بالإيمان من أحقاد الكفر وحسده .

ومما يدل على غباء الجحود فى هذا الرجل، وعلى أنه أصم الكفر مرذول الشعور متبلد الإحساس فخره على صاحبه بما لا يجوز حتى فى عرف العقل الإنسانى السليم أن يكون محل فخر . فقد افتخر عليه بقوله : « أنا أكثر منك مالاً وأعَزُّ نفرا » يفخر بماله ، وحشمه وخدمه وقومه وأولاده [٣] بوصفهم نفراً له أى يمكنهم أن يهبوا للنفر معه متى أراد .

لقد أطغاه غناه وجاهه وقدرته على التسخير المقيَّد ، وأنساه الشيطان أن الله الذى يمحق الشيطان بلمنة واحدة يقدر أن يمحق كل أولياء الشيطان فى لحظة واحدة .

---

(١) نظر الى قوله تعالى « وفجرنا خلالهما » فتضعيف الفعل ، وذكر كلمة خلال تعطى هذا المعنى الذى ذكره ابن كثير .

(٢) قد يفهم من الآية أيضا أنه كان هناك نهر عظيم يفصل بين الجنتين ، وأن كلتا الجنتين كانت على ضفة منه . غير أن ماذهب إليه بن كثير أجود .

(٣) فهمنا من النفر دلالتها على الأولاد من قوله سبحانه وهو يقص قول المؤمن: « إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا » فقد قالها فى مقابل قول الكافر الذى قصه الله « أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً » .

« ودخل جنته[1] وهو ظالم لنفسه » إن الله قد جعل له جنتين فيهما من قدرة الله ونعمه وابتلائه . ولكن الرجل دخل الجنة، وهو متلبس بشعور أنها له ، وأنها أثر من آثار تفكيره ، ودليل قدرته على العمل الخلاق المبدع !

دخلها وهو يفصل بين النعمة ورب النعمة الحق بجحود الكفر ، وغلظ الجحود . دخلها وهو يظن أنه المالك للجنة ، وأنه هو رب الجنة ؛ ، لهذا حُكِم عليه بأنه ظالم لنفسه . فقد أوردها التهلكة بما استكن فى نفسه من كفر بنعمة رب النعم سبحانه .

« قال : ما أظن أن تبيد هذه أبداً[2] » لقد غلبه ما استبد بنفسه من جحود ، فأبى إلا أن يحيله تعبيراً يكشف عن سوء دخَله ودغَله ، فقال هذه الكلمة الكافرة : ما أظن أن تهلك هذه الجنة ، بل ستبقى بقاء الدهر « وما أظن الساعة قائمة » ينكر البعث ، ويكفر به ، ويعبر عن هذا الإنكار وعن هذا الكفر بأسلوب فيه دلالة على الاستهتار والاختيال الجاحد ، فالأمر لا يستحق منه يقيناً ، حتى يقول وأوقن أن الساعة ليست بقائمة ، فاكتفى بأن يجعل نفى قيام الساعة متعلقاً بظنه فحسب .

« ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا » لم يكفه أن يكفر بقدرة الله وبوجوده بل راح يزيد الكفر قحة وفجورا ، فزعم أن إرادة الله مسخرة لهواه ، وأن مشيئة الله طوع مشيئته ، وأن الله يقوِّم جزاء خلقه تقويم الطغاة البغاة الذين يرون الجاه هو كل شىء ، وأن الغنى هو الفيصل الأكبر . وفى كلام الرجل تقيُّح من التكبر البغيض فهو يسوقه مساق المحقِّر لشأن من يتحدث عنه ! أو مساق السخرية التى تتسم بالوقاحة . لقد رأينا فى قوله من قبل إنكاراً للبعث ، فكيف يقول هنا : ولئن رددت إلى ربى ؟ ! إن فى

---

(١) إنه لم يدخل الجنتين معاً فى وقت واحد فبينهما زرع يفصل بينهما ؛ لهذا أفردت الجنة . وإضافة الجنة إلى صاحبها توحى بأنه ليس له سواها . أى ليس له فى الآخرة عند الله شىء .

(٢) الأبد : الدهر .

قوله هذا توكيداً لكفره ذاك ، وتهكماً بعقيدة صاحبه . فهو — كأنما يقول له : لئن رددت إلى الرب الذى تزعم !

وترى فى إضافة كلمة « رب » إلى نفسه فى كلمة «ربى» ظلا بغيضاً من التعالى المرذول الأحمق ، فكأنما يزعم أن هذا الرب إنما ينال مقامه — لا بسبب ربوبيته المطلقة ، وإنما بسبب ربوبيته له هو ، وكأنما يزعم أن هذا الرب ربه وحده ، لا رب الناس جميعا !!

ثم هو يزعم أنه — إن صح زعم صاحبه فى البعث — سيجد عند ربه مرجعاً وعاقبة أسمى وأجل وأنضر .

إنه يظن فى الله ظن السوء ! !

ظن طاغية بطاغية أكبر !!

ظن غنى مترف يقدم الرشا من سحت ماله — وكل ماله سحت — إلى ملك غشوم ظلوم زلفى وقربانا ، فيجزيه عن سحته بسحت آخر !

ظن أن الله يخدعه عن الحقيقة هذا الجاه العريض ، وهذه الفتنة التى أبقت بصاحبها عن ذكر الله .

ظن أن الله ينظر إلى مال الرجل وصورته وجاهه عند الناس ، فزعم ما زعم . وكم من كافر كفر كُفره !

تدبر قول الله سبحانه عن الإنسان فى جحوده وعتوه : (لا يَسْأَمُ الإنسانُ من دُعاءِ الخيرِ ، وإنْ مَسَّه الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ، وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحمةً مِنا مِن بعدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ : هذا لى . وما أظن الساعةَ قائمةً ، وَلَئِنْ رُجِعْتَ إلى ربى إن لى عنده لَلْحُسْنَى ، فَلَنُنَبِّئَنَّ الذين كفروا بما عَمِلوا ، وَلَنُذِيقَنَّهُمْ من عذابٍ غليظ . فصلت : ٤٩ ، ٥٠) .

وتدبر الحكم بهذه الآية على الإنسان[1] لتعلم أن هذا الصنف كثير شديد ! وما أدق

---

(١) فى قوله تعالى فى أول الآية « لا يسأم الانسان من دعاء الخير » والتعبير بالإنسان يوحى بأن من ينطبق عليهم حكم الآية هم الأكثرية الغالبة من بنى الانسان .

ما يقوله الزمخشري في تفسيره لهذه الآية : « وترى أكثر الأغنياء من المسلمين ـ وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم ـ فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية » .

« قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذى خلقك من تراب » لقد فهم المؤمن ببصيرته الواعية المشرقة ما يمور به قاب صاحبه من كفر بالخالق ، لهذا قال مُنْكِراً على صاحبه ، مستعظماً لماصدر منه موبخاً لهذا العُتل الغليظ : «أكفرت بالذى خلقك من تراب» لقد تصور الكافر أن جنته لن تصير ترابا ، وأنها ستظل في خضرتها ونضرتها وزكاتها أبداً . تصور أن هذا الوجود الحى الفياض بالحياة فى فتوتها تستحيل صيرورته إلى عدم . فهو ـ إذن ـ يرى فى الله نوعا من خلقه ، ويفهم فى قدرة الله ما يفهمه فى قدرة البشر . فقدرة البشر تحكمها الأسباب والعلل ، وهكذا ظن الأثيم فى قدرة الله . غير أن قدرة الله سبحانه لا تحكمها أسباب ولا علل ؛ لأنها هى التى خلقت الأسباب والعلل ، ولا يعقل امرؤ أن الخلق يهيمن على خالقه ! !

العدم ينتج منه الوجود ، والوجود ينتهى إلى عدم . إن الفلسفة لا تؤمن بهذا . ولكن قدرة الله التى لا تهيمن عليها أسباب ولا علل ولا تستند إلى ما تستند إليه قدرة البشر ـ جعلت من العدم وجوداً ، وأحالت الوجود إلى عدم . وهذه هى قدرة الله فى جلالها وقهرها وقوتها وهيمنة مشيئتها يقول ربنا سبحانه : « ويقول الإنسان : أَئِذَا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ، أَوَلَا يَذْكُرُ الإنسانُ أنا خَلَقْنَاهُ من قبلُ ولم يَكُ شيئا . مريم : ٦٦، ٦٧) إن المسببات والمعلولات تستلزم وجود أسبابها وعللها .

هذا لنا نحن وفى مقاييسنا البشرية . أما قدرة الله فتقدر على الفصل بين هذين المتلازمين بما لا يستند فى مقاييسنا نحن البشر إلى سبب ! ! كما فصل بين النار والإحراق مع إبراهيم و بين البنوة والأبوة فى عيسى . وكما جعل من الجماد حيوانا أكبر[1] .

---

(١) لهذا يقول أبو العلاء المعرى .

والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

أما المؤمن فلا تستبد به حيرة ؛ إذ يعلم مؤمنا أن الله قادر .

إنها القدرة التى خلقت العلل والمعلولات ، وإنها القدرة التى لا يعجزها أبداً الإيجاد كما تشاء والتى من صفاتها الخلق بـكلمة كُنْ إذا تعلقت المشيئة بشىء .

ولقد تصور هذا الـكافر أن هذا الوجود الجياش بفورة الحياة وقوتها والمتمثل فى جنتيه لا يمكن أن يصير عدما ، فذكّره صاحبه بأصل نشأته التى لا يجادل فيها . وهو أنه خُلق من تراب ، وأن خالقه هو الله . فما العلاقة فى مقاييسنا بين التراب و بين الحياة فى عقلها وحكمتها وتسخيرها للتراب بعد ذلك ؟ بمقاييسنا نحن لا نستطيع أبدا الوصول إلى هذه الحقيقة التى هى من أعظم الحقائق .

ولـكن خلق الحياة الإنسانية من التراب حقيقة ، وصيرورة هذه الحياة عدما وصيرورة البشرية رفاتا حقيقة ، و إعادة الخلق مرة أخرى حقيقة ، والإعادة أهون(١) . والمؤمن من يدين بهذه الحقائق رضيا صافى الإيمان .

الأصل الأول من البشرية كان ترابا ، ثم كانت النطفه هى الأصل الثانى ، فأية صلة بين النطفة و بين الإنسان الذى يصبح فيما بعد جبارا يقتحم الفضاء ، و يزلزل من الأرض ؟

إن قدرات البشرية كلها متعاونة متآلفة لا تستطيع أن تعبر هذا المجاز ، فتجعل من النطفة إنسانا . إنه فى النطفة حيوان دقيق أبكم لا تراه العين . ثم يصير هذا الحيوان الدقيق الأبكم إنسانا حيا عاقلا يفيض لسانه بالحـكمة الرائعة البالغة . فأية قدرة ؟ إنها قدرة الله وحده .

ولقد ذكره صاحبه بهذا . ذكره بالتراب ، وبالنطفة ، و بجعله رجلا سويا فهل التراب علة لوجود إنسان فى مقاييسنا ؟

وهل تستطيع قدرتنا أن تخلق من النطفة إنسانا ؟

ثم ما الصلة بين الرجل السوى . و بين أصليه التراب والنطفة .

لقد أوجدت هذه الصلة المحـكمة قدرة الله وحده . فليحذر أولئك الذين يحيلون

---

(١) يقول ربنا سبحانه : «وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه الروم : ٢٧».

ما تحيله العقول البشرية ، حتى يحكموا على الله بهذه النتائج الضالة التى تصل إليها عقولهم .

لولا الواقع لقال العقل : ليس من المعقول أن يكون . التراب كائنا حيا ينطق ، ويقود الفيالق .

لولا الواقع لقال العقل : ليس من المعقول أن يصير حيوان من حيوانات هذه النطفة — وعدتها ألوف الألوف — إنسانا يسخر الجواء والفضاء .

فليحذر الذين يحكمون على قهر قدرة الله وغلبها وهيمنتها بقولهم : ليس من المعقول ! !

« لكنا هو الله ربى ، ولا أشرك بربى أحدا » لقد أبى المؤمن إلا أن يقر مسرعا سرعة المؤمن إلى الإستجابة إلى الحق بما كفر به صاحبه ، ليجعل من إقراره حجة عليه ، وليؤكد الحقيقة توكيدا جامعا مانعا . مرة بإنكار ما يناقضها ، ومرة بالإقرار بها . فالرجل المؤمن قد أنكر على صاحبه كفره ، وبقى عليه أن يقر بنقيض هذا الكفر ، فقال : لكنى لا أقول بما تقول به . وإنما أقر بوجود الله ، وأقر بأن الله ربى .

ثم ختم الرجل المؤمن كلامه بكلمة هى الفيصل بين التوحيد وبين الشرك يزعم أنه إيمان ؛ إذ قال : «ولا أشرك بربى أحدا»لا يكفى أن يؤمن فما يؤمن أكثر الناس بالله إلا وهم مشركون ، بل يجب أن يطهر القلب من كل ما يناقض إيمانه يطهره من لوثة الشرك . فلا يغوث ولا يعوق ، ولالات ولا عُزّى ، ولا بدوى ولا دسوقى . وإنك لتلحظ فى إضافة الرجل كلمة «رب» إلى نفسه فى قوله « ربى » شعور التمجيد والشكر والحمد على أن الله هو ربه بعكس ما تشعر به من تلك الإضافة التى وردت فى قول الكافر .

(ربنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعد إذ هَدَيْتنا ، وَهبْ لنا من لدنك رحمة . إنك أنت الوهاب).

عبد الرحمن الوكيل

البهائية

تاريخها وعقيدتها

تأليف رئيس الجماعة فى قرابة ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير

اطلبها من مكتبة السنة المحمدية

« توحيد الله عز وجل »

ومن أسمائه الحسنى سبحانه (النور) وقد ورد ذكره فى القرآن فى موضوعين أحدهما قوله تعالى من سورة النور (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور . يهدى الله لنوره من يشاء و يضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم) .

والموضع الثانى قوله تعالى من سورة الزمر (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) .

وورد ذكره كذلك فى كثير من الأحاديث الصحيحة فقد روى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يقول (اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن) .

وقد روى الدارمى والطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال (إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور العرش من نور وجهه) :

وروى محمد بن اسحق فى سيرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه يوم آذاه أهل الطائف (أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بى غضبك أو ينزل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك) .

وفى الصحيح عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال (قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات قال : إن الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط و يرفعه يرفع

إليه عمل النهار قبل عمل الليل وعمل الليل قبل عمل النهار حجابه النور ـ أو قال النار ـ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) .

وروى أحمد فى مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل) .

ولكن ينبغى أن يفرق فى هذا المقام بين النور الذى هو صفة ذاته سبحانه و بين النور المخلوق فان النور الذى هو صفة الذات قائم بها لا يتعداها إلى غيرها . وأما النور المخلوق فهو الذى تتصف به المخلوقات بحسب الأسباب والمعانى القائمة بها وهو ينقسم إلى حسى مدرك بالبصر كنور الشمس والقمر والنجوم والنار والكهرباء وغيرها ، وإلى معنوى مدرك بالبصيرة كنور الوحى والقرآن ونور الحق والإيمان قال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) . وقال سبحانه (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) .

وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم هو نور بهذا المعنى لأنه يعرف الناس بربهم ويدلهم على طريقه كما قال تعالى من سورة الأحزاب (يأيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا) .

ويقول العلامة ابن القيم فى قصيدته النونية .

والنور ذو نوعين مخلوق ووصـــف ماهما والله متحدان

وكذلك المخلوق ذو نوعين محـــسوس ومعقول هما شيئان

ولكن المعطلة الجهمية ينكرون النور الذى هو وصف الذات كما هو شأنهم فى سائر الصفات التى يزعمون أنها توهم التشبيه والتجسيم فيقولون إن النور عرض لا يقوم إلا بالأجسام ولهذا تضطرب عباراتهم فى تفسير ذلك النور الذى أضافه الله إلى نفسه فمنهم من يفسره بكمال الوجود وتمام الظهور ومنهم من يؤوله باسم الفاعل فالله نور السموات

والأرض بمعنى منورهما وهادى أهلهما إلى غير ذلك من العبارات التى تدل على حيرتهم إذ لم يهتدوا إلى الفرق بين النور الذى هو صفة ذاته سبحانه كما دلت عليه الآيات والأحاديث وبين الأنوار التى هى بجعله وخلقه فى الحسيات والمعنويات .

يقول أبو حامد الغزالى فى كتابه (المقصد الأسنى) .

(النور) هو الظاهر الذى به كل ظهور فإن الظاهر فى نفسه المظهر لغيره يسمى نوراً ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود ولا ظلام أظلم من العدم فالبرىء عن ظلمة العدم بل عن إمكان العدم والمخرج كل الأشياء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود جدير بأن يسمى نوراً . والوجود نور فائض على الأشياء كلها من نور ذاته فهو نور السموات والأرض وكما أنه لا ذرة من نور الشمس إلا وهى دالة على وجود الشمس المنورة فلا ذرة من موجودات السموات والأرض وما بينهما إلا وهى بجواز وجودها دالة على وجوب وجود موجدها وما ذكرناه فى معنى الظاهر يفهمك معنى النور ويغنيك عن التعسفات المذكورة فى معناه) اهـ .

وأنما ذكرت لك هذا النموذج من كلام هؤلاء المعطلة النفاة لتدرك أى فرق بينه وبين ما ذكرناه من معانى النور والله يهدى لنوره من يشاء نسأل الله أن يجعل لنا نوراً فى قلوبنا وأسماعنا وأبصارنا ومن حولنا وأن يزيدنا من نوره أنه ولى المؤمنين .

محمد خليل هراس

المدرس بكلية أصول الدين

من الحكم المأثورة

الأدب خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين ، والتوفيق خير قائد ، والاجتهاد أربح بضاعة ، ولا مال أعود من العقل ، ولا مصيبة أعظم من الجهل ، ولا ظهير أوثق من المشورة .

التكبر

التكبر أو الاستكبار . هو التعظم والتعالى . وقوله تعالى (يتكبرون فى الأرض بغير الحق) أى يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم . وهذه الصفة لا تكون إلى لله خالصة لأن الله سبحانه هو الذى له القدرة والفضل الذى ليس لأحد مثله .

(لسان العرب)

والتكبر رذيلة بغيضة تنشأ عن الجهل والغرور بالنفس : فتدعو صاحبها إلى المبالغة فى تعظيم شخصه . إذ يرى محاسنه بمجهر ويعمى عن عيوبه ونقصه ، فيعتقد أنه فريد عصره ، وأنه أعظم وأفضل من غيره . ويظن أن التكبر عزة يرفع من مكانته . كما يظن أن التواضع ذلة يحط من كرامته . ولذا يصعر خده للناس ويشمخ بأنفه ويمشى مختالا فخورا . ويتكلم بلهجة السخرية والاستهتار . وينظر نظرة الازدراء والاحتقار .

يبتسم ابتسامة الاستخفاف والاستنكار . فينفر القلوب بعجرفته وكبره ، ويفقد وقاره ويحط من قدره . ويمقته الجميع حتى من يرتع فى خيره .

ولا يجد من الناس إلا نقيض غرضه إذ يحتقرونه وقد أراد أن يعظموه . ويكرهونه وقد أراد أن يحبوه . فهو ممقوت من الناس ممقوت من الله كما أخبر تعالى فى قوله : (إنه لا يحب المستكبرين) وقوله : (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور) .

فوا عجباً لهذا المخلوق الضعيف الذى يفخر بأصله وهو من تراب وقد كان بالأمس نطفة قذرة . ويباهى بجسمه وهو إلى فناء وسيكون عما قليل عظاماً نخرة . ويزهو بماله وهو من فضل الله أعطاه من بحره قطرة .

قال الشاعر :

نفس كنفس وأرواح مشاكلة   وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فإن يكن لهم من أصلهم حسب   يفاخرون به . فالطين والماء

أفليس من الجنون أن يفخر المرء بشيء ليس من عمله ؟ أليس كل ما يباهى به من فضل الله عليه لا من فضله ؟ . فإن كان غنياً فهو الذى رزقه ، وإن كان قوياً . فهو الذى خلقه . وإن كان ذكيا . فهو الذى كمله . وإن كان سوياً فهو الذى عدله ، ولو شاء الله لسلبه كل ما خوله .

ومن أبرز صفات المتكبر : حب الظهور والعلو فى الأرض ، والسعى وراء اكتساب المدح والإطراء بكل الوسائل المستطاعة لينال الحظوة والتوقير لذاته المقدسة والإجلال والاكبار لنفسه المتغطرسة .

فيسارع إلى الخيرات ليقال معوان مرىء ، ويغامر ليرى الناس أنه شجاع جرىء . ويتمادى فى عبادة الله ليقال مؤمن تقى . ويبالغ فى التأنق والتزين ليقال وجيه غنى . ويصادق ذوى المال والجاه ليقال ذو مقام سنى . ويكثر من الولائم والهدايا ليقال كريم سخى وقد يكون بخيلا ولكن لذة التكبر وحب الأحدوثة والظهور تغلبا على شح نفسه وحب ماله . فيخسر بذلك أجر كل أعماله وعباداته لأنه إنما أتاها رئاء الناس وحباً فى الإطناب والإطراء لا حبا فى رضا الله وحسن الجزاء (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) .

فهو لا يعبد ربه . بل يعبد عنجهيته وهواه . فكم من عبادة كانت هوى وعشقاً جارفا يخدع المرء ويوهمه أنه يجاهد فى سبيل الله وهو إنما يجاهد فى سبيل رضا هواه . لأن الذى يجاهد فى سبيل الله لا يبالى بأن يراه سواه .

إن المفتون بالظهور والعلو فى الأرض الذى يخلد إلى الأرض وينفق ماله وعمره وقواه ليتكبر فى الأرض ويحظى بإكبار الناس له . لا يسدى معروفا لغنى أو فقير إلا إذا أطراه .

ويتطلب منه الحب والاحترام بالإكراه . إذ لايعمل خيراً ولا يقدم شيئاً لوجه الله . فكم فرض لنفسه حقوقا على من أحسن إليه بأن يكون له لسانا ممجدا فى كل مجلس يطريه ويلهج بذكره ويدفع عنه قالة السوء . فهو إنما يشتريه ويستعبده بما قدم إليه . ليستخدمه للدعاية له والثناء عليه . فيقتنص الفقير بتصدقه . ويقتنص الغنى بتملقه . ليحشد جيشاً عرمرما يجاهد فى سبيل نشر شهرته . وليجمع كتيبة من الألسنة تذود عن كرامته .

فالمتكبر مريض بداء الزهو ، متيم بغرام الشهرة . لا همّ له فى الحياة إلا أن يُبجل وأن يسود . وأن يتألق فيبهر أبصار من فى الوجود . ويتمنى أن يقام له تمثال يشار إليه بالبنان . وأن يذكر فضله ويمدح فعله فى كل آن . وأن يعرف اسمه ويعرض رسمه فى كل مكان . فيالها من شهوة غريبة ونفس عجيبة . متباهية متعالية . شديدة الأنانية . تتعلق بالفانية وتستخف بالباقية .

فكم تمنى المتعاظم أن يبجل بعد مماته . كما تمنى أن يمجد طوال حياته . فهو لعشقه الدنيا يحاول ألا يفارقها باسمه ، بعد أن يرغم على فراقها بجسمه . فيخلد ذكراه بتشييد مسجد عظيم ويقيم فيه لجثمانه المقدس الضريح الفخم . ويوصى أن تأمه الناس وأن يضعوا عليه الأزهار والشموع . وأن يحتفل بميعاد وفاته كل عام وتذرف على قبره الدموع . فهو يتكبر حتى وهو دفين تحت الثرى . ويسعى ما استطاع أن يبجله من فى الورى . فما حقر نفسه الفرعونية وما أشقاه وأشد خزيه عند ما يساق إلى الجحيم . ويسمع هذا الأمر المهين لنفسه المتعاظمة (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم . ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذق إنك أنت العزيز الكريم) .

فأين كبرياؤك وعزتك يا فرعون ؟ وأين ملكك ولذتك يا نيرون ؟ ؟ وأين سلطانك وقوتك يا نابليون ؟ ؟ وأين كنوزك وثروتك يا قارون ؟ ؟ هل تكبرت فى جهنم يا فرعون وتباهيت بصرحك الفاخر ؟ هل أكلت وشربت يا نيرون غير الزقوم والحميم ككل كافر ؟ ؟ هل اختلت فى النار يا نابليون وزهوت بانتصارك الباهر ؟ هل تمتعت بالكنوز يا قارون وتزينت فى النار بالجواهر ؟ لم يُغن أحدَكم التكالب والتكاثر . ولم تُعل قدره المناصب

والمظاهر . ولم تنفعه جواهر ولا علو مقابر . ولم تنقذه من عذاب اليوم الآخر . بل رسف فى الأغلال وذاق الهوان وهو صاغر . حقا : على الباغى تدور الدوائر .

والكبر مرض فى القلب له أعراض جمة . منها التعصب وسرعة الغضب والكنود والحقد والحسد . فكم تعصب المتكبر لرأيه وإن كان باطلا . ومن المحال أن يعترف بخطئه إذ يرى ذلك عجزا ونقصا . وهو لكبره لا يريد أن يكون إلا متبوعا لا تابعا . بل يريد أن يكون ناقدا لا مادحا ولا يحب أن يقف موقف الإعجاب إذ كيف يعجب بشيء وهو فوق كل شيء ؟ ولذا تراه يُبدى استهجانه ويخفى استحسانه .

وكم كان المتكبر أحمق غضوبا يسرع إليه الغضب والهياج لأتفه الأسباب لأنه يقدس نفسه ويراها منزهة من العيوب . معصومة من الأخطاء والذنوب . فلا يطيق نقدا ولا لوما ولا نصحا . ولا يحب إلا أن يكون آمرا لا مأمورا وناصحا لا منتصحا . فالويل لمن اجترأ على رؤية عيب فى نفسه المقدسة . فإنه يثور ويرعد ويزبد ويعتبر حماقته . أنفة وشهامة . ويظن وقاحته . عزة وكرامة . (وإذا قيل له : اتق الله ، أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد) .

وكم كان المتكبر كنودا كفورا لا يطيق أن يعترف بفضل ذى فضل عليه . ولا يتنازل أن يشكر إحسان من أحسن إليه . بل هو يرى الإحسان إليه تشرفا وفرضا واجبا لجنابه العالى . أما إذا أرغم على الشعور بإحسان محسن أحس نحوه بالبغض والنفور بدل الحب والشكر . وذلك لأنه يرى الشكر ذلة وصغارا فيألم له وينقم على من اجترأ وأحسن إليه فاستوجب شكره . ويشعر أنه أساء إليه بمعروفه وأهان كبرياءه بجميله فيقابل إحسانه بالإساءة أو الإعراض . وما أصدق من قال : اتق شر من أحسنت إليه .

وكم كان المتكبر حسودا حقودا يمقت كل عظيم لأنه حقير . وينقم على كل كبير لأنه صغير . ولا يطيق أن يكون فى الكون أكبر وأعظم منه فيلجأ إلى تمثيل العظمة والكبرياء فيتعظم ويتكبر ويتمطى ليوهم الناس أنه الأعظم والأكبر .

ولذلك لا يتكبر إلا الصغير . ولا يتعاظم إلا الحقير . ولا يتعالى إلا الوضيع . ولا يتواضع إلا الرفيع . لأن الكبير لا حاجة له إلى التكبر، والعظيم لا حاجة له إلى التعاظم . وشتان بين الكبير والمتكبر والعظيم والمتعاظم . فهل يستوى الحقيقى الصادق والمصطنع الكاذب ؟ إن تواضع الرفيع رفعة كما أن خضوع القوى قوة . فالنزول الاختيارى ما هو إلا تنازل . والتواضع رقة وأدبا ورحمة ما هو إلا كرم وتقوى و بر و إحسان . وقد أمر تعالى الولد البار التقى بالتواضع لوالديه بل و بالذل لهما شكرا ورحمة بشيخوختهما فقال : (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) وأمر كذلك رسوله صلى الله عليه وسلم بالتواضع للمؤمنين فى قوله (واخفض جناحك للمؤمنين) .

وهكذا مَن كان فى قلبه مرض الكبر أصبح متعصبا عنيدا . أنانيا كنودا . حسودا حقودا . لا يخضع للحق ولا ينصاع لأمر ولا يعتذر مهما أتى من شر . ولا يرجو مهما مسه من ضر . ولا يشكر مهما ناله من خير . ولذا قال تعالى : (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) .

وكم دفع هذا الداء الممقوت صاحبه إلى حسد من حظى بما يتمناه . من مركز وشهرة وجاه . فاندفع إلى قتال خصمه بكل الوسائل المستطاعة وارتكب المعاصى فى سبيل المنافسة والمضاربة والتفوق على غريمه كأنه فى حلبة صراع ينتظر الفائز القاهر لخصمه تصفيق الجمهور له وجائزة الفوز بلذة الانتصار والتمجيد . فما أشد حقد حسود إذا حقد . وما أصدقه تعالى فى تحذيره (ومن شر حاسد إذا حسد) .

ويكفى المتكبر عاراً وخزيا أنه يتشبه بإبليس حين دعاه الله إلى السجود لآدم فأبى واستكبر وكان من الكافرين . وقال يفاضل بين نفسه و بين آدم (أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) فلعنه الله ومن تبعه أجمعين . وجعل جزاء المتكبرين الإضلال عن هداية آياته . (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق) .

فاحذر أيها المسلم العاقل حب الأحدوثة ونشوة الكبر وشهوة الفخر التى تخلب اللب

وتدعو إلى الزهو . فإن الله لا يحب كل مختال فخور . وتجمل بفضيلة التواضع لتحظى بحب الله والناس . فالتواضع أنجح وسيلة إلى الائتلاف والمحبة ولذلك قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (واخفض جناحك للمؤمنين . وقل إنى أنا النذير المبين) .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتواضع للناس وهم أتباع . ويخفض لهم جناحه وهو مطاع . وكان يقول « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » ويقول « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله . فقولوا عبد الله ورسوله » .

ومن تواضع فقد تأسى بالنبي وتحلى بأعظم فضيلة تجتذب القلوب . وأعظم جمال يستر العيوب . فإن الجهل والغباوة مع التواضع أزين بالرجل من الكبر مع العلم والذكاء . فيالها من حسنة غطت على عيبين عظيمين . ويالها من سيئة غطت على حسنتين كبيرتين .

قال الشاعر :

دنوت تواضعاً وعلوت مجداً   فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعُد أن تُسامى   ويدنو الضوء منها والشعاع

وقال أحد الحكماء : تواضعك فى شرفك أعظم من شرفك . نعم . فإن المتواضع عظيم بتواضعه ووداعته . جميل بلين كلامه وبشاشته . محبوب من الناس بحسن أدبه ورقته . محبوب من الله بطاعته وقناعته . فطوبى لك يا من نعمت بنفس وديعة متواضعة . لا تريد علوا فى الأرض ، راضية قانعة (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) .

وويل لك من عذاب النار . يا من رزئت بقلب متكبر جبار . فما هلك من هلك من الكافرين إلا بالتكبر والتعاظم بما ورثوا من آبائهم وإعجابهم بما امتحنهم الله به من مال وملك وقوة ومجد فاستكبروا على الله وعلى خلقه فحقت عليهم كلمة العذاب (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم « بئس العبد عبد تخيل واختال . ونسى الكبير المتعال . بئس العبد عبد تجبر و بغى ، ونسى الجبار الأعلى . بئس العبد عبد سها ولها ، ونسى المقابر والبلى . بئس العبد عبد طغى وعتا ، ونسى المبتدا والمنتهى بئس العبد عبد طمع يقوده . بئس العبد عبد هوىً يضله . بئس العبد عبد رَغَبٍ يذله » .

فلا تفخر أيها الإنسان بمالك الكثير وقصرك الفخيم . أو بمركزك العظيم وجسمك القوى السليم . ولا تفرح بمتاع من الدنيا زائل قليل ، فلا يستدعى الفرح والسرور حقيقة إلا فضل الله ورحمته و إنعامه بالهدى والتقوى . لا جمع المال والعلو فى الحياة الدنيا . (قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) .

واعلم أنك لا تمتاز عن غيرك عند الله إلا بتقواك فإن كنت فى غفلة عن هذا فاقرأ لقوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

واعتبر بقارون الذى أوتى ما لم تؤت من الدنيا فبغى واستكبر . فخسف الله به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين (ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) .

المرحوم الدكتور محمد رضا
رحمه الله

٢٠ - نظرات فى التصوف

« كان الحديث فى العدد الماضى عن المعرفة عند الصوفية وهنا يبدأ الحديث عن درجات المعرفة عندهم ، وأبدأ بذكر درجاتها عند الهروى

عبد الرحمن الوكيل

درجات المعرفة : معرفة العامة التى لا تنعقد شرائط اليقين إلا بها ، وهى على ثلاثة أركان إثبات الصفات الإلٰهية الواردة فى الكتاب والسنة باسمها من غير تشبيه ، ونفى التشبيه عنها من غير تعطيل ، والإياس من إدراك كُنهها وابتغاء تأويلها[1]. هذه هى الدرجة الأولى من المعرفة ، وقد سماها الهروى معرفة العامة .

وهذه المعرفة التى سماها الهروى معرفة العامة هى معرفة الصديقين والمرسلين . وهى ملاك الإسلام وقوامه ، فلقد جاء رسل الله يدعون إلى الله ، فكان لا بد لهم من الإخبار عن أسماء الله وصفاته وأفعاله ؛ ليعرف الناس ربهم ، وصراط الله المستقيم الذى يوصل إلى حبه ورضوانه . وكان خاتم المرسلين نفسه لا يعرف عن هذا شيئا قبل أن يعلمه الله ؛ فقد قال الله له : (ما كنتَ تدرى ما الكتابُ ولا الإيمانُ) فما بالك بمن هم دونه . فكيف يسمى الهروى معرفة خاصة الخاصة معرفة العامة ، ويلمزها هذا اللمز الذى يحقر من شأنها ، وهى معرفة خاتم المرسلين ؟ !

الدرجة الثانية : يقول الهروى : « معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الصفات والذات ، وهى تثبت بعلم الجمع ، وتصفو فى ميدان الفناء وتَستَكمِل بعلم البقاء ، وتُشارِف عَيْنَ الجمع » .

الأولى كانت تتعلق بالصفات ، أما هذه فتتعلق بالذات !!

وفيها يشهد العارف الوحدة التامة بين الله سبحانه و بين صفاته ! أو بمعنى أدق يفنى

(١) هذه أثارة من السلفية التى كانت تراود نفس الهروى .

فيها عن شهود الصفات بشهود الموصوف ، وتبلغ هذه المعرفة كمالها بعد الفناء بالبقاء فيظل غائباً عن المعرفة بالمعروف ، وعن الذكر بالمذكور ، وعن الحب بالمحبوب ، وعن العبادة بالمعبود ، وإن كانوا يمقتون هذا التعبير الأخير ، لأن فيه ذكراً للعبادة !

يالها من درجة تبيح للشهوة الانطلاق لا يحد من غيها قيد ولا زاجر من ضمير أو دين . تبيح للسالك أن يقترف ماشاء ، ويجترح ما يهوى ، أليس غائباً عن المعرفة ، عن الذكر ، عن الإرادة ، فقد حظى بالمراد ! !

إنها فتنة الحرمان من الجسد المعشوق ، ولوثة الخبال من هجران غانيـة ، وتصوير للأحلام التي يتمناها أولئك في ليالى المخدع المخمور !

إن هذا العشق الذى عذب الصوفى وأضناه هو مصدر هذه النفثات والشهوات .

الدرجة الثالثة : قال الهروى : « معرفة مُسْتَغْرِقة فى محض التعريف لا يوصل إليها الاستدلال ، ولا يدل عليها شاهد ، ولا تستحقها وسيلة ، وهى على ثلاثة أركان : مشاهدة القرب ، والصعود عن العلم ، ومطالعة الجمع ، وهى معرفة خاصة الخاصة » .

عرف الصفات ثم عرف الذات ! ! بيد أن هاتين المعرفتين تفيدان الغيرية والاثنينية تفيدان وجود عارف ومعروف ! تفيدان أنه لا يزال للعارف صفة تقوم به ، وهى المعرفة .

أما فى هذه الدرجة ، فلا حجب ، ولا وسائط ، ولا صفة قائمة بالسالك هى معرفة الذات ؛ فالذات نفسها هى التى تقوم بتعريف نفسها إلى السالك أو بتعبير أدق : بتعريف نفسها إلى نفسها . لقد دُكّت الغَيْرِيّة ، ومُحِقَتْ السوِيّة ، ولم يبق للذات إلا أن تتجلى بنفسها لهذا السالك ، ليشهد أى خطأ عميق كان متردياً فيه ، وأية جهالة بالحقيقة كانت تُلَبِّد سماء عرفانه حين كان يظن أن معرفته تتعلق بشىء غير ذاته هو ! !

فى هذه الدرجة يتبين السالك أنه قد عرف نفسه ، عرف أنه هو الذات الإلٰهية بصفاتها وأسمائها وأفعالها ! !

ولكى يسد الصوفى فى وجوهنا باب النقد ، ويخادع الإيمان عن ثورته ضد الكفر

زعم أنها معرفة لا يدل عليها من العقل دليل ، فليسكت العقل ، ولا من الواقع شاهد ، فلتخنس الشواهد ، فليخنس الشهود ، ولا يُنيلها للسالك وسيلة من الوسائل ، فليحتقر السالك وسائل التقوى ، وقربات الطاعات .

أية معرفة هذه ؟ إنها ليست إلا مرتبة من مراتب الجنون المستغرق فى الهذيان والخرف .

إن الجنون وحده هو الذى يعطى هذه المعرفة !!

إنها لا تخضع لأدلة العقل ، ولا تُذعن للتجربة ولا يقيم سلطانها هدى من الكتاب والسنة ، ولا تصل بالسالك إليها عبادة الصديقين[1] .

فكيف إذن نميز بين الصادق منها والكاذب ، وكيف نفصل بين الأدعياء والأولياء ؟

إن القول بوجود هذه الدرجة من المعرفة مع الزعم بأنها لا تكون إلا لخاصة الخاصة ،

---

(١) يقول الشيخ عبد الله الشرقاوى فى شرحه لحكم ابن عطاء الله السكندرى : « نهاية السالكين ، وهى شهود الذات المقدسة ، والكشف عن كمالها بداية المجذوبين ، وبداية السالكين . وهى التعلق بالآثار . وشهود استنادها إلى الله نهاية المجذوبين ، لكن لا بمعنى واحد ، أى ليسا متحدين من كل وجه . فإن نهاية السالكين وإن كان فيها جذب لكنه مصحوب بالتمكن وعلم أحوال الطريق ومعرفة عقبات النفوس فإنهم لم يصلوا إلى ذلك إلا بعد معاناة وتعب ومشقة بخلاف بداية المجذوبين فإنها ليست معها تمكن ؛ فلذا يحصل لهم الغيبة ، وتصدر منهم أفعال لايدرون ماهى ، ويتركون الفرائض ويفعلون أفعالا منكرة فى الشرع ، ولا يعاقبون على ذلك لتغطية عقولهم ـ التى عليها مدار التكليف بالأنوار ـ وبداية السالكين ليس معها شهود لكمال الذات ولا الأسماء والصفات بخلاف نهاية المجذوبين ؛ فإنهم لم يحصل لهم حالة الصحو إلا بعد مشاهدة ذلك . فالسالكون عاملون فى ترقيهم على طريق الفناء والمحو ، والمجذوبون مسلوك بهم فى تدليهم طريق البقاء والصحو » ص ١٣٠ ط ١٢٧٧ هـ فهل بمثل هذا المجذوب يقتدى ؟ وهل يجوز أن يقال مثل هذا القول ؟ وهل تكون أنوار الله سبباً فى فقدان العقل والتردى فى الضلالة ، والوقوع فيما يكره الله ، وترك فرائض الشرع ؟

وأنها ممكنة وواقعه يعطى الفرصة لكل ذى هوى آبق شرود أن يخلع على نفسه مرتبة الألوهية. وما بيدنا — إن آمنا بهذا الإفك — دفعه ولا زجره. وكيف، وقد فرضوا على العقل أن يكون بمعزل عن نقده، وعلى التجربة أن تطوى مقاييسها الصادقة دونه، وعلى الكتاب والسنة أن يلقيا ستراً كثيفاً على نصوصها التى تدينه بأنه حِلْسُ بهتان!

وطالما استغل هذا أناس، فزعموا أنهم آلهة وأرباب.

ألم يدع ابن عربى أن الله أعطاه حق التصرف فى الوجود فرفضه تأدبا، وأن أبا السعود الجارحى ظل يتصرف فى الوجود عن الله حِقبا؟

ألم يدع الحلاج أنه هو الله؟ ألم يدع ابن عربى أن كل شىء هو الله؟

ألم يدع ابن الفارض أنه إذا دعى أجاب الله عنه، ولبى الداعين، وأنه إذا دُعِى اللهُ أجاب ابن الفارض عنه؟! لماذا؟ يزعم ابن الفارض — ويصدقه أحلاسه وأنجاسه — أنه هو الله حقيقة وصفة واسماً وفعلا.

فبماذا ندفع زيغ هؤلاء الطواغيت، إن آمنا بمثل تلك المعرفة، معرفة العاشق بالكأس والجسد!!

هذه هى معرفة التراث الصوفى. أو قل: هذه هى معرفة الغنوصية، أو قل: هذه أحقاد الزندقة السوداء الصماء!!

الحب والخُلَّة والعشق: ونستهدى بآيات الله سبحانه؛ لنتبين على إشراقها حقيقة الحب الإلٰهى، حب الله لخلقه، وحب الخلق لله سبحانه.

يقول سبحانه: (٣: ٣١ قل: إن كُنْتمْ تُحِبُّون اللهَ فاتَّبِعُونى يُحْبِبْكُمُ اللهُ) (٥: ٥٤ يأيها الذين آمنوا مَنْ يَرْتَدَّ منكم عن دينه فسوف يأتى اللهُ بقوم يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ. أذِلَّةٍ على المؤمنين، أعِزَّةٍ على الكافرين، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (٢: ١٦٥ ومِنَ الناسِ مَنْ يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كَحُبِّ الله، والذين آمنوا أشَدُّ حبًّا لله).

وبالرجوع إلى مادة « حب » نجد أنها تدور فى اللغة على خمسة أشياء .

أحدها : الصفاء والبياض ، ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان « حَبَب » .

الثانى : العلو والظهور ، ومنه حَبَبُ الماء وحَبَابُه .

الثالث : اللزوم والثبات ، ومنه حَبَّ البعير إذا بَرَكَ ، ولم يقم .

الرابع : اللُّبُّ ، ومنه حَبَّةُ القلب للبه وداخله .

الخامس : الحفظ والإمساك ، ومنه حبُّ الماء للوعاء الذى يحفظ فيه(١) .

والحب الإنسانى يستلزم كل هذا ، ويتضمنه .

أما حب الله سبحانه لخلقه ، فهو فوق ذلك كله ، وأسمى من ذلك كله كُنْهُهُ غَيْبٌ مقدس ، وإن كانت دلائله وآثاره جلية جلاء نعمه جل شأنه ، ولنسجد خاشعين مسبحين : سبحان مَنْ يحب عباده ! .

دلائل حب الإنسان لله سبحانه : فيما نقلنا من آيات الله سبحانه دلائل الحب الصادق وعلاماته ومُقَوِّماته التى لا بد منها جميعها ليتحقق حُبُّ الإنسان لربه .

الدليل الأول : وهو فى الحقيقة كل الأدلة ، وفيه أُجْمِلَتْ كل مقومات الحب وكل ماسواه تفصيلٌ له وبيان . إنه اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ماجاء به والاقتداء به فى اعتقاده وعباداته ، وأخلاقه ، فلا يعتقد المسلم فى الله سبحانه إلا عين مااعتقده فيه الرسول ، ولا يعبد الله إلا كما كان يعبده رسول الله ، ولا يقول على الله إلا ماقال رسول الله ، ولا يتخلق إلا بالأخلاق التى كان يتخلق بها رسول الله ، إنه — صلى الله عليه وسلم — هو القدوة والأسوة الحسنة والمثل الأعلى ، فلنحاول صادقين أن نتسامى إلى أفقه الرفيع الأعظم .

---

(١) انظر ص ٩ وما بعدها ج ٣ مدارج السالكين ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس تحت مادة « حب » وقد ذكر أنها تدور حول ثلاثة أشياء فحسب منها القصر وكلام ابن القيم أدق وأضبط . وص ١٤٤ الرسالة للقشيرى ، وفى الرسالة زيادات عما ذكرنا هنا .

الدليل الثانى : وحب الإنسان لربه يستلزم أن يحب مَن يحبهم ربُّه ، أو مايحبه ربه توَصُّلا من العبد إلى كمال حبه للرب ، وتجاوباً مع روح المحبة الخالصة الصادقة يستلزم أن يكون أريحى الرحمة سمح الأشفاق ، رَيَّان العطف فى رقة وحدب وخفض جناح لإخوانه المؤمنين ، ذليلا عليهم[1] من الأخوة والحب ، لا من العبودية أو الخوف .

الدليل الثالث : و يستلزم الحب الصادق أن يبغض العبد مَنْ يبغضهم ربه ، وما يبغضه ربه ، والكافرون بالله ممَّن يبغضهم الله سبحانه ، فليكن شديداً عليهمَ فى عزة ، وليبطش بهم إن بغوا على حدود الله ، وليكن فيما يعاملهم به رفيع الكرامة والعزة . لقد وصف الله أحباءه بأنهم أعزة على الكافرين[2] .و بأنهم (٤٨ : ٢٩ أشِدَّاء على الكفار رُحَمَاء بينهم) هذا فيصل واضح دقيق بين الحب الصادق والحب الكاذب ، يجب أن نضعه نصب عيوننا ، ونحن نعتزم بناء أمتنا من جديد على حب الله ، و يحب الله ! ! فليس يحب الله مَنْ يوالى كافراً ، أو يناصر عدواً لربه . وعدو الله هو عدو المسلم ، وعدو المسلم عدو الله اقرأ قوله سبحانه : (٦٠ : ١ ياأيها الذين آمنوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكم أولياء تُلقُون إليهم بالمودةِ ، وقد كفروا بما جاءكم من الحقِّ[3] يُخرِجُون الرسول و إيَّاكُمْ أن تُؤْمِنُوا باللهِ ربِّكم ، إن كنتمْ خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاءَ مَرضاتى تسرُّونَ إليهم بالمودةِ وأنَاَ أعلَمُ بمَا أخْفَيْتُمْ وما أعْلَنتمْ ، وَمَنْ يَفعَلْهُ منكم فقد ضلَّ سواء السبيل) .

---

(١) أرجو أن يلاحظ القارىء أن الله سبحانه وصف المؤمنين مع إخوانهم بأنهم أذلة عليهم ، وكذلك ذكر فى البر بالوالدين « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » .

(٢) أين من هذا الخانعون طواعية للاستعمار وسواه من أعداء الله ؟ أين من هذا مايفتريه ابن عربى فى الحب من أن قلبه بعد أن عرف الحقيقة أصبح يحب الصهيونى والمجوسى والوثنى ؟ ! .

(٣) هل تؤمن الصليبية أو الشيوعية أو الصهيونية أو الوجودية أو الصوفية ، أو دين ابن عربى بشىء من الحق الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ؟ ومن يوالى فريقاً من هؤلاء يحيق به سوء المصير .

الدليل الرابع : الجهاد فى سبيل الله سبحانه بكل مايملك من أسلحة الجهاد ، وبكل صوره ومعانيه ، يجاهد بنفسه ، فيبذلها راضياً لله ، يجاهد بماله ، فلا يبخل بشىء منه على الله الذى مَنَّ عليه به ، يجاهد بلسانه فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، يجاهد بيده بكل مايستطيع أن تقوم به اليد فى سبيل الله ؟! .

الدليل الخامس : المؤمن الصادق الحب لله ، لا يعمل إلا ابتغاء وجه الله سبحانه وطلب مرضاته ، لا يهمه فى سبيل ذلك أرضى عنه الناس أم سخطوا عليه !! .

إنه لا يشترى بما يعمل رضاء الناس بل رضاء الله سبحانه ، ومن كان شأنه كذلك فلن يخاف لَوْمَةَ لائم أياً كان شأنه ، وأياً كان مقامه ، وأياً كان صلته به (٩ : ٢٣ ، ٢٤ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءَكم وإخوانكم أولياء إن استَحَبُّوا الكفر على الإيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهم منكم فأُولئك هم الظالمون . قل : إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزوَاجُكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادَها ومَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أحَبَّ إليكم من الله ورسولِهِ وجهادٍ فى سبيله ، فَتَرَبَّصُوا حتى يأتِىَ الله بأمره ، والله لا يَهدِى القومَ الفاسقين) .



دلائل الحب فى الحديث : قال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث مَنْ كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون اللهُ وَرَسُولُه أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يُحِبَّ المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكرهَ أن يعودَ فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يُلقَى فى النار » الصحيحان عن أنس مرفوعاً .

للنظرات بقايا إن شاء الله .

عبد الرحمن الوكيل

غزوات الرسول

صلى الله عليه وسلم ـ حديث الافك

فى المقال السابق الذى تكلمنا فيه عن غزوة بنى المصطلق وعدنا القارىء الكريم بالكتابة فى حديث الافك الذى كان فى تلك الغزوة . إذ رأينا أنه لابد من إفراد مقال خاص لهذا الحديث . وذلك لما كان فيه من أمور مست شخصية السيدة عائشة أم المؤمنين (رضى الله عنها) بالسوء والبهتان . ولما نتج عنه من فتن كانت لها آثارها السيئة التى هزت نفوسا كثيرة مؤمنة . وامتدت آثار هذه الفتن إلى ما بعد وفاة الرسول « صلى الله عليه وسلم » وانتقاله إلى الرفيق الأعلى .

خروج عائشة إلى بنى المصطلق : كان النبى « صلوات الله عليه » إذا خرج إلى غزوة أقرع بين نسائه فأيهن خرج سهمها خرج بها معه .

وعندما عزم الرسول غزو بنى المصطلق خرجت معه عائشة (رضى الله عنها) وحين فرغ النبى من قتال بنى المصطلق سارسيره الطويل المضنى فى اعقاب فتنة عبد الله بن أبى حتى نزل بموضع قبل المدينة فبات فيه بعض الليل ثم أذّن فى الناس بالرحيل ـ كما عرفنا فى المقال[1] السابق ـ .

حقيقة القصة : عندما أذّن الرسول « صلوات الله عليه » فى المسلمين بالرحيل كانت عائشة (رضى الله عنها) قد خرجت من خيمتها لبعض حاجتها وهودجها أمام الخيمة فى انتظار دخولها فيه .

وكان لعائشة عقد من خرز انسل من عنقها . فلما رجعت إلى الرّحل[2] تفقدت العقد فلم تجده فى عنقها . فعادت إلى المكان الذى ذهبت إليه فالتمست العقد ووجدته وعادت إلى الخيمة .

---

(١) راجع الهدى النبوى عدد ذى العقدة ١٣٨٢ .

(٢) موضعها من المنزل .

وفى اثناء بحثها عن العقد كان القوم الذين يرحلون لها قد وضعوا الهودج فوق البعير وامسكوا بحباله وشدوه وانطلقوا إلى المدينة ظنا منهم أن عائشة (رضى الله عنها) داخل الهودج . إذ كانت عائشة نحيلة خفيفة صغيرة السن . ومن عادتها أنها إذا أرادت الخروج أتى الرجال الذين يجهزون لها الرّحل فيشدون الهودج إلى البعير بعدان تستقر فيه . ولا يكادون يشعرون بوجودها بالهودج لخفة وزنها .

أما عائشة فإنها عندما عادت إلى الخيمة بعد أن وجدت العقد لم تجد داعيا ولا مجيبا فلم يساورها خوف بل ظلت فى مكانها وراحت فى إغفاءة .

وتقص عائشة (رضى الله عنها) ما حدث لها بعد ذلك فتقول (. . . فتلففت بجلبابى ثم اضطجعت فى مكانى . وعرفت أن لو قد افتُقدتُ لرُجِعَ إلى . فو الله انى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته . فلم يبت مع الناس . فرأى سوادى . فأقبل حتى وقف علىَّ . وقد كان يرانى قبل أن يُضربَ علينا الحجابُ . فلما رآنى قال : إنا لله و إنا إليه راجعون . ظعينة رسول الله «صلى الله عليه وسلم» وأنا متلففة فى ثيابى قال : ما خلَّفَك يرحمك الله ؟ .) قالت (فما كلمته . ثم قرب البعير فقال : اركبى واستأخر عنى . . فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعا يطلب الناس . فوالله ما أدركنا الناس . . الخ) هذا جزء من قصة عائشة التى تحكيها فى حديث الافك .

عائشة فى المدينة : ودخل صفوان المدينة فى وضح النهار والناس ينظرون وعائشة على ظهر البعير . وامام منزلها اناخ صفوان البعير . وانزلها فدلفت إليه .

و إلى هنا و يبدو أمر تخلف عائشة عن الركب عاريا من أية شبهة . خالصا من أدنى مظنة سوء . وخاصة عند رسول الله . وكذلك لا تحوم الشكوك حول حمى صفوان الذى يحب رسول الله و يدفعه إيمانه الصادق به للمحافظة على عرضه .

بداية الافك : وجد المنافقون فى تأخر عائشة عن ركب رسول الله بابا ليدخلوا منه و ينالوا من رسول الله فى زوجته الطاهرة العفيفة . و يثيروا الشكوك حولها . و بذلك يكيدوا عليه

ويؤذونه . . لقد تلقف المنافقون أمر عائشة فنسجوا حوله جوا من الريبة والشك وتهامسوا به وأذاعوه لأغراض انتقامية خبيثة .

وكان لزينب بنت جحش زوج رسول الله « صلى الله عليه وسلم » أخت تدعى « حمنة » دفعها ما فى قلبها من حقد لعائشة التى تحظى بحب رسول الله أكثر من اختها زينب إلى أن تشترك هى الأخرى فى الهمس السيء ونقله للناس . . وهذه طبيعة حواء فى الغيرة .

ووجد رأس المنافقين عبد الله بن أبى الفرصة سانحة فمضى ينفث فى الناس من سواد قلبه ما يشفى حقده وغليله الذى يحمله للاسلام والمسلمين . كدأب اليهود فى تصيد الفتن والعمل على اتساع خرقها .

وكان من الذين سمعوا الحديث على بن أبى طالب . . سمعه دون أن يهتم بتبرئة عائشة . أما حسان بن ثابت فقد خاض هو الآخر فى حديث الافك . . ولكن كثيرا من المؤمنين وقفوا فى صف عائشة (رضى الله عنها) يدافعون عنها لما كانوا يعرفون فيها من صفات الطهر والعفة والإيمان الصادق .

الرسول وحديث الافك : وبلغت الأخبار التى اشيعت حول عائشة رسول الله «عليه السلام» فاحتواه غضب وحزن واضطراب عظيم . ماذا يفعل ؟ أيصدق أن عائشة قد زين لها الشيطان السوء أم يكذب الخبر لانه أعرف الناس بعائشة الطاهرة العفيفة بنت الصديق أبى بكر ؟ . . الحق أنه أمر محير للغاية . وتزاحمت الأفكار فى رأس رسول الله . فهو رسول الله إلى الناس جميعا ليبلغهم رسالة الهدى والخير ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . فكيف تأتى إحدى نسائه هذا الأمر المشين إن كان حقا ما أشيع عنها . ؟ ولكن رسول الله وهو أحكم الناس وأرجحهم فكراً وأسلمهم تصرفا انتظر ما ستأتى به الأيام لتثبت له الحقيقة فى شأن عائشة .

ثم إن عائشة (رضى الله عنها) مرضت ورأت من رسول الله جفاء لم تتعوده . فجرى

فى خاطرها أن إحدى نسائه قد استأثرت بحبه عنها . فرأت أن من الخير أن تستأذن رسول الله كى تمرض عند أمها وحتى يتضح لها سر جفائه فأذن لها .

و بلغ من تأذى رسول الله وتألمه بخبر الافك أن خطب فى الناس يوما فقال «أيها الناس . ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق . والله ما علمت منهم إلاّ خيرا . ويقولون ذلك لرجل[1] والله ماعلمت منه إلا خيرا . وما يدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى» .

الفتنة بين الأوس والخزرج : ولم يكد النبى ينتهى من خطابه حتى قام أسيد بن حضير ـ وهو من الأوس ـ وقال : يارسول الله إن يكونوا من إخواننا الأوس نكفيكهم . وإن يكونوا من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك . فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم .

وطبيعى أن هذا الحكم على الخزرج لم يرق سعد بن عبادة ـ وهو من ساداتهم ـ فقام غاضبا ورد على أسيد بقوله : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم . أما والله ما قلت هذا المقال إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج . ولو كانوا من قومك ما قلت هذا . . وعاد أسيد ليرد على سعد بن عبادة فى حدة وغضب فقال : كذبت لعمر الله . ولكنك منافق تجادل عن المنافقين .

وتثاور الناس لهذه المشادة . وكادت نار الفتنة أن تندلع بين الأوس والخزرج . وأن يتماسكا بالأيدى . لولا أن تدخل رسول الله بحكمته فأنهى الجدل وعاد إلى النفوس هدوؤها .

عائشة وحديث الافك : وعلمت عائشة (رضى الله عنها) بما أشيع عنها . فقد نقلته إليها امرأة من المهاجرين . فما أن علمت به حتى كادقلبها أن ينفطر من هول ما سمعت . فأسلمت نفسها لبكاء مر وحزن قاتل . وذهبت إلى أمها وقالت لها وهى تكاد تختنق من الألم : يغفر الله لك يا أماه . تحدث الناس بما تحدثوا به . ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ؟ .

---

(١) أى صفوان بن المعطل الذى أحضر عائشة معه إلى المدينة .

وحاولت الأم أن تخفف من ألم ابنتها . وأن تزيل عن نفسها بعض ما أصابها فقالت : أى بنية . خففى عليك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثّرن وكثر الناس عليها . ولكن عائشة لم يغير من نفسها عبارات أمها المهدئة . بل ظلت على ألمها وهمها . . ولكن ماذا تفعل للخروج مما يكربها ؟ . هل تفاتح رسول الله وتدفع التهمة عن نفسها لتبرىء ساحتها . . أم تعلن هى الأخرى جفاءها لرسول الله كما فعل إلى أن ينجلى الموقف .

الرسول يستشير : وبينما كانت عائشة غارقة فى هذه الدوامة من الهم والحزن اضطر رسول الله « صلوات الله عليه » فى النهاية أن يتشاور مع خاصته فى الأمر . فدعا إليه عليا وأسامة بن زيد فاستشارهما أما أسامة فقد نفى عن عائشة كل ما نسب إليها وعزاه إلى أهل الباطل والكذب . وأنه لا يعلم عن أهل بيت رسول الله إلا كل خير كما يعلم ذلك كل الناس .

أما على بن أبى طالب فإنه لم ينف عن عائشة شيئا . وقال : يا رسول الله إن النساء لكثير . وإنك لقادر على أن تستخلف . وسل الجارية فإنها ستصدقك .

ودعا رسول الله جارية عائشة — واسمها بريرة — ليسألها فقام إليها على بن أبى طالب فأوسعها ضربا وهو يقول لها : اصدقى رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ولكن الجارية لم تستطع إلا النطق بالحق فقالت : والله ما أعلم إلا خيرا . .

الرسول يواجه عائشة : ولم يجد رسول الله « صلوات الله عليه » بدا من مفاتحة عائشة فى الأمر ويسألها الاعتراف بالحقيقة . فدخل عليها ومعها أبواها وامرأة من الأنصار وهى لا تزال تبكى وتتألم . فجلس وحمد الله وأثنى عليه ثم قال لها « يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس . فاتقى الله إن كنت قد قارفت سوءاً مما يقولون فتوبى إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن عباده » .

وازداد ألم عائشة وثار الدم فى عروقها مما سمعت من مقالة رسول الله فاتجهت ناحية أمها

وأبيها وقالت لهما : ألا تجيبان ؟ . قالا والأسى يمزق قلبيهما : والله ماندرى بم نجيب . . وعاد إليهما الوجوم . .

والتفتت عائشة إلى رسول الله وقالت له : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ، والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أنى بريئة لأقولن مالم يكن . ولئن أنا أنكرت لا تصدقوننى . . وصمتت عائشة عن الكلام لحظة ثم أردفت تقول - وكأنما وثقت فى رحمة الله و إظهاره للحق - إنما أقول كما قال أبو يوسف (فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) .

براءة عائشة : ومرت فترة لزم الجميع خلالها الصمت من فرط الألم والوجيعة . ولم يبرح رسول الله « صلوات الله عليه » مجلسه حتى تغشاه الوحى بمثل ما كان يتغشاه به فسجوه بثوبه وأوسدوه بوسادة من أدم .

أما عائشة رضى الله عنها فإنها لم تفزع بل زادت طمأنينة ، وأما أبواها فقد كادت أنفسهما أن تخرج فرقاً أن يأتى من الله تحقيق ماقال الناس .

فلما سرى عن رسول الله « عليه السلام » قام يتصبب عرقاً وأخذ يجففه . ويعلن لعائشة مبتهجاً ما أوحى الله به إليه من براءتها من حديث الإفك ويقول : « أبشرى ياعائشة . . قد أنزل الله براءتك » .

وسرعان ماعاد الارتياح إلى نفس عائشة البريئة فتطلعت إلى السماء شاكرة مثنية ورفعت يديها وقالت : الحمد لله .

وخرج رسول الله إلى المسجد ليعلن فيه على الملأ براءة عائشة من حديث الإفك . ويلقى على مسامع الناس ما أنزل الله عليه فى هذا الشأن فى قوله تعالى (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم الآية ١١ : النور) (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين . ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم . إن الذين يحبون أن

تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون الآيات ١٦ ـ ١٩ النور) .

وكانت براءة عائشة أيضاً سبباً فى نزول عقوبة رمى المحصنات فى قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون الآية ٤ : النور) .

تنفيذ الحكم فى مشيعى الفاحشة : وجىء بمسطح بن أبى أثاثة ، وحسان بن ثابت . وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أشاعوا حديث الإفك عن عائشة فضرب كل منهم ثمانين جلدة تنفيذاً للآيات التى نزلت فى العقوبة وعادت عائشة إلى بيت رسول الله يصحبها إكرام الله لها بالبراءة والطهر والسمو .

وهكذا أظهر الله براءة عائشة فى هذه الآيات التى حبسها عن الرسول شهراً ابتلاء لرسوله والمؤمنين . وليزداد فيهم الإيمان والثبات وتتم عليهم نعمته . أما المنافقون فلم يزدادوا إلا نفاقاً . ورد الله كيدهم إلى نحورهم وعكس عليهم أمرهم .

آثار حديث الإفك : ويجدر بنا أن نذكر فى ختام حديث الإفك ما ترتب على هذا الحادث من آثار سيئة نبينها فيما يلى :

أولا ـ الشكوك التى حامت حول إحدى نساء النبى وهو أمر لا شك عظيم فى نظر الناس أن يحدث فى بيت النبى الذى جاء يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

ثانيا ـ تأذى رسول الله وعائشة بما أشيع . واستفادة المنافقين واليهود من هذه الحادثة للكيد بالمسلمين .

ثالثا ـ الفتنة المدمرة التى كادت أن تحدث بين الأوس والخزرج فتعصف بصفوف المسلمين وتمزق وحدتهم .

رابعا ـ قطع أبى بكر المعونة عن مسطح بن أبى أثاثة . وهذا قطع لأواصر البر والتعاون بين المسلمين . لولا أن رسول الله أمر أبا بكر بمواصلة إعانة مسطح بعد نزول

قوله تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ـ الآية ٢٢ : النور) .

وبذلك ينتهى الكلام فى غزوة بنى المصطلق وحديث الإفك . . وإلى لقاء آخر إن شاء الله فى موقعة الحديبية .

سعد صادق محمد

تعليقات على الصحف :

نظام الإرث فى الشريعة الاسلامية

قررت الحكومة العراقية الجديدة العودة إلى نظام الشريعة الإسلامية فى الإرث . وكان عبد الكريم قاسم الحاكم السابق للعراق قد ألغى هذا النظام وسمح للمرأة أن ترث مثل نصيب الرجل . « الأخبار يوم ٢٠/٣/١٩٦٣ »

* لايختلف اثنان فى أن نظام الإرث فى الإسلام هو نظام صالح لأى مجتمع ينشد الاستقرار والحياة الطيبة . ذلك لأنه نظام من وضع الله الخبير بأحوال الإنسان .. وضعه لحكمة عليا سامية .

والحكمة فى جعل ميراث الذكر مثل ميراث الأنثيين أن الذكر هو المكلف شرعا بالإنفاق على زوجته وأولاده . كما أنه يحتاج إلى الإنفاق على نفسه . وبذلك تقع على عاتقه وحده أعباء تكاليف الحياة .

أما الزوجة فهى لا تنفق إلا على نفسها ، فإن تزوجت انتقلت نفقتها إلى زوجها . ولهذا الاعتبار الحيوى الهام جعل الله تعالى سهم الذكر ضعف سهم الأنثى . . هذا اعتبار أول . أما الاعتبار الثانى فهو أن أكثر النساء ينفقن المال فى الوجوه المفسدة المنكرة وفى إسراف وتبذير . نظراً لقلة دينهن ونقص عقلهن وغلبة الشهوة عليهن .

إن من يبدل دستور الله الحكيم بدستور آخر لإصلاح حال الناس إنما هو فى الحقيقة

يريد أن يعطى لنفسه حق التساوى مع الله فى وضع تشريع للناس ليسيروا بموجبه فى حياتهم وعمل مثل هذا الانسان لا يمكن أن يدوم ويثمر حسناً مهما نفذه بالقوة . لأنه كفران بنظام الله الذى وضعه لمصلحة عباده . وفسق عن السير على دستوره كما قال تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ٥ : ٤٤) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ٥ : ٤٥) (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ٥ : ٤٦)

* * *

خطباء المساجد . . والرياضة

• دعا خطيب بالإسماعيلية من على منبر المسجد ـ فى يوم جمعة ـ للنادى الإسماعيلى بالنصر فى مبارياته ضد نادى الزمالك .

« المصور يوم ٢١ ـ ٣ ـ ١٩٦٣ »

• حتى الشيوخ صاروا عبيداً لكرة القدم التى شُغِلَ بها الكبير والصغير عندنا وعبدوها . فراحوا هكذا يناصرونها من فوق المنابر التى خصصت للدعوة إلى سبيل الله ونصرة دينه . . ياعجباً لهذا الشيخ . لقد كان الأحرى به أن يدعو بالهداية لأولئك الرجال ـ أو أشباه الرجال ـ الذين تركوا نساءهم و بناتهم فى الشوارع العامة كاسيات عاريات للاثارة والفتنة .. وكان الأجدر به أن يدعو الله بالهداية لأولئك الذين يجرون هنا وهناك فى جنبات الأرض يفسدون و يفسقون ثم يملأون بطونهم من رزق الله فلا تخر جباههم بالسجود شكراً لله على ما أمدهم به من أسباب الحياة من طعام وشراب وهواء وغيره . . ولا مذكر لهم بالآخرة .

ونحن نعلم أن الدكتور محمد البهى وزير الأوقاف لا يمكن أن ينظر بعين الرضا والارتياح إلى عمل هذا الخطيب الذى أهمل واجبه الأساسى وأقدم على هذا العمل الأحمق دون أن يرده إلى صوابه . و يشعره بحقيقة وظيفته .

* * *

تخطيط دينى فى الإذاعة

أعدت الاذاعة أضخم تخطيط دينى يبدأ تنفيذه من ابريل سنة ١٩٦٣ ويشمل على مواصلة برنامج التوعية بمبادىء الإسلام وتنقية المعانى الدينية وأحكام الإسلام مما علق بها من أمور دخيلة عليها . وتنبيه الناس إلى مافى الدين من دعوة إلى الحياة والعمل ، وحثهم على الكشف عما فى أحاديث الرسول وأقواله من توجيهات ومبادىء تخدم القيم الإنسانية .

كما اشتمل البرنامج على : تقديم مقتطفات مما تحويه المجلات الإسلامية كل أسبوعين فى ٩ دقائق .. ندوة دينية أسبوعية فى ١٥ دقيقة .. الحياة من القرآن الكريم يوميا فى ١٠ دقائق قبل قرآن المساء .. الخ .

« الاهرام يوم ٢٤ – ٣ – ١٩٦٣ »

• إذا كان هذا التخطيط الدينى الكبير سيوضع موضع التنفيذ حقاً فإننا نرجو أن يقوم على التنفيذ علماء سلفيون مشهود لهم بسلامة الفكر واعتناق مبادىء التوحيد . والتحرر من قيود الباطل والخرافات حتى لا يقدم البرنامج الباطل باسم الحق . والغث فى قالب السمين . فيتجه البرنامج بالتخطيط نحو نتائج عكسية ضارة بالأفكار والعقائد .

كما أننا نرجو أن ينتقى المسئولون عن البرنامج من المجلات الدينية تلك التى تحمل للقراء مبادىء إسلامية صحيحة . وعقائد دينية صالحة .

إن هذا التخطيط الدينى هو فى الحقيقة له أهميته الحيوية فهو إن سار فى طريق إسلامى صحيح فسيقف ضد التيارات الملحدة والاتجاهات الفكرية الفاسدة المنتشرة فى المجتمع بصورة مفزعة .

ونحن مع شكرنا لهيئة الإذاعة على هذه الخطوة المباركة التى تبذل فى سبيل الإصلاح نرجو أن يحقق هذا التخطيط هدفه المنشود . وأن يؤتى ثماره اليانعة إن شاء الله .

***

دعوة لهتك الأعراض

• مصنع سونتيان لاهو يتشرف بإخطار جميع السيدات والآنسات بأنه قد افتتح

فرع جديد خاص لتفصيل السونتيانات من جميع الموديلات حسب المقاسات المطلوبة والحضور شخصياً » .

« الاهرام يوم ١ ـ ٤ ـ ١٩٦٣ »

• هذا الخبر نشرته الصحيفة بكل بساطة بالاعلانات المبوبة تحت عنوان « لوازم السيدات » ولسنا نلوم الصحيفة على نشرها الخبر . فالمهم عندها أجر النشر . وإنما الذى نتجه إليه باللوم والتثريب هو ذلك الشخص الذى سيبعث بابنته أو زوجته إلى مصنع هتك الأعراض هذا ليصنع لها السونتيان . فلا بد أن التفصيل سيضطر صاحبة الطلب إلى الكشف عن ثدييها . . ولكى يتم ذلك ستخلع حتما ملابس أخرى لتؤخذ المقاسات من جميع الجوانب بالتمام .

وإلى هنا نمسك عن بيان ما سيحدث فى سبيل أخذ المقاس المضبوط حتى يخرج السونتيان حسب المزاج والطلب فيكون مشجعاً لصاحبته على الخروج . وتمشى متمايلة مختالة ترمقها العيون بنظرات الإعجاب . وترميها الأفواه بعبارات الغزل .

إن الذى يسمح لأنثاه بالذهاب إلى هذا المصنع لينهش لحمه باسم تفصيل الملابس محال أن يكون من الرجال الذين تجرى فى عروقهم دماء الرجولة والنخوة والشهامة .

ومن واجب الدولة ألا تمنح لمثل هذه المحال تراخيص بالعمل لتحمى أعراض الناس من أن تهتك باسم تفصيل الملابس .

* * *

بنوة . . . أم وحشية ؟ ! .

قتل مزارع أمه فى أسيوط . فقد طلب منها أن تبيع دجاجتين وتعطيه ثمنهما لحاجته إلى المال ، ولما رفضت ضربها بقدمه فى جنبها فسقطت ميتة .

(الأخبار يوم ٢ ـ ٤ ـ ١٩٦٣)

. . ماذا بقى لهذا العاق النكد لم يفعله تجاه أمه ؟ ! لقد أغلظ القول لأمه فى بادىء الامر . . ثم نهرها وشتمها . ثم انتهى الأمر إلى قتلها .

ولو أن هذا القاتل كان قد نظر ـ قبل أن يلوث يده بهذه الجريمة النكراء ـ إلى أم ترضع طفلها .. أو إلى أم تُسَرُّ لابتسامة تشرق من وجه وليدها . أو تحزن لآلامه وبكائه وتؤثره على نفسها . لتحركت فيه البنوة الرحيمة ، ولرجع بعين البصيرة إلى أيام طفولته يتذكر كيف كانت أمه تفعل معه من أجل تربيته كما تفعل الأم التى يراها . ولكن مع الأسف . . ماتت الإنسانية فيه فكفر ببنوته . وهكذا فعل .

إن للوالدين حقاً على الأبناء . لو عرفه الإنسان لأحسن معاملتهما ولما تفوه بكلمة تؤذيهما مهما أساءا إليه . . ولا عجب فهما سبب إيجاده فى الدنيا وكم سهرا من أجله . وتعبا فى نشأته . ولهذا أوصانا الله تعالى ببرهما والاحسان إليهما .. بل وجعل طاعتهما بعد طاعته مباشرة . إذ قال وقوله الحق « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل :رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا الآيتان ٢٣ ، ٢٤ الاسراء » وقال تعالى « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما [1] وصاحبهما فى الدنيا معروفا : الآيتان ١٤ ، ١٥ لقمان » :

سعد صادق محمد

حديث

« من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » .

رواه ابن حبان فى صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها .

---

(١) ليس على الأبناء طاعة الآباء إن هم دعوهم إلى الاشراك بالله تعالى . فعلى الأبناء فى هذه الحالة مصاحبة آبائهم بالمعروف دون الإساءة إليهم .

أحسن ما قرأت (١)

دمعة على الاسلام

كتب إلىّ أحد علماء الهند كتاباً يقول فيه : إنه اطلع على مؤلف ظهر حديثاً بلغة التاميل ، وهى لغة الهنود الساكنين بناقور وملحقاتها بجنوب مدراس ، موضوعه « تاريخ حياة السيد عبد القادر الجيلانى ، وذكر مناقبه وكراماته » فرأى فيه من بين الصفات والألقاب التى وصف بها الكاتب السيد عبد القادر ، ولقبه بها صفاتاً وألقاباً هى بمقام الألوهية أليق منها بمقام النبوة ، فضلا عن مقام الولاية كقوله « سيد السموات والأرض» و « النفاع الضرار » و « المتصرف فى الأكوان » و « المطلع على أسرار الخليقة » و « محيي الموتى » و « مبرىء الأعمى والأكمه والأبرص » و « أمره من أمر الله ، وماحى الذنوب ، ودافع البلاء ، والرافع الواضع ، وصاحب الشريعة ، وصاحب الوجود التام » إلى كثير من هذه الأفعال ، والألقاب . ويقول الكاتب : إنه رأى فى ذلك الكتاب فصلا يشرح فيه المؤلف الكيفية التى يجب أن يتكيف بها الزائر لقبر السيد عبد القادر الجيلانى يقول فيه : « أول ما يجب على الزائر . أن يتوضأ وضوءا سابغا ثم يصلى ركعتين بخشوع واستحضار ، ثم يتوجه إلى تلك الكعبة المشرفة . وبعد السلام على صاحب الضريح المعظم يقول : يا صاحب الثقلين . أغثنى وأمدنى بقضاء حاجتى ، وتفريج كربتى ، أغثنى يا محيي الدين عبد القادر . أغثنى يا خوجه عبد القادر ، يا حضرة الغوث الصمدانى ، يا سيدى عبد القادر الجيلانى . عبدك ومريدك مظلوم عاجز محتاج إليك فى جميع الأمور فى الدين والدنيا والآخرة » ويقول الكاتب أيضا : إن فى بلدة ناقور فى الهند قبراً يسمى

---

(١) للكاتب الأديب المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى فى كتابه النظرات ج ٢ ص ٦١ نظرة ٥٢ .

« شاه الحميد » وهو أحد أولاد السيد عبد القادر كما يزعمون ، وأن الهنود يسجدون بين يدى ذلك القبر ، سجودهم بين يدى الله ، وأن فى كل بلدة من بلدان الهند وقراها مزاراً يمثل مزار السيد عبد القادر ، فيكون القبلة التى يتوجه إليها المسلمون فى تلك البلاد ، والملجأ الذى يلجأون فى حاجاتهم وشدائدهم إليه ، وينفقون من الأموال على خدمته وسدنته وفى موالده وحضراته ما لو أنفق على فقراء الأرض جميعاً لصاروا أغنياء . هذا ما كتبه إلىّ ذلك الكاتب ، ويعلم الله أنى ما أتممت قراءة رسالته حتى دارت بى الأرض والفضاء ، وأظلمت الدنيا فى عينى فما أبصر مما حولى شيئاً حزناً وأسفاً على ما آلت إليه حالة الإسلام بين أقوام أنكروه بعد ما عرفوه ، ووضعوه بعد ما رفعوه ، وذهبوا به مذاهب لايعرفها ، ولا شأن له بها ، أى عين يجمل بها أن تستبقى فى محاجرها قطرة واحدة من الدمع ، فلا تريقها أمام هذا المنظر المؤثر المحزن ، منظر أولئك المسلمين وهم ركع سجد على أعتاب قبر ربما كان بينهم من هو خير من ساكنه فى حياته ، فما أحرى أن يكون كذلك بعد مماته ! ! أى قلب يستطيع أن يستقر بين جنبى صاحبه ساعة واحدة فلا يطير جزعاً حينما يرى المسلمين أصحاب دين التوحيد أكثر من المشركين إشرا كا بالله ، وأوسعهم دائرة فى تعدد الآلهة ، وكثرة المعبودات ، لمَ ينقم المسلمون التثليث من المسيحيين ، ولم يحملون لهم فى صدورهم تلك الموجدة ، وذلك الضغن ، وعلام يحاربونهم وفيم يقاتلونهم ، وهم لم يبلغوا من الشرك بالله مبلغهم ، ولم يغرقوا فيه إغراقهم ؟ ؟ .

يدين المسيحيون بآلهة ثلاث ، ولكنهم يشعرون بغرابة هذا التعدد ، و بعده عن العقل ، فيتأولون فيه ، ويقولون إن الثلاثة فى حكم الواحد ؛ أما المسلمون فيدينون بآلاف من الآلهة ، أكثرها جذوع أشجار ، وجثث أموات ، وقطع أحجار ، من حيث لا يشعرون . ! ! !

كثيراً ما يضمر الإنسان فى نفسه أمراً وهو لايشعر به ، وكثيراً ما تشتمل نفسه على عقيدة خفية لايحس باشتمال نفسه عليها ، ولا أدرى مثلا لذلك أقرب من المسلمين الذين

يلتجئون فى حاجاتهم ومطالبهم إلى سكان القبور ، ويتضرعون إليهم تضرعهم للإله المعبود ، فإذا عتب عليهم فى ذلك عاتب ، قالوا : إنا لا نعبدهم ، وإنما نتوسل بهم إلى الله كأنهم لايشعرون أن العبادة ما هم فيه ، وأن أكبر مظهر لألوهية الإله المعبود ، أن يقف عباده بين يديه ضارعين خاشعين يلتمسون إمداده ومعونته ، فهم فى الحقيقة عابدون لأولئك الأموات من حيث لايشعرون . . . جاء الإسلام بعقيدة التوحيد ليرفع نفوس المسلمين ، ويغرس فى قلوبهم ، الشرف والعزة : والأنفة والحمية ، وليعتق رقابهم من رق العبودية ، فلا يذل صغيرهم لكبيرهم ولا يهاب ضعيفهم قويهم ، ولا يكون لذى سلطان بينهم سلطان إلا بالحق والعدل ، وقد ترك الإسلام بفضل عقيدة التوحيد ذلك الأثر الصالح فى نفوس المسلمين فى العصور الأولى ، فكانوا ذوى أنفة وعزة ، وإباء وغيرة ، يضربون على يد الظالم إذا ظلم ، ويقولون للسلطان إذا جاوز حده فى سلطانه : قف مكانك ولا تغل فى تقدير مقدار نفسك ، فإنما أنت عبد مخلوق ، لا رب معبود ، واعلم أنه لا إله إلا الله . . . هذه صورة من صور نفوس المسلمين فى عصر التوحيد أما اليوم وقد داخل عقيدتهم ما دخلها من الشرك الباطنى تارة ، والظاهر أخرى فقد ذلت رقابهم ، وخفضت رءوسهم ، وضرعت نفوسهم ، وفترت حميتهم ، فرضوا بخطة الخسف ، واستناموا إلى المنزلة الدنيا ، فوجد أعداؤهم السبيل إليهم ، فغلبوهم على أمرهم ، وملكوا عليهم نفوسهم وأموالهم ومواطنهم وديارهم ، فأصبحوا من الخاسرين ! ! والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم ، ولن يبلغوا ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة وهناءتها إلا إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد ؟ وإن طلوع الشمس من مغربها ، وانصباب ماء النهر فى منبعه أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده ، ما دام المسلمون يقفون بين يدى الجيلانى ، كما يقفون بين يدى الله ، ويقولون للأول كما يقولون للثانى « أنت المتصرف فى الكائنات ، وأنت سيد الأرضين والسموات » .

إن الله أغير على نفسه من أن يسعد أقواماً يزدرونه ويحتقرونه ، ويتخذونه وراءهم ظهريا ، فإذا نزلت بهم جائحة أو ألمّت بهم ملمّة ، ذكروا الحجر قبل أن يذكروه ،

ونادوا الجذع قبل أن ينادوه . بمن أستغيث ؟ وبمن أستنجد ؟ ومن الذى أدعوه لهذه الملمة الفادحة ؟ أأدعو علماء مصر وهم الذين يتهافتون على يوم « الكنسة[1] » تهافت الذباب على الشراب ؟ أم علماء الآستانة وهم الذين قتلوا جمال الدين الأفغانى فيلسوف الإسلام ، ليحيوا أبا الهدى الصيادى شيخ الطريقة الرفاعية ؟ أم علماء العجم وهم الذين يحجون إلى قبر الإمام ، كما يحجون إلى البيت الحرام ؟ أم علماء الهند و بينهم أمثال مؤلف هذا الكتاب ؟ . . . ياقادة الأمة ورؤساءها ، غذرنا العامة فى إشراكها ، وفساد عقائدها ، وقلنا : إن العامى أقصر نظراً ، وأضعف بصيرة من أن يتصور الألوهية إلا إذا رآها ماثلة فى النصب والتماثيل ، والأضرحة والقبور ، فما عذركم أنتم ، وأنتم تتلون كتاب الله وتقرأون صفاته ونعوته ، وتفهمون قوله تعالى (قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) وقوله مخاطباً نبيه : (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً) وقوله : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

إنكم تقولون فى صباحكم ومسائكم وغدوكم ورواحكم : كل خير فى اتباع من سلف ، وكل شر فى ابتداع من خلف ، فهل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يخصصون قبراً ، أو يتوسلون بضريح ؟ وهل تعلمون أن واحداً منهم وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، أو قبر أحد من أصحابه وآل بيته ، يسأله قضاء حاجة ، أو تفريج هم ؟ وهل تعلمون أن الرفاعى والدسوقى والجيلانى والبدوى ، أكرم عند الله ، وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين ، والصحابة والتابعين ؟ وهل تعلمون أن النبى صلى الله عليه وسلم حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل نهى عنها عبثاً ولعباً ؟ ؟ أم مخافة أن تعيد المسلمين جاهليتهم الأولى ؟ وأى فرق بين الصور والتماثيل و بين الأضرحة والقبور ، ما دام كل منهما يجر إلى الشرك ، و يفسد عقيدة التوحيد ؟ .

---

(١) يوم يذهب فيه علماء الدين إلى ضريح الإمام الشافعى التبرك بكنس ترابه .

والله ما جهلتم شيئاً من هذا ولكنكم آثرتم الحياة الدنيا على الآخرة فعاقبكم الله على ذلك بسلب نعمتكم ، وانتقاض أمركم ، وسلط عليكم أعداءكم يسلبون أوطانكم ، ويستعبدون رقابكم ، ويخربون دياركم . والله شديد العقاب ، ا هـ .

تلك دمعة سفحها الكاتب المرحوم (المنفلوطى) ويسفحها أمثاله من أصحاب الغيرة والحمية. على ما انتاب المسلمين ، من نكبتهم فى عقولهم ، وضياعهم لتراثهم العتيد ، ونقض عراه واحدة بعد أخرى واجتثاث أصله ، الذى عليه قام صرحه ، وشيدت أركانه ، بهرائهم الفارغ ، وتوسلاتهم الباطلة ، وتعبداتهم المبتدعة التى أحدثوها فى دين الله على زعم القرب منه ، والحقيقة أنها لم تزدهم منه إلا بعداً . ! !

ما أكثر ما أجلبه ـ علينا ـ التصوف والمتصوفون ـ وعلى الإسلام ـ من تشتيت الشمل ، واتخاذ الشركاء والأنداد لله رب العالمين .

فرحم الله المنفلوطى وجزاه خير الجزاء ؟

السيد عبد الحليم محمد حسين ملاقى
إمام وخطيب بمسجد ابن عنان ـ بتل حوين
شرقية

الرفق بالحيوان

أى الخلائق كامل الوجدان ... وأعزُّ مرتبة من الإنسان

فى نعمة الرحمن غادٍ رائحٌ ... يختال فى ملكٍ وفى سلطان

عهدٌ عليه مدى الحياة وذمة ... أن يذكر الرحمن بالشكران

لم يقتنع بنعيمه وصنيعه ... بل كان أسرعها إلى الكفران

إن الألى كفروا بنعمة ربهم ... رجعوا وما غنموا سوى الخسران

* * *

العقل فى الإنسان أفضل منّةٍ — لا خير فى رأسٍ بغير جنان
العين نورٌ وهو نورٌ آخر — يا حبــــذا لو أشرق النوران
ما قيمة الإنسان إلا عقــله — والعقل للإنســان كالمــيزان
أكرم به هبــة ولــكن قلّمــا — تلقى سديد الرأى فى الأبدان
والمــرء لا يسمو ويكمل عقله — إن لم يكن ذا رحمة وحنان
وأشــد خلق الله رفقاً فتيةٌ — يتطلبون الرفق بالحيــــوان
عُجْمٌ لها مثل ابن آدم ألسنٌ — لـكنهـا خرسٌ بغير لســان
تمشى على سغبٍ وليس بوسعها — طلب الغــذاء كعادة الجوعان
وتبيت عطشى ليلهـا مربوطة — بشكاة إذلال وقيد هوان
المـاء موفور ومحــــرم ورده — وتظل صابرة على الحرمان
تطوى الفيافى فى الهجير وفى اللظى — وتجوبهن على هوى الأرسـان
فإذا شكت تعباً وأوهن سيرها — سـال الدما منها على السيطان
فتســـير مكرهة لذاك وما لها — فى حمل ذا العبء الثقيل يدان

* * *

إن المطايا خـير ذخر يرتجى — فى يوم معمعــة ويوم طعان
لو ألهمت بعض الـكلام رأيتها — رفعت ظلامتهــا إلى الديان
والمرء شيطانٌ إذا حكّمته — يوماً وبئس تحـكم الشيطان
والله ليس بغـافل عن ظـالم — مهما عتـا أو لج فى الطغيان
أى الفوارس كان يخشى بأسـه — إن خاض فى الهيجاء بغير حصان
إن الجواد تراه ساعات الوغى — متلوياً فى الســير كالثعبان
إن يَعْدُ فهـو الريح حين هبوبه — إذ لا يُرى ويصرُّ فى الآذان
أو جال فهـو الليث فى جولانه — والســيل مندفع على الوديان
من لم يصاحب فى الحروب جواده — لا نفع بعــد لمرهف وسنان

* * *

حق على الإنسان أن يعنى بها ويصدّ عنها طارق الحدثان
وإذا تبصّر فهى خير مساعدٍ فى كل آونة وكل مكان
تسدى إليه الخير من زادٍ ومن صوف ومن جبن ومن ألبان
فضل عظيمٌ للبرية شاملٌ وهى الأساس لذلك العمران

نجاتى عبد الرحمن

الوحدة

كان يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شهر ذى القعدة عام ١٣٨٢ الموافق لليوم السابع عشر من شهر إبريل عام ١٩٦٣ من أغر الأيام وأمجدها فى التاريخ الحديث للأمة العربية إذ تمت فيه الوحدة بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية سوريا وجمهورية العراق، وأذيعت فيه ميثاق الوحدة ودستورها من القاهرة قلب الأمة العربية النابض وموئلها ومحط أنظارها وموطن آمالها فى النهضة الكبرى للأمة .

لقد ارتفعت رؤوس العرب واشرأبت أعناقهم يوم إعلان الوحدة التى حققت آمالهم وأمانيهم فى العزة والمنعة والقوة ، فغمرت الفرحة قلوب الملايين ، وشملهم الابتهاج من المحيط إلى الخليج ، وعمت مظاهرات الإعراب عن شعور الفرح جميع مدن الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق والجزائر واليمن ولبنان والكويت وقطر وغيرها من البلاد ، فخرجت الجماهير هاتفة بحياة الوحدة وحياة الزعماء المخلصين ، وازدانت الشوارع والدور فى جميع أنحاء الوطن العربى بالأنوار وأعلام الجمهورية العربية المتحدة بنجومها الثلاث .

إن هذه الوحدة التى كانت نتيجة للجهود الصادقة للزعماء المخلصين ، والتى كانت وليدة الإرادة الحرة للشعوب العربية ، إنما هى انطلاقة عظيمة لطاقات العرب وخطوة جبارة نحو الاتحاد الشامل للأمة العربية والإسلامية إن شاء الله .

وبهذه المناسبة أرسلت الجماعة إلى الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية :

« جماعة أنصار السنة المحمدية تشكركم على تحقيق أمانى العرب والمسلمين بقيام الوحدة سائلة المولى سبحانه أن يتمم على أيديكم الوحدة الكاملة الشاملة بزعامتكم الأمينة الرشيدة حتى تتبوأ الأمة الإسلامية مكان القيادة لشعوب العالم . وفقكم الله وأمدكم بروح من عنده »

واجبنا نحو طلب العلم

العلم طب النفوس وحياتها وعزها وعلاها ، ومن لا علم عنده فلا خير فيه ؛ فبالعلم كمال الإنسان . وبالعلم ساد من ساد وارتفع من ارتفع ، وبالجهل دكت معالم أمم ، وخربت بيوت ودول . فما بالنا لا نتعظ ، ما بالنا لا نعتبر ، يسعى الإنسان منا فى طلب المال لخدمة جسمه وبدنه وشهواته ورغباته ، ولا يسعى فى طلب العلم لتكميل نفسه وتطهير روحه ، « وأنت بالروح لا بالجسم إنسان » .

يا مجداً فى العبادة ولست من علم الدين فى شىء ، أتعبت نفسك فى غير مفيد ، ولم تحفظها من العذاب الشديد ، أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأن تَغْدُو فتتعلم آية من كتاب الله تعالى خير لك من أن تصلى مائة ركعة » . فالعبادة على غير علم كالبناء على غير أساس ، وكما أنه لا غنى للعمل عن العلم ، فلا فائدة فى العلم بدون العمل . فعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر . يا طلبة العلم ، يا حملة الشهادات ، يا معشر الموظفين لا تظنوا أن العلم ما تعلمتموه فى المدارس والجامعات للحصول على رخص التوظيف بالشهادات ، إنما العلم ما نبع من عيون الدين وبينه لنا رب العالمين فى كتابه ، ونبيه صلى الله عليه وسلم فى سنته ، العلم معرفة الدين والتبصر فيه والشرب من حياضه ، العلم كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » .

إننا نرى بيوت الله عامرة ، ودور العلم خاوية خالية ، مالى أرى الناس يجتمعون حول المذياع والتليفزيون ويعرضون عن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؟ وأراهم فى طلب المال مسرعين وعن طلب العلم غافلين ، هل ضلت العقول ؟ هل عميت الأبصار ؟ هل صمت الآذان ؟ ما كان كل ذلك ، ولكنها الشهوات تعمى وتصم . ألم تقرؤا قوله الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لِمَ حشرتنى أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) .

فيا أيها المسلم إذا أردت لنفسك ولأبنائك سعادة الدنيا والآخرة فتعلم دينك وعلمه لهم واجعله فى مقدمة العلوم الكونية فإنه لا يخالف طبيعة الإنسان ولا يصادم مصلحة اجتماعية أو فردية بل يثبت المعانى الروحية العليا فى النفوس ، ويرمز إلى أسمى المشاعر والعواطف ، ويعمل على إحياء الضمير ويكون عوناً على اتساع الأفق وتفتق الذهن وقوة الإدراك .

ياقوم اتقوا الله فى دينكم ، والله فى أبنائكم قال تعالى (وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) وقال تعالى : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا) .

أيها المسلم :

عليك بالعلم لا تطلب له بدلا وأعلم بأنك فيه غير مغبون

العلم يجدى ويبقى للفتى أبدا والمال يفنى وإن أجدى إلى حين

روى مسلم وأبو داود والترمذى وغيرهم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » فاطلب العلم لدينك ودنياك تكن مؤمناً كيسا .

عبد المحسن الجندى

تهنئة بعيد الأضحى المبارك

مجلة الهدى النبوى : تهنىء جميع قرائها بحلول عيد الأضحى المبارك أعاده الله على المسلمين ، بالخير والبركات فى ظل الوحدة المباركة .

وتقام صلاة العيد كالمعتاد بميدان الجمهورية إن شاء الله .